فوائد تفسيرية

وملاحظات نقدية على كتاب

300 كلمة قرآنية قد تفهم خطأ

حسام الدين مصطفى محمد

شبكة الألوكة
www.alukah.net

بسم الله الرَّحمن الرَّحيم

المُقدِّمة

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على أشرف المرسلين، سيِّدنا محمَّدٍ وعلى آله وصحبه والتَّابعين لهم بإحسانٍ إلى يوم الدِّين.

وبعد؛

قالَ تعالى: ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ﴾ [ص: ٢٩] «فليس شيءٌ أنفعَ للعبد في معاشه ومعاده من تدبُّر القرآن، وجمع الفِكْر على معاني آياته»[(١)].

وأوَّل مراتب تدبُّر القرآن الفَهْم الصَّحيح لمعاني كلماته في سياقها القرآنيّ، وإزاحة أيِّ فَهْمٍ خاطئٍ من شأنه تكدير صفو موارد معانيها الرَّبَّانيَّة العذبة، ولم يَأْلُ العلماءُ والمفسِّرون على مرِّ العصور جُهدًا في بيان معاني كلمات القرآن وتوضيحها، والتَّنبيه على ما قد يُتَوهَّم من معانٍ خاطئةٍ أو تفسيراتٍ باطلةٍ أو ضعيفةٍ.

وكتاب «(٣٠٠) كلمةٍ قرآنيَّة قدْ تُفهمُ خَطَأً» وضعه معدُّه لتنبيه القُرَّاء على كلماتٍ يظنُّون أنَّهم يُدركون معناها ويعرفون تأويلها، وهم بعيدون عن المعنى الصَّحيح لها[(٢)]، وهو كتابٌ نافعٌ في الجملة، وقد كُتِب له الشُّهرة والانتشار هذه الأيام، وكَثُر النَّقل عنه خاصَّةً على مواقع التَّواصل الاجتماعيِّ، ولا أحسب ذلك إلَّا لصدق نيَّة مُعدِّه وقصده الخيرَ ونفعَ عمومِ المسلمين بعمله.

وكنتُ قد قرأتُ الكتاب في نشرته الأولى -وهو بعدُ (١٠٠) كلمةٍ- قراءةً سريعةً، ثمَّ أعدتُ قراءتَه مرَّةً أُخرى -وقد أتمَّه مُعدُّه (٣٠٠) كلمةٍ- قراءةً متأنِّيةً، فاستشكلتُ عددًا من تنبيهاته، فآثرتُ مراجعتَها على ما في كتب التَّفسير المشهورة، فتبيَّن لي مجانبة المُعدِّ للصَّواب في

---

(١) «مدارج السَّالكين» (١/ ٤٥٠).

(٢) مقدِّمة مُعدِّ كتاب «(٣٠٠) كلمة قرآنيَّة» (ص ٧).

كثيرٍ منها، فقرَّرت عند ذلك مراجعة الكتاب من أوَّله إلى آخره، مع جمع الفوائد التَّفسيريَّة والتَّنبيهات المهمَّة على مادَّته.

وقد تبيَّن لي بعد المراجعة أنَّ غالب الملاحظات الَّتي وقفتُ عليها في الكتاب مرجعها إجمالًا إلى ثلاثة أمورٍ:

الأوَّل: تسرُّع المُعدِّ في تخطئة أقوالٍ أوردها بعض المفسِّرين أوجهًا مُحتمَلةً في تفسير بعض الكلمات أو الآيات.

ولا يخفى عليك سعة دلالة مفردات القرآن، واتِّساع كلماته وآياته لوجوهٍ متعدِّدةٍ من التَّأويل.

يقول ابن عاشورٍ رحمه الله: لَمَّا كان القرآن نازلًا من المحيط علمُه بكلِّ شيءٍ، كان ما تسمح تراكيبُه الجارية على فصيح استعمال الكلام البليغ باحتماله من المعاني المألوفة للعرب في أمثال تلك التَّراكيب مظنونًا بأنَّه مرادٌ لمُنزِله، ما لم يمنع من ذلك مانعٌ صريحٌ أو غالبٌ من دلالةٍ شرعيَّةٍ أو لُغويَّةٍ أو توقيفيَّةٍ(١).

ويقول أيضًا: مختلف المَحامِل الَّتي تسمح بها كلمات القرآن وتراكيبه وإعرابه ودلالته، من اشتراكٍ وحقيقةٍ ومجازٍ، وصريحٍ وكنايةٍ، وبديعٍ، ووصلٍ ووقفٍ، إذا لم تُفضِ إلى خلاف المقصود من السِّياق، يجب حمل الكلام على جميعها(٢).

الثَّاني: أنَّ صنيع المُعدِّ في عَزْو تنبيهاته إلى كتب التَّفسير يُوهِم القارئَ كثيرًا أنَّ ما نبَّه عليه من أخطاءٍ منقولٌ عن تلك الكتب، والمُعدُّ في الغالب لم يُرِد بذلك العزو سوى توثيق المعنى الصَّحيح فقط، أمَّا المعنى الخاطئ الَّذي يُنبِّه عليه فلم يَرِد ذكرُه في المصدر التَّفسيريِّ الَّذي يعزو إليه!

وقد نبَّهت على ذلك في بعض المواضع، وتجاهلت الإشارة إليه في بقيَّة الكتاب اكتفاءً بالإشارة الإجماليَّة هنا.

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٩٤).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٩٧).

الثَّالث: إغفال المُعدِّ لبيان وجه الخطأ فيما وجه خطئه غيرُ ظاهرٍ، وكذا إغفال نسبة هذه التَّخطئة إلى مَن قال بها من المفسِّرين إن كان قد قال بها أحدٌ.

ولا شكَّ أنَّ ذكر القول الخاطئ مشفوعًا ببراهين خطئه أقوى في الحُجَّة والبيان، وأنَّ ذكر أسماء من نَبَّه على ذلك من المفسِّرين توثيقٌ للفائدة، وأحالةٌ على أهل الاختصاص.

وقد اجتهدتُ قدر الطَّاقة في هذا الكتاب على تلافي أوجه القصور المذكورة، فنبَّهت على ما تسرَّع المُعدُّ في تخطئته وهو قولٌ مُحتمَلٌ عند بعض المفسِّرين، ونقلتُ نصوص كلامهم في بيان ذلك.

وأمَّا ما صحَّ كونه تفسيرًا خاطئًا فقد اجتهدتُ في بيان وجه خطئه، وأشرتُ إلى من نصَّ على تخطئته من أعلام المفسِّرين إن اهتديتُ إلى ذلك.

وأضفتُ حول كلِّ كلمةٍ قرآنيَّةٍ أوردها المعدُّ فوائدَ مُهمَّةً جمعتُها من كتب التَّفسير ومعاني القرآن واللُّغة، تتعلَّق غالبًا بأصل الكلمة، والمعنى الجامع لمشتقَّاتها، ووجه استعمالها في السِّياق القرآنيّ من جهة الحقيقة والمجاز وغير ذلك.

كما أذكر ما أقف عليه من أقوال السَّلف من الصَّحابة والتَّابعين في تفسير الآية، فهم أعلم الأُمَّة بتفسير كلام الله تعالى، وهم أدرى الخلق بلُغَتِه ونَظْمِه وأسباب نزوله.

كما يقف القارئ -بإذن الله- على جُملةٍ من الفوائد المتنوِّعة: التَّفسيريَّة، واللُّغويَّة، والفقهيَّة، والبلاغيَّة، بما يتناسب مع المقام، وحسَب ما يقتضيه سياق الكلمات القرآنيَّة، دون إكثارٍ مُملٍّ.

وختامًا: أسأل الله تعالى أن يتقبَّل هذا العمل بفضله، وأن ينفع به بكرمه، وما كان فيه من صوابٍ فمن الله وحدَه، وهو المانُّ به، فله الحمد والشُّكر كثيرًا، وما كان من خطأٍ فمنِّي ومن الشَّيطان، والله ورسوله منه براءٌ، والله المستعان.

﴿وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإِلَيْهِ أُنِيبُ﴾ [هود : ٨٨].

كتبه:

حسام الدِّين مصطفى محمَّد

٢٤ من شهر ذي القعدة سنة ١٤٤١ هـ

١ قوله تعالى: {يَكَادُ الْبَرْقُ يَخْطَفُ أَبْصَارَهُمْ كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} [البقرة: ٢٠]

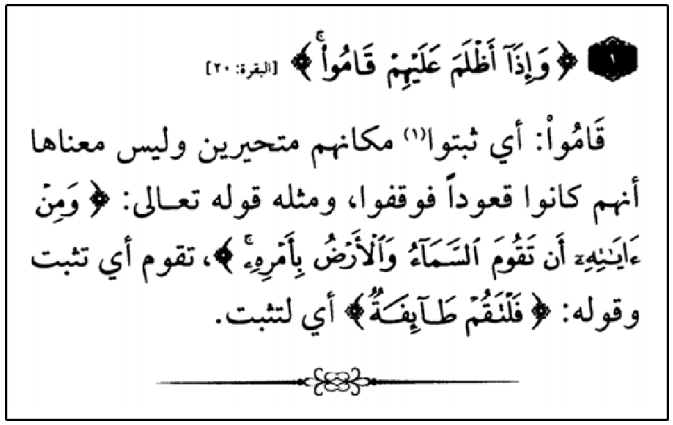
١ ﴿وَإِذَآ أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُواْ﴾ [البقرة: ٢٠]

قَامُواْ: أي ثبتوا[١] مكانهم متحيرين وليس معناها أنهم كانوا قعوداً فوقفوا، ومثله قوله تعالى: ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦٓ أَن تَقُومَ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ بِأَمْرِهِۦ﴾، تقوم أي تثبت وقوله: ﴿فَلَنَقُمْ طَآئِفَةٌ﴾ أي لتثبت.

قال ابن عطيَّة: {قامُوا} معناه: **ثبتوا، لأنَّهم كانوا قيامًا**... ومعنى الآية فيما رُوي عن ابن عبَّاسٍ وغيره: كلَّما سمع المنافقون القرآن وظهرت لهم الحجج أَنِسُوا ومَشَوْا معه، فإذا نزل من القرآن ما يَعْمَون فيه ويضلُّون به أو يُكلَّفونه قاموا، أي: ثبتوا على نفاقهم[١].

وقال السَّمين الحلبيُّ: {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} أي: ثبتوا ووقفوا متحيِّرين. **وليس المراد القيام من قعودٍ**[٢].

وقال ابن عاشورٍ: ومعنى القيام عدم المشي، أي: الوقوف في الموضع[٣].

* **قوله تعالى: {وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ} [الروم: ٢٥]**

قال ابن مسعودٍ: قامتا على غير عمدٍ بأمره.

وقال الفرَّاء: يقول: تدوما قائمتين بأمره بغير عَمَدٍ[٤].

قال ابن عطيَّة: معناه: تثبت، كقوله تعالى {وَإِذا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قامُوا} [البقرة: ٢٠] وهذا كثير[٥].

وقال ابن جُزَيٍّ: معناه تثبت، أو يقوم تدبيرها[١].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (١/ ١٠٤).

(٢) «عمدة الحفَّاظ» (٣/ ٣٥٤).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٣٢١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٣٨).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٣٤).

وقال ابن عاشورٍ: فمعنى القيام هنا: البقاء الكامل الَّذي يُشبه بقاء القائم غير المضطجع وغير القاعد، من قولهم: قامت السُّوق، إذا عظُم فيها البيع والشِّراء. وهذا هو المعبَّر عنه في قوله تعالى: {إِنَّ اللَّهَ يُمْسِكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ أَنْ تَزُولَا} [فاطر: ٤١] وقوله: {وَيُمْسِكُ السَّمَاءَ أَنْ تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ} [الحج: ٦٥][٢].

*** قوله تعالى: {وَإِذَا كُنْتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلَاةَ فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} [النساء: ١٠٢]**

قال الواحديُّ: {فَلْتَقُمْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ مَعَكَ} [النساء: ١٠٢] أي: فلتقف، يُقال: قام الرَّجل إذا وقف، ومنه قوله: {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} [البقرة: ٢٠] أي: وقفوا[٣].

وقال البَغَويُّ: أي: فلتقف، كقوله تعالى: {وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ قَامُوا} أي: وقفوا[٤].

---

(١) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ١٣٢).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢١/ ٨٠).

(٣) «التَّفسير الوسيط» (٢/ ١١٠).

(٤) «تفسير البغويّ» (٢/ ٢٨٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ ٢ ﴾ ﴿ ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُوا۟ رَبِّهِمْ ﴾ [البقرة: ٤٦]

يَظُنُّونَ: أي يتيقنون[٢]، هذه من الاستعمالات العربية التي قل تداولها في هذا العصر وليس معناها هنا: يشكون.

﴿ ٢ ﴾ (ظَـنَّ) الظَّـاء والنُّـون أُصيلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنيينِ مختلفين: يَقِينٍ، وَشَكٍّ[١].

قـال الزَّركشـيُّ: ظَـنَّ: أصـلها للاعتقاد الرَّاجح، كقوله تعالى: {إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا} [البقرة: ٢٣٠]، وقد تُستعمل بمعنى اليقين؛ لأنَّ الظَّنَّ فيه طرفٌ من اليقين لولاه كان جهـلًا، كقولـه تعـالى: {يَظُنُّونَ أَنَّهُـمْ مُلَاقُـو رَبِّهِـمْ} [البقـرة: ٤٦]، {إِنِّي ظَنَنْـتُ أَنِّي مُـلَاقٍ} [الحاقة: ٢٠]، {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} [القيامة: ٢٨]، {أَلَا يَظُنُّ أُولَئِكَ} [المطففين: ٤].

* **وللفرق بينهما في القرآن ضابطان:**

أحـدهما: أنَّه حيث وُجد الظَّنُّ محمودًا مثابًا عليه فهو اليقين، وحيث وُجد مذمومًا متوعَّدًا بالعقاب عليه فهو الشَّكُّ.

الثَّاني: أنَّ كلَّ ظنٍّ يتَّصل بعدَه (أنْ) الخفيفة فهو شكٌّ، كقوله: {إِنْ ظَنَّا أَنْ يُقِيمَا حُدُودَ اللَّهِ} [البقرة: ٢٣٠]، وقوله: {بَلْ ظَنَنْتُمْ أَنْ لَنْ يَنْقَلِبَ الرَّسُولُ} [الفتح: ١٢].

وكـلُّ ظـنٍّ يتَّصـل بـه (أنَّ) المشـدَّدة فـالمراد بـه اليقـين، كقولـه: {إِنِّي ظَنَنْـتُ أَنِّي مُـلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة: ٢٠]، {وَظَنَّ أَنَّهُ الْفِرَاقُ} [القيامة: ٢٨].

والمعنى فيه أنَّ المشدَّدة للتَّأكيد فدخلت على اليقين، وأنَّ الخفيفة بخلافها فدخلت في الشَّكِّ.

فإن قيل: يَرِد على هـذا الضَّـابط قولُـه تعـالى: {وَظَنُّـوا أَنْ لَا مَلْجَـأَ مِـنَ اللَّهِ إِلَّا إِلَيْـهِ} [التوبة: ١١٨] قيل: لأنَّها اتَّصلت بالاسم.

فتمسَّك بهذا الضَّابط فإنَّه من أسرار القرآن[٢].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (ظنن).

(٢) «البرهان» (٤/ ١٥٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* وقوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ} [البقرة: ٤٦]

قال القرطبيُّ: الظَّنُّ هنا في قول الجمهور بمعنى اليقين، ومنه قوله تعالى: {إِنِّي ظَنَنْتُ أَنِّي مُلَاقٍ حِسَابِيَهْ} [الحاقة: ٢٠]، وقوله: {فَظَنُّوا أَنَّهُمْ مُوَاقِعُوهَا} [الكهف: ٥٣]...

وقد قيل: إنَّ الظَّنَّ في الآية يصحُّ أنْ يكون على بابه ويُضمَر في الكلام (بِذُنُوبِهِمْ)، فكأنَّهم يتوقَّعون لقاءه مذنبين، ذكره المَهْدويُّ والماورديُّ. **قال ابن عطيَّة: وهذا تعسُّفٌ**[1].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١/ ٣٧٥).

﴿ ٣ ﴾ ﴿ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ﴾ [البقرة: ٤٩]

وَيَسْتَحْيُونَ: أي يتركونهن على قيد الحياة[٣] ولا يقتلونهن كفعلهم بالصبيان، وليس من (الحياء).

﴿ ٣ ﴾ قال ابن فارسٍ: (حَيَّ) الحاء والياء والحرف المعتلُّ أصلان: أحدهما: خلاف الموت، والآخر: الاستحياء الَّذي هو ضدُّ الوقاحة[١].

والفعل (حيَّ) إذا جئنا منه بصيغة (استفعل)، نقول: (استحيا)، وهو محتملٌ للمعنيين أيضًا، فقد يكون من (الحياة)، وقد يكون من (الحياء).

* وقوله تعالى: {وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءَكُمْ} [البقرة: ٤٩]

ذهب جمهور المفسِّرين إلى أنَّه من (الحياة) بمعنى الاستبقاء.

قال السَّمين الحلبيُّ: واللَّيث فسَّر {يستحيون}: يطؤون، وجعله مِن يركبون حَيَاهُنَّ، وهو الفَرْج، وليس بشيءٍ[٢].

وقال ابن عاشورٍ: وقيل إنَّ الاستحياء من (الحياء) وهو الفرج، أي: يفتِّشون النِّساء في أرحامهنَّ ليعرفوا هل بهنَّ حملٌ، وهذا بعيدٌ جدًّا[٣].

وقال تاج القُرَّاء: القول الثَّالث: (يستحيون) من الحياء المحمود، فلا يتعرَّضون للخنا صيانةً لهنَّ، وعلى هذا الوجه يكون نعمةً، وفيه بُعدٌ[٤].

* وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الاستحياء المأخوذ من الحياء وجهٌ محتملٌ في تفسير الآية، وذكروا لهذا الاستحياء أكثر من وجهٍ:

- يأتُون النِّساء من الأعمال بما يلحقهم منه الحياء[٥].
- استحيوا قتل النِّساء، لَمَّا لا يخافهنَّ[١].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (حيي).

(٢) «عمدة الحفَّاظ» (١/ ٤٨١).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٤٩٢).

(٤) «غرائب التَّفسير» (١/ ١٣٨).

(٥) «البحر المحيط» (١/ ٣١٤).

- لا يتعرَّضون للخَنَا صيانةً لهنَّ[٢].
- من الحياء بمعنى الفَرْج، أي: يطؤوهنَّ[٣].
- من الحياء بمعنى الفَرْج، أي: يُفتِّشُون أحياء النِّساء عمَّا في بطونهنَّ من الجنين، وعمَّا يلدن من الأولاد[٤].

فإن كانت بعض هذه الأوجه ضعيفةً، فبعضها قد يكون محتملًا.

* وقد اجتهد ابن عاشورٍ رحمه الله في التَّوفيق بين المعنيَيْن؛ فجعل الاستحياء استبقاءً لهنَّ أحياءً، لكنَّه استبقاءٌ على وجهٍ مخصوصٍ الغرض منه الاعتداء على الأعراض، وهو المعنى الآخر للاستحياء، فقال:

والاستحياء استفعالٌ يدلُّ على الطَّلب للحياة، أي: يُبقونهنَّ أحياءً، أو يطلبون حياتهنَّ.

ووجه ذكره هنا في معرِض التَّذكير بما نالهم من المصائب أنَّ هذا الاستحياء للإناث كان المقصد منه خبيثًا، وهو أن يعتدوا على أعراضهنَّ، ولا يجدن بُدًّا من الإجابة بحكم الأسر والاسترقاق، فيكون قوله: {وَيَسْتَحْيُونَ نِساءَكُمْ} كنايةً عن استحياءٍ خاصٍّ، ولذلك أُدخل في الإشارة في قوله: {وَفِي ذلِكُمْ بَلاءٌ مِنْ رَبِّكُمْ عَظِيمٌ}، **ولو كان المراد من الاستحياء ظاهرَه لما كان وجهٌ لعطفه على تلك المصيبة.**

وقيل: إنَّ الاستحياء من الحياء وهو الفَرْج، أي: يفتِّشون النِّساء في أرحامهنَّ ليعرفوا هل بهنَّ حملٌ، وهذا بعيدٌ جدًّا، وأحسن منه أن لو قال: إنَّه كنايةٌ، كما ذكرنا آنفًا[٥].

---

(١) «تأويلات أهل السُّنَّة» (١/ ٤٥٥).

(٢) «غرائب التَّفسير» (١/ ١٣٨).

(٣) «الخصائص» (٣/ ٣٢٧).

(٤) «غرائب التَّفسير» (١/ ١٣٨).

(٥) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٤٩٢).

قال ابن فارسٍ: (قَرِيَ) القاف والرَّاء والحرف المعتلُّ أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على جمعٍ واجتماعٍ. من ذلك القريةُ، سمِّيت قريةً لاجتماع النَّاس فيها[1].

والقرية: كلُّ مكانٍ اتَّصلت فيه الأبنية واتُّخذ قرارًا، وجمعها: قُرًى. ويقع ذلك على المدن وغيرها[2].

والقرية: المِصْر الجامع[3].

﴿وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَٰذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا﴾ [البقرة:٥٨]

يظن بعض الناس أن معنى القرية هنا أي البلد الصغير، وهذا خطأ، قال ابن عثيمين : «القرية هي البلد المسكون، سميت البلاد المسكونة قرية لتجمع الناس بها، ومفهوم القرية في اللغة العربية غير مفهومها في العرف ، لأن مفهوم القرية في العرف: البلد الصغير وأما الكبير فيسمى مدينة ، ولكنه في اللغة العربية وهي لغة القرآن لا فرق بين الصغير والكبير»ا.هـ[1].

*قوله تعالى: {وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ الْقَرْيَةَ فَكُلُوا مِنْهَا حَيْثُ شِئْتُمْ رَغَدًا} [البقرة: ٥٨]

قال القرطبيُّ: أي: المدينة، سُمِّيت بذلك لأنَّها تَقَرَّت، أي: اجتمعت... واختُلف في تعيينها: فقال الجمهور: هي بيت المقدس. وقيل: أَرِيحَاء من بيت المقدس[4].

وقال ابن كثيرٍ: أصحُّ القولين أنَّ هذه البلدة هي بيت المقدس، كما نصَّ على ذلك السُّدِّيُّ، والرَّبيع بن أنسٍ، وقتادة، وأبو مسلمٍ الأصفهانيُّ، وغير واحدٍ[5].

*** فائدة:**

أمُّ القُرَى: مكَّة المشرَّفة. وأكَّالة القُرَى: المدينة المنوَّرة[6].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (قري).

(٢) «كفاية المُتحفِّظ» (ص: ١٧٢).

(٣) «المُحكَم» (قري).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (١/ ٤٠٩).

(٥) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٧٣).

(٦) «تاج العروس» (قري).

قال تعالى: {وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لِتُنْذِرَ أُمَّ الْقُرَى وَمَنْ حَوْلَهَا} [الشورى: ٧]

وعن أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلَّم: «أُمِرْتُ بِقَرْيَةٍ تَأْكُلُ القُرَى، يَقُولُونَ يَثْرِبُ، وَهِيَ المَدِينَةُ». متفقٌ عليه.

وذكروا في معنى أكلها القرى وجهين:

أحدهما: أنَّها مركز جُيوش الإسلام في أوَّل الأمر، فمنها فُتحت القُرى وغُنمت أموالُها وسباياها.

والثَّاني: معناه: أنَّ أكلها ومِيرَتَها تكون من القُرى المفتتحة، وإليها تُساق غنائمها[1].

(١) «شرح النَّوويّ على مسلم» (٩/ ١٥٤).

﴿٥﴾ ﴿وَٱدۡخُلُواْ ٱلۡبَابَ سُجَّدٗا﴾ [البقرة: ٥٨]

أي ادخلوا الباب وأنتم ركوع، روي ذلك عن ابن عباس واستبعد الرازي وغيره حمله على حقيقة السجود على الأرض لتعذر حمله على حقيقته [٢].

﴿٥﴾ (سجد) السِّين والجيم والدَّال أصلٌ واحدٌ مطَّرِدٌ يدلُّ على تَطَامُنٍ وذلٍّ. يُقال: سجد، إذا تَطَامَن. وكلُّ ما ذلَّ فقد سجد[١].

وسجد: خضع، ومنه سجود الصَّلاة، وهو وضع الجبهة على الأرض، ولا خضوع أعظم منه... قال ابن سِيدَهْ: سجد يسجُد سُجُودًا: وضع جبهته على الأرض. وقال أبو بكرٍ: سجد: إذا انحنى وتَطَامَن إلى الأرض[٢].

وقوله تعالى: {وَادْخُلُوا الْبَابَ سُجَّدًا} [البقرة: ٥٨]

قال ابن عباس: أُمروا أن يدخلوا رُكَّعًا[٣].

قال الرَّازيُّ: الظَّاهر يقتضي وجوب الدُّخول حال السُّجود، فلو حملنا السُّجود على ظاهره لامتنع ذلك، ومنهم من حمله على غير السُّجود، وهؤلاء ذكروا وجهين:

الأوَّل: رواية سعيد بن جُبَيْرٍ عن ابن عبَّاسٍ أنَّ المراد هو الرُّكوع؛ لأنَّ الباب كان صغيرًا ضيِّقًا يحتاج الدَّاخل فيه إلى الانحناء، وهذا بعيدٌ؛ لأنَّه لو كان ضيِّقًا لكانوا مضطرِّين إلى دخوله رُكَّعًا، فما كان يُحتاج فيه إلى الأمر.

الثَّاني: أراد به الخضوعَ، وهو الأقرب؛ لأنَّه لَمَّا تعذَّر حمله على حقيقة السُّجود وجب حمله على التَّواضع؛ لأنَّهم إذا أخذوا في التَّوبة فالتَّائب عن الذَّنب لا بُدَّ أن يكون خاضعًا مستكينًا[٤].

وقال الخازن: {سُجَّدًا} منحنين خُضَّعًا متواضعين كالرَّاكع، ولم يُرد به نفس السَّجود[١].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (سجد).

(٢) «تاج العروس» (سجد).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢/ ١٠٤).

(٤) «مفاتيح الغيب» (٣/ ٥٢٣).

واستدلُّوا على ذلك بأنَّه لو كان المراد السُّجود الحقيقيَّ الَّذي هو وضع الجبهة على الأرض لامتنع الدُّخول المأمور به؛ لأنَّه لا يمكن الدُّخول حال السُّجود الحقيقيِّ[٢].

وقال محمَّد رشيد رضا: وأمَّا صورة السُّجود من وضع الجباه على الأرض فلا يصحُّ أن تكون مرادَهُ؛ لأنَّها سكونٌ والدُّخول حركةٌ، وهما لا يجتمعان[٣].

* وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ المراد بالسُّجود هنا وضع الجبهة على الأرض:

قال الحسن البصريُّ: أُمروا أن يسجدوا على وجوههم حال دخولهم[٤].

وقال أبو حيان: {سُجَّدًا} نُصب على الحال من الضَّمير في {ادْخُلُوا}... قيل: معناه السُّجود المعروف من وضع الجبهة على الأرض، والمعنى: ادخلوا ساجدين شكرًا لله تعالى إذ ردَّهم إليها، وهذا هو ظاهر اللَّفظ.

قال أبو عبد الله بن أبي الفضل: وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ الظَّاهر يقتضي وجوب الدُّخول حال السُّجود، فلو حملناه على ظاهره لامتنع ذلك، فلمَّا تعذَّر حملُه على حقيقة السُّجود وجب حملُه على التَّواضع؛ لأنَّهم إذا أخذوا في التَّوبة، فالتَّائب عن الذَّنب لا بُدَّ أن يكون خاشعًا مستكينًا.

وما ذهب إليه لا يلزم، لأنَّه أخذ الحال مقارنةً، فتعذَّر ذلك عنده، وليس بمتعذِّرٍ؛ لأنَّه لا يبعد أن أُمروا بالدُّخول وهم ساجدون، فيضعون جباههم على الأرض وهم داخلون، وتصدق الحال المقارنة بوضع الجبهة على الأرض إذا دخلوا.

وأمَّا إذا جعلنا الحال مُقدَّرةً فيصحُّ ذلك؛ لأنَّ السُّجود إذ ذاك يكون متراخيًا عن الدُّخول، والحال المُقدَّرة موجودةٌ في لسان العرب، من ذلك ما في كتاب سيبويه: مررتُ برجلٍ معه صقرٌ صائدًا به غدًا.

---

(١) «لُباب التَّأويل» (١/ ٤٨).

(٢) «فتح القدير» (١/ ١٠٥).

(٣) «تفسير المنار» (١/ ٢٦٩).

(٤) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٧٤).

وإذا أمكن حمل السُّجود على المتعارف فيه كثيرًا –وهو وضع الجبهة بالأرض، بكون الحال مقارنةً أو مُقدَّرةً– كان أولى[1].

وقال الألوسي: يجوز حمل السُّجود على المعنى الشَّرعيّ، والحال مقارنةٌ أو مُقدَّرةٌ، ويُؤيِّد الثَّاني ما رُوي عن وَهْبٍ في معنى الآية: إذا دخلتموه فاسجدوا شكرًا لله، أي: على ما أنعم عليكم حيث أخرجكم من التِّيه، ونصركم على من كنتم منه تخافون، وأعادكم إلى ما تُحبُّون[2].

وقال القاسميُّ: يحتمل المراد من السُّجود: حقيقة السُّجود، فيُخرَّج على وجوهٍ: على التَّحيَّة لذلك المكان، ويحتمل على الشُّكر له لما أهلك أعداءهم الجبَّارين، ويحتمل الكناية عن الصَّلاة، إذ العرب قد تُسمِّي السُّجود صلاةً، كأنَّهم أُمروا بالصَّلاة فيها.

ويحتمل أنَّ الأمر بالسُّجود لا على حقيقة السُّجود والصَّلاة، ولكن أمرٌ بالخضوع له والطَّاعة والشُّكر على أياديه، والله أعلم[3].

* ويظهر ممَّا سبق أنَّ تفسير السُّجود في الآية بالسُّجود الشَّرعيّ على الجبهة تفسيرٌ محتملٌ قويٌّ، وليس ممتنعًا ولا خطأً.

---

(١) «البحر المحيط» (١/ ٣٥٨).

(٢) «روح المعاني» (١/ ٢٦٦).

(٣) «محاسن التَّأويل» (١/ ٣١١).

٦ ﴿فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا وَقِثَّائِهَا وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١]

بقلها: أي ما ينبت الربيع مما يأكل الناس والبهائم[١]، وقيل ما ليس له ساق من النبات[٢]، وليس هو الأقط الذي اعتاد بعض الناس تسميته بقلا.

٦ قال اللَّيث: البَقْل من النَّبات: ما ليس بشجرٍ دِقٍّ ولا جِلٍّ، وفَرْق ما بين البَقْل ودِقِّ الشَّجَر أنَّ البَقْل إذا رُعي لم يبق له ساقٌ، والشَّجر تبقى له سُوقٌ وإن دَقَّت[١].

وفي تفسير قوله تعالى: {فَادْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنْبِتُ الْأَرْضُ مِنْ بَقْلِهَا} [البقرة: ٦١]

قال الواحديُّ: البَقْل: كلُّ نباتٍ لا يبقى له ساقٌ إذا رعته الماشية[٢].

وقال الزَّمخشريُّ: البَقْل: ما أنبتته الأرض من الخَضِر. والمراد به أطايب البقول الَّتي يأكلها النَّاس، كالنَّعْنَاع، والكَرَفْس، والكُرَّاث، وأشباهها[٣].

وقال ابن الجوزيِّ: البَقْل: العُشْب وما يُنبت الرَّبيع ممَّا يأكله النَّاس والبهائم[٤].

* أمَّا الأَقِط: فشيءٌ يُتَّخذ من المَخيضِ الغنميِّ يُطبخ ثمَّ يترك حتَّى يَمْصُل[٥]، وقيل: من اللَّبن الحليب، كما في المصباح. وقال ابن الأعرابيِّ: هو من ألبان الإبل خاصَّةً، وقال غيره: الأَقِط: لَبَنٌ مُجفَّفٌ يابسٌ مُستحجِرٌ يُطبخ به[٦].

فظاهرٌ أنَّه لا علاقة بين البَقْل النَّبات والأَقِط المُتَّخذ من اللَّبن.

---

(١) «تهذيب اللُّغة» (٩/ ١٤٢)، ويُنظر أيضًا «مقاييس اللُّغة» (بقل).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢/ ٥٨١).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ١٤٥).

(٤) «زاد المسير» (١/ ٧١).

(٥) مَصَلَ اللَّبن يَمْصُلُه مَصْلًا: إذا وضعَه في وعاء خُوصٍ، أو خِرَقٍ ليقطُر ماؤُه. «تاج العروس» (مصل).

(٦) «تاج العروس» (أقط).

(٧) قال ابن فارسٍ: (فوم) الفاء والواو والميم أصلٌ صحيحٌ مختلفٌ في تفسيره، وهو الفُوم. قال قومٌ: هو الثُّوم، وقال آخرون: هو الحِنْطَة. ويقولون: فَوِّموا لنا، أي: اخبزوا(١).

(٧) ﴿فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا﴾ [البقرة: ٦١]

وفومها: أي ثومها وقيل القمح(٣)، وليس معناه الفول.

ولم يخرج الخلاف في تفسير (الفُوم) في كتب التَّفسير عن الخلاف اللُّغويّ السَّابق، ويُمكن إجمال أهمّ الأدلَّة الَّتي ذكرها المفسِّرون لكلٍّ من القولين فيما يلي:

القول الأوَّل: الفُوم هو الثُّوم، ومن أدلَّة هذا القول:

- أنَّهم يَرَوْن أنَّ إبدال الثَّاء فاءً شائعٌ في كلام العرب، فيقولون مثلًا: جَدَثَ وجَدَفَ(٢).
- أنَّها قراءة ابن مسعودٍ ﷺ، وتُروى أيضًا عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما(٣).
- أنَّ الثُّوم هو المذكور في نصوص التَّوراة(٤).
- أنَّ الثُّوم موافقٌ لما ذُكر معه ممَّا يشاكله من البَصَل والعَدَس(٥).

القول الثَّاني: الفُوم هو القمح أو الخبز، ومن أدلَّة هذا القول:

- أنَّه لا خلاف بين اللُّغويِّين على أنَّ الفُوم الحِنْطَة(٦).

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (فوم).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (١/ ١٥٣)، والجَدَث: القبر.

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (١/ ٤٢٥).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٥٢٢).

(٥) «روح المعاني» (١/ ٢٧٥) .

(٦) «معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج» (١/ ١٤٣).

- أنَّ ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما وكثيرٌ من أئمَّة التَّفسير كعطاءٍ، ومجاهد، وقتادة، والحسن فسَّروها بالحِنْطَة أو الخبز[١].
- أنَّه لا يُتصور أن يَطلب القوم طعامًا لا قمح فيه، والقمح أصل الغذاءِ كلِّه[٢].
- أنَّهم يَرَوْن أنَّ الإبدال بين الحروف ليس بكثيرٍ في كلام العرب، ولا يُقاس عليه[٣].

* أمَّا تفسير الفُوم بالفُول فالظَّاهر أنَّه ناتجٌ عن تصحيفٍ سمعيٍّ لدى بعض العوامِّ لتقارب اللَّفظين لا أكثر.

وقد يُقال: إنَّ بعض المفسِّرين توسَّع فذهب إلى أنَّ الفُوم: جميع الحبوب الَّتي يُمكن أن تُخْتَبَز، كما يرويه الطَّبريُّ[٤] عن قتادة والحسن، والثَّعالبيُّ[٥] عن قتادة وعطاءٍ، فإن كان الفول ممَّا يُختبز فيكون تفسير الفوم بالفول تفسيرًا له بأحد أفراده[٦].

وممَّا يجعل هذا الوجه بعيدًا أنَّ الفول من البقول الَّتي سبق أن طلبوها.

(١) «المحرَّر الوجيز» (١/ ١٥٣).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج» (١/ ١٤٣).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (١/ ١٥٣).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (٢/ ١٢٨)

(٥) «الجواهر الحسان» (١/ ٢٥٠)

(٦) قال ابن عطيَّة: قال عطاءٌ وقتادة: الفوم جميع الحبوب الَّتي يُمكن أن تُختبز، كالحنطة، **والفول**، والعدس، ونحوه. «المحرَّر الوجيز» (١/ ١٥٣).

﴿٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱلَّذِينَ هَادُوا۟ وَٱلنَّصَٰرَىٰ وَٱلصَّٰبِـِٔينَ مَنْ ءَامَنَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْـَٔاخِرِ وَعَمِلَ صَٰلِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِندَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ﴾ [البقرة: ٦٢]

فهم بعض الناس هذه الآية فهما خاطئا وتأثر بعضهم بالأصوات التي تدعو إلى وحدة الأديان والتسوية بينها وظنوا أن الآية تسوّي بين أهل الأديان في المآل في كل حال وإنما معنى الآية أن المؤمنين بمحمد ﷺ والذين هادوا الذين اتبعوا موسى عليه السلام وهم الذين كانوا على شرعه قبل النسخ والتبديل والنصارى الذين اتبعوا المسيح عليه السلام وهم الذين كانوا على شريعته قبل النسخ والتبديل هم الذين مدحهم الله تعالى، فأهل الكتاب بعد النسخ والتبديل ليسوا ممن آمن بالله ولا باليوم الآخر وعمل صالحا[1].

﴿٨﴾ قال الطَّبريُّ: معناه: إنَّ الَّذين آمنوا والَّذين هادوا والنَّصارى والصَّابئين، من يُؤمن بالله واليوم الآخر، فلهم أجرهم عند ربِّهم.

فإن قال: وكيف يُؤمن المؤمن؟

قيل:... معنى إيمان المؤمن في هذا الموضع ثباتُه على إيمانه وتركُه تبديلَه.

وأمَّا إيمان اليهود والنَّصارى والصَّابئين، فالتَّصديق بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم وبما جاء به، فمن يُؤمن منهم بمحمَّدٍ وبما جاء به واليوم الآخر، ويعمل صالحًا، فلم يُبدِّل ولم يُغيِّر حتَّى تُوفِّي على ذلك، فله ثواب عمله وأجره عند ربِّه، كما وصف جلَّ ثناؤه[1].

وقال الواحديُّ: قوله تعالى: {من آمن بالله} ... الدَّليل على أنَّه أراد به الإيمان بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم قوله تعالى: {وعمل صالحًا}، وقد قام الدَّليل على أنَّ من لا يؤمن بالنَّبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم لا يكون عملُه صالحًا[2].

وقال الشَّوكانيُّ: المراد بالإيمان هاهنا هو ما بيَّنه رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من قوله لمَّا سأله جبريل عن الإيمان فقال: «أن تؤمن بالله، وملائكته، وكتبه، ورسله، والقَدَر خيره وشرِّه»، ولا يتَّصف بهذا الإيمان إلَّا من دخل في الملَّة الإسلاميَّة، فمن لم يُؤمن بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٢/ ١٤٨).

(٢) «التَّفسير الوسيط» (١/ ١٥٠).

وسلَّم ولا بالقرآن فليس بمؤمنٍ، ومن آمن بهما صار مسلمًا مؤمنًا ولم يبق يهوديًّا ولا نصرانيًّا ولا مجوسيًّا[1].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: معنى الآية: أنَّ المؤمنين بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، والَّذين هادوا الَّذين اتَّبعوا موسى عليه السَّلام، وهم الَّذين كانوا على شرعه قبل النَّسخ والتَّبديل، والنَّصارى الَّذين اتَّبعوا المسيح عليه السَّلام، وهم الَّذين كانوا على شريعته قبل النَّسخ والتَّبديل، والصَّابئين وهم الصَّابئون الحنفاء، كالَّذين كانوا من العرب وغيرهم على دين إبراهيم وإسماعيل وإسحاق قبل التَّبديل والنَّسخ... فهؤلاء الَّذين كانوا على دين موسى والمسيح وإبراهيم ونحوهم هم الَّذين مدحهم الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى وَالصَّابِئِينَ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُمْ أَجْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ وَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ} [البقرة: ٦٢]...

فأهل الكتاب بعد النَّسخ والتَّبديل ليسوا ممَّن آمن بالله، ولا باليوم الآخر وعمل صالحًا، كما قال تعالى: {قَاتِلُوا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَلَا بِالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلَا يُحَرِّمُونَ مَا حَرَّمَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَلَا يَدِينُونَ دِينَ الْحَقِّ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حَتَّى يُعْطُوا الْجِزْيَةَ عَنْ يَدٍ وَهُمْ صَاغِرُونَ} [التوبة: ٢٩]

وقد تقدَّم أنَّه كفَّر أهل الكتاب الَّذين بدَّلوا دين موسى والمسيح، وكذَّبوا بالمسيح أو بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم في غير موضعٍ، وتلك آياتٌ صريحةٌ ونصوصٌ كثيرةٌ، وهذا متواترٌ معلوم بالاضطرار من دين محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم[2].

(١) «فتح القدير» (١/ ١١٠).

(٢) «الجواب الصَّحيح» (٣/ ١٢١).

﴿٩﴾ ﴿قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ﴾ [البقرة ٦٨]

فهم بعض الناس أن معنى بكر أي التي لم يعلُها فحل، والصواب أن بكرا هنا أي صغيرة ، فمعنى الآية ألا تكون البقرة هرمة كبيرة ولا صغيرة[٢] .

(٢) تفسير ابن كثير ١/ ١٩١

﴿٩﴾ قال الطبريُّ: و(البِكْر) من إناث البهائم وبني آدم ما لم يَفْتَحِله الفَحْل، وهي مكسورة الباء... وأمَّا (البَكْر) بفتح الباء فهو الفَتِيُّ من الإبل. وإنَّما عنى جلَّ ثناؤه بقوله (ولا بِكْر): ولا صغيرةٌ لم تلد.

ثمَّ روى بأسانيده عن مجاهدٍ وابن عبَّاسٍ وقتادة وأبي العالية أنَّ البِكْر هي الصَّغيرة. ورَوى عن السُّدِّيِّ أنَّ البِكْر: لم تلد إلَّا ولدًا واحدًا[١].

وقال القُرطبيُّ: البِكْر: الصَّغيرة الَّتي لم تحمل. وحكى القُتيبيُّ: أنَّها الَّتي وَلَدَت... والبِكْر أيضًا في إناث البهائم وبني آدم: ما لم يَفْتَحِلْه الفَحْل[٢].

وقال الرَّازيُّ: قال القاضي: أمَّا البِكْر، فقيل: إنَّها الصَّغيرة، وقيل: ما لم تلد، وقيل: إنَّها الَّتي وَلَدَت مرَّةً واحدةً...

قال القفَّال: البِكْر يدلُّ على الأوَّل، ومنه الباكورة لأوَّل الثَّمَر، ومنه بُكرة النَّهار... وكأنَّ الأظهر أنَّها هي الَّتي لم تلد؛ لأنَّ المعروف من اسم البِكْر من الإناث في بني آدم ما لم يَنْزُ عليها الفَحْل[٣].

* فجمهور المفسِّرين متَّفقون على تفسير البِكْر بالصَّغيرة، وبعضهم يزيد وصفًا أو حدًّا لهذا الصِّغر، فممَّا ذكروا في ذلك:

- أنَّها الصَّغيرة الَّتي لم تلد.
- أنَّها الصَّغيرة الَّتي لم تحمِل.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢/ ١٩٢).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١/ ٤٤٩).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٣/ ٥٤٧).

- أنَّها الصَّغيرة الَّتي وَلَدَت ولدًا واحدًا.
- أنَّها الصَّغيرة الَّتي لم يَفْتَحِلها الفَحْل.

ومع أنَّ المُعدَّ عزا هذه الفائدة لتفسير ابن كثيرٍ، فإنَّنا نجد ابن كثيرٍ قد صرَّح بهذا الوصف الأخير في صغر البقرة!

فقال: {قَالَ إِنَّهُ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَا فَارِضٌ وَلا بِكْرٌ} أي: لا كبيرةً هَرِمَةً ولا صغيرةً لم يلحقها الفَحْل، كما قاله أبو العالية، والسُّدِّيُّ، ومجاهدٌ، وعكرمة، وعطيَّة العَوْفيُّ، وعطاءٌ الخُراسانيُّ، ووَهْب بن مُنَبِّهٍ، والضَّحَّاك، والحسن، وقتادة، وقاله ابن عبَّاسٍ أيضًا[1].

فالقول بأنَّها بقرةٌ لم يعلها الفحل لصغرها قولٌ محتملٌ في تفسير البِكْر.

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٢٩٨). ويُنظر أيضًا «تفسير الإيجي» (١/ ٥٧)، و«العذب النَّمير» (١/ ١٢٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَٰقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ وَلَا تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَٰرِكُمْ ﴾ [البقرة: ٨٤]

قال الإمام ابن جرير: «فإن قال قائل: أو كان القوم يقتلون أنفسهم ويخرجونها من ديارها،فنهوا عن ذلك؟ قيل: ليس الأمر في ذلك على ما ظننت،ولكنهم نهوا عن أن يقتل بعضهم بعضا، فكان في قتل الرجل منهم الرجل قتل نفسه، وقد يجوز أن يكون معنى قوله: ﴿ لَا تَسْفِكُونَ دِمَآءَكُمْ ﴾، أي: لا يقتل الرجل منكم الرجل منكم، فيقاد به قصاصا، فيكون بذلك قاتلا نفسه، لأنه كان الذي سبب لنفسه ما استحقت به القتل، فأضيف بذلك إليه»[1].

(١٠) {وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لَا تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلا تُخْرِجُونَ أَنْفُسَكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنْتُمْ تَشْهَدُونَ * ثُمَّ أَنْتُمْ هَؤُلاءِ تَقْتُلُونَ أَنْفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِنْكُمْ مِنْ دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِمْ بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِنْ يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ}

قال الواحديُّ: قال ابن عبَّاسٍ وقتادة: معناه لا يسفك بعضُكم دمَ بعضٍ بغير حقٍّ.

وإنَّما قال: {دِمَاءَكُمْ} لأنَّ كلَّ قومٍ اجتمعوا على دينٍ واحدٍ فهم كنفسٍ واحدةٍ، وأيضًا فإنَّ الرَّجل إذا قتل غيره فكأنَّما قتل نفسه؛ لأنَّه يُقاد ويُقتصُّ، ففي النَّهي عن قتل نفسه على هذا الوجه نهيٌ عن قتل غيره[1].

وقال القرطبيُّ: فإن قيل: وهل يسفك أحدٌ دمَه ويُخرج نفسَه من داره؟

قيل له: لَمَّا كانت ملَّتهم واحدةً وأمرهم واحدًا، وكانوا في الأمم كالشَّخص الواحد، جُعل قتل بعضهم بعضًا وإخراج بعضهم بعضًا قتلًا لأنفسهم ونفيًا لها.

وقيل: المراد القِصاص، أي: لا يَقتل أحدًا فيُقتل قصاصًا، فكأنَّه سفك دمَه، وكذلك لا يزني ولا يرتدُّ، فإنَّ ذلك يُبيح الدَّم، ولا يُفسد فيُنفى، فيكون قد أخرج نفسه من داره. وهذا تأويلٌ فيه بعدٌ وإن كان صحيح المعنى.

وإنَّما كان الأمر أنَّ الله تعالى قد أخذ على بني إسرائيل في التَّوراة ميثاقًا ألا يَقتل بعضُهم بعضًا، ولا ينفيه ولا يسترقَّه، ولا يدعه يسرق، إلى غير ذلك من الطَّاعات[1].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٣/ ١١٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وكانت يهود المدينة ثلاث قبائل: بنو قَيْنُقَاع وبنو النَّضير حلفاء الخزرج، وبنو قُرَيْظَة حلفاء الأوس، فكانت الحرب إذا نَشَبَت بينهم قاتل كلُّ فريقٍ مع حلفائه، فيقتل اليهوديُّ أعداءه، وقد يقتل اليهوديَّ الآخر من الفريق الآخر، وذلك حرامٌ عليهم في دينه ونصِّ كتابه، ويخرجونهم من بيوتهم وينهبون ما فيها من الأثاث والأمتعة والأموال، ثمَّ إذا وضعت الحرب أوزارها استفكُّوا الأُسارى من الفريق المغلوب عملًا بحكم التَّوراة؛ ولهذا قال تعالى: {أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ} [البقرة: ٨٥] (٢).

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٢/ ١٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٣١٨).

(١١) ﴿بِئْسَمَا ٱشْتَرَوْا۟ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ أَن يَكْفُرُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ بَغْيًا أَن يُنَزِّلَ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ﴾ [البقرة: ٩٠]

بغيا : أي حسداً[٢] وليس طلباً.

(١١) أَصْلُ البغي في اللُّغة: الظُّلم والخروج عن النَّصَفَة والحدِّ، يُقال: بَغَى الفَرَس في عَدْوِه: إذا اختال ومرح، وإنَّه ليبغي، ولا يُقال: فَرَسٌ باغٍ. وبغى الجُرحُ يَبْغِي بَغْيًا: إذا وَرم وكثر فيه المِدَّة. وبَغَتِ السَّماء: إذا كثُر مطرُها حتَّى تجاوز الحدَّ. وبغى الوادي: إذا بلغ الماء منه موضعًا لم يبلغه قبل.

وقالَ قومٌ: أصل البَغْي: الطَّلب، يُقال: بغى الشَّيءَ: إذا طلبه، وأَبْغَاه: أعانه على الطَّلب. والبَغِيُّ: الَّتي تطلب الزِّنا، ومنه قيل للأمة: بَغِيٌّ. وما ينبغي كذا، أي: ليس بصوابٍ طلبُه، **والبَغْيُ: شدَّة الطَّلَب للتَّطاول**[١].

وقوله تعالى: {بِئْسَمَا اشْتَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ أَنْ يَكْفُرُوا بِمَا أَنْزَلَ اللَّهُ بَغْيًا أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ} [البقرة: ٩٠]

قال المفسِّرون: البَغْيُ هاهُنا بمعنى الحَسَد[٢].

وقال الماورديُّ: البغي: شدَّة الطَّلب للتَّطاول، وأصله الطَّلب، ولذلك سُمِّيت الزَّانية بَغِيًّا؛ لأنَّها تطلب الزِّنا[٣].

وقال: الزَّمخشريُّ: بَغْيًا: حسدًا، وطلبًا لما ليس لهم[٤].

وقال الألوسيُّ: البغي في الأصل الظُّلم والفساد، من قولهم: بغى الجرح: فسد، قاله الأصمعيُّ. وقيل: أصله الطَّلب، وتختلف أنواعه؛ ففي طلب زوال النِّعمة: حسدٌ، والتَّجاوز على

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٣/ ١٥٠).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٣/ ١٥١).

(٣) «النُّكَت والعيون» (١/ ١٥٨) .

(٤) «الكشَّاف» (١/ ١٦٥).

الغير: ظلمٌ، والزِّنا: فجورٌ، **والمراد به هنا بمعونة المقام طلب ما ليس لهم، فيؤول إلى الحسد،** وإلى ذلك ذهب قتادة وأبو العالية والسُّدِّيُّ. وقيل: الظُّلم[1].

* فصحيحٌ أنَّ تفسير البَغْي في الآية بالطَّلب المحض خطأٌ ويأباه المعنى؛ إذا لا يصحُّ أن يكون سبب كفرهم هو طلبهم إنزال الله من فضله على من شاء من عباده!

لكن لا يُقال أيضًا: إنَّ البغي ليس طلبًا؛ إذ هو أصل معناه اللُّغويّ على قول كثيرٍ من اللُّغويِّين والمفسِّرين، فالبغي هو طلبٌ على وجهٍ مخصوص، وهو هنا إمَّا طلب زوال النِّعمة وهو الحسد، أو طلب ما ليس لهم، فيكون معنى الآية -والله أعلم-: أنَّ سبب كفرهم هو طلبهم زوال نعمة إنزال الله النُّبوَّة مِن على مَن شاء الله أن يُنزل عليه من فضله، أو طلبهم ما ليس لهم من أن يكون إنزال الله النُّبوَّة عليهم، وليس على مَن أنزل الله عليه.

(١) «روح المعاني» (١/ ٣٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٢) قال ابن فارسٍ: (ثَوَبَ) الثَّاء والواو والباء قياسٌ صحيحٌ من أصلٍ واحدٍ، وهو العَوْد والرُّجوع.

يُقال: ثاب يَثُوب إذا رَجَعَ.

والمَثابَة: المكان يَثُوب إليه النَّاس... وقال قومٌ: **المَثابَة: العدد الكبير**... **والثَّواب من الأجر والجزاء أمرٌ يُثاب إليه**... والثَّوْب الملبوس مُحتمَلٌ أن يكون من هذا القياس؛ لأنَّه يُلبَس ثمَّ يُلبَس ويُثاب إليه[١].

وقال الجَوْهَريُّ: **المَثابَة: الموضع الَّذي يُثاب إليه، أي: يُرجَع إليه مرةً بعد أخرى**... وإنَّما قيل للمنزل مثابةً؛ لأنَّ أهله يتصرَّفون في أمورهم ثمَّ يثوبون إليه، والجمع: المَثاب[٢].

(١٢) ﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ﴾ [البقرة: ١٢٥]

مثابة للناس أي يثوبون ويعودون إلى البيت الحرام مرة بعد مرة[١]، وليس مثابة بمعنى ثوابا كما توهم بعض الناس.

وقوله تعالى {وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ مَثَابَةً لِلنَّاسِ وَأَمْنًا} [البقرة: ١٢٥]

قال ابن عبَّاسٍ: لا يقضون منه وَطَرًا، كلَّما أتَوْه وانصرفوا اشتاقوا إلى الرَّجعة إليه[٣].

وعن مجاهدٍ: يثوبون إليه، لا يقضون منه وَطَرًا[٤].

وعن السُّدِّيِّ: الَّذي يثوبون إليه كلَّ سنةٍ، لا يدعه الإنسان إذا أتاه مرَّةً أن يعود إليه[٥].

فالمَثابَة بمعنى المكان الَّذي يعود النَّاس إليه مرَّةً بعد مرَّةٍ هو قول جمهور المفسِّرين.

* وقد أضاف بعض المفسِّرين إلى هذا المعنى معنيين آخرين، وهما:

- المَثابَة: المَجْمَع؛ لاجتماع النَّاس فيه في الحجِّ والعمرة.
- المَثابَة: مكان اكتساب الثَّواب بأداء شعائر الله.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (ثوب).

(٢) «الصِّحاح» (ثوب).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٣/ ٢٩٧)، «تفسير الطَّبريِّ» (٢/ ٢٦).

(٤) «تفسير الطَّبريِّ» (٢/ ٢٧).

(٥) «تفسير الطَّبريِّ» (٢/ ٢٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال سعيد بن جُبَيْرٍ -في الرِّواية الأُخرى- وعِكْرمة، وقَتادة، وعطاءٌ الخُراسانيُّ: {مَثَابَةً لِلنَّاسِ} أي: مَجْمَعًا[1].

قال الماورديُّ: {وَإِذْ جَعَلْنَا مَثَابَةً لِلنَّاسِ} فيه قولان:

أحدهما: مَجْمَعًا؛ لاجتماع النَّاس عليه في الحجِّ والعمرة.

والثاني: مَرْجِعًا، من قولهم: قد ثابت العلَّة إذا رجعت[2].

وقال ابن عطيَّة: و(مَثابَةً) يحتمل أن تكون من ثاب إذا رجع؛ لأنَّ النَّاس يثوبون إليها، أي: ينصرفون، ويحتمل أن تكون من الثَّواب، أي: يُثَابُون هناك[3].

وقال البيضاويُّ: مَثابَةً لِلنَّاسِ مرجعًا يثوب إليه أعيان الزُّوَّار أو أمثالهم، أو موضع ثوابٍ يُثابون بحجِّه واعتماره[4].

وقال أبو حيَّان:... وقال قتادة والخليل: مَجْمَعًا. وقال بعض أهل اللُّغة، فيما حكاه الماورديُّ: أي: مكان إثابةٍ: واحدةٌ من الثَّواب، وأورد هذا القول ابن عطيَّة احتمالًا منه[5].

وقال السَّمين الحلبيُّ: قيل: مكانًا يَثوبون إليه كلَّ وقتٍ على ممرِّ الأيَّام وتَكرُّر الأعوام، لا يملُّون منه. وقيل: مكانًا يكسبون فيه الثَّواب. **ولا شكَّ أنَّه موجودٌ فيه الأمران**[6].

* فالمثابة بمعنى موضع الثَّواب قولٌ محتملٌ ذكره عددٌ من المفسِّرين.

---

(١) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤١٢).

(٢) «النُّكَت والعيون» (١/ ١٨٦).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٢٠٧).

(٤) «أنوار التَّنزيل» (١/ ١٠٤).

(٥) «البحر المحيط» (١/ ٦٠٨).

(٦) «عمدة الحفَّاظ» (١/ ٢٩٤). ويُنظر «المفردات» (ص: ١٨٠).

﴿ وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ كَمَثَلِ ٱلَّذِى يَنْعِقُ بِمَا لَا يَسْمَعُ إِلَّا دُعَآءً وَنِدَآءً ﴾ [البقرة: ١٧١]

يظن بعض الناس أن الله شبه الكفار بالراعي (الناعق بالغنم)، والصواب: أن الله شبه الكفار بالبهائم المنعوق بها، والمعنى أن الكفار كالبهائم التي تسمع أصواتًا لا تدري ما معناها [٣].

(١٣) قال أهل اللُّغة، الفرَّاء وغيرُه: النَّعيق: دعاء الرَّاعي الشَّاة، يُقال: انْعَقْ بضَأنِك، أي: ادْعُها[١].

وقوله تعالى: {وَمَثَلُ الَّذِينَ كَفَرُوا} أي: فيما هم فيه من الغيّ والضَّلال والجهل كالدَّوابّ السَّارحة الَّتي لا تفقه ما يُقال لها، بل إذا نعق بها راعيها -أي: دعاها- إلى ما يرشدها، لا تفقه ما يقول ولا تفهمه، بل إنَّما تسمع صوته فقط.

هكذا رُوي عن ابن عبَّاسٍ، وأبي العالية، ومجاهدٍ، وعكرمة، وعطاءٍ، والحسن، وقتادة، وعطاءٍ الخُراسانيّ، والرَّبيع بن أنسٍ نحو هذا[٢].

فشبَّه تعالى واعظ الكفَّار وداعيهم -وهو محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم- بالرَّاعي الَّذي ينعِق بالغنم والإبل، فلا تسمع إلَّا دعاءه ونداءه، ولا تفهم ما يقول[٣].

وقال سِيبَوَيْهِ: لم يُشبِّهوا بالنَّاعق، إنَّما شُبِّهوا بالمنعوق به. والمعنى: ومَثَلُك يا محمَّد ومَثَل الَّذين كفروا كمثل النَّاعق والمنعوق به من البهائم الَّتي لا تفهم، فحذف لدلالة المعنى[٤].

* وقد ذكر بعض المفسِّرين أقوالًا أُخرى، أذكر منها بعض ما جعلوا فيه تشبيه الَّذين كفروا بالنَّاعق:

١- أنَّ مثل الَّذين كفروا في دعائهم آلهتهم:

أ- كمثل الصَّائح في جَوف الجبال فيجيبه الصَّدى. وهو مرويٌّ عن ابن زيدٍ[١].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٣/ ٤٩٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨٠).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٢/ ٢١٤).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٢/ ٢١٤).

ب- كمثل الَّذِي ينعِق بشيءٍ بعيدٍ فهو لا يسمع من أجل البعد، فليس للنَّاعق من ذلك إلَّا النِّداء الَّذي يتعبه وينصبه[٢].

ج- كمثل الرَّاعي إذا نعق بغنمه وهو لا يدري أين هي[٣].

وقد ضعَّف الطَّبريُّ هذا القول؛ لأنَّه يرى -بدلالة السَّابق واللَّاحق من الآيات- أنَّ هذه الآية نزلت في اليهود، وإيَّاهم عَنى الله تعالى ذكره بها، ولم تكن اليهود أهل أوثان يَعبدونها، ولا أهل أصنام يُعظمونها[٤].

وما ذكره من أنَّ هذه الآية نزلت في اليهود ليس موضع اتِّفاقٍ بين المفسِّرين، بل في كلام الطَّبريِّ نفسه ما ينقضه[٥].

وقد ضعَّف هذا القول أيضًا بعض المفسرين، وذلك لأنَّ قوله تعالى: {إِلَّا دُعاءً وَنِداءً} لا يساعد عليه؛ لأنَّ الأصنام لا تسمع شيئًا[٦].

والوجه المرويُّ عن ابن زيدٍ والَّذي بعده يُضعِّفهما أيضًا أنَّ المشهور في كلام العرب أنَّ النَّعيقَ صوتُ الرَّاعي بالغنم، فإن حُمل على غيره من الأصوات لم يكن حقيقةً فيه، والحمل على الحقيقة أولى من الحمل على المجاز[٧].

٢- أنَّ مثل الَّذين كفروا في قلَّة فهمهم وعقلهم، كمثل الرُّعاة يكلِّمون البَهَم، والبَهَم لا تعقل شيئًا. وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ من رواية الكلبيِّ[١].

---

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٣/ ٣٠٨).

(٢) «تفسير القُرطبيِّ» (٢/ ٢١٤).

(٣) «تفسير القُرطبيِّ» (٢/ ٢١٤).

(٤) «تفسير الطَّبريِّ» (٣/ ٣١٣).

(٥) يُنظر «حاشية تحقيق تفسير الطَّبريِّ» (٣/ ٣١٣).

(٦) «الكشَّاف» (١/ ٢١٤)، «تفسير ابن كثير» (١/ ٤٨٠).

(٧) «التَّفسير البسيط» (٣/ ٤٩٥).

٣- أنَّ مثل الَّذين كفروا في دعائهم أتباعهم، وكون أتباعهم لا يحصل لهم منهم إلَّا الخيبة والخسران كمثل النَّاعق بالغنم[٢].

٤- أنَّ مثل الَّذين كفروا في اتِّباعهم آباءهم وتقليدِهم لهم، كمثل الرَّاعي إذا تكلَّم مع البهائمِ، فكما أنَّ الكلام مع البهائم عبثٌ عديم الفائدة، فكذا التَّقليد عبثٌ عديم الفائدة[٣].

فعلى ما سبق ذكره من وجهٍ يكون تشبيه الَّذين كفروا بالرَّاعي وجهًا محتملًا.

---

(١) «التَّفسير الوسيط» (١/ ٢٥٥).

(٢) «البحر المحيط» (٢/ ١٠٥).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٥/ ١٩٠).

﴿١٤﴾ قال ابن الجَوْزيّ: هل كانت الوصيَّة نَدْبًا أو واجبة؟

فيه قولان:

أحدهما: أنَّها كانت نَدْبًا.

والثَّاني: أنَّها كانت فرضًا، وهو أصحُّ، لقوله تعالى: {كُتِبَ}، ومعناه: فُرِض.

قال ابن عمر: نُسِخت هذه الآية بآية الميراث.

وقال ابن عبَّاسٍ: نسخها: {لِلرِّجالِ نَصِيبٌ مِمَّا تَرَكَ الْوالِدانِ وَالْأَقْرَبُونَ}.

والعلماء متَّفقون على نسخ الوصيَّة للوالدين والأقربين الَّذين يرثون، وهم مختلفون في الأقربين الَّذين لا يرثون: هل تجب الوصيَّة لهم؟ على قولين، أصحُّهما أنَّها لا تجب لأحدٍ[1].

وقال الزّرقانيُّ: هذه الآية تُفيد أنَّ الوصيَّة للوالدين والأقربين فرضٌ مكتوبٌ، وحقٌّ واجبٌ على من حضرهم الموت من المسلمين.

وقد اختُلف في نسخ هذه الآية وفي ناسخها:

فالجمهور على أنَّها منسوخةٌ، وأنَّ ناسخها آيات المواريث، وقيل: إنَّها منسوخةٌ بالسُّنَّة، وهي قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا وصية لوارثٍ»، وقيل: منسوخةٌ بإجماع الأُمَّة على عدم وجوب الوصيَّة للوالدين والأقربين.

وقيل: إنَّها محكمةٌ لم تُنسخ. ثمَّ اختلف هؤلاء القائلون بالإحكام: فبعضهم يحملها على من حُرم الإرث من الأقربين، وبعضهم يحملها على من له ظروفٌ تقضي بزيادة العطف عليه كالعَجَزة وكثيري العيال من الورثة[2].

﴿١٤﴾ ﴿إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ ٱلْمَوْتُ إِن تَرَكَ خَيْرًا ٱلْوَصِيَّةُ لِلْوَٰلِدَيْنِ وَٱلْأَقْرَبِينَ﴾ [البقرة ١٨٠]

يفهم بعض الناس من هذه الآية أن الوصية للوالدين والأقارب مشروعة، والصواب أن هذا كان في أول الإسلام ثم نُسخت بآيات المواريث[1].

(١) «زاد المسير» (١/ ١٣٩).

(٢) «مناهل العرفان» (٢/ ٢٥٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٥ قال ابن فارسٍ: (فَتَنَ) الفاء والتَّاء والنُّون **أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على ابتلاءٍ واختبارٍ**[١].

١٥ ﴿وَقَٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ﴾ [البقرة: ١٩٣]

الفتنة أي الكفر[٢] وليس النزاع والخصومة أو العداوة، ومثله قوله تعالى: ﴿وَٱلْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ ٱلْقَتْلِ﴾[٣].

وقال الرَّاغب: أصل الفَتْنِ: إدخال الذَّهب النَّار لتظهر جودته من رداءته، واستُعمل في إدخال الإنسان النَّار، قال تعالى: {يَوْمَ هُمْ عَلَى النَّارِ يُفْتَنُونَ * ذُوقُوا فِتْنَتَكُمْ} [الذاريات: ١٣، ١٤] أي: عذابَكم... وتارةً يُسمُّون به ما يحصل عنه العذاب فيُستعمل فيه. نحو قوله: {أَلا فِي الْفِتْنَةِ سَقَطُوا}[التوبة: ٤٩]، وتارةً في الاختبار نحو: {وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا}[طه: ٤٠]، وجُعلت الفتنة كالبلاء في أنَّهما يستعملان فيما يُدفع إليه الإنسان من شدَّةٍ ورخاءٍ، وهما في الشِّدَّة أظهر معنًى وأكثر استعمالًا[٢].

فالفِتْنةُ: العَذاب. والفِتنةُ: أن يَفتِنَ اللهُ قومًا، أي: يبتليهم. والفِتَنُ: ما يقع بين النَّاس من الحروب[٣].

***وقوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ}** [البقرة: ١٩٣]

وقوله تعالى: {قَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ} [الأنفال: ٣٩]

عَنِ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا: أَنَّ رَجُلًا، جَاءَهُ فَقَالَ: إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ}، قَالَ ابْنُ عُمَرَ: «قَدْ فَعَلْنَا عَلَى عَهْدِ رَسُولِ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إِذْ كَانَ الإِسْلاَمُ قَلِيلًا، **فَكَانَ الرَّجُلُ يُفْتَنُ فِي دِينِهِ إِمَّا يَقْتُلُونَهُ وَإِمَّا يُوثِقُونَهُ**، حَتَّى كَثُرَ الإِسْلاَمُ فَلَمْ تَكُنْ فِتْنَةٌ»[٤]

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (فتن).

(٢) «المفردات» (ص: ٦٢٣).

(٣) «العين» (٨/ ١٢٧).

(٤) رواه البخاريُّ.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن عبَّاسٍ، وقَتادةُ، والرَّبيع، والسُّدِّيُّ، وغيرهم: **الفتنة هناك الشِّرك وما تابعه من أذى المؤمنين**[1].

وقال الطَّبريُّ: قاتلوهم حتَّى لا يكونَ شركٌ، ولا يُعبدَ إلَّا الله وحده لا شريك له، **فيرتفع البلاء عن عباد الله من الأرض، وهو (الفتنة)**، (ويكون الدِّين كلُّه لله)، يقول: حتَّى تكون الطَّاعة والعبادة كلُّها لله خالصةً دون غيره[2].

*** وقوله تعالى: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ}** [البقرة: ١٩١]

قال الطَّبريُّ: يعني تعالى ذكره بقوله: (والفتنة أشدُّ من القتل) والشِّرك بالله أشدُّ من القتل. وقد بيَّنت فيما مضى أنَّ **أصل (الفتنة) الابتلاءُ والاختبار، فتأويل الكلام: وابتلاء المؤمن في دينه حتَّى يرجعَ عنه فيصير مشركًا بالله من بعد إسلامه، أشدُّ عليه وأضرُّ من أن يُقتل مقيمًا على دينه متمسِّكًا عليه مُحقًّا فيه**[3].

وقال الشَّوكانيُّ: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} أي: الفتنة الَّتي أرادوا أن يفتنوكم -وهي رجوعكم إلى الكفر- أشدُّ من القتل.

وقيل: المراد بالفتنة: المحنة الَّتي تنزل بالإنسان في نفسه أو أهله أو ماله أو عرضه.

وقيل: إنَّ المراد بالفتنة: الشِّرك الَّذي عليه المشركون؛ لأنَّهم كانوا يستعظمون القتل في الحَرَم، فأخبرهم الله أنَّ الشِّرك الَّذي هم عليه أشدُّ ممَّا يستعظمونه.

وقيل: المراد: فتنتهم إيَّاكم بصدكم عن المسجد الحرام أشدُّ من قتلكم إيَّاهم في الحَرَم، أو من قتلهم إيَّاكم إن قتلوكم.

---

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٢/ ٣٥٤).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٥٣٧).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٣/ ٥٦٥).

والظَّاهر أنَّ المراد: الفتنة في الدِّين بأيِّ سببٍ كان، وعلى أيِّ صورةٍ اتفقت، فإنَّها أشدُّ من القتل[1].

* فالفتنة: الاختبار والابتلاء والعذاب، هذا هو الأصل اللُّغويُّ، والفتنة المرادة في الآيات السَّابقة هي أيضًا ابتلاءٌ واختبارٌ وعذابٌ، لكنَّه أخصُّ منه؛ إذ هو على الدِّين وينتج عنه الكفر أو الشِّرك.

وقد ورد في كلام المفسِّرين كثيرًا تفسير الفتنة بالابتلاء، وممَّن صرَّح بها من السَّلف في تفسير هذه الآية الحسن البصريُّ رحمه الله، فقال: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ} حتَّى لا يكون بلاءٌ[2].أي: بلاءٌ على الدِّين يُؤدي إلى الشِّرك، فهو موافقٌ لقول الجمهور.

أمَّا الفتنة بين النَّاس فهي أيضًا اختبارٌ وابتلاءٌ وعذابٌ، وينتج عنه الفساد في الأرض والقتل والظُّلم.

وقد تكون تسمية الكفر فتنةً مأخوذةً من الفتنة بين النَّاس؛ لأنَّ الكُفر يُؤدِّي إلى ما تُؤدِّي إليه الفتنة بين النَّاس من الفساد والظُّلم والقتل.

يقول الرَّازيُّ: إنَّما سُمِّي الكفر بالفتنة لأنَّه فسادٌ في الأرض يُؤدِّي إلى الظُّلم والهَرْج، وفيه الفتنة[3].

وقال الماورديُّ: {وَالْفِتْنَةُ أَشَدُّ مِنَ الْقَتْلِ} **يعني بالفتنة: الكفر في قول الجميع، وإنَّما سُمِّي الكفر فتنةً لأنَّه يُؤدِّي إلى الهلاك كالفتنة**[4].

---

(١) «فتح القدير» (١/ ٢٢٠).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٥٣٨).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٥/ ٢٨٩).

(٤) «النُّكَت والعيون» (١/ ٢٥١).

* قال الرَّازيُّ: إنَّما جُعل الكفرُ أعظمَ من القتل، لأنَّ الكفر ذنبٌ يستحقُّ صاحبُه به العقاب الدَّائم، والقتل ليس كذلك، والكفر يَخرج صاحبُه به عن الأمَّة، والقتل ليس كذلك، فكان الكفر أعظم من القتل[1].

وقال ابن عاشورٍ: وإنَّما كانت الفتنة أشدَّ من القتل لتكرُّر إضرارها بخلاف ألم القتل[2].

(١) «مفاتيح الغيب» (٥/ ٢٨٩).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢/ ٢٠٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٦ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱدۡخُلُواْ فِي ٱلسِّلۡمِ كَآفَّةٗ﴾ [البقرة ٢٠٧]

فهم بعض الناس أن معنى السلم أي نقيض الحرب والصواب أن معناها الإسلام وطاعة الله[٤].

١٦ قال ابن فارسٍ: (سَلِمَ) **السِّين واللَّام والميم معظم بابه من الصِّحَّة والعافية**... فالسَّلامة: أن يسلم الإنسان من العاهة والأذى... ومن الباب أيضًا الإسلام، وهو الانقياد؛ لأنَّه يسلم من الإباء والامتناع. والسِّلام: المسالمة... والسَّلْم: هو الصُّلح، وقد يُؤنَّث ويُذكَّر[١].

وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ كَافَّةً} [البقرة: ٢٠٨]

(السِّلْم) قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، والكِسائيُّ بفتح السِّين، والباقون بكسرها.

واختلف أهل اللُّغة في الفتح والكسر على وجهين:

أحدهما: أنَّهما لغتان تُستعمل كلُّ واحدةٍ منهما في موضع الأخرى.

والثَّاني: معناهما مختلفٌ، والفرق بينهما أنَّ السِّلم بالكسر الإسلام، والسَّلْم بالفتح المُسالَمة[٢].

قال العَوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٍ، وطاوسٍ، والضَّحَّاك، وعكرمة، وقَتادة، والسُّدِّيِّ، وابن زيدٍ، في قوله: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ} يعني: الإسلام.

وقال الضَّحَّاك، عن ابن عبَّاسٍ، وأبو العالية، والرَّبيعُ بن أنسٍ: {ادْخُلُوا فِي السِّلْمِ} يَعْنِي: الطَّاعَةُ[٣].

قال ابن كثيرٍ: يقول تعالى آمرًا عباده المؤمنين به المصدِّقين برسوله: أن يأخذوا بجميع عُرى الإسلام وشرائعه، والعمل بجميع أوامره، وترك جميع زواجره ما استطاعوا من ذلك[٤].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (سلم).

(٢) «النُّكَت والعيون» (١/ ٢٦٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).

(٤) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الطَّبريُّ: وأمَّا الَّذين قرؤوا بالكسر من السِّين (السِّلْم) فإنَّهم مختلفون في تأويله:

فمنهم من يوجِّهه إلى الإسلام، بمعنى ادخلوا في الإسلام كافَّةً، ومنهم من يُوجِّهه إلى الصُّلح، بمعنى: ادخلوا في الصُّلح...

وأولى التَّأويلات بقوله: {ادخلوا في السِّلم}، قول من قال: معناه: ادخلوا في الإسلام كافَّةً.

وإنَّما اخترنا ما اخترنا من التَّأويل في قوله: {ادخلوا في السِّلم} وصرفنا معناه إلى الإسلام، لأنَّ الآية مخاطبٌ بها المؤمنون، فلن يَعْدُوَ الخطاب إذ كان خطابًا للمؤمنين من أحد أمرين:

إمَّا أن يكون خطابًا للمؤمنين بمحمَّدٍ المصدِّقين به وبما جاء به، فإن يكن ذلك كذلك، فلا معنى أن يُقال لهم وهم أهل الإيمان: ادخلوا في صلح المؤمنين ومسالمتهم؛ لأنَّ المسالمة والمصالحة إنَّما يُؤمر بها من كان حربًا بترك الحرب، فأمَّا الموالي فلا يجوز أن يُقال له: صالح فلانًا، ولا حرب بينهما ولا عداوة.

أو يكون خطابًا لأهل الإيمان بمن قبل محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم من الأنبياء المصدِّقين بهم، وبما جاؤوا به من عند الله المنكرين محمَّدًا ونبوَّته، فقيل لهم: ادخلوا في السِّلم، يعني به الإسلام، لا الصُّلح؛ لأنَّ الله عزَّ وجلَّ إنَّما أمر عباده بالإيمان به وبنبيِّه محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم وما جاء به، وإلى الَّذي دعاهم دون المسالمة والمصالحة، بل نهي نبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم في بعض الأحوال عن دعاء أهل الكفر إلى الصُّلح فقال: {فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ} [مُحَمَّد: ٣٥]، وإنَّما أباحَ له صلَّى الله عليه وسلَّم في بعض الأحوال إذا دعَوه إلى الصُّلح ابتداءَ المصالحة، فقال له جلَّ ثناؤه: {وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا} [الأنفال: ٦١] فأمَّا دعاؤهم إلى الصُّلح ابتداءً فغير موجودٍ في القرآن فيجوز توجيه قوله: {ادخلوا في السِّلم} إلى ذلك[1].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٤/ ٢٥٢).

ومِمَّا يُضعِّف القول بأنَّ المخاطب بالآية هم أهل الإيمان بالأنبياء السَّابقين المنكرون لنبوَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ عُرف خطاب القرآن بـ{يا أيها الَّذين آمنوا} إنَّما صار كاللَّقب لمن اتَّبع الدِّين اتِّباعا حقًّا، وبهذا أيضًا يُضعَّف قول من جعل الخطاب موجَّهًا للمنافقين، يعني: من آمنوا بألسنتهم دون قلوبهم(١).

* وذهب ابن عاشورٍ رحمه الله إلى جواز أن يكون معنى (السِّلم) في الآية المسالمة والموادعة، على أنَّ الخطاب للمؤمنين أيضًا، فقال:

حقيقة السِّلم الصُّلح وترك الحرب... واشتقاقه من السَّلامة، وهي النَّجاة من ألمٍ أو ضُرٍّ أو عنادٍ، يُقال: أسلم نفسَه لفلانٍ أي: أعطاه إيَّاها بدون مقاومة، واستسلم: طلب السِّلْم، أي: ترك المقاومة، وتقول العرب: أسلمٌ أم حربٌ، أي: أأنت مسالمٌ أم محاربٌ، وكلُّها معانٍ متولِّدٌ بعضها من بعضٍ، فلذلك **جزم أئمَّة اللُّغة بأنَّ السِّلم بكسر السِّين وفتحها وبالتَّحريك يُستعمل كلُّ واحدٍ منها فيما يُستعمل فيه الآخر**.

قالوا: ويُطلق السِّلم بلغاته الثَّلاث على دين الإسلام، ونُسب إلى ابن عبَّاسٍ ومجاهدٍ وقتادة...

فكون السِّلم من أسماء الصُّلح لا خلاف فيه بين أئمَّة اللُّغة، فهو مرادٌ من الآية لا محالة، وكونه يُطلق على الإسلام إذا صحَّ ذلك جاز أن يكون مرادًا أيضًا، ويكون من استعمال المشترك في معنيَيْه.

فعلى أن يكون المراد بالسِّلم المسالمة كما يقتضيه خطابهم بـ{يا أيها الذين آمنوا} الَّذي هو كاللَّقب للمسلمين، كان المعنى أمرهم بالدُّخول في المسالمة دون القتال، وكما تقتضيه صيغة الأمر في (ادخلوا) من أن حقيقتها طلب تحصيل فعلٍ لم يكن حاصلًا أو كان مفرَّطًا في بعضه، فالَّذي يبدو لي أن تكون مناسبة ذكر هذه الآية عقب ما تقدَّم؛ هي أنَّ قوله تعالى: {وقاتلوا في سبيل الله الَّذين يقاتلونكم} [البقرة: ١٩٠] الآيات تهيئةٌ لقتال المشركين لصدِّهم المسلمين عن

(١) يُنظر «التَّحرير والتَّنوير» (٢/ ٢٧٧).

البيت، وإرجافهم بأنَّهم أجمعوا أمرهم على قتالهم، والإرجاف بقتل عثمان بن عفَّان بمَكَّة حين أرسله رسول الله إلى قريشٍ، فذكر ذلك واستطرد بعده ببيان أحكام الحجِّ والعمرة، فلمَّا قُضي حقُّ ذلك كلِّه وأُلحق به ما أمر الله بوضعه في موضعه بين تلك الآيات، استؤنف هنا أمرهم بالرِّضا بالسِّلم والصُّلح الَّذي عقده رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مع أهل مكَّة عام الحديبية، لأنَّ كثيرًا من المسلمين كانوا آسفين من وقوعه...

فأمَّا إذا فُسِّر السِّلم بالإسلام، أي: دين الإسلام، فإنَّ الخطاب بـ{يا أيُّها الَّذين آمنوا} وأمر المؤمنين بالدُّخول في الإسلام يؤول بأنَّه أمرٌ بزيادة التَّمكُّن منه والتَّغلغل فيه؛ لأنَّه يُقال: دخل الإيمان في قلبه إذا استقرَّ وتمكَّن، قال تعالى: {ولمَّا يدخل الإيمان في قلوبكم} [الحجرات: ١٤] . وقال النَّابغة:

أبى غفلتي أنِّي إذا ما ذكرتُه .:. تحرَّك داءٌ في فؤاديَ داخلُ

وهذا هو الظَّاهر، فيُراد بالأمر في (ادخلوا) الدَّوام على ذلك...

وقيل المراد بالَّذين آمنوا: الَّذين آمنوا من اليهود، كعبد الله بن سَلامٍ، فيؤول (ادخلوا) بمعنى شدَّة التَّلبُّس، أي: بترك ما لم يجيء به الدِّين، لأنَّهم استمرُّوا على تحريم السَّبت وترك شرب ألبان الإبل وبعض ما اعتادوه من أحوالهم أيَّام تهوُّدهم، إذا صحَّ ما رواه أهل «أسباب النُّزول» أنَّ طائفةً من مؤمني اليهود فعلوا ذلك.

ويجوز أن يكون المراد من السِّلم هنا المعنى الحقيقيَّ، ويُراد السِّلم بين المسلمين، يأمرهم الله تعالى بعد أن اتَّصفوا بالإيمان بألَّا يكون بعضهم حربًا لبعض كما كانوا عليه في الجاهليَّة، وبتناسي ما كان بين قبائلهم من العداوات. ومناسبةٌ ذكر هذا عقب ما تقدَّم أنَّهم لَمَّا أُمروا بذكر الله كذكرهم آباءهم، وكانوا يذكرون في موسم الحجِّ تِراتهم ويفخرون فخرًا قد يُفضي إلى الحميَّة، أُمروا عقب ذلك بالدُّخول في السِّلم، ولذلك قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في خطبة حجَّة الوداع: «لا ترجعوا بعدي كفَّارًا يضرب بعضكم رقاب بعضٍ».

فتكون الآية تكملةً للأحكام المتعلِّقة بإصلاح أحوال العرب الَّتي كانوا عليها في الجاهليَّة...

وإمَّا أن يكون المراد من السِّلم هنا السِّلم مع الله تعالى مع معنى المجاز، أي: ادخلوا في مسالمة الله تعالى باتِّباع أوامره واجتناب منهيَّاته، كما أطلق الحرب على المعصية مجازًا في قوله تعالى: {فأذنوا بحربٍ من الله ورسوله} [البقرة: ٢٧٩]، وفي الحديث القدسيِّ الَّذي رواه التِّرمذيُّ: «من عادى لي وليًّا فقد آذنته بالحرب»[١].

* فتفسير السِّلم في الآية بالإسلام هو ما عليه جمهور المفسِّرين، ويبقى تفسيره بالمسالمة والموادعة محتملًا على ما ذكره ابن عاشورٍ رحمه الله من أوجهٍ.

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢/ ٢٧٥).

﴿ وَمِنَ ٱلنَّاسِ مَن يَشْرِى نَفْسَهُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة: ٢٠٧]

أي يبيعها[1]، فكلمة (يشري) في اللغة العربية تعني (يبيع)، بخلاف كلمة يشتري، كما أن يبتاع تعني يشتري بخلاف كلمة يبيع، وهذا على الأغلب. ومثله قوله تعالى: ﴿ وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِۦٓ أَنفُسَهُمْ ﴾ وقوله: ﴿ فَلْيُقَٰتِلْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ يَشْرُونَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا بِٱلْءَاخِرَةِ ﴾ أي يبيعون.

(١٧) الشِّراء والبيع يتلازمان، فالمُشترِي دافع الثَّمن وآخذ المُثمَن، والبائع دافع المُثْمَن وآخذ الثَّمن. هذا إذا كانت المبايعة والمشاراة بنَاضٍ[1] وسلعةٍ، فأمَّا إذا كانت بيع سلعةٍ بسلعةٍ صحَّ أن يُتصوَّر كلُّ واحدٍ منهما مشتريًا وبائعًا، ومن هذا الوجه صار لفظ البيع والشِّراء يُستعمل كلُّ واحدٍ منهما في موضع الآخر. وشَرَيْتُ بمعنى بِعْتُ أكثر، وابْتَعْتُ بمعنى اشْتَرَيْتُ أكثر[2].

فللعرب في شَرَوا واشتَرَوا مذهبان: فالأكثر منهما: أنَّ (شَرَوا): بَاعُوا، و(اشتَرَوا): ابتاعوا؛ وربَّما جعلوهما بمعنى باعوا[3].

* **وقوله تعالى: {وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْرِي نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}** [البقرة: ٢٠٧]

قال ابن عبَّاسٍ، وأنسٌ، وسعيد بن المسيَّب، وأبو عثمان النَّهديُّ، وعكرمة، وجماعةٌ: نزلت في صُهيب بن سنانٍ الرُّوميّ، وذلك أنَّه لَمَّا أسلم بمكَّة وأراد الهجرة، منعه النَّاس أن يُهاجر بماله، وإن أحبَّ أن يتجرَّد منه ويهاجر فعل، فتخلَّص منهم وأعطاهم ماله، فأنزل الله فيه هذه الآية...

وأمَّا الأكثرون فحملوا ذلك على أنَّها نزلت في كلِّ مجاهدٍ في سبيل الله[4].

قال الحسن البصريُّ: العمل الَّذي باع به نفسه الجهاد في سبيل الله[1].

---

(١) قال الأصمعيُّ: اسمُ الدَّراهم والدَّنانير عند أهل الحجاز:» (النَّاضُّ) «تهذيب اللُّغة» (١١/ ٣٢٢).

(٢) «المفردات» (ص: ٤٥٣).

(٣) «تهذيب اللُّغة» (١١/ ٢٧٦).

(٤) «تفسير ابن كثير» (١/ ٥٦٤).

وقال الطَّبريُّ: يعني جلَّ ثناؤه: ومن النَّاس من يبيع نفسه بما وعد الله المجاهدين في سبيله وابتاع به أنفسهم بقوله: {إِنَّ اللَّهَ اشْتَرَى مِنَ الْمُؤْمِنِينَ أَنْفُسَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ بِأَنَّ لَهُمُ الْجَنَّةَ} [التوبة: ١١١] (٢).

وقال القرطبيُّ: {يَشْرِي} معناه: يبيع... وبيع النَّفس هنا هو بذلها لأوامر الله(٣).

وذهب الرَّازيُّ إلى أن (يشري) هنا معناه يشتري، فقال:

أكثر المفسِّرين على أنَّ المراد بهذا الشِّراء: البيع...

وعندي أنَّه يُمكن إجراء لفظة الشِّراء على ظاهرها، وذلك أنَّ من أقدم على الكفر والشِّرك والتَّوسُّع في ملاذِّ الدُّنيا والإعراض عن الآخرة وقع في العذاب الدَّائم، فصار في التَّقدير كأنَّ نفسه كانت له، فبسبب الكفر والفسق خرجت عن ملكه وصارت حقًّا للنَّار والعذاب، فإذا ترك الكفر والفسق وأقدم على الإيمان والطَّاعة صار كأنَّه اشترى نفسه من العذاب والنَّار، فصار حال المؤمن كالمكاتَب يبذل دارهم معدودةً ويشتري بها نفسه، فكذلك المؤمن يبذل أنفاسًا معدودةً ويشتري بها نفسه أبدًا...

فإن قيل: إنَّ الله تعالى جعل نفسه مشتريًا حيث قال: {إِنَّ اللَّهَ اشترى من المؤمنين أنفسهم وأموالهم} [التوبة: ١١١] وهذا يمنع كون المؤمن مشتريًا.

قلنا: لا منافاة بين الأمرين، فهو كمن اشترى ثوبًا بعبدٍ، فكلُّ واحدٍ منهما بائعٌ، وكلُّ واحدٍ منهما مشترٍ، فكذا هاهنا.

وعلى هذا التَّأويل فلا يُحتاج إلى ترك الظَّاهر وإلى حمل لفظ الشِّراء على البيع(٤).

---

(١) «النُّكَت والعيون» (١/ ٢٦٧).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٤/ ٢٤٦).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٣/ ٢١).

(٤) «مفاتيح الغيب» (٥/ ٣٥٠).

* **وقوله تعالى: {وَلَبِئْسَ مَا شَرَوْا بِهِ أَنْفُسَهُمْ لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ}** [البقرة: ١٠٢]

قال الطَّبريُّ: معنى الكلام: ولبئس ما باع به نفسَه من تعلَّم السِّحر لو كان يعلم سوء عاقبته، كما حدَّثني موسى قال: حدَّثنا عمرٌو قال: حدَّثنا أسباطٌ عن السُّدِّيِّ {ولبئس ما شروا به أنفسهم} يقول: بئس ما باعوا به أنفسهم(١).

وقال ابن عاشورٍ: {شَرَوْا} بمعنى: باعوا، بمعنى: بذلوا، وهو مقابل قوله: {لمن اشتراه}(٢).

وتجويزُ كونِ الشِّراء بمعنى الاشتراء ممَّا لا سبيلَ إليه؛ لأنَّ المشترَى مُتعيِّنٌ، وهو {ما تتلوا الشَّياطين}، ولأنَّ متعلَّق الذَّمِّ هو المأخوذُ لا المنبوذُ(٣).

* **وقوله تعالى: { فَلْيُقَاتِلْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا بِالْآخِرَةِ}** [النساء: ٧٤]

قال ابن عبَّاسٍ، والحسن، والسُّدِّيُّ، وابن زيدٍ: {يَشْرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا} أي: يبيعونها(٤).

قال الطَّبريُّ: يعني: الَّذين يبيعون حياتهم الدُّنيا بثواب الآخرة وما وعد الله أهل طاعته فيها، وبيعُهم إيَّاها بها: إنفاقهم أموالهم في طلب رضى الله، لجهاد من أمر بجهاده من أعدائه وأعداء دينه، وبَذْلهم مُهَجهم له في ذلك... وقد دلَّلنا على أنَّ الأغلب على معنى: (شريت) في كلام العرب: بعت، بما أغنى عن إعادته(٥).

وقال ابن الجوزيِّ: {يشرون} هاهنا: بمعنى يبيعون في قول الجماعة(٦).

---

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٢/ ٤٥٥).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٦٤٧).

(٣) «تفسير أبي السُّعود» (١/ ١٤٠).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٥٩٥).

(٥) «تفسير الطَّبريِّ» (٨/ ٥٤١).

(٦) «زاد المسير» (١/ ٤٣٢).

وقال ابن عطيَّة: {يَشْرُونَ} معناه: يبيعون في هذا الموضع، وإن جاء في مواضع يشترون، فالمعنى هاهنا يدلُّ على أنَّه بمعنى يبيعون[1].

وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ (يشرون) هنا يحتمل أن تكون بمعنى (يشترون)، وكان لهم في تقدير المعنى وجوهٌ:

- فليقاتل في سبيل الله الَّذين يشترون الحياة الدُّنيا بالآخرة. (الَّذين فاعل، والمراد: المنافقون) ولا بُدَّ من حذفٍ تقديره: آمِنُوا ثمَّ قاتلوا؛ لاستحالة حصول الأمر بشرائع الإسلام قبل حصول الإسلام[2].
- فليقاتل (المنافقون الموصوفون بقوله: {وَإِنَّ مِنْكُمْ لَمَنْ لَيُبَطِّئَنَّ} في سبيل الله الَّذين يشترون الحياة الدُّنيا بالآخرة (الَّذين مفعولٌ به، والمراد: المشركون)[3].
- فليقاتل (المؤمنون) في سبيل الله الَّذين يشترون الحياة الدُّنيا بالآخرة (الَّذين مفعولٌ به، والمراد: المشركون)[4].
- فليقاتل في سبيل الله الَّذين يشترون الحياة الُّدنيا بالآخرة. (الَّذين فاعل، والمراد: ضعفة المؤمنين المتخلِّفون)[5].

وأضاف الرَّازيُّ إلى هذه الوجوه ثلاثةً أخرى، فقال:

وعندي في الآية احتمالاتٌ أخرى:

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٧٨).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ١٤٠)، «روح المعاني» (٣/ ٧٩).

(٣) «تفسير ابن عرفة» (٢/ ٣٩).

(٤) فهمته من «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٥٨).

(٥) فهمته من «البحر المحيط» (٣/ ٧١٠).

أحدها: أنَّ الإنسان لَمَّا أراد أن يبذل هذه الحياة الدُّنيا في سبيل الله بخلت نفسه بها، فاشتراها من نفسه بسعادة الآخرة ليقدر على بذلها في سبيل الله بطيبة النَّفس.

وثانيها: أنَّه تعالى أمر بالقتال مقرونًا ببيان فساد ما لأجله يترك الإنسان القتال، فإنَّ من ترك القتال فإنَّما يتركه رغبةً في الحياة الدُّنيا، وذلك يوجب فوات سعادة الآخرة، فكأنَّه قيل له: اشتغل بالقتال واترك ترجيح الفاني على الباقي.

وثالثها: كأنَّه قيل: الَّذين يشرون الحياة الدُّنيا بالآخرة إنَّما رجَّحوا الحياة الدُّنيا على الآخرة إذا كانت مقرونةً بالسَّعادة والغبطة والكرامة، وإذا كان كذلك فليقاتلوا، فإنَّهم بالمقاتلة يفوزون بالغبطة والكرامة في الدُّنيا؛ لأنَّهم بالمقاتلة يستولون على الأعداء ويفوزون بالأموال.

فهذه وجوهٌ خطرت بالبال، والله أعلم بمراده[1].

وذكر الزَّمخشريُّ أنَّ الفعل {يَشْرُونَ} هنا بمعنى يشترون ويبيعون، فقال:

{يَشْرُونَ} بمعنى يشترون ويبيعون...

فالَّذين يشترون الحياة الدُّنيا بالآخرة هم المبطِّئون، وُعِظوا بأن يُغيِّروا ما بهم من النِّفاق ويخلصوا الإيمان بالله ورسوله، ويجاهدوا في سبيل الله حقَّ الجهاد.

والَّذين يبيعون هم المؤمنون الَّذين يستحبُّون الآجلة على العاجلة ويستبدلونها بها.

والمعنى: إنْ صدَّ الَّذين مرضت قلوبهم وضعفت نيَّاتهم عن القتال، فليقاتل الثَّابتون المخلصون[2].

واعتُرض على ما ذكره بأنَّه يلزم منه استعمال اللَّفظ المشترك في مفهوميه معًا، وهو مختلفٌ فيه[3].

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ١٤٠).

(٢) «الكشَّاف» (١/ ٥٣٤).

(٣) «تفسير ابن عرفة» (٢/ ٣٩)، «فتوح الغيب» (٥/ ٦٤).

* ولعلَّ الرَّاجح في الآيات الثَّلاث السَّابقة تفسير (شرى) فيها بباع، وهو اختيار جمهور المفسِّرين، ويعضِّده:

- أنَّ الفعل (شرى) الظَّاهر أنَّه حقيقةٌ لغويَّةٌ في البيع والشَّراء، فيكون تفسيره بالبيع على الظَّاهر وليس عدولًا عنه، وعلى فرض أنَّه ليس حقيقةً في البيع فإنَّ استعماله فيه كثيرٌ أيضًا في كلام العرب كما نصَّ عليه أئمَّة اللُّغة ممَّا يجعل الحمل عليه أولى.
- أنَّ الفعل (شرى) ورد أربع مرَّاتٍ في القرآن الكريم، هذه الثلاث مع قوله تعالى: {وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ} [يوسف: ٢٠]، وقد فسَّره الجمهور فيها جميعًا بـ(باع)، فحمل الفعل على معنًى واحدٍ في الجميع أولى.
- أنَّ بعض الوجوه الَّتي ذكروها لا تستقيم إلَّا على الحذف والتَّقدير، والأصل السَّلامة من ذلك، وبعضها ظاهر التَّكلُّف، كما في بعض توجيهات الرَّازيِّ رحمه الله.

﴿ مَسَّتْهُمُ ٱلْبَأْسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلْزِلُوا۟ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصْرُ ٱللَّهِ ﴾ [البقرة ٢١٤]

قال الطبري: «الزلزلة في هذا الموضع: الخوف من العدو، لا زلزلة الأرض»[٢].

(١٨) أخرج ابن أبي حاتمٍ وابن المُنذر عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما قال: {وزُلْزِلُوا} بالفتن وأذى النَّاس إيَّاهم[١].

قال الماورديُّ: {وَزُلْزِلُواْ} فيه أربعة أوجه:

أحدها: حُرِّكوا بالخوف تحريكًا شديدًا، قاله يحيى بن سلام.

الثَّاني: أنَّه اضطرابهم عمَّا كانوا عليه، فمنهم من اضطرب في نفسه، ومنهم من اضطرب في دينه.

الثَّالث: أنَّه حرَّكهم الأمر بالثَّبات والصَّبر، وهو محتملٌ.

الرَّابع: هو إزاحتهم عن أماكنهم حتَّى لم يكن لهم إلَّا موضع الخندق، قاله الضَّحَّاك[٢].

قال الواحديُّ: قوله تعالى: {وَزُلْزِلُوا} أي: حُرِّكوا بأنواع البلايا والرَّزايا.

قال أبو إسحاق [الزَّجَّاج]: وأصل الزَّلزلة في اللُّغة من: زَلَّ الشَّيء عن مكانه، فإذا قلت: زلزلته، فتأويله: أنَّك كرَّرت زَلَله من مكانه، فضوعف لفظه لمضاعفة معناه، وكلُّ ما كان فيه ترجيعٌ كرِّرت فيه فاء الفعل، نحو: صَرَّ وصَرْصَرَ، وَصَلَّ وصلصل.

وتفسير {وَزُلْزِلُوا} هنا: خُوِّفوا وحقيقته ما ذكرنا، وذلك أنَّ الخائف لا يستقرُّ بل يضطرب لقلقه، ولهذا يُقال للخوف: المقيم المُقْعِد؛ لأنَّه يُذْهب السُّكون.

فيجوز أن يكون {وَزُلْزِلُوا} هاهنا مجازًا، والمراد به: خُوِّفوا، ويجوز أن يكون حقيقةً بأن يكونوا مضطربين لا يستقرُّون لما في قلوبهم من الجزع والخوف[٣].

---

(١) «الدُّرُّ المنثور» (١/ ٥٨٤).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٣٨٠).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٤/ ١١٩).

وقال ابن عطيَّة: والزَّلزلة: شدَّة التَّحريك، تكون في الأشخاص وفي الأحوال، ومذهب سيبويه أنَّ (زلزل) رباعيٌّ كدَحْرَج، وقال الزَّجَّاج: هو تضعيفٌ في (زَلَّ) فيجيء التَّضعيف على هذا في الفاء[1].

* فالزَّلزلة في الآية حركةٌ واضطرابٌ للأشخاص، إمَّا في قلوبهم بالخوف، وإمَّا في أجسادهم أيضًا بكثرة الحركة وعدم الاستقرار، وليست الزَّلزلة في الآية للأرض، وقد صرَّح بذلك بعض المفسِّرين:

فقال الطَّبريُّ: إنَّما الزَّلزلة في هذا الموضع: الخوف من العدوِّ، لا زلزلة الأرض[2].

وقال الشِّينقيطيُّ: هو زلزال فزعٍ وخوفٍ، لا زلزال حركة الأرض[3].

(١) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٢٨٧).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٤/ ٢٩١).

(٣) «أضواء البيان» (٤/ ٢٦١).

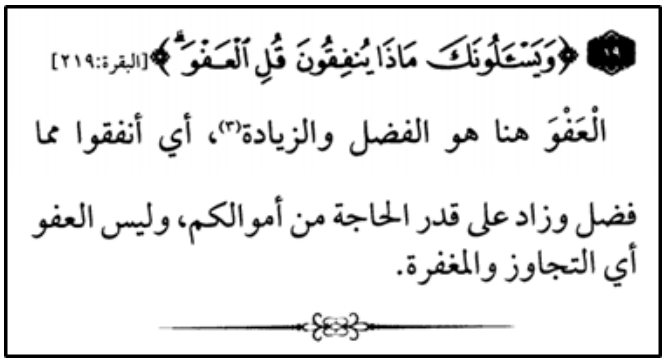

(١٩) قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في رواية مقسمٍ: العفو: ما فضل من المال عن العيال، وهو قول السُّدِّيِّ، وقتادة، وعطاء.

وقال في رواية الوالبيِّ: ما لا يتبيَّن في أموالكم.

وقال مجاهدٌ: صدقةٌ عن ظهر غنًى[١].

قال الواحديُّ: أصل العفو في اللُّغة: الزِّيادة، قال الله تعالى: {حَتَّى عَفَوْا} [الأعراف: ٩٥]، أي: زادوا على ما كانوا عليه من العدد.

وقال القرطبيُّ: العفو: ما سهُل وتيسَّر وفضل، ولم يشقَّ على القلب إخراجه، ومنه قول الشاعر:

خُذِي العفو منِّي تستديمي مودَّتي .:. ولا تنطقي في سَوْرَتي حينَ أغضبُ

فالمعنى: أنفقوا ما فضل عن حوائجكم، ولم تؤذوا فيه أنفسكم فتكونوا عالةً، **هذا أولى ما قيل في تأويل الآية**، وهو معنى قول الحسن، وقَتادة، وعطاءٍ، والسُّدِّيِّ، والقُرَظيِّ محمَّد بن كعبٍ، وابن أبي ليلى، وغيرهم، قالوا: العفو ما فضل عن العيال، ونحوه عن ابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: صدقةٌ عن ظهر غنًى، وكذا قال عليه السَّلام: «خير الصَّدقة ما أنفقت عن غنًى». وفي حديثٍ آخر: «خير الصَّدقة ما كان عن ظهر غنًى».

وقال قيس بن سعدٍ: هذه الزَّكاة المفروضة. وقال جمهور العلماء: بل هي نفقات التَّطوُّع[٢].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٤/ ١٥٥).

(٢) «تفسير القُرطبيِّ» (٣/ ٦١).

وَقال ابن عاشورٍ: العفو: مصدر عَفَا يعفو: إذا زاد ونَمَى، قال تعالى: {ثمَّ بدَّلنا مكان السّيّئة الحسنة حتَّى عَفَوْا} [الأعراف: ٩٥] ، وهو هنا ما زاد على حاجة المرء من المال، أي: فضل بعد نفقته ونفقة عياله بمعتاد أمثاله.

فالمعنى: أنَّ المرء ليس مطالبًا بارتكاب المآثم لينفق على المحاويج، وإنَّما يُنفق عليهم ممَّا استفضله من ماله، وهذا أمرٌ بإنفاقٍ لا يشقُّ عليهم، وهذا أفضل الإنفاق؛ لأنَّ مقصد الشَّريعة من الإنفاق إقامة مصالح ضعفاء المسلمين، ولا يحصل منه مقدارٌ له بالٌ إلَّا بتعميمه ودوامه لتستمرَّ منه مقادير متماثلةٌ في سائر الأوقات.

وإنَّما يحصل التَّعميم والدَّوام بالإنفاق من الفاضل عن حاجات المنفقين، فحينئذٍ لا يشقُّ عليهم، فلا يتركه واحدٌ منهم ولا يُخلُّون به في وقتٍ من أوقاتهم، وهذه حكمةٌ بالغةٌ وأصلٌ اقتصاديٌّ عمرانيٌّ[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢/ ٣٥١).

﴿ فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَن تَرَاضٍ مِّنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا ﴾ [البقرة: ٢٣٣]

فِصَالاً: أي فطام الصبي عن الرضاعة[1]، وليس كما توهم بعضهم أن الفصال هو الطلاق وأنه يشرع التشاور والتراضي على الطلاق وهذا خطأ، والصواب ما ذكر.

﴿٢٠﴾ {فَإِنْ أَرَادَا فِصَالًا عَنْ تَرَاضٍ مِنْهُمَا وَتَشَاوُرٍ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْهِمَا وَإِنْ أَرَدْتُمْ أَنْ تَسْتَرْضِعُوا أَوْلَادَكُمْ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِذَا سَلَّمْتُمْ مَا آتَيْتُمْ بِالْمَعْرُوفِ} [البقرة: ٢٣٣]

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ} [لقمان: ١٤]

{وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ إِحْسَانًا حَمَلَتْهُ أُمُّهُ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا وَحَمْلُهُ وَفِصَالُهُ ثَلَاثُونَ شَهْرًا } [الأحقاف: ١٥]

قال ابن فارسٍ: (فَصَلَ) الفاء والصَّاد واللَّام كلمةٌ صحيحةٌ تدلُّ على تمييز الشَّيء من الشَّيء وإبانته عنه[1].

قال الطَّبريُّ: يعني تعالى ذكره بقوله: {فإن أرادا} إن أراد والد المولود ووالدته {فصالًا} يعني: فصال ولدهما من اللَّبن.

ويعني بالفصال: الفطام، وهو مصدرٌ من قول القائل: "فاصَلْتُ فلانًا أفاصله مفاصلةً وفصالًا: إذا فارقه من خلطةٍ كانت بينهما. فكذلك "فصال الفطيم"، إنَّما هو منعه اللَّبن، وقطعه شربه، وفراقه ثدي أمِّه إلَّا الاغتذاء بالأقوات الَّتي يغتذي بها البالغ من الرِّجال[2].

وقال القرطبيُّ: قوله تعالى: {فإن أرادا فصالًا} الضَّمير في {أرادا} للوالدين، و{فصالًا} معناه: فطامًا عن الرَّضاع، أي: عن الاغتذاء بلبن أمِّه إلى غيره من الأقوات.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (٤/ ٥٠٥).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٥/ ٦٧).

والفِصال والفَصْل: الفطام، وأصله التَّفريق، فهو تفريقٌ بين الصَّبيِّ والثَّدْي، ومنه سُمِّي الفَصيل [يعني: ولد النَّاقة]، لأنَّه مفصولٌ عن أمِّه[1].

* أمَّا التَّعبير عن الطَّلاق بالفِصال فهو تعبيرٌ لغويٌّ صحيحٌ أيضًا، فهو تفريقٌ وفصلٌ بين الرَّجل وزوجته، لكنَّ سيق الآيات هنا واضحٌ في الدِّلالة على أنَّ المراد بالفصال فطام الرَّضيع.

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٣/ ١٧١).

﴿٢١﴾ ﴿فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ﴾ [البقرة: ٢٤٩]

أي خرج بهم إلى القتال[٢]، وليس معنى الفصل هنا الحكم.

﴿٢١﴾ {فَلَمَّا فَصَلَ طَالُوتُ بِالْجُنُودِ قَالَ إِنَّ اللَّهَ مُبْتَلِيكُمْ بِنَهَرٍ} [البقرة: ٢٤٩]

{وَلَمَّا فَصَلَتِ الْعِيرُ قَالَ أَبُوهُمْ إِنِّي لَأَجِدُ رِيحَ يُوسُفَ} [يوسف: ٩٤]

قال الطَّبريُّ: أمَّا قوله: {فَصَل} فإنَّه يعني به: شَخَصَ بالجُنْد ورحل بهم.

وأصل "الفَصْل" القطع، يُقال منه: فصل الرَّجل من موضع كذا وكذا، يعني به: قطع ذلك فجاوزه شاخصًا إلى غيره، يَفْصِل فُصُولًا.

وفَصَل العَظْم والقَوْل من غيره، فهو يفْصِلُه فَصْلًا: إذا قطعه فأبانه.

وفَصَل الصَّبيُّ فِصالًا: إذا قطعه عن اللَّبن.

وقولٌ فَصْلٌ: يَقْطَعُ فيفرّق بين الحقّ والباطل لا يُردُّ.

وقيل: إنَّ طالوت فصل بالجنود يومئذٍ من بيت المقدس وهم ثمانون ألف مقاتلٍ، لم يتخلَّف من بني إسرائيل عن الفصول معه إلَّا ذو علَّةٍ لعلَّته، أو كبيرٌ لهرمه، أو معذورٌ لا طاقة له بالنُّهوض معه[١].

وقال الرَّازيُّ: فلمَّا فَصَل بهم، أي: فارق بهم حدَّ بلده وانقطع عنه.

ومعنى الفَصْل: القطع، يُقال: قولٌ فصلٌ، إذا كان يقطع بين الحقّ والباطل، وفصلتُ اللَّحم عن العظم فصلًا، **وفاصل الرَّجل شريكه وامرأته فِصَالًا، ويُقال للفطام فِصَالٌ، لأنَّه يَقطع عن الرَّضاع، وفَصَل عن المكان قطعه بالمجاوزة عنه**، ومنه قوله: {ولَّما فَصَلَتِ العِير} [يوسف: ٩٤][٢].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٥/ ٣٣٨).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٦/ ٥٠٨). ويُنظر «التَّفسير البسيط» (٤/ ٣٢٩).

﴿ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُۥ وَابِلٌ فَتَرَكَهُۥ صَلْدًا ﴾ [البقرة:٢٦٤]

صلداً: أي أملساً نقياً[٣]، وليس معناه صلباً جامداً كما توهم البعض، والمعنى أن هذا مثل ضربه الله للمرائي الذي ينفق ماله والمؤمن الذي يمنّ بنفقته فمثلهما مثل الحجر الأملس الذي عليه شي من التراب فأصابه المطر الشديد فتركه أملسا ليس عليه شي من التراب وكذا أجر المنان يذهب ولا يبقى منه شيء.

٢٢ قال ابن فارسٍ: (صَلَدَ) الصَّاد واللَّام والدَّال أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على صلابة ويُبسٍ.

مـن ذلـك الحَجَـر الصَّـلْد، وهـو الصُّلب. ثمَّ يحمل عليه قولهم: صَلَد الزَّنْد، إذا لم يُخرج نارَه. وأصلدته أنا.

ومنه: الرَّأس الصَّلْد الَّذي لا يُنبت شعرًا، كالأرض الَّتي لا تُنبت شيئًا...

ويُقال للبخيل: أَصْلَد، فهو إمَّا من المكان الَّذي لا يُنبت، أو الزَّنْد الَّذي لا يُورِي[١].

وقوله تعالى: {كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ وَلَا يُؤْمِنُ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ فَمَثَلُهُ كَمَثَلِ صَفْوَانٍ عَلَيْهِ تُرَابٌ فَأَصَابَهُ وَابِلٌ فَتَرَكَهُ صَلْدًا لَا يَقْدِرُونَ عَلَى شَيْءٍ مِمَّا كَسَبُوا} [البقرة: ٢٦٤]

عن ابن عبَّاسٍ: {فتركه صلدًا} قال: تركها نقيَّةً ليس عليها شيءٌ[٢].

وعن السُّدِّيِّ: {فتركه صلدًا} يقول: نقيًّا[٣].

وعن الضَّحَّاك: {صلدًا} فتركه جردًا[٤].

قال الطَّبريُّ: (الصَّفوان) هو الصَّفا، وهي الحجارة الملس، وقوله: {عليه ترابٌ}، يعني: على الصَّفوان ترابٌ، {فأصابه} يعني: أصاب الصَّفوان {وابلٌ}، وهو المطر الشَّديد العظيم... وقوله: {فتركه صلدًا} يقول: فترك الوابلُ الصَّفوانَ صَلْدًا، **والصَّلْد من الحجارة: الصُّلب الَّذي**

(١) «مقاييس اللُّغة» (صلد).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٥/ ٥٣٠).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٥/ ٥٣٠).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (٥/ ٥٣٠).

لا شيء عليه من نباتٍ ولا غيره، وهو من الأرَضين ما لا ينبت فيه شيءٌ، وكذلك من الرُّؤوس... [1].

وقال البغويُّ: {فتركه صلدًا} أي: أملس، **والصَّلْد: الحجر الصُّلْب الأملس الَّذي لا شيء عليه**، فهذا مثلٌ ضربه الله تعالى لنفقة المنافق والمرائي والمؤمن الَّذي يمنُّ بصدقته ويؤذي ويُري النَّاس في الظَّاهر أنَّ لهؤلاء أعمالًا كما يُرى التُّراب على هذا الصَّفوان، فإذا كان يوم القيامة بطل كلُّه واضمحلَّ لأنَّه لم يكن لله عزَّ وجلَّ، كما أذهب الوابل ما على الصَّفوان من التُّراب فتركه صلدًا[2].

وقال الرَّاغب: **الصَّلْد، والصَّلْت، والصُّلْب تتقارب**، لكنَّ الصَّلد خاصٌّ في الأرض والصَّخْر، وشُبِّه به ما لا يُجدي، فقيل: زَنْدٌ صَلْدٌ، ورجلٌ مصلدٌ وصلدٌ: بخيل، وقِدْرٌ صلودٌ ذات صلدةٍ يتباطأ غليانها، وفرس صلودٌ: لا يعرق[3].

وقال أيضًا: قال تعالى: {فَتَرَكَهُ صَلْداً} [البقرة: ٢٦٤] ، أي: حجرًا صُلبًا وهو لا يُنبت، ومنه قيل: رأس صَلْدٌ: لا يُنبت شعرًا، وناقةٌ صَلُودٌ ومِصْلَادٌ: قليلة اللَّبن، وفرس صَلُودٌ: لا يعرق[4].

وفي الجلالين: {فَتَرَكَهُ صَلْدًا} **صُلْبًا أَمْلَس لَا شَيْء عَلَيْهِ**[5].

* فـ(الصَّلد) لغةً: الحَجَر الَّذي اتَّصف بوصفين: الصَّلابة، والملاسة.

ولَمَّا مثَّلَت الآية لنفقة المُرائي بأنَّها صفوانٌ -أي: صخرةٌ صُلبةٌ لا تُنبت- ناسب أن يكون المراد بترك الوابل (المطر) له صَلْدًا، أن يكون قد تركه أملاس ليس عليه شيءٌ، ولذا اكتفى كثيرٌ من المفسِّرين بتفسير الصَّلْد بالأملس هنا، وقد فسَّره بعضهم بالوصفين كما سبق.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٥/ ٥٢٤).

(٢) «تفسير البغويّ» (١/ ٣٢٦).

(٣) «تفسير الرَّاغب الأصفهانيّ» (١/ ٥٥٥).

(٤) «المفردات» (ص: ٤٩٠).

(٥) «تفسير الجلالين» (ص: ٥٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٣﴾ ﴿فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا۟ فَأْذَنُوا۟ بِحَرْبٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ﴾

[البقرة: ٢٧٩]

فَأْذَنُوا: ليست استئذانا للمرابين لمحاربتهم إنما المعنى: فاعلموا واسمعوا، يقال: أذن بالشيء يأذن إذنا وأذانة إذا سمعه وعلمه، فقوله: ﴿فَأْذَنُوا﴾ كقوله: فاعلموا وزناً ومعنى(١).

﴿٢٣﴾ تقول العرب: قد أَذِنْت بهذا الأمر، أي: علمت. وآذَنَني فلانٌ: أعلمني. والمصدر الأَذْن والإيذان. وفعله بإذني، أي: بعلمي، ويجوز بأمري، وهو قريبٌ من ذلك(١).

وقال الرَّاغب: الأُذُن: الجارحة... وأَذِنَ: استمع، نحو قوله: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} [الانشقاق: ٢]، ويُستعمل ذلك في العلم الَّذي يُتوصَّل إليه بالسَّماع، نحو قوله: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٩] .

والإِذْن والأَذَان لما يُسمع، ويُعبَّر بذلك عن العلم، إذ هو مبدأ كثيرٍ من العلم فينا... وأَذِنْته بكذا وآذَنْته بمعنًى.

والمُؤَذِّنُ: كلُّ من يُعلم بشيءٍ نداءً... والإِذْنُ في الشَّيء: إعلامٌ بإجازته والرُّخصة فيه(٢).

* وقوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ (٢٧٨) فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} [البقرة: ٢٧٨، ٢٧٩]

أخرج ابن جريرٍ وابن المُنذر وابن أبي حاتمٍ عن ابن عَبَّاسٍ في قوله {فأذنوا بحربٍ} قال: استيقنوا بحربٍ(٣).

قال الواحديُّ: يُقال: أَذِنَ بالشَّيء: إذا علم به، يأذَنُ أَذَنًا وأَذَانَةً، قال أبو عبيدة: يُقال: آذَنْتُه بالشَّيء فأَذِنَ به، أي: عَلِمَ، مثل: أَنْذَرْتُه بالشيء فَنَذِرَ به، أي: عَلِمَ.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (أذن).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٠).

(٣) «الدُّرُّ المنثور» (٢/ ١٠٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمعنى: فإن لم تدعُوا الرِّبا الَّذي قد أمر الله بوضعه عن النَّاس فاعلموا بحربٍ من الله، أي: فأيقنوا أنَّكم في امتناعكم من وضع ذلك حربٌ لله ورسوله...

وقرأ حمزة وعاصمٌ في بعض الرِّوايات (فآذِنوا) ممدودًا، أي: أَعْلِموا، من قوله تعالى: {فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُلْ آذَنْتُكُمْ عَلَى سَوَاءٍ وَإِنْ أَدْرِي أَقَرِيبٌ أَمْ بَعِيدٌ مَا تُوعَدُونَ} [الأنبياء: ١٠٩] ومفعول الإيذان محذوفٌ في هذه الآية، تقديره: فأعْلِمُوا من لم ينته عن ذلك بحربٍ[١].

وقال الزَّمخشريُّ: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ} فاعلموا بها، من أَذِن بالشَّيء: إذا عَلِم به.

وقُرئ: {فآذِنوا}، فأعلِموا بها غيركم، وهو من الأَذَن وهو الاستماع؛ لأنَّه من طرق العلم.

وقرأ الحسن: فأيقنوا، وهو دليلٌ لقراءة العامَّة[٢].

(١) «التَّفسير البسيط» (٤/ ٤٧٣).

(٢) «الكشَّاف» (١/ ٣٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٤﴾ ﴿لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِّن رُّسُلِهِۦ﴾ [البقرة: ٢٨٥]

أي لا يفرقون بين الرسل في الإيمان ببعضهم دون بعض[1]، وليس المراد عدم التفريق بالتفضيل بينهم، إذ التفضيل بينهم ثابت بالكتاب والسنة: ﴿تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ﴾.

﴿٢٤﴾ {قُولُوا آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَمَا أُوتِيَ النَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} [البقرة: ١٣٦]

{آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مِنْ رَبِّهِ وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللَّهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥]

{قُلْ آمَنَّا بِاللَّهِ وَمَا أُنْزِلَ عَلَيْنَا وَمَا أُنْزِلَ عَلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَمَا أُوتِيَ مُوسَى وَعِيسَى وَالنَّبِيُّونَ مِنْ رَبِّهِمْ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ} [آل عمران: ٨٤]

قال ابن عرفة: منهم من قال: لَا نفرّق بينهم في التَّفضيل، كما ورد «لَا تفضّلوني على يونس ابن متَّى»[1]، «ولا تفضّلوني على موسى»[2] وهو مردودٌ، بقوله تعالى: {تِلْكَ الرُّسُلُ فَضَّلْنَا بَعْضَهُمْ عَلَى بَعْضٍ}[1].

(١) هذا الحديث بهذا اللَّفظ لم يروه أحدٌ من أهل الكُتُب الَّتي يُعتمد عليها، وإنَّما اللَّفظ الَّذي في الصَّحيح: «لا ينبغي لعبدٍ أن يقول: أنا خيرٌ من يونس ابن متَّى». وفي روايةٍ: «من قال: إنِّي خيرٌ من يونس بن متَّى فقد كذب». وهذا اللفظ يدلُّ على العموم، لا ينبغي لأحدٍ أن يُفضِّل نفسه على يونس بن متَّى، ليس فيه نهي المسلمين أن يُفضّلوا محمَّدًا على يونس. «شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي» (ص: ١٦٢).

(٢) خرَّجاه في الصَّحيحين... وقد أجاب بعضهم: أنَّ قولَه صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا تفضّلوني على موسى»، وقوله: «لا تفضّلوا بين الأنبياء» نهيٌ عن التَّفضيل الخاصِّ، أي: لا يُفضِّل بعض الرُّسل على بعضٍ بعينه، بخلاف قوله: «أنا سيِّد ولد آدم ولا فخر» فإنَّه تفضيلٌ عامٌّ فلا يُمنع منه.

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الألوسيُّ: {لا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْهُمْ} أي: بالتَّصديق والتَّكذيب، كما فعل اليهود والنَّصارى، والتَّفريق بغير ذلك كالتَّفضيل جائزٌ[٢].

وقال ابن عاشورٍ: هذا ردٌّ على اليهود والنَّصارى إذ آمنوا بأنبيائهم وكفروا بمن جاء بعدهم، فالمقصود عدم التَّفرقة بينهم في الإيمان ببعضهم، وهذا لا ينافي اعتقاد أنَّ بعضَهم أفضل من بعضٍ[٣].

وهذا كما لو قيل: فلانٌ أفضل أهل البلد، لا ينصبُّ على أفرادهم، بخلاف ما لو قيل لأحدهم: فلانٌ أفضل منك. ثمَّ إنِّي رأيت الطَّحاويَّ رحمه الله قد أجاب بهذا الجواب في "شرح معاني الآثار". «شرح الطحاوية لابن أبي العز الحنفي» (ص: ١٦٢).

(١) «تفسير ابن عرفة» (١/ ٣٧٩).

(٢) «روح المعاني» (٢/ ٢٠٧).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٧٣٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٥﴾ ﴿وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا﴾ [آل عمران: ٣٧]

الْمِحْرَاب: هنا ليس هو الْمِحْرَاب المعروف الذي يصلي فيه الإمام وإنما هو غرفة بنيت لها وقيل هو مكان مرتفع شريف موضوع لها للعبادة[٢]، قال في لسان العرب: المحراب عند العامة: الذي يقيمه الناس اليوم مقام الإمام في المسجد قال الزجاج: الْمِحْرَاب أرفع بيت في الدار وأرفع بيت في المسجد[٣].

﴿٢٥﴾ قال الخليل: المحراب عند العامَّة اليوم: مَقامُ الإمام في المسجد. وكانت مَحاريبُ بني إسرائيل مَساجدَهم الَّتي يجتمعون فيها للصَّلاة. والمحراب: الغرفة[١].

وقال ابن الأنباريّ: قال أبو عُبيدة: المحراب عند العرب: سيِّد المجالس، ومُقَدَّمها، وأشرفها. وإنَّما قيل: للقبلة محرابٌ لأنَّها أشرف موضعٍ في المسجد. ويُقال للقصر: محرابٌ لأنَّه أشرف المنازل...

وقال الأصمعيُّ: المحراب عند العرب: الغرفة، واحتجَّ بقول الشَّاعر:

رَبَّةُ محرابٍ إذا جئتُها .:. لم أَدْنُ حتَّى أرتقي سُلَّما

أراد الغرفة. واحتجَّ بقول الله عزَّ وجلَّ: {وهل أتاكَ نبأُ الخَصمِ إذ تسوَّروا المحرابَ}، قال: فالتَّسوُّر يدلُّ على ما ذكرنا.

وقال أحمد بن عبيدٍ: المحراب: مجلس الملك، وإنَّما سُمِّي محرابًا لانفراد الملك فيه، لا يقربه فيه أحدٌ، ولتباعُدِ النَّاس منه، وكذلك محراب المسجد، لانفراد الإمام فيه[٢].

* وقد وردت كلمة (المحراب) في القرآن خمس مرَّاتٍ: أربع مرَّاتٍ مفردةً (محراب)، ومرَّةً مجموعةً (محاريب)، وجميعها في بني إسرائيل: محراب مريم عليها السَّلام، ومحراب زكريَّا عليه السَّلام وورد ذكره مرَّتين، ومحراب داود عليه السَّلام، ومحاريب سليمان عليه السَّلام الَّتي صنعتها له الجنُّ.

١- قوله تعالى: {كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا} [آل عمران: ٣٧]

(١) «العين» (٣/ ٢١٤).

(٢) «الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس» (١/ ٤٣٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن إسحاق: لَمَّا كفَّلها زكريَّا ضمَّها إلى خالتها أمِّ يحيى واسترضع لها، حتَّى إذا نشأت وبلغت مبالغ النِّساء بنى لها محرابًا، أي: غرفةً في المسجد، وجعل بابه إلى وسطها، لا يُرقى إليها إلَّا بسُلَّمٍ مثل باب الكعبة، فلا يصعد إليها غيرُه، وكان يأتيها بطعامها وشرابها ودهنها كلَّ يومٍ[1].

وقال الواحديُّ: لَمَّا ضمَّ زكريَّا مريم إلى نفسه بنى لهَا محرابًا في المسجد لا يُرقى إليه إلَّا بسُلَّمٍ، ولا يصعد إليها غيرُه.

قال الأصمعيُّ: المحراب: الغرفة... قال ابن عبَّاسٍ: صارت عنده لها غرفةٌ تصعد إليها تُصلِّي فيها اللَّيل والنَّهار[2].

* وجعل بعض المفسِّرين محراب المسجد المعروف قولًا في تفسير الآية:

قال السَّمعانيُّ: المحراب: غرفةٌ يُرتقي إليها بالسُّلَّم، وكان زكريَّا قد اتَّخذ لمريم مثل تلك الغرفة، وكان يرقى إليها بالسُّلَّم...

وقيل: المحراب: أشرف المجالس.

وقيل: هو المحراب المعروف[3].

وقال الألوسيُّ: المحراب على ما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما: غرفةٌ بُنيت لها في بيت المقدس، وجُعل بابُها في وسط الحائط، وكانت لا يُصعد عليها إلَّا بسُلَّمٍ مثل باب الكعبة.

وقيل: المراد به المسجد؛ إذ قد كانت مساجدهم تُسمَّى المحاريب.

وقيل: أشرف مواضعه ومقدَّمها، وهو مقام الإمام من المسجد في رأيٍ[4].

---

(١) «الكشف والبيان» (٣/ ٥٧).

(٢) «التَّفسير الوسيط» (١/ ٤٣٢).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (١/ ٣١٤).

(٤) «روح المعاني» (٢/ ١٣٤).

* وجعل السَّمين الحلبيُّ محراب المسجد هو المراد بالمحراب في الآية، فقال:

والمحراب: قال أبو عُبيدة: هو أشرف المجالس ومقدَّمُها، وهو كذلك من المسجدِ.

وقال أبو عمرو بن العلاء: هو القصر لعلوِّه وشرفه.

وقال الأصمعيُّ: هو الغُرفةُ...

وقيل: هو المحرابُ من المسجد المعهود، وهو الأليق بالآية.

وأمَّا ما ذكرتُه عمَّن تقدَّم فإنَّما يعنون به المحراب من حيث هو، وأمَّا في هذه الآية فلا يظهر بينهم خلافٌ في أنَّه المحراب المتعارَف[1].

ويظهر -والله أعلم- أنَّ فيما ذكره ابن عبَّاسٍ وابن إسحاق وكثيرٌ من المفسِّرين من أنَّ هذا المحراب كان غرفةً يُصعد إليها بسُلَّمٍ ولها بابٌ في وسطها؛ ما يدلُّ على أنَّه غير محراب الإمام المتعارَف عليه.

٢- قوله تعالى: {فَنَادَتْهُ الْمَلَائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ أَنَّ اللَّهَ يُبَشِّرُكَ بِيَحْيَى} [آل عمران: ٣٩]

قال الطَّبريُّ: أمَّا المحراب فقد بيَّنَّا معناه، وأنَّه مُقدَّم المسجد[2].

وقال الثَّعلبيُّ: يعني في المسجد، نظيره قوله: {فَخَرَجَ عَلى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرابِ}: أي: المسجد، وقوله: {إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ}: أي: المسجد[3].

وقال البغويُّ: أي: في المسجد، وذلك أنَّ زكريَّا كان الحَبْر الكبير الَّذي يُقرِّب القربان فيفتح باب المذبح، فلا يدخلون حتَّى يأذن لهم بالدُّخول، فبينما هو قائمٌ يُصلِّي في المحراب، يعني: في المسجد عند المذبح يُصلِّي[4].

---

(١) «الدُّرُّ المصون» (٣/ ١٤٤). ونقله ابن عادل في «اللُّباب» (٥/ ١٨٢).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٦/ ٣٦٦).

(٣) «الكشف والبيان» (٣/ ٦٠).

(٤) «تفسير البغويّ» (١/ ٤٣٥).

وقال ابن عطيَّة: والمحراب في هذا الموضع موقف الإمام من المسجد[١].

وقال ابن الجوزيِّ: وفي المحراب قولان: أحدهما: أنَّه المسجد. والثَّاني: أنَّه قبلة المسجد[٢].

* وذهب أبو حيَّان إلى أنَّ هذا المحرب هو نفسه محراب مريم السَّابق، فقال بعد نقل كلام البغويِّ السَّابق: وقيل: **المحراب موقف الإمام من المسجد، وهو قول جمهور المفسِّرين.** وقيل: القبلة.

والظَّاهر أنَّ المحراب هو المحراب الَّذي قبله في قوله: {كلَّما دخل عليها زكريَّا المحراب}[٣].

٣- قوله تعالى: {فَخَرَجَ عَلَى قَوْمِهِ مِنَ الْمِحْرَابِ فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ أَنْ سَبِّحُوا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ١١]

قال ابن زيدٍ: المحراب: مُصلَّاه، وقرأ: {فَنَادَتْهُ الْمَلائِكَةُ وَهُوَ قَائِمٌ يُصَلِّي فِي الْمِحْرَابِ}[٤]

وقال ابن كثيرٍ: {فخرج على قومه من المحراب} أي: الَّذي بُشِّر فيه بالولد[٥].

وفي الجلالين أي: المسجد، وكانوا ينتظرون فتحه ليصلُّوا فيه بأمره على العادة[٦].

وقال البيضاويُّ: من المُصلَّى أو من الغرفة[٧].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٢٨).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٢٧٨).

(٣) «البحر المحيط» (٣/ ١٢٨).

(٤) «تفسير الطَّبريِّ» (١٨/ ١٥٣).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٢١٦).

(٦) «تفسير الجلالين» (ص: ٣٩٧).

(٧) «أنوار التَّنزيل» (٤/ ٧)، «تفسير أبي السُّعود» (٥/ ٢٥٨).

وقال الرَّازيُّ: قيل: كان له موضعٌ ينفرد فيه بالصَّلاة والعبادة ثمَّ ينتقل إلى قومه فعند ذلك أوحى إليهم.

وقيل: كان موضعًا يُصلِّي فيه هو وغيره إلَّا أنَّهم كانوا لا يدخلونه للصَّلاة إلَّا بإذنه، وأنَّهم اجتمعوا ينتظرون خروجه للإذن فخرج إليهم وهو لا يتكلَّم فأوحى إليهم[1].

* فالمحراب في هذه الآية هو نفسه المحراب السَّابق في آية آل عمران، فمُجمل ما ذُكر فيه من أقوالٍ:

- أنَّه المسجد أو المُصلَّى.
- أنَّه موقف الإمام في المسجد.
- أنَّه غرفة المَذْبَح، وهي في المسجد، على ما ذكره البغويُّ.
- أنَّه غرفةٌ أو موضعٌ خاصٌّ به يتعبَّد فيه وحدَه، على ما نقله الرَّازيُّ.
- أنَّه نفس محراب أو غرفة مريم، على قول أبي حيَّان.

٤- قوله تعالى: {وَهَلْ أَتَاكَ نَبَأُ الْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرَابَ} [ص: ٢١]

قال الطَّبريُّ: قوله {إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ} يقول: دخلوا عليه من غير باب المحراب؛ **والمحراب: مُقدَّم كلِّ مجلسٍ وبيتٍ وأشرفه**[2].

قال الثَّعلبيُّ: وقوله: {إِذْ تَسَوَّرُوا الْمِحْرابَ} **أي: المسجد**[3].

وفي الجلالين: محراب داود، أي: مسجده[4].

وقال الواحديُّ: المحراب ههنا كالغرفة[5].

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١/ ٥١٥).

(٢) «تفسير الطَّبريِّ» (٢١/ ١٧٤).

(٣) «الكشف والبيان» (٣/ ٦٠).

(٤) «تفسير الجلالين» (ص: ٦٠٠).

(٥) «التَّفسير الوسيط» (٣/ ٥٤٦).

وقال القرطبيُّ: **والمحراب هنا الغرفة**؛ لأنَّهم تسوَّروا عليه فيها[١].

وقال ابن عطيَّة: المحراب: الموضع الأرفع من القصر أو المسجد، وهو **موضع التَّعبُّد**[٢].

وقال الرَّازيُّ: وأمَّا المحراب فالمراد منه البيت الَّذي كان داود يدخل فيه ويشتغل بطاعة ربِّه، وسُمِّي ذلك البيت بالمحراب لاشتماله على المحراب، كما يُسمَّى الشَّيء بأشرف أجزائه[٣].

٥- {يَعْمَلُونَ لَهُ مَا يَشَاءُ مِنْ مَحَارِيبَ وَتَمَاثِيلَ وَجِفَانٍ كَالْجَوَابِ وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ} [سبأ: ١٣]

قال مُجاهدٌ: المحاريب: بنيانٌ دون القصور.

وقال الضَّحَّاك: هي المساجد.

وقال قتادة: هي المساجد والقصور.

وقال ابن زيدٍ: هي المساكن[٤].

وقال الماورديُّ: {محاريب} فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنَّها قصورٌ، قاله عطيَّة.

الثَّاني: المساجد، قاله قتادة والحسن.

الثَّالث: المساكن، قاله ابن زيدٍ[٥].

وقال الثَّعلبيُّ: محاريب: مساجد، ومساكن، وقصور... وكان ممَّا عملوا له من ذلك بيت المقدس[٦].

---

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١٥/ ١٦٥).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٩٨).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٦/ ٣٨٢).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٠٠). وينظر «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ٣٦٥)، «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٣٣٢).

(٥) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٤٣٨).

(٦) «الكشف والبيان» (٨/ ٧٤).

وقال السَّمعانيُّ: {محاريب} أي: المساجد، ويُقال: الأبنية المرتفعة. وفي القصَّة: أنَّه أمرهم ببناء الحصون بالصَّخْر، فبنَوْا باليمن حصونًا كثيرةً عجيبةً، وهي: صرواح، ومرواح، وفلتون، وهندة، وهنيدة، وغمدان، وغير ذلك[1].

(١) «تفسير السَّمعانيِّ» (٤/ ٣٢١).

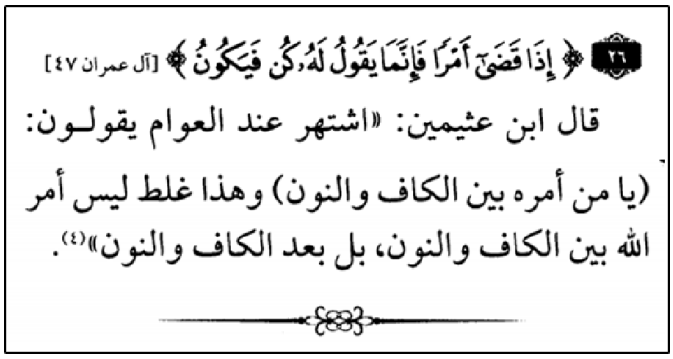

(٢٦) قال الشَّيخ ابن عثيمين رحمه الله: أودُّ أن أُنبِّه على كلمةٍ دارجةٍ عند العوامِّ، حيث يقولون: (يا من أمره بين الكاف والنُّون) وهذا غلطٌ عظيمٌ، والصَّواب: (يا من أمره بعد الكاف والنُّون) لأنَّ ما بين الكاف والنُّون ليس أمرًا، فالأمر لا يتمُّ إلَّا إذا جاءت الكاف والنُّون؛ لأنَّ الكاف المضمومةً ليست أمرًا والنُّون كذلك، لكن باجتماعهما تكون أمرًا.

فالصَّواب أن تقول: (يا من أمره -أي: مأموره- بعد الكاف والنُّون) كما قال تعالى: {إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ* فَسُبْحَانَ الَّذِي بِيَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ} [يس: ٨٢، ٨٣](١).

وقال أيضًا: اشتهر بين العوامِّ أنَّهم يقولون: (يا من أمره بين الكاف والنُّون) وهذا خطأٌ، ليس أمر الله بين الكاف والنُّون، بل بعد الكاف والنُّون؛ لأنَّ الله قال: {كُنْ فَيَكُونُ} [البقرة:١١٧] متى؟ بعد (كُن)، فقولهم: بين الكاف والنُّون خطأٌ، يعني: ما تمَّ الأمر بين الكاف والنُّون، لا يتمُّ الأمر إلَّا بالكاف والنُّون، لكنَّه بعد الكاف والنُّون فورًا كلمحٍ بالبصر(٢).

* وهذه المقولة وإن كانت مشتهرةً بين العوامِّ إلَّا أنَّها قديمةٌ وتكرَّر ذكرها على ألسنة الشُّعراء، ولعلَّ أقدم من ذكرها من الشُّعراء أبو محمَّدٍ التَّيميُّ عبد الله بن أيُّوبٍ (ت ٢٠٩ هـ) في قوله(٣):

لا تَضرعنَّ لمخلوقٍ على طمعٍ .:. فإنَّ ذلك وَهْنٌ منكَ بالدِّينِ
واسترزق اللهَ رزقًا من خزائنه .:. فإنَّما هو بين الكاف والنُّون

(١) «شرح الأربعين النَّوويَّة» (ص: ٦٣).
(٢) «لقاء الباب المفتوح» (١٨٦/ ١٠).
(٣) منسوبةٌ إليه في «الأغاني» (٢٠/ ٢٥٣).

وقال أبو الحسن الجرجانيُّ[1]:

اجهدْ بجهدكَ فيما قد قصدتَ له ... ففرجةُ الله بين الكاف والنُّونِ

وقال آخر[2]:

لأصبرنَّ على ما كان من كَدَرٍ .:. لمن عطاياه بين الكاف والنُّون

وقال آخر[3]:

يا خالق الخلقِ يا ربَّ العبادِ ومَنْ .:. قد قال في محكم التَّنزيل (أُدعوني)

إنّي دعوتُكَ مضطرًّا فخُذ بيدي .:. يا جاعل الأمرِ بين الكاف والنُّون

* ولم أقف على من نبَّه على خطأ تلك المقولة قبل الشَّيخ العثيمين رحمه الله تعالى.

والَّذي يظهر من كلام الشَّيخ أنَّ وجه خطأ العبارة هو أنَّ قولهم (بين الكاف والنُّون) يعني أنَّ إيجادَ الشَّيء المراد كائنٌ مع الأمر لا عقبه.

وقد قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة رحمه الله: التَّأثير التَّامُّ يستلزم وجود الأثر عقبه لا معه في الزَّمان ولا مُتراخيًا عنه.

فمن قال بالتَّراخي من أهل الكلام فقد غلط، ومن قال بالاقتران كالمتفلسفة فهم أعظم غلطًا، ويلزم قولهم من المحالات ما قد بيَّنَّاه في مواضع.

وأمَّا هذا القول فعليه يدلُّ السَّمع والعقل: قال الله تعالى: {إنَّما أمره إذا أراد شيئًا أن يقول له كن فيكون}. والعقلاء يقولون: قطعته فانقطع، وكسرته فانكسر، وطلَّق المرأة فطلقت، وأعتق العبد فعتق. فالعتق والطَّلاق يقعان عقب الإعتاق والتَّطليق لا يتراخى الأثر ولا يقارن. وكذلك الانكسار والانقطاع مع القطع والكسر.

---

(١) «الدُّرُّ الفريد وبيت القصيد» (٢/ ١٦٤).

(٢) «نفح الطِّيب» (١/ ٥٤٤).

(٣) «المستطرَف» (ص: ٤٨٦).

وهذا ممَّا يُبيّن أنَّه إذا وُجد الخلق لزم وجود المخلوق عقبه كما يقال: كوَّن الله الشَّيء فتكوَّن. فتكوُّنه عقب تكوين الله لا مع التَّكوين ولا متراخيًا[١].

وقال ابن كثيرٍ رحمه الله: {إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} أي: فلا يتأخَّر شيئًا، بل يوجد عَقِيب الأمر بلا مُهلةٍ، كقوله تعالى: {وَمَا أَمْرُنَا إِلا وَاحِدَةٌ كَلَمْحٍ بِالْبَصَرِ} [الْقَمَرِ: ٥٠][٢].

وقال ابن عاشورٍ رحمه الله: {إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} أي: يقول لما أراد تكوينه (كن) فيوجد المقول له كن عقب أمر التَّكوين[٣].

* وأحسب أنَّ المراد بقول العامَّة ومن سبق من الشُّعراء: (أمره بين الكاف والنُّون) الكناية عن سرعة استعقاب الكون للأمر دون تراخٍ، حتَّى صار كأنَّه تمَّ قبل تمام لفظ الأمر.

وقد يحتمل أيضًا أن يكون المراد: أنَّ أمر الله نفسَه في سرعته ونفاذه بمقدار سرعة قول: كن، فليس بين الكاف والنُّون فسحةٌ للانتظار.

يقول السُّهيليُّ رحمه الله: قوله: {إِنَّ مَثَلَ عِيسَى عِنْدَ اللَّهِ كَمَثَلِ آدَمَ خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ ثُمَّ قَالَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ} [آل عمران: ٥٩] وفيها نكتةٌ فإنَّ ظاهر الكلام أن يقول: (خلقه من ترابٍ ثمَّ قال له كن فكان)، فيعطف بلفظ الماضي على الماضي.

والجواب: أنَّ الفاء تُعطي التَّعقيب والتَّسبيب فلو قال: (فكان) لم تدلَّ الفاء إلَّا على التَّسبيب، وأنَّ القول سببٌ للكون، **فلمَّا جاء بلفظ الحال دلَّ مع التَّسبيب على استعقاب الكون للأمر من غير مَهَلٍ، وأنَّ الأمر بين الكاف والنُّون**، قال له (كن) فإذا هو كائنٌ، واقتضى لفظ فعل الحال كونه في الحال[٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (١٦/ ٣٨١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٧/ ٣٠٧).

(٤) «الرَّوْض الأُنُف» (٥/ ٦).

فمع تقريره رحمه الله للتَّسبيب والتَّعقيب في (الفاء) عَبَّر بكون الأمر بين الكاف والنُّون. فتأمَّل!

فائدة:

قال السُّهيليُّ: قول الباري سبحانه (كن) يتوجَّه إلى المخلوق مطلقًا ومقيَّدًا:

فإذا كان مطلقًا كان كما أراد لحينه.

وإذا كان مقيَّدًا بصفةٍ أو بزمانٍ كان كما أراد على حسب ذلك الزَّمان الَّذي تقيد الأمر به، فإن قال له: كن في ألف سنةٍ، كان في ألف سنةٍ، وإن قال له: كن فيما دون اللَّحظة، كان كذلك(١).

تنبيه:

ذهب الطَّبريُّ رحمه الله وبعض المفسِّرين إلى أنَّ الشَّيء المراد يكون كائنًا مع الأمر لا قبله ولا بعده:

يقول القرطبيُّ: قوله تعالى: {فيكون} قُرئ برفع النُّون على الاستئناف. قال سيبويه: فهو يكونُ، أو فإنّه يكونُ. وقال غيره: هو معطوف على {يقول}.

فعلى الأوَّل كائنًا بعد الأمر، وإن كان معدومًا فإنَّه بمنزلة الموجود إذا هو عنده معلوم، على ما يأتي بيانه.

وعلى الثَّاني كائنًا مع الأمر، واختاره الطَّبريُّ وقال: أمره للشَّيء بـ(كن) لا يتقدَّم الوجود ولا يتأخَّر عنه، فلا يكون الشَّيء مأمورًا بالوجود إلَّا وهو موجود بالأمر، ولا موجودًا إلَّا وهو

(١) «الرَّوْض الأُنُف» (٥/ ٦).

مأمورٌ بالوجود، على ما يأتي بيانه. قال: ونظيره قيام النَّاس من قبورهم لا يتقدَّم دعاء الله ولا يتأخَّر عنه[1].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٢/ ٩٠). وينظر «تفسير الطَّبريّ» (٢/ ٥٤٦)، «الهداية الى بلوغ النِّهاية» (٦/ ٤٣٦٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٧﴾ ﴿ إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ ﴾ [آل عمران:٥٥]

ليس المعنى هنا أن الله أمات عيسى، بل هو حي عند الله، والوفاة هنا كما قال أكثر المفسرين[٥]: النوم، فالنوم وفاة كما قال تعالى: ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى يَتَوَفَّىٰكُم بِٱلَّيْلِ ﴾، فرفَعَه الله إلى السماء حال نومه، وقيل متوفيك أي: أني قابضك ورافعك في الدنيا إليّ من غير موت[٦].

﴿٢٧﴾ قال الماورديُّ: قوله تعالى: {إِذْ قَالَ اللَّهُ: يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ} فيه أربعة أقاويل:

أحدها: معناه إنِّي قابضك برفعك إلى السَّماء من غير وفاةٍ بموتٍ. وهذا قول الحسن، وابن جريجٍ، وابن زيدٍ.

والثَّاني: متوفِّيك وفاةَ نومٍ للرَّفع إلى السَّماء. وهذا قول الرَّبيع.

والثَّالث: متوفِّيك وفاةً بموتٍ. وهذا قول ابن عبَّاسٍ.

والرَّابع: أنَّه من المُقدَّم والمؤخَّر، بمعنى: رافعك ومتوفِّيك بعده، وهذا قول الفرَّاء[١].

* ورجَّح الطَّبريُّ رحمه الله القول الأوَّل فقال: وأولى هذه الأقوال بالصِّحَّة عندنا، قولُ من قال: "معنى ذلك: إنِّي قابضك من الأرض ورافعك إليَّ"، لتواتر الأخبار عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: ينزل عيسى ابن مريم فيقتل الدَّجال، ثمَّ يمكث في الأرض مدَّةً ذكَرها، اختلفت الرِّواية في مبلغها، ثمَّ يموت فيُصلِّي عليه المسلمون ويدفنونه[٢].

وكذا رجَّحه القرطبيُّ فقال: والصَّحيح أنَّ الله تعالى رفعه إلى السَّماء من غير وفاةٍ ولا نومٍ، كما قال الحسن وابن زيدٍ، وهو اختيار الطَّبريّ، وهو الصَّحيح عن ابن عبَّاسٍ، وقاله الضَّحَّاك[٣].

فعلى هذا القول معنى قوله: {مُتَوَفِّيكَ}: قابضك وافيًا، لم ينالوا منك شيئًا[٤].

---

(١) «النُّكَت والعيون» (١/ ٣٩٧).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٦/ ٤٥٥).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٠٠).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٣٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* ورجَّح ابن كثيرٍ القول الثَّاني ونسبه للأكثرين فقال: وقال الأكثرون: المراد بالوفاة هاهنا: النَّوم، كما قال تعالى: {وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُمْ بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُمْ بِالنَّهَارِ} [الْأَنْعَامِ: ٦٠]، وقال تعالى: {اللَّهُ يَتَوَفَّى الأنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَى عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الأخْرَى إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ} [الزُّمَرِ: ٤٢]، وكان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول إذا قام من النَّوم: «الحمد لله الَّذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النُّشور»[(١)].

* وعلى هذين القولين فعيسى عليه السَّلام حيٌّ في السَّماء وليس بميِّت، وهو معتقد أهل السُّنَّة والجماعة.

قال ابن عطيَّة: **أجمعت الأُمَّة على ما تضمَّنه الحديث المتواتر من أنَّ عيسى عليه السَّلام في السَّماء حيٌّ**، وأنَّه ينزل في آخر الزَّمان، فيقتل الخنزير، ويكسر الصَّليب، ويقتل الدَّجَّال، ويُفيض العدل، ويُظهر هذه الملَّة ملَّةَ محمَّدٍ، ويحجَّ البيت ويعتمر، ويبقى في الأرض أربعًا وعشرين سنةً، وقيل: أربعين سنةً، ثمَّ يُميتُه الله تعالى[(٢)].

*أمَّا القول الرَّابع فإنَّه وإن كان لا يُعارض هذا الإجماع على حياة عيسى عليه السَّلام في السَّماء إلَّا أنَّه يُضعِّفُه أنَّ التَّقديم والتَّأخير خلاف الأصل.

*وأمَّا القول الثَّالث المنسوب لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما من أنَّ الوفاة هنا هي الموت؛ فلا يصحُّ سندُه لانقطاعه[(٣)]، وهو مخالفٌ لما رُوي عنه ممَّا يوافق القول الأوَّل، وحمله البعض على التَّقديم والتَّأخير[(١)].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٧).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٤٤).

(٣) «منهج الشَّيخ عبد الرَّزَّاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة» (ص: ٣٩٧).

وكذلك لا يصحُّ أيضًا ما يُروى عن وَهْب ابن مُنَبِّهٍ من أنَّ الله توفَّى عيسى عليه السَّلام ثلاث ساعاتٍ ثمَّ رفعه[٢].

وللشَّيخ الشِّنقيطيِّ رحمه الله في «أضواء البيان» تأصيلٌ طويلٌ في أنَّ الوفاة المرادة هنا ليست الموت، تحسن مطالعته[٣].

* وقد خالف ابن عاشورٍ رحمه الله قول جمهور المفسِّرين والعلماء وذهب إلى أنَّ عيسى عليه السَّلام تُوفِّيَ حقيقةً قبل رفعه[٤]!

---

(١) يُنظر «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٠٠)، «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٤٤)، «الدُّرُّ المنثور» (٢/ ٢٢٦).

(٢) «منهج الشَّيخ عبد الرَّزَّاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة» (ص: ٣٩٧).

(٣) «أضواء البيان» (٧/ ١٣١).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٣/ ٢٥٩).

﴿ كُنتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ ﴾ [آل عمران:١١٠]

ليس المعنى أنكم كنتم خير أمة والآن لستم كذلك، ولكن المعنى أنكم وُجِدتم خير أمة، وقيل: كنتم في علم الله خير أمة[٧] . وقيل: كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنكم خير أمة، فالخيرية مازالت ملازمة لكم.

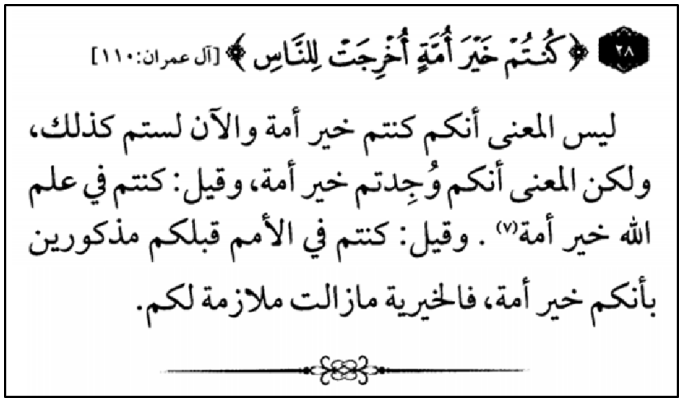

٢٨

* ذهب بعض المفسِّرين من السَّلف إلى أنَّ الآية خاصَّةٌ، فتكون الخيريَّة المذكورة مقصورةً:

قال عكرمة ومقاتلٌ: نزلت في ابن مسعودٍ، وأُبيِّ بن كعبٍ، ومعاذ بن جبلٍ، وسالمٍ مولى أبي حذيفة رضي الله عنهم.

وذلك أنَّ مالك بن الصَّيف ووهب بن يهودا اليهوديَّين قالا لهم: نحن أفضل منكم وديننا خيرٌ ممَّا تدعوننا إليه، فأنزل الله تعالى هذه الآية.

وروى سعيد بن جُبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} الَّذين هاجروا مع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم إلى المدينة.

وقال جُويبرٌ عن الضَّحَّاك: هم أصحاب محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم خاصَّةً الرُّواة والدُّعاة الَّذين أمر الله المسلمين بطاعتهم.

ورُوي عن عمر بن الخطَّاب قال: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ} تكون لأوَّلنا ولا تكون لآخرنا[١].

* وذهب أكثر المفسِّرين إلى أنَّها عامَّةٌ:

قال ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ: يريد: أُمَّةَ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم[٢].

وقال قتادة: هم أمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم لم يُؤمر نبيٌّ قبله بالقتال، فهم يقاتلون الكفَّار فيدخلونهم في دينهم، فهم خير أُمَّةٍ للنَّاس[٣].

---

(١) «تفسير البغويِّ» (٢/ ٨٩). وينظر «تفسير الطَّبريِّ» (٧/ ١٠١).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٤٩٧).

(٣) «تفسير البغويِّ» (٢/ ٩٠).

وقال الزَّجَّاج: هذا الخطاب أصلُه أنَّه خُوطب به أصحابُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وهو يعمُّ سائر أُمَّته[1].

وقال ابن كثيرٍ: والصَّحيح أنَّ هذه الآية عامَّةٌ في جميع الأُمَّة، كلُّ قرنٍ بحسَبه، وخير قرونهم الَّذين بُعث فيهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، ثمَّ الَّذين يلونهم، ثمَّ الَّذين يلونهم، كما قال في الآية الأخرى: {وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا} أي: خيارًا {لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا} الآية.

وإنَّما حازت هذه الأُمَّة قَصَب السَّبق إلى الخيرات بنبيِّها محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فإنَّه أشرف خلق الله، وأكرم الرُّسل على الله، وبعثه الله بشرعٍ كاملٍ عظيمٍ لم يعطه نبيًّا قبله، ولا رسولًا من الرُّسل، فالعمل على منهاجه وسبيله يقوم القليل منه ما لا يقوم العمل الكثير من أعمال غيرهم مقامه[2].

وقال أيضًا: فمن اتَّصف من هذه الأُمَّة بهذه الصِّفات [{تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ}] دخل معهم في هذا الثَّناء عليهم والمدح لهم، كما قال قتادة: بلغنا أنَّ عمر بن الخطَّاب رضي الله عنه في حجَّةٍ حجَّها رأى من النَّاس سرعةً فقرأ هذه الآية: {كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ}، ثمَّ قال: من سرَّه أن يكون من تلك الأُمَّة فليؤدِّ شرط الله فيها. رواه ابن جريرٍ. ومن لم يتَّصف بذلك أشبه أهل الكتاب الَّذين ذمَّهم الله بقوله: {كَانُوا لَا يَتَنَاهَوْنَ عَنْ مُنْكَرٍ فَعَلُوهُ لَبِئْسَ مَا كَانُوا يَفْعَلُونَ} [المائدة:٧٩][3].

* أمَّا بالنِّسبة لدلالة (كان) من إيهام أنَّهم كانوا موصوفين بالخيريَّة في الزَّمان الماضي دون ما يُستقبَل، فللمفسِّرين في ذلك توجيهاتٌ كثيرةٌ، أهمُّها:

- أنَّ (كان) ناقصةٌ (وهو قول الجمهور):

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٤٩٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٤).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٩٤).

- و(كان) النَّاقصة لا تدلُّ على عدمٍ سابقٍ ولا انقطاعٍ طارئٍ، كما في صفاته تعالى نحو: {كانَ اللهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا} [الأحزاب: ٤٠][(١)].
- أنَّ المعنى: كنتم في عِلْم الله، أو في اللَّوح المحفوظ، أو يوم أخذ الميثاق على الذُّرِّيَّة خير أُمَّةٍ[(٢)].
- أنَّ المعنى: كنتم في الأمم قبلكم مذكورين بأنَّكم خير أُمَّةٍ، كقوله تعالى: {ذلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْراةِ وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ} [الفتح: ٢٩] [(٣)].
- أنَّ المعنى: كنتم منذ آمنتم خير أُمَّةٍ[(٤)].
- **أنَّ (كان) تامَّةٌ**، والمعنى: وُجِدتم وخُلِقتم خير أُمَّةٍ. وانتصاب (خيرَ أُمَّةٍ) على الحال[(٥)].
- **أنَّ (كان) زائدةٌ**، والتَّقدير: أنتم خير أُمَّةٍ[(٦)].

(١) «روح المعاني» (٢/ ٢٤٣).

(٢) «الكشَّاف» (١/ ٤٠٠)، «أنموذج جليل» (ص: ٥٠).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٤٠٠).

(٤) «معاني القرآن للزَّجَّاج» (١/ ٤٥٦).

(٥) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٧٠).

(٦) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٧٠).

﴿٢٩﴾ ﴿مَثَلُ مَا يُنفِقُونَ فِي هَٰذِهِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ أَصَابَتْ حَرْثَ قَوْمٍ ظَلَمُوا أَنفُسَهُمْ﴾

[آل عمران: ١١٧]

شبه الله ما ينفقونه مما لا يُبتغى به وجهه كمثل الحرث[1] وليس كمثل الريح كما فهم بعضهم من ظاهر الآية.

﴿٢٩﴾ قال الواحديُّ: لا بُدَّ من تقدير محذوفٍ من الكلام، حتَّى يتقابل المثلان في التَّشبيه، وهو: مثَل إهلاك ما ينفقون كَمَثَل إهلاك ريحٍ. فحُذف الإهلاك؛ لدلالة آخر الكلام عليه[1].

وقال الزَّمخشريُّ: إن قلت: الغرض تشبيه ما أنفقوا في قلَّة جدواه وضياعه بالحَرْث الَّذي ضربته الصِّرُّ، والكلام غير مطابقٍ للغرض حيث جعل ما ينفقون ممثَّلًا بالرِّيح!

قلتُ: هو من التَّشبيه المُركَّب[2]... ويجوز أن يُراد: مثل إهلاك ما ينفقون مثل إهلاك ريحٍ، أو مثل ما ينفقون كمثل مُهلَك ريحٍ، وهو الحَرْث[3].

وقال الرَّازيُّ: حاصل الكلام أنَّ كفرهم يبطل ثوابَ نفقتهم، كما أنَّ الرِّيح الباردة تُهلك الزَّرع.

فإن قيل: فعلى هذا التَّقدير مثل إنفاقهم هو الحرث الَّذي هلك، فكيف شبَّه الإنفاق بالرِّيح الباردة المهلكة؟

قلنا: المثل قسمان:

منه ما حصلت فيه المشابهة بين ما هو المقصود من الجملتين وإن لم تحصل المشابهة بين أجزاء الجملتين، وهذا هو المُسمَّى بالتَّشبيه المركَّب.

ومنه ما حصلت المشابهة فيه بين المقصود من الجملتين، وبين أجزاء كلِّ واحدةٍ منهما.

فإذا جعلنا هذا المثل من القسم الأوَّل زال السُّؤال.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٥٢٤).

(٢) بمعنى أنَّه يقابِلُ الهيئة الاجتماعيَّة بالهيئة الاجتماعيَّة، ولا يقابلُ الأفراد بالأفراد. «الدُّرُّ المصون» (٣/ ٣٥٨).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٤٠٥).

وإن جعلناه من القسم الثَّاني ففيه وجوهٌ:

الأوَّل: أن يكون التَّقدير: مثل الكفر في إهلاك ما ينفقون، كمثل الرِّيح المهلكة للحَرْث.

الثَّاني: مثل ما ينفقون، كمثل مُهلَك ريحٍ، وهو الحَرْث.

الثَّالث: لعلَّ الإشارة في قوله {مثل ما ينفقون} إلى ما أنفقوا في إيذاء رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في جمع العساكر عليه، وكان هذا الإنفاق مُهلِكًا لجميع ما أتَوْا به من أعمال الخير والبرِّ، وحينئذٍ يستقيم التَّشبيه من غير حاجةٍ إلى إضمارٍ وتقديمٍ وتأخيرٍ، والتَّقدير: مثل ما ينفقون في كونه مبطلًا لما أتَوْا به قبل ذلك من أعمال البرِّ، كمثل ريحٍ فيها صِرٌّ في كونها مبطلةً للحَرْث، وهذا الوجه خطر ببالي عند كتابتي على هذا الموضع، فإنَّ إنفاقهم في إيذاء الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم من أعظم أنواع الكفر، ومن أشدِّها تأثيرًا في إبطال آثار أعمال البرِّ[1].

وقال ابن المُنيِّر: أصل الكلام -والله أعلم-: مثل ما ينفقون في هذه الحياة الدُّنيا كمثل حَرْث قومٍ ظلموا أنفسهم فأصابته ريحٌ فيها صِرٌّ فأهلكته. ولكن خُولِف هذا النَّظم في المثل المذكور لفائدةٍ جليلةٍ، وهو تقديم ما هو أهمُّ؛ لأنَّ الرِّيح الَّتي هي مثل العذاب ذِكْرها في سياق الوعيد والتَّهديد أهمُّ من ذكر الحَرْث، فقُدِّمت عنايةً بذكرها واعتمادًا على أنَّ الأفهام الصَّحيحة تستخرج المطابقة بردِّ الكلام إلى أصله على أيسر وجهٍ[2].

* فما عدَّه المؤلِّف خطأً هو على الوجه الثَّالث -الَّذي تفرَّد به الرَّازيُّ- من القسم الثَّاني وجهٌ محتملٌ، ولا يحتاج إلى تقدير أيِّ محذوفٍ، وهو أيضًا وجهٌ محتملٌ لكن مع تقدير محذوفٍ، والتَّقدير كما سبق: (مثل ما ينفقون كمثل مُهْلَك ريحٍ) ومُهلَك الرِّيح هو الحَرْث المُصرَّح به بعد ذلك.

(١) «مفاتيح الغيب» (٨/ ٣٣٦).

(٢) «الانتصاف» (١/ ٤٠٥).

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ ﴾
[آل عمران: ١١٨]

يظن بعض الناس أن البطانة مقتصرة على الولاة، والصواب أن البطانة تعني الأصدقاء والأولياء والأصفياء المطلعون على الأسرار[٢] للولاة ولعامة الناس.

(٣٠) (البِطَانَة): قال أبو حاتمٍ عن الأصمعيّ: بَطَن فلانٌ بفلانٍ، يَبْطُنُ به بُطُونًا، وبِطَانَةً: إذا كان خاصًّا به، داخلًا في أمره. فـ(البِطانة) مصدرٌ يُسَمَّى به الواحد والجمع، قال الشَّاعر:

أولئك خُلْصاني نَعَمْ وبِطانَتِي .:.
وهُمْ عَيْبَتِي مِن دونِ كلِّ قَرِيبِ

وبِطَانة الرَّجل: خاصَّتُه الَّذين يَسْتَبْطنون أمْرَهُ.

وأصله من: (البَطْنِ) خلاف الظَّهر، ومنه: (بِطانَة الثَّوب)، خلاف (ظِهارته)[١].

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: كان رجالٌ من المسلمين يواصلون اليهود لما بينهم من القرابة والصَّداقة والحِلْف والجِوَار والرَّضاع، فأنزل الله تعالى هذه الآية ينهاهم عن مباطنتهم خوف الفتنة عليهم.

وقال مجاهدٌ: نزلت في قومٍ من المؤمنين كانوا يصافون المنافقين، فنهاهم الله تعالى عن ذلك[٢].

قال الطَّبريُّ: يعني بذلك تعالى ذكره: يا أيُّها الَّذين صدَّقوا الله ورسوله، وأقرُّوا بما جاءهم به نبيُّهم من عند ربِّهم {لا تتَّخذوا بطانةً من دونكم}، يقول: لا تتَّخذوا أولياء وأصدقاء لأنفسكم {من دونكم} يقول: من دون أهل دينكم وملَّتكم، يعني من غير المؤمنين.

(١) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٥٣١).

(٢) «تفسير البغويّ» (٢/ ٩٥).

وإنَّما جعل"البطانة" مثلًا لخليل الرَّجل، فشبَّهه بما ولي بطنه من ثيابه، لحلوله منه -في اطِّلاعه على أسراره وما يطويه عن أباعده وكثيرٍ من أقاربه- محلَّ ما وَلِيَ جسده من ثيابه. فنهى الله المؤمنين به أن يتَّخذوا من الكفَّار به أخلَّاء وأصفياء[1].

وقال القرطبيُّ: نهى الله عزَّ وجل المؤمنين بهذه الآية أن يتَّخذوا من الكَّفار واليهود وأهل الأهواء دخلاء وولجاء يفاوضونهم في الآراء، ويسندون إليهم أمورهم. ويُقال: كلُّ من كان على خلاف مذهبك ودينك فلا ينبغي لك أن تحادثه[2].

* ومعنى {لا يألونكم خبالًا} لا يُقصِّرون فيما فيه الفساد عليكم[3].

* والنِّداء في الآية لعموم المؤمنين، ودخول أولياء الأمور فيه آكد بلا شكٍّ.

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٧/ ١٣٨).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٧٨).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٨٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٣١﴾ ﴿بَلَىٰٓ إِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ وَيَأۡتُوكُم مِّن فَوۡرِهِمۡ هَٰذَا﴾ [آل عمران ١٢٥]

ظن بعض الناس أن معنى فورهم أي من لحظتهم ووقتهم هذا، والصواب أن معناها من غضبهم هذا أي غضبهم من قتلى بدر وقيل من وجههم وسفرهم هذا[1].

﴿٣١﴾ قال ابن فارس: (فور) الفاء والواو والرَّاء كلمةٌ تدلُّ على غليانٍ، ثُمَّ يُقاس عليها.

فالفور: الغليان، يُقال: فَارَت القِدْر تَفُور فَورًا... وفار غضبُه: إذا جَاش.

ومِمَّا قيس على هذا قولهم: فعله من فوره، أي: في بَدْء أمره، قبل أن يَسْكُن[1].

ويُقال: فعلتُ أمر كذا وكذا من فَوْرِي، أي: من ساعتي[2].

وقوله تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ بِثَلَاثَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُنْزَلِينَ (١٢٤) بَلَى إِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ بِخَمْسَةِ آلَافٍ مِنَ الْمَلَائِكَةِ مُسَوِّمِينَ (١٢٥) وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُمْ بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ} [آل عمران: ١٢٤ - ١٢٦]

قال ابن الجوزيّ: قوله تعالى: {إِذْ تَقُولُ لِلْمُؤْمِنِينَ أَلَنْ يَكْفِيَكُمْ أَنْ يُمِدَّكُمْ رَبُّكُمْ} قال الشَّعبيُّ: قال كُرْز بن جابرٍ لمشركي مكَّة: إنِّي أُمدُّكم بقومي، فاشتدَّ ذلك على المسلمين، فنزلت هذه الآية.

وفي أيِّ يومٍ كان ذلك؟ فيه قولان:

أحدهما: يوم بدرٍ، قاله ابن عبَّاسٍ، وعكرمة، ومجاهدٌ، وقتادة.

والثَّاني: يوم أُحدٍ، وعدهم فيه بالمدد إن صبروا، فلمَّا لم يصبروا لم يُمدُّوا، رُوي عن عكرمة، والضَّحَّاك، ومقاتلٍ. والأوَّل أصحُّ[3].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (فور).

(٢) «تهذيب اللُّغة» (فور).

(٣) «زاد المسير» (١/ ٣٢٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن كثيرٍ: الظَّاهر أنَّ ذلك كان يوم بدرٍ، كما هو المعروف من أنَّ قتال الملائكة إنَّما كان يوم بدرٍ، والله أعلم[١].

* وقَوْلُهُ تعالى: {وَيَأْتُوكُمْ مِنْ فَوْرِهِمْ هَذَا}

قال الحسن، وقتادة، والرَّبيع، والسُّدِّيُّ: أي: من وجههم هذا.

وقال مجاهد، وعكرمة، وأبو صالحٍ: أي: من غضبهم هذا.

وقال الضَّحَّاك: من غضبهم ووجههم.

وقال العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ: من سفرهم هذا. ويُقال: من غضبهم هذا[٢].

* أمَّا ما عدَّه معدُّ الكتاب خطأً فقد فسَّر به عددٌ من المفسرين الفَوْرَ في الآية:

قال الزَّمخشريُّ: {وَيَأْتُوكُمْ} يعني المشركين {مِنْ فَوْرِهِمْ هذا} من قولك: قَفَلَ من غزوته وخرج من فوره إلى غزوةٍ أخرى، وجاء فلانٌ ورجع من فوره، ومنه قول أبي حنيفة رحمه الله: الأمر على الفَوْر لا على التَّراخي، وهو مصدرٌ من: فارت القدر، إذا غَلَت، فاستُعير للسُّرعة، ثمَّ سُمِّيت به الحالة الَّتي لا رَيْث فيها ولا تعريج على شيءٍ من صاحبها، **فقيل: خرج من فوره، كما تقول: خرج من ساعته لم يلبث.**

والمعنى: أنَّهم إن يأتوكم من ساعتهم هذه {يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُمْ} بالملائكة في حال إتيانهم لا يتأخَّر نزولهم عن إتيانهم، يريد: أنَّ الله يعجِّل نصرتَكم وييسِّر فتحَكم إن صبرتم واتَّقيتم[٣].

وقال ابن عطيَّة: **الفور: النُّهوض المسرع إلى الشَّيء**، مأخوذٌ من فَوْر القِدْر والماء ونحوه، ومنه قوله تعالى: {وَفارَ التَّنُّورُ} [هود: ٤٠] فالمعنى: ويأتوكم في نهضتكم هذه[٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١١٢).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١١٣).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٤١١).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٥٠٤).

وقال البيضاويُّ: {مِنْ فَوْرِهِمْ هذا} من ساعتهم هذه[1].

وفي الجلالين: **{مِنْ فَوْرهمْ} وَقْتهمْ**[2].

وقال ابن عاشورٍ: ومعنى {مِنْ فَوْرِهِمْ هَـذَا} **المبادرة السَّريعة**، فإنَّ الفَوْر المبادرة إلى الفعل، وإضافة الفَوْر إلى ضمير الآتين لإفادة شدَّة اختصاص الفَوْر بهم، أي: شدَّة اتِّصافهم به حتَّى صار يُعرف بأنَّه فَوْرهم، ومن هذا القبيل قولهم: خرج من فَوْرِه[3].

* وذهب ابن عطيَّة إلى أنَّ ما رُوي عن السَّلف لا يختصُّ بتفسير لفظ الفَوْر، وإنَّما هو تفسيرٌ لعلَّته، فقال: وهذا [يعني: المرويَّ عن السَّلف] تفسيرٌ لا يخصُّ اللَّفظة، فقد يكون (الفَوْر) لغضبٍ ولطمعٍ ولرغبةٍ في أجرٍ، ومنه الفَوْر في الحجِّ والوضوء[4].

وقيل: إنَّ تفسير الفَوْر بالسَّفر أو الوَجْه هو لغةٌ لبعض القبائل، قال أبو حيَّان: ومعنى من فَوْرهم: من سفرهم، هذا قاله ابن عبَّاسٍ. أو من وجههم، هذا قاله: الحسن، وقتادة، والسُّدِّيُّ. قيل: وهي لغة هُذَيْل، وقَيْس، وغيلان، وكِنانة[5].

* فالفَوْر لغةً -كما سبق- مأخوذٌ من فوران القِدْر وهو غليانها، وفيه معنيان، هما: القصد إلى الشَّيء، والأخذ فيه بجدٍّ[6]. والقصد إلى الشَّيء: يعني الابتداء فيه. والأخذ فيه بجد: فيه معنى السُّرعة.

---

(١) «أنوار التَّنزيل» (٢/ ٣٧).

(٢) «تفسير الجلالين» (ص: ٨٤).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٤/ ٧٦).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٥٠٤).

(٥) «البحر المحيط» (٣/ ٣٣٤).

(٦) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ١٩٥).

وممَّن فسَّر الفَوْر بمعنى الابتداء في الشَّيء الطَّبريُّ رحمه الله، فقال: أصل الفوْر ابتداء الأمر يُؤخذ فيه ثمَّ يُوصل بآخر، يُقال منه: فارت القِدْرُ فهي تفور فَوْرًا وفَوَرانًا: إذا ابتدأ ما فيها بالغليان ثمَّ اتَّصل، ومضيت إلى فلانٍ من فَوْري ذلك، يُراد به: من وجهي الَّذي ابتدأت فيه.

فالَّذي قال في هذه الآية: معنى قوله: {من فورهم هذا} من وجههم هذا، قصد إلى أنَّ تأويله: ويأتيكم كرز بن جابرٍ وأصحابه يوم بدرٍ **من ابتداء مخرجهم** الَّذي خرجوا منه لنصرة أصحابهم من المشركين.

وأمَّا الَّذين قالوا: معنى ذلك: من غضبهم هذا، فإنَّما عنَوْا أنَّ تأويل ذلك: ويأتيكم كفَّار قريشٍ وتُبَّاعهم يوم أحدٍ **من ابتداء غضبهم** الَّذي غضبوه لقتلاهم الَّذين قُتلوا يوم بدرٍ بها[1].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٧/ ١٨١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٣٢﴾ قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً} [آل عمران: ١٣٠]

قال ابن عَبَّاسٍ، وسعيد بن جُبيرٍ: هو أنَّهم كانو يزيدون على المال، ويؤخِّرون الأجل، كلَّما أخَّر عن أجلٍ إلى غيره زِيد زيادةً[١].

قال أبو السُّعود: قوله تعالى: {أضعافًا مضاعفةً} ليس لتقييد النَّهي به، بل لمراعاةِ ما كانوا عليه من العادة توبيخًا لهم بذلك؛ إذ كان الرَّجلُ يُرْبِي إلى أجلٍ فإذا حلَّ قال للمَدين: زِدْني في المال حتَّى أزيدك في الأجل، فيفعلُ، وهكذا عند محلِّ كلِّ أجلٍ، فيستغرق بالشَّيء الطَّفيفِ مالَه بالكلِّيَّة[٢].

وقال القاسميُّ: وقوله: {أَضْعافًا مُضاعَفَةً} أي: زياداتٍ متكررةً، وليس لتقييد النَّهي به، لما هو معلومٌ من تحريمه على كلِّ حالٍ، بل لمراعاة عادتهم كما بيَّنَّا[٣].

﴿٣٢﴾ ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَأْكُلُوا الرِّبَوٰا أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾ [آل عمران: ١٣٠]

الربا محرم سواء كان أضعافا مضاعفة أو يسيرا، قال الشوكاني: «أضعافاً مضاعفة ليس لتقييد النهي لما هو معلوم من تحريم الربا على كل حال، ولكنه جيء به باعتبار ما كانوا عليه من العادة التي يعتادونها في الربا»[٢]، وقال في الظلال: «فان قوما يريدون في هذا الزمان أن يتواروا خلف هذا النص، ويتداروا به ليقولوا إن المحرم هو الأضعاف المضاعفة؛ أما الأربعة في المائة والخمسة في المائة والسبعة والتسعة فليست أضعافا مضاعفة وليست داخلة في نطاق التحريم! ونبدأ فنحسم القول بأن الأضعاف المضاعفة وصف لواقع، وليست شرطاً يتعلق به الحكم. والنص الذي في سورة البقرة قاطع في حرمة أصل الربا بلا تحديد ولا تقييد: ﴿وَذَرُوا مَا بَقِيَ مِنَ الرِّبَوٰا﴾ أياً كان»[١].

(١) « التَّفسير البسيط» (٥/ ٥٨٧).

(٢) «تفسير أبي السُّعود» (٢/ ٨٤).

(٣) «محاسن التَّأويل» (٢/ ٤١١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

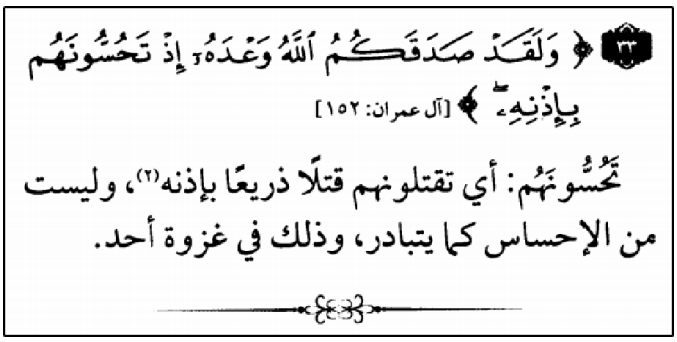

٣٣ قال ابن فارسٍ: الحَسُّ: القتل، قال الله تعالى: {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} [آل عمران: ١٥٢]، ومن ذلك الحديث: «حُسُّوهُم بالسَّيْف حَسًّا» ...

ومن هذا الباب قولهم: أَحْسَسْتُ، أي: علمت بالشَّيء. قال الله تعالى: {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} [مريم: ٩٨]. وهذا محمولٌ على قولهم: قتلت الشَّيء علمًا. فقد عاد إلى الأصل الَّذي ذكرناه[١].

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} [آل عمران: ١٥٢]

الحَسُّ: هو القتل، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، ومجاهد، والسُّدِّيُّ، والجماعة[٢].

قال المفسِّرون: كان المسلمون يوم أُحُدٍ، يقتلون المشركين قتلًا ذريعًا حتَّى وَلَّوْا هاربين، وانكشفوا منهزمين؛ فذلك قوله: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ}[٣].

* وذكر عددٌ من المفسِّرين أنَّ الحَسَّ الَّذي هو القتل مأخوذٌ من الحِسِّ الَّذي هو الإدراك بالحاسَّة، فمعنى حسَّه أذهب حِسَّه بالقتل[٤]:

قال الواحديُّ: قال أصحاب الاشتقاق: حَسَّهُ، يَحُسُّهُ: إذا قَتَلَه؛ لأنَّه أبطل حِسَّه بالقتل وأصابَه؛ كما يُقال: بَطَنَه: إذا أصاب بَطْنَه، و رَأَسَه: إذا أصاب رَأسَهُ[٥].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (حسس).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٣٣٤).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٧١).

(٤) قال ابن عطيَّة: قال بعض النَّاس: هو مأخوذٌ من الحاسَّة، والمعنى في حسَّ: أفسد الحواسَّ. وهذا ضعيفٌ. «المحرَّر الوجيز» (١/ ٥٢٤). وهو كما ترى تضعيفٌ غير معلَّلٍ، ولعلَّه يرى أنَّ الحَسَّ بمعنى القتل هو أصل الباب كما هو نصُّ كلام ابن فارسٍ، فيكون الإحساس مشتقًّا منه، وليس العكس، والله أعلم.

(٥) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٧٠).

وقال الرَّاغب: الحَسُّ: يُقال للإصابة بالحاسَّة، نحو عِنْتُه ويَدَيْتُه، أي: أصبته بهما.

ويُقال تارةً لإصابة الحاسِّ نحو بَطَنْتُه وظَهَرْتُه، أي: أصبتهما.

ولَمَّا كان إصابة الحاسَّة قد يتولَّد منه فقد الرُّوح استُعير للقتل(١).

وقال القرطبيُّ: أصله من الحِسِّ الَّذي هو الإدراك بالحاسَّة. فمعنى حَسَّه: أذهب حِسَّه بالقتل(٢).

* وذكر الفرَّاء والطَّبريُّ أنَّ الإحساس: هو الوجود ومنه قول الله عزَّ وجلَّ: {هَلْ تُحِسُّ مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ} [سورة مريم: ٩٨]، أمَّا (الحَسُّ) بغير ألفٍ: فهو الإفناء والقتل، ومنه قوله: {إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ} [آل عمران: ١٥٢] (٣).

وهو في الحقيقة يؤول إلى نفس كلام من سبق؛ "لأنَّ معنى (الإحْساس) في اللُّغة: وُجودُ الشَّيء بالحاسَّة، من جهة المُلابَسة"(٤).

---

(١) «تفسير الراغب» (٣/ ٩١١).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ٢٣٥).

(٣) «معاني القرآن» (١/ ٢١٦)، «تفسير الطَّبريّ» (٦/ ٤٤٣).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٢٨٢).

﴿٣٤﴾ ﴿وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ ٱللَّهُ وَعْدَهُۥٓ إِذْ تَحُسُّونَهُم بِإِذْنِهِۦ حَتَّىٰٓ إِذَا فَشِلْتُمْ﴾ [آل عمران:١٥٢]

الفَشل في هذه الآية بمعنى الجبن والضعف[٣]، وليس معناه الإخفاق وعدم النجاح.

﴿٣٤﴾ الفَشِل: الرَّجل الضَّعيف الجبان، والجمع: أفشال. وقد فَشِل بالكسر فَشَلًا: إذا جَبُن... والفَيْشَلَة: رأس الذَّكَر[١].

قال البقاعيُّ: والمادَّة راجعةٌ إلى الفَيْشَلَة: وهي الحَشَفَة، ومن لازمها الرَّخاوة، وينشأ عن الرَّخاوة الجُبْن مع الصَّلَف والخفَّة والطَّيْش[٢].

وقوله تعالى: {وَلَقَدْ صَدَقَكُمُ اللَّهُ وَعْدَهُ إِذْ تَحُسُّونَهُمْ بِإِذْنِهِ حَتَّى إِذَا فَشِلْتُمْ وَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَعَصَيْتُمْ مِنْ بَعْدِ مَا أَرَاكُمْ مَا تُحِبُّونَ} [آل عمران: ١٥٢]

قال ابن جُرَيْجٍ: قال ابن عبَّاسٍ: الفشَل: الجبن[٣].

وقال ابن زيدٍ في قوله: {ولا تنازعوا فتفشلوا} قال: الفَشَل: الضَّعف عن جهاد عدوِّه والانكسار لهم، فذلك (الفشل)[٤].

وقال الطَّبريُّ: يعني بقوله جلَّ ثناؤه: {حتَّى إذا فشلتم} حتَّى إذا جبنتم وضعفتم {وتنازعتم في الأمر}، يقول: واختلفتم في أمر الله، يقول: {وعصيتم} وخالفتم نبيَّكم، فتركتم أمره وما عهد إليكم.

وإنَّما يعني بذلك الرُّماة الَّذين كان أمرَهم صلَّى الله عليه وسلَّم بلزوم مركزهم ومقعدهم من فم الشِّعب بأحُدٍ بإزاء خالد بن الوليد ومن كان معه من فرسان المشركين[٥].

وقال الزَّجَّاج: {حتى إذَا فَشِلْتُم}: أي: جَبُنتم عن عدوِّكم[١].

---

(١) «الصِّحاح» (فشل).

(٢) «نظم الدُّرر» (٨/ ٢٩٣).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٧/ ٢٩١).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٥٧٧).

(٥) «تفسير الطَّبريّ» (٧/ ٢٨٩).

وقال السَّمعانيُّ: {حَتَّى إِذا فشلتم} أَي: جبنتم[٢].

وقال الرَّاغب: الفَشَل: ضعفٌ مع جُبنٍ[٣].

وقال الزَّمخشريُّ: والفشل: الجبن وضعف الرَّأى[٤].

وقال ابن عطيَّة: الفشل: استشعار العجز وترك الجدِّ، وهذا ممَّا فعله يومئذٍ قومٌ[٥].

* وذهب الرَّازيُّ إلى أنَّ الفشل هو الضَّعف وليس الجبن، فقال: الفشل: هو الضَّعف، وقيل: الفشل هو الجبن، وهذا باطلٌ بدليل قوله تعالى: {وَلا تَنازَعُوا فَتَفْشَلُوا} [الْأَنْفَالِ: ٤٦] أي: فتضعفوا؛ لأنَّه لا يليق به أن يكون المعنى فتجبنوا[٦].

* أمَّا استعمال الفشل بمعنى الإخفاق والخَيْبة فهو استعمالٌ معاصرٌ لم تذكره المعاجم القديمة، وقد أجازه مَجْمَع اللُّغة المصريُّ على أنَّه من المجاز، كأنَّهم يُطلقون السَّبب (الضَّعف والجبن) ويريدون المسبَّب (الإخفاق والخَيْبة)[٧].

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (١/ ٤٧٨).

(٢) «تفسير السَّمعانيّ» (١/ ٣٦٦).

(٣) «المفردات» (ص: ٦٣٧).

(٤) «الكشَّاف» (١/ ٤٢٧).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٥٢٤).

(٦) «مفاتيح الغيب» (٩/ ٣٨٧). وتبعه ابن عادل «اللُّباب» (٥/ ٦٠٠).

(٧) «معجم الصَّواب اللُّغويّ» (١/ ٥٧٧).

﴿٣٥﴾ ﴿إِذْ تُصْعِدُونَ وَلَا تَلْوُونَ عَلَىٰٓ أَحَدٍ﴾

[آل عمران: ١٥٣]

تُصْعِدُونَ: أي تمضون على وجوهكم؛ من الإصعاد وهو الإبعاد على الأرض «الصعيد»، قال القرطبي: «فالإصعاد: السير في مستوٍ من الأرض وبطون الأودية والشعاب. والصعود: الارتفاع على الجبال والسطوح والسلاليم والدرج»[1] وليس معناها ترقون من الصعود، وفي قراءة أخرى تَصعدون بفتح التاء وتكون بمعنى الصعود، وكان ذلك في غزوة أحد.

﴿٣٥﴾ قال الرَّاغب الأصفهانيُّ: الصُّعُود: الذَّهَاب في المكان العالي، والصَّعُود والحَدُور لمكان الصُّعُودِ والانحدار، وهما بالذَّاتِ واحدٌ، وإنَّما يختلفان بحسب الاعتبار بمن يمرُّ فيهما، فمتى كان المارُّ صَاعِدًا يُقال لمكانه: صَعُودٌ، وإذا كان منحدرًا يقال لمكانه: حَدُور...

وأمَّا الإصْعَاد فقد قيل: هو الإبعاد في الأرض، سواءٌ كان ذلك في صُعُودٍ أو حُدُورٍ. وأصله من الصُّعُودُ، وهو الذَّهاب إلى الأمكنة المرتفعة، كالخروج من البصرة إلى نجدٍ وإلى الحجاز، **ثمَّ استُعمل في الإبعاد وإن لم يكن فيه اعتبار الصُّعُود**[1].

وقال الطَّبريُّ رحمه الله: اختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك:

فقرأه عامَّة قَرَأَة الحجاز والعراق والشَّام سوى الحسن البصريّ: (إِذْ تُصْعِدُونَ) بضمّ التَّاء وكسر العين. وبه القراءة عندنا، لإجماع الحُجَّة من القَرَأَة على القراءة به، واستنكارهم ما خالفه.

ورُوي عن الحسن البصريّ أنَّه كان يقرأه: (إِذْ تَصْعَدُونَ) بفتح التَّاء والعين.

فأمَّا الَّذين قرأوا: (تُصْعِدُون) بضمّ التَّاء وكسر العين، فإنَّهم وجَّهوا معنى ذلك إلى أنَّ القوم حين انهزموا عن عدوِّهم، أخذوا في الوادي هاربين. وذكروا أنَّ ذلك في قراءة أُبَيّ: (إِذْ تُصْعِدُونَ فِي الْوَادِي).

قالوا: فالهرب في مستوى الأرض وبطون الأودية والشِّعاب: إصعادٌ، لا صعودٌ.

---

(١) «المفردات» (ص: ٤٨٣).

قالوا: وإنَّما يكون الصُّعود على الجبال والسَّلاليم والدَّرَج؛ لأنَّ معنى الصُّعود: الارتقاء والارتفاع على الشَّيء عُلوًّا.

قالوا: فأمَّا الأخذ في مستوى الأرض والهبوط، فإنَّما هو إصعادٌ، كما يُقال: أصعَدْنا من مكَّة: إذا بتدأت في السَّفر منها والخروج، وأصعدنا من الكوفة إلى خراسان، بمعنى: خرجنا منها سفرًا إليها، وابتدأنا منها الخروج إليها.

قالوا: وإنَّما جاء تأويل أكثر أهل التَّأويل بأنَّ القوم أخذوا عند انهزامهم عن عدوِّهم في بطن الوادي.

قال أبو جعفرٍ: وأمَّا الحسن، فإنِّي أراه ذهب في قراءته: (إذ تَصْعَدون) بفتح التَّاء والعين إلى أنَّ القوم حين انهزموا عن المشركين صعدوا الجبل. وقد قال ذلك عددٌ من أهل التَّأويل[1].

* وقد ذهب جمعٌ من المفسِّرين إلى صحَّة معنى القراءتين[2] في الآية:

- فيحتمل أنَّهم أوَّلًا أَصْعَدوا في الوادي، ثمَّ لَمَّا حَزَبَهم العدوُّ صَعِدوا في الجبل[3].
- ويحتمل أنَّ المنهزمين يومئذٍ كانوا ما بين مُصْعِدٍ في الوادي وَصَاعِدٍ للجبل[4].

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٧/ ٣٠٠).

(٢) صحَّة المعنى لا تعني صحَّة الرِّواية، فقراءة الحسن رحمه الله من القراءات الشَّاذَّة.

(٣) «تفسير القُرطبيِّ» (٤/ ٢٣٩)، «البحر المحيط» (٣/ ٣٨٥)، «اللُّباب» (٥/ ٦٠٣) .

(٤) «تفسير القُرطبيِّ» (٤/ ٢٣٩)، «تفسير البغويِّ» (٢/ ١١٩).

﴿٣٦﴾ ﴿قَٰتِلُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ أَوِ ٱدۡفَعُواْ﴾ [آل عمران: ١٦٧]

ادْفَعُواْ: أي إن لم تقاتلوا في سبيل الله فلتقاتلوا حمية أو دفاعًا عن بلدكم ومحارمكم[٢]، وليس معنى ادفعوا هنا أي ادفعوا مالًا.

﴿٣٦﴾ قوله تعالى: {وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ نَافَقُوا وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ ادْفَعُوا} [آل عمران: ١٦٧]

قائل ذلك القول للمنافقين: عبد الله بن حرَامٍ أبو جابرٍ رضي الله عنهما[١].

* واختلف المفسِّرون في المراد بدفع المنافقين إن لم يقاتلوا، فقيل:

- كثِّروا سوادنا وإن لم تقاتلوا معنا، فيكون ذلك دفعًا وقمعًا للعدوِّ، فإنَّ السَّواد إذا كثر حصل دفع العدوِّ. قاله السُّدِّيُّ وابن جريجٍ وغيرهما[٢].
- رابِطوا إن لم تقاتلوا، وهو قريبٌ من الأوَّل؛ لأنَّه لولا مكان المرابطين في الثُّغور لجاءها العدوُّ. قال أبو عونٍ الأنصاريُّ[٣].
- إن لم تقاتلوا لأجل الدِّين فادفعوا عن الأهل والحريم. رواه أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ، وهو قول مقاتلٍ[٤].
- ادفعوا بالدُّعاء. قاله الحسن بن صالحٍ[٥].

---

(١) «تفسير السَّمعانيّ» (١/ ٣٧٧).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ٢٦٦)، «تفسير الطَّبريّ» (٧/ ٣٨٠)، «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٠).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ٢٦٦)، «تفسير الطَّبريّ» (٧/ ٣٨٠).

(٤) «تفسير السَّمعانيّ» (١/ ٣٧٧)، «التَّفسير البسيط» (٦/ ١٦٠)، «زاد المسير» (١/ ٣٤٥).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٢/ ١٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٣٧﴾ ﴿إِنَّمَا ٱلتَّوْبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ﴾ [النساء: ١٧]

المراد بالجهل السفه بارتكاب ما لا يليق بالعاقل، لا عدم العلم، فإن من لا يعلم لا يحتاج إلى التوبة، والجهل بهذا المعنى حقيقة واردة في كلام العرب، كقول الشاعر: فنجهل فوق جهل الجاهلينا[1].

﴿٣٧﴾ قال قتادة: أجمع أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أنَّ كلَّ ما عُصِي به الله فهو جهالةٌ، عمدًا كان أو لم يكن، وكلُّ من عصى الله فهو جاهلٌ[1].

وقال أبو العالية: سألتُ أصحاب محمَّدٍ عن هذه الآية فقالوا لي: كلُّ من عصى الله فهو جاهلٌ، وكلُّ من تاب قبل الموت فقد تاب من قريبٍ. وكذلك قال سائر المفسِّرين.

قال مجاهدٌ: كلُّ عاصٍ فهو جاهلٌ حين معصيته.

وقال الحسن، وقتادة، وعطاءٌ، والسُّدِّيُّ، وغيرهم: إنَّما سُمُّوا جُهَّالا لمعاصيهم، لا أنَّهم غير مُمَيِّزين.

وقال الزَّجَّاج: ليس معنى الآية أنَّهم يجهلون أنَّه سُوءٌ؛ لأنَّ المسلم لو أتى ما يجهله كان كمن لم يواقع سُوءًا؛ وإنَّما يحتمل أمرين:

أحدهما : أنَّهم عملوه وهم يجهلون المكروه فيه.

والثَّاني: أنَّهم أقدموا على بصيرةٍ وعلمٍ بأنَّ عاقبته مكروهةٌ وآثروا العاجل على الآجل؛ فسُمُّوا جُهَّالًا لإيثارهم القليل على الرَّاحة الكثيرة والعافية الدَّائمة[2].

قال ابن تيميَّة رحمه الله: فقد جعل الزَّجَّاج (الجهل) إمَّا عدم العلم بعاقبة الفعل، وإمَّا فساد الإرادة؛ وقد يُقال: هما متلازمان.

والمقصود هنا أنَّ كلَّ عاصٍ لله فهو جاهلٌ، وكلُّ خائفٍ منه فهو عالمٌ مطيعٌ لله؛ وإنَّما يكون جاهلًا لنقص خوفه من الله إذ لو تمَّ خوفه من الله لم يعص. ومنه قول ابن مسعودٍ رضي الله عنه كفى بخشية الله علمًا، وكفى بالاغترار بالله جهلًا[1].

---

(١) «تفسير البغويّ» (٢/ ١٨٤)، «تفسير الطَّبريّ» (٤/ ٢٩٨).

(٢) «مجموع فتاوى شيخ الإسلام» (٧/ ٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* وجمهور المفسِّرين على أنَّ المراد بالجهالة المعصية وإن كان ذلك عن علمٍ.

لكن إن وقعت المعصية من العبد بغير علمٍ فهل تدخل في معنى الجهالة في هذه الآية؟

نقل المعدُّ هنا قول بعض المفسِّرين: (أنَّ الجهل لا يعني عدم العلم؛ لأنَّ من لا يعلم لا يحتاج إلى توبة)[٢]

وهذا القول لا يخلو من نظرٍ:

أوَّلًا: لأنَّ الآية عامَّةٌ شاملةٌ لكلِّ جهلٍ، فيدخل فيها ما كان جهلًا بعلمٍ، أو كان جهلًا بغير علمٍ، وسبق قول قتادة: أجمع أصحاب رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على أنَّ كلَّ ما عُصي به الله فهو جهالةٌ، عمدًا كان أو لم يكن.

ثانيًا: أنَّ دخول الجهل الَّذي هو عدم العلم يمكن أن تحتمله الآية أيضًا من وجهين:

الوجه الأوَّل: أن يكون هذا الجهل ناشئًا عن تفريط في التَّعلُّم:

يقول الصَّنعانيُّ في شرح قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «اللَّهمَّ إنِّي أعوذ بك أن أُشرك بك وأنا أعلم، وأستغفرك لما لا أعلم»: فيه أنَّه يُستغفَر عن المعاصي الَّتي لا يعلمها العبد، وأنَّه قد يُؤخذ بما لا يعلمه لتفريطه في التَّحرُّز عنه[٣].

الوجه الثَّاني: أنَّ الجاهل بتحريم المعصية مطالبٌ بالتَّوبة العامَّة أو التَّوبة الخاصَّة إذا علم أنَّه أخطأ، **فالعلم بالتَّحريم شرطٌ للمؤاخذة، وليس شرطًا للتَّوبة والاستغفار**، وقد سبق قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «وأستغفرك لما لا أعلم».

ويقول شيخ الإسلام ابن تيميَّة: وإذا كانت التَّوبة والاستغفار تكون من ترك الواجبات وتكون ممَّا لم يكن عُلم أنَّه ذنبٌ تبيَّن كثرة ما يدخل في التَّوبة والاستغفار[٤].

---

(١) «مجموع الفتاوى» (٧/ ٢٢).

(٢) «حاشية الشِّهاب علي البيضاويِّ» (٣/ ١١٦)، «روح المعاني» (٢/ ٤٤٧)، «محاسن التَّأويل» (٣/ ٥٠).

(٣) «التَّنوير شرح الجامع الصَّغير» (٦/ ٥٣٨).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٦٨٤).

ويقول ابن عاشورٍ: وأمَّا حمل الجهالة على معنى عدم العلم بناءً على أنَّ الجاهل بالذَّنب غير مؤاخذٍ، فلا قوَّة لتفريع قوله: {ثُمَّ تابَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَصْلَحَ} عليه، إلَّا إذا أُريد ثمَّ تفطَّن إلى أنَّه عَمِل سُوءًا[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٧/ ٢٥٩).

﴿ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٍ ﴾ [النساء: ١٧]

ما كان قبل أن يحضرهم الموت فهو من قريب[٢]، حتى لو كان بعد الذنب بسنين، وليس شرطًا لقبول التوبة أن تكون بعد الذنب مباشرة.

(٣٨) في قوله تعالى: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} ثلاثة تأويلاتٍ:

أحدها: ثمَّ يتوبون في صحَّتهم قبل موتهم، وقبل مرضهم، وهذا قول ابن عبَّاسٍ، والسُّدِّيّ.

[فعن ابن عبَّاسٍ قال: في الحياة والصِّحَّة.][١]

والثَّاني: قبل معاينة مَلَك الموت، وهو قول الضَّحَّاك، وأبي مِجْلَز.

والثَّالث: قبل الموت، قال عكرمة: الدُّنيا كلُّها قريبٌ.

وقد روى قتادة أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «إِنَّ اللهَ يَقْبَلُ تَوبَةَ الْعَبْد ما لَمْ يُغَرْغِرْ»[٢].

قال الطَّبريُّ: وأولى الأقوال في ذلك بالصَّواب، قولُ من قال: تأويله: ثمَّ يتوبون قبل مماتهم، في الحال الَّتي يفهمون فيها أمر الله تبارك وتعالى ونَهيَه، وقبل أن يُغلبوا على أنفسهم وعقولهم، وقبل حال اشتغالهم بكُرَب الحَشْرجة وغمِّ الغرغرة، فلا يعرفوا أمر الله ونهيه، ولا يعقلوا التَّوبة؛ لأنَّ التَّوبة لا تكون توبةً إلَّا من ندمٍ على ما سلف منه، وعزمٍ منه على ترك المعاودة، وهو يعقل النَّدم، ويختار ترك المعاودة[٣].

وقال ابن كثيرٍ: فقد دلَّت الأحاديث على أنَّ من تاب إلى الله عزَّ وجلَّ وهو يرجو الحياة، فإنَّ توبته مقبولةٌ منه؛ ولهذا قال تعالى: {فَأُولَئِكَ يَتُوبُ اللَّهُ عَلَيْهِمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمًا}. فأمَّا متى وقع الإياس من الحياة، وعاين الملك، وحشرجت الرُّوح في الحَلْق، وضاق بها الصَّدر، وبلغت الحُلقُوم، وغَرْغَرت النَّفس صاعدةً في الغَلاصِم فلا توبة مُتقبَّلةٌ حينئذٍ، ولات

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ٩٣). وتُروى عنه روايةٌ أخرى قال فيها: لو قبل موته بفَوَاق. «التَّفسير البسيط» (٦/ ٣٨٩).

(٢) «النُّكَت والعيون» (١/ ٤٦٤)، «زاد المسير» (١/ ٣٨٤)، «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ٩٣).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ٩٦).

حين مَنَاصٍ؛ ولهذا قال تعالى: {وَلَيْسَتِ التَّوْبَةُ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ حَتَّى إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ قَالَ إِنِّي تُبْتُ الآنَ}[1].

* أمَّا القول الأوَّل المرويُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما فيُحمل على أنَّ مراده أفضل وقت التَّوبة. قال ابن عطيَّة: ابن عبَّاسٍ ﷺ ذكر أحسن أوقات التَّوبة، والجمهور حدَّدوا آخر وقتها[2].

* وإنَّما سمَّى تعالى هذه المدَّة قريبةً لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ الأجل آتٍ، وكلُّ ما هو آتٍ قريبٌ.

وثانيها: للتَّنبيه على أنَّ مدَّة عمر الإنسان وإن طالت فهي قليلةٌ قريبةٌ، فإنَّها محفوفةٌ بطرَفَيِ الأزل والأبد، فإذا قسمت مدَّة عمرك إلى ما على طرفَيْها صار كالعَدَم.

وثالثها: أنَّ الإنسان يتوقَّع في كلِّ لحظةٍ نزول الموت به، وما هذا حاله فإنَّه يوصف بالقرب[3].

* قال القاسميُّ رحمه الله: {ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ قَرِيبٍ} أي: من زمانٍ قريبٍ، **وظاهر الآية اشتراط وقوع التَّوبة عقب المعصية بلا تراخٍ**، وأنَّها بذلك تنال درجة قبولها المحتَّم تفضُّلًا، إذ بتأخيرها وتسويفها يدخل في زُمرة المُصرِّين، فيكون في الآية إرشادٌ إلى المبادرة بالتَّوبة عقب الذَّنب، والإنابة إلى المولى بعدَه فورًا، ووجوب التَّوبة على الفور ممَّا لا يُستراب فيه...

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٣٨).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٢٥).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٧).

إذا عرفت هذا، **فما ذكره كثيرٌ من المفسِّرين من أنَّ المراد من قوله تعالى {مِنْ قَرِيبٍ} ما قبل حضور الموت بعيدٌ من لفظ الآية وسرِّها** الَّتي أرشدت إليه، أعني: البدار إلى التَّوبة قبل أن تعمل سموم الذُّنوب بروح الإيمان، عياذًا بالله تعالى[1].

وكون التَّوبة مطلوبةً عقب المعصية وواجبةً على الفور وأنَّ في الآية إرشادٌ إلى ذلك أمرٌ، وكون القرب بمعنى عقب المعصية بلا تراخٍ شرطٌ في التَّوبة أمرٌ آخر؛ فمعنى كون التَّوبة على الفور شرطًا في التَّوبة أنَّها إن جاءت متأخِّرةً فإنَّها لن تكون مقبولةً، وهو خلاف النُّصوص الكثيرة في هذا الباب.

ولمَّا كان ظاهر الآية كما قال القاسميُّ الاشتراط للتَّوبة؛ فقد ذهب جمهور المفسِّرين إلى القرب الَّذي يتوافق مع هذه النُّصوص الكثيرة في قبول التَّوبة إلى قبل حضور الأجل.

(١) «محاسن التَّأويل» (٣/ ٥٠).

﴿٣٩﴾ سَمَّى ولد المرأة من غير زوجها رَبِيبًا ورَبِيبَةً؛ لأنَّه يَرُبُّهما كما يَرُبُّ[١] ولدَه في غالب الأمر، ثمَّ اتَّسع فيه فسُمِّيا بذلك وإن لم يَرُبَّهما[٢].

﴿٣٩﴾ ﴿وَرَبَٰٓئِبُكُمُ ٱلَّٰتِي فِي حُجُورِكُم﴾ [النساء: ٢٣]

فِي حُجُورِكُم: قيدٌ لا معنى له خرج مخرج الغالب[٣]، ولا يُفهم منه أن الربيبة - التي هي ابنة الزوجة من رجل آخر - لا تحرم على الرجل إلا إذا تربت عنده، وهو قول جمهور العلماء.

ويُقال: فلانٌ في حِجْر فلانٍ، إذا كان يلي تربيته، وذلك أنَّ كلَّ من ربَّى صبيًّا أجلسه في حِجْره، فصار الحِجْر عبارةً عن التَّربية، كما يُقال: فلانٌ في حضانة فلانٍ، وأصله من الحِضْن الَّذي هو الإبط[٣].

* واتَّفق الفقهاء على أنَّ الرَّبيبة تحرم على زوج أمِّها إذا دخل بالأمِّ، وإن لم تكن الرَّبيبة في حِجْره.

وشذَّ بعض المتقدِّمين وأهل الظَّاهر فقالوا: لا تحرم عليه الرَّبيبة إلَّا أن تكون في حِجْر المتزوِّج بأمِّها، فلو كانت في بلدٍ آخر وفارق الأمَّ بعد الدُّخول فله أن يتزوَّج بها، واحتجُّوا بالآية، فقالوا: حرَّم الله تعالى الرَّبيبة بشرطين: أحدهما: أن تكون في حجر المتزوِّج بأمِّها. والثَّاني: الدُّخول بالأمِّ، فإذا عُدم أحد الشَّرطين لم يوجد التَّحريم[٤].

وجمهور الأئمَّة على أنَّ الرَّبيبة حرامٌ، سواءٌ كانت في حِجْر الرَّجل أو لم تكن في حِجْره، قالوا: وهذا الخطاب خرج مخرج الغالب فلا مفهوم له، كقوله تعالى: {وَلا تُكْرِهُوا فَتَيَاتِكُمْ عَلَى

---

(١) يُقال: رَبَبْتُ فلانًا أَرُبُّه، ورَبَّبْتُه أُرَبِّبُه، ورَبَّيْتُه أُرَبِّيه. كلُّه معنًى واحدٌ، قاله الأصمعيُّ. «التَّفسير البسيط» (٦/ ٤٢١).

(٢) «الكشَّاف» (١/ ٤٩٥).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٤٢٢).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٥/ ١١٢).

الْبِغَاءِ إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا} [النُّورِ: ٣٣]... وهذا هو مذهب الأئمَّة الأربعة والفقهاء السَّبعة وجمهور الخَلَف والسَّلف[١].

* فجمهور العلماء على أنَّ قوله تعالى: {اللَّاتِي فِي حُجُورِكُمْ} ليس شرطًا، وإنَّما خرج مخرج الغالب، ولهم في فائدة ذكره أقوالٌ، منها:

- جواز جعل [بنت الزَّوجة من غيره] في حِجْره، وأنَّه لا يجب عليه إبعادُها عنه، وتجنُّب مؤاكلتها والسَّفر والخلوة بها، فأفاد هذا الوصف عدم الامتناع من ذلك[٢].
- التَّعليل للتَّحريم، وأنَّهنَّ لاحتضانكم لهنَّ أو لكونهنَّ بصدد احتضانكم، وفي حكم التَّقلُّب في حجوركم إذا دخلتم بأمّهاتهنّ، وتمكَّنَ بدخولكم حكم الزَّواج وثبتت الخلطة والألفة، وجعل الله بينكم المودَّة والرَّحمة، وكانت الحال خليقةً بأن تُجروا أولادهنَّ مُجرى أولادكم، كأنَّكم في العَقْد على بناتهنّ عاقدون على بناتكم[٣].
- تخصيص أعلى صور المنهيّ عنه بالنَّهي، فإنَّ النَّهي عن نكاح الرَّبيبة المدخول بأُمِّها عامٌّ في جميع الصُّور، سواءٌ كانت في حِجْر الزَّوج أو بائنةً عنه في البلاد القاصية، ولكنَّ نكاحه لها وهي في حِجْره أقبح الصُّور والطِّبع عنها أنفر، فخُصَّت بالنَّهي لتساعد الجبلَّة على الانقياد لأحكام الملَّة، ثمَّ يكون ذلك تدريبًا وتدريجًا إلى استقباح المُحرَّم في جمع صوره، والله أعلم[٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٥١).

(٢) «زاد المعاد» (٥/ ١١١).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٤٩٥).

(٤) «الانتصاف» (١/ ٤٩٥).

حَلِيلة الابن سُمِّيت حليلةً؛ لأنَّها مع الابن يحلَّان فراشًا واحدًا، وقيل: لأنَّها تحلُّ إزَار الابن، والابن يحلُّ إزَارها، وقيل: سُمِّيت حليلةً لأنَّها تحلُّ له[1].

﴿٤٠﴾ ﴿وَحَلَٰٓئِلُ أَبۡنَآئِكُمُ ٱلَّذِينَ مِنۡ أَصۡلَٰبِكُمۡ وَأَن تَجۡمَعُواْ بَيۡنَ ٱلۡأُخۡتَيۡنِ إِلَّا مَا قَدۡ سَلَفَ﴾ [النساء ٢٣]

من أصلابكم احترازاً من ابن التبني كما كان شائعاً آنذاك وليس احترازا من ابن الابن وابن الرضاع[1] كما فهم البعض.

وأصلاب: جمع: صُلْب، وهو الظَّهر، سُمِّي بذلك لقوَّته اشتقاقًا من الصَّلابة[2].

ولا خلاف بين أهل العلم أنَّ حليلة ابن الرَّجل حرامٌ عليه نكاحها بعقد ابنه عليها النِّكاح، دخل بها أو لم يدخل بها[3].

فقوله تعالى: {الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ} تخصيصٌ ليُخرِج عنه كلَّ من كانت العرب تتبنَّاه ممَّن ليس للصُّلْب[4].

قال عطاء بن أبي رباحٍ: يُتحدَّث -والله أعلم- أنَّها نزلت في محمَّدٍ عليه السَّلام حين تزوَّج امرأة زيد بن حارثة، فقال المشركون: قد تزوَّج امرأة ابنه، فنزلت الآية[5].

* فظاهر قوله تعالى: {الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ} يخرج به الأبناء بالتَّبنِّي كما يخرج به الأبناء بالرَّضاع، وإنَّما دخل الأبناء بالرَّضاع في التَّحريم بدليل الإجماع أو بالسُّنَّة؛ لقوله صلَّى الله عليه وسلَّم «يَحْرُم مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[6].

---

(١) «تفسير السَّمعانيّ» (١/ ٤١٣).

(٢) «الدُّرُّ المصون» (٣/ ٦٤٤).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ١٤٩).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٥/ ١١٦).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٣٣).

(٦) متفقٌ عليه.

يقول الرَّازيُّ: ظاهر قوله: {وَحَلائِلُ أَبْنائِكُمُ الَّذِينَ مِنْ أَصْلابِكُمْ} لا يتناول حلائل الأبناء من الرَّضاعة، فلمَّا قال في آخر الآية: {وَأُحِلَّ لَكُمْ مَا وَراءَ ذلِكُمْ} لزم من ظاهر الآيتين حلُّ التَّزوُّج بأزواج الأبناء من الرَّضاع، إلَّا أنَّه عليه السَّلام قال: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ» فاقتضى هذا تحريم التَّزوُّج بحليلة الابن من الرَّضاع... فخصَّصُوا عموم القرآن بخبر الواحد. والله أعلم[1].

وقال ابن كثيرٍ: فإن قيل: فمن أين تحرُم امرأة ابنه من الرَّضاعة كما هو قول الجمهور- ومن النَّاس من يحكيه إجماعًا- وليس من صُلْبه؟

فالجواب من قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[2].

وقال الشِّنقيطيُّ: أمَّا تحريم منكوحة الابن من الرَّضاع فهو مأخوذٌ من دليلٍ خارجٍ وهو تصريحه صلَّى الله عليه وسلَّم بـ« أنَّه يَحْرُمُ مِنَ الرَّضَاعِ مَا يَحْرُمُ مِنَ النَّسَبِ»[3].

* وأمَّا تحريم حليلة ابن الابن وحليلة ابن البنت فذهب بعض العلماء إلى أنَّه مستفادٌ من الآية، وذهب بعضهم إلى أنَّه مستفادٌ من الإجماع:

يقول البابرتيُّ: أمَّا حليلة ابن الابن فباعتبار أنَّ المراد بالابن هو (الفرع) فكأنَّه قال: (وحلائل فروعكم)، وذلك يتناول حليلة ابن الابن وابن البنت بعمومه، أو بالإجماع[4].

وقال ابن عاشورٍ: وابن الابن وابن البنت وإن سفلا أبناءٌ من الأصلاب؛ لأنَّ للجدِّ عليهم ولادةً لا محالة[5].

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٣٠).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٢٥٣).

(٣) «أضواء البيان» (١/ ٢٣٢).

(٤) «العناية شرح الهداية» (٣/ ٢١٢).

(٥) «التَّحرير والتَّنوير» (٤/ ٣٠٠).

ويقول الكاسانيُّ: وحليلة ابن الابن وابن البنت وإن سفل تحرم بالإجماع أو بما ذكرنا من المعنى لا بعين النَّصِّ؛ لأنَّ ابن الابن يُسمَّى ابنًا مجازًا لا حقيقةً، فإذا صارت الحقيقة مرادةً لم يبق المجاز مرادًا لنا، إلَّا على قول من يقول: إنَّه يجوز أن يُرادا من لفظٍ واحدٍ. والله الموفِّق[1].

(١) «بدائع الصَّنائع» (٢/ ٢٦٠).

﴿٤١﴾ {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِإِيمَانِكُمْ بَعْضُكُمْ مِنْ بَعْضٍ فَانْكِحُوهُنَّ بِإِذْنِ أَهْلِهِنَّ وَآتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ بِالْمَعْرُوفِ مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ وَلَا مُتَّخِذَاتِ أَخْدَانٍ فَإِذَا أُحْصِنَّ فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ ذَلِكَ لِمَنْ خَشِيَ الْعَنَتَ مِنْكُمْ وَأَنْ تَصْبِرُوا خَيْرٌ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ} [النساء: ٢٥]

﴿٤١﴾ ﴿فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَٰحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى ٱلْمُحْصَنَٰتِ مِنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [النساء ٢٥]

ليس المراد بالعذاب هنا عذاب الآخرة كما فهم بعضهم، بل المراد به الحد الشرعي لمن اقترفت الفاحشة من الإماء فعليها نصف حد الحرة[٢].

(العذاب) الَّذي ذكره الله تبارك وتعالى في هذا الموضع هو الحَدُّ[١].

وتسمية حدِّ الزِّنا عذابًا ورد أيضًا في مطلع سورة النُّور: {الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ} [النور: ٢]

وورد كذلك في اللِّعان: {وَيَدْرَأُ عَنْهَا الْعَذَابَ أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ * وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ} [النور: ٨، ٩]

وذهب البعض إلى أنَّ المراد بالعذاب هنا: الحبس، بناءً على الخلاف بين المذاهب الفقهيَّة في ذلك.

وعدَّ بعضهم تسمية الحدِّ عذابًا قولًا محتملًا في قوله تعالى: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا} [الأحزاب: ٣٠]

فقال قومٌ: لو قُدِّر الزِّنَا من واحدةٍ منهنَّ -وقد أعاذهُنَّ الله من ذلك- لكانت تُحدُّ حدَّيْنِ لعِظَم قَدْرها، كما يُزاد حدُّ الحُرَّة على الأَمَة[٢].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ٢٠٣).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٤/ ١٧٤).

والمرويُّ عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه عذاب الآخرة[1].

* وقوله تعالى: {فَإِذَا أُحْصِنَّ} أي: تزوجن أو أسلمن، أي: الإماء، {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْصَنَاتِ} أي: الحرائر {مِنَ الْعَذَابِ}.

وذلك الَّذي يمكن تنصيفه هو الجَلد، فيكون عليهنَّ خمسون جَلدةً، وأمَّا الرَّجْم فليس على الإماء رجمٌ؛ لأنَّه لا يتنصَّف.

فعلى القول الأوَّل: إذا لم يتزوجن فليس عليهنَّ حدٌّ، إنَّما عليهنَّ تعزيرٌ يردعهنَّ عن فعل الفاحشة.

وعلى القول الثَّاني: أنَّ الإماء غير المسلمات إذا فعلن فاحشةً أيضًا عُزِّرن[2].

*والفائدة في نقصان حدِّهنَّ والله أعلم:

- أنَّهنَّ أضعف من الحرائر، فجعل عقوبتهنَّ أقلَّ.

- ويُقال: لأنَّهنَّ لا يصلن إلى مرادهنَّ كما تصل الحرائر إلى مرادهنَّ.

- ويُقال: لأنَّ العقوبة تجب على قدر النِّعمة، ألا ترى أنَّ الله تعالى قال لأزواج النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: {يا نِساءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضاعَفْ لَهَا الْعَذابُ ضِعْفَيْنِ} [الأحزاب: ٣٢] فلمَّا كانت نعمتهنَّ أكثر جعل عقوبتهنَّ أشدَّ، فكذلك الأَمَة لمَّا كانت نعمتها أقلَّ كانت عقوبتها أدنى[3].

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٢٠/ ٢٥٥).

(٢) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ١٧٤).

(٣) «تفسير السَّمرقنديِّ» (١/ ٢٩٥)، «تفسير القُرطبيِّ» (٥/ ١٤٥).

﴿وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلًا أَن يَنكِحَ ٱلْمُحْصَنَٰتِ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ فَمِن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن فَتَيَٰتِكُمُ﴾ [النساء ٢٥]

ليس المراد بالمحصنات في هذه الآية «العفيفات» كما فهم بعضهم، بل المراد بالمحصنات أي: الحرائر[1].

(٤٢) الإحْصَان ورد في القرآن بإزاء أربعة معانٍ:

الأوَّل: التَّزوُّج: كقوله تعالى: {وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّسَاءِ إِلَّا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ كِتَابَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ}؛ لأنَّهُ عُطفت المحصنات على المحرَّمات، فلا بُدَّ وأنْ يكون الإحصان سببًا للحرمة، ومعلومٌ أنَّ الحرِّيَّة والعفاف والإسلام لا تأثير لها في ذلك، والمرأة المزوَّجة محرَّمةٌ على الغير.

الثَّاني: العِفَّة: قال تعالى: {مُحْصَنَاتٍ غَيْرَ مُسَافِحَاتٍ} [النساء: ٢٥] وقوله {مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ} [المائدة: ٥]، {والَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا} [الأنبياء: ٩١] أي: أعَفَّتْهُ.

الثَّالث: الحرِّيَّة: في قوله: {والَّذين يَرْمُونَ المحصنات} [النور: ٤] يعني: الحرائر؛ لأنَّه لو قذف غير حُرَّةٍ لم يُجلد ثمانين جلدةً، وكذا قوله: {فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى المحصنات مِنَ العذاب} [النساء: ٢٥] وقوله: {وَمَن لَّمْ يَسْتَطِعْ مِنكُمْ طَوْلاً أَن يَنكِحَ المحصنات المؤمنات} [النساء: ٢٥].

الرَّابع: الإسلام: قال تعالى: {فَإِذَا أُحْصِنَّ} قيل في تفسيره: فإذا أسْلَمْنَ[1].

واعلم أنَّ الوجوه الأربعة مشتركةٌ في المعنى الأصليِّ اللُّغويِّ، وهو المنع، وذلك لأنَّا ذكرنا أنَّ الإحصان عبارةٌ عن المنع:

فالحرِّيَّة سببٌ لتحصين الإنسان من نفاذ حكم الغير فيه.

والعفَّة أيضًا مانعةٌ للإنسان عن الشُّروع فيما لا ينبغي.

وكذلك الإسلام مانعٌ من كثير ممَّا تدعو إليه النَّفس والشَّهوة.

والزَّوج أيضًا مانعٌ للزَّوجة من كثيرٍ من الأمور، والزَّوجة مانعةٌ للزَّوج من الوقوع في الزِّنا.

فثبت أنَّ المرجع بكلِّ هذه الوجوه إلى ذلك المعنى اللُّغويِّ، والله أعلم[2].

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٣٣).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٣٣).

* أمَّا قوله تعالى: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِنَاتِ فَمِنْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ مِنْ فَتَيَاتِكُمُ الْمُؤْمِنَاتِ} [النساء: ٢٥] فقال ابن عبَّاسٍ وغيره: يريد الحرائر[١].

والمراد بالفتيات هاهنا: المملوكات، يُقال: للأَمَة: فتاةٌ، وللعبد: فتًى[٢].

ويدلُّ على أنَّ المراد بالمحصنات هنا الحرائر، أنَّه تعالى أثبت عند تعذُّر نكاح المحصنات نكاح الإماء، فلا بُدَّ وأن يكون المراد من المحصنات من يكون كالضِّدِّ للإماء.

والوجه في تسمية الحرائر بالمحصَنات على قراءة من قرأ بفتح الصَّاد [المحصَنات]: أنَّهنَّ أُحصنَّ بحريتهنَّ عن الأحوال الَّتي تُقدم عليها الإماء، فإنَّ الظَّاهر أنَّ الأمة تكون خرَّاجةً ولَّاجةً مُمتهَنَةً مُبتذَلَةً، والحرَّة مصونةٌ مُحصنَةٌ من هذه النُّقصانات.

وأمَّا على قراءة من قرأ بكسر الصَّاد [المحصِنات]، فالمعنى: أنَّهنَّ أَحصنَّ أنفسَهنَّ بحرِّيَّتهنَّ[٣].

*وقالت فرقةٌ: معناه العفائف، وهو ضعيفٌ؛ لأنَّ الإماء يقعن تحته[٤].

وقد ذهب ابن عاشورٍ رحمه الله إلى هذا القول، فقال:

فالمراد: العفيفات، والمحصنات هنا وصفٌ خرج مخرج الغالب؛ لأنَّ المسلم لا يقصد إلَّا إلى نكاح امرأةٍ عفيفةٍ، قال تعالى: {وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ} [النور: ٣٠] أي: بحسَب خُلُق الإسلام.

وقد قيل: إنَّ الإحصان يُطلق على الحرِّيَّة، وأنَّ المراد بالمحصنات الحرائر، ولا داعي إليه، واللُّغة لا تُساعد عليه[٥].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٤٥٠). ويُنظر «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ١٨٦).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٣٩٣).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٠/ ٤٦).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٣٧)، «تفسير القُرطبيّ» (٥/ ١٣٩).

(٥) «التَّحرير والتَّنوير» (٥/ ١٢).

ألَّا أنَّه عاد فخالف ذلك في تفسير قوله تعالى: {الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِكُمْ} فقال:

والمحصنات: النِّسوة اللَّائي أحصنهنَّ ما أحصنهنَّ، أي: منعهنَّ عن الخنا أو عن الرَّيب.

فأُطلق الإحصان على المعصومات بعصمة الأزواج، كما في قوله تعالى في سورة النِّساء عطفًا على المحرَّمات: {والْمُحْصَنَاتُ مِنَ النِّساءِ}.

وعلى المسلمات؛ لأنَّ الإسلام وزعهنَّ عن الخنا، قال الشَّاعر:

ويصدُهنَّ عن الخنا الإسلام

وأُطلق على الحرائر؛ لأنَّ الحرائر يترفَّعن عن الخنا من عهد الجاهليَّة.

ولا يصلح من هذه المعاني هنا الأوَّل؛ إذ لا يحلُّ تزوج ذات الزَّوج.

ولا الثَّاني لقوله: {مِنَ الْمُؤْمِناتِ} الَّذي هو ظاهرٌ في أنَّهنَّ بعض المؤمنات.

فتعيَّن معنى الحُرِّيَّة، ففسَّرها مالكٌ بالحرائر، ولذلك منع نكاح الحرِّ الأَمَة إلَّا إذا خشي العَنَت ولم يجد للحرائر طَوْلًا، وجوَّز ذلك للعبد.

وكأنَّه جعل الخطاب هنا للأحرار بالقرينة وبقرينة آية النِّساء: {وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ الْمُحْصَنَاتِ الْمُؤْمِناتِ}وهو تفسيرٌ بَيِّنٌ ملتئمٌ[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٦/ ١٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَظۡلِمُ مِثۡقَالَ ذَرَّةٖۖ ﴾ [النساء: ٤٠]

الذرة هي النملة الصغيرة[٢]، وقيل هي ذرة التراب، وليست هي الذرة كما في التصور الفيزيائي والكيميائي الحديث، فهذا اصطلاح حادث للذرة لم يكن مقصود القرآن، وإن صح المعنى.

٤٣ المِثْقَال: مقدار الشَّيء في الثِّقَل. يُقال: هذا على مثقال هذا، أي: وزن هذا[١].

قال ابن الجوزيّ: في المراد بالذَّرَّة خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه رأس نملةٍ حمراء، رواه عكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: ذرَّةٌ يسيرةٌ من التُّراب، رواه يزيد بن الأصمِّ، عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أصغر النَّمل، قاله ابن قُتيبة، وابن فارسٍ.

والرابع: الخَرْدَلة.

والخامس: الواحدة من الهَبَاء الظَّاهر في ضوء الشَّمس إذا طلعت من ثُقبٍ، ذكرهما الثَّعلبيُّ.

واعلم أنَّ ذِكْر الذَّرَّة ضَرْب مثلٍ بما يُعْقَل، والمقصود أنَّه لا يظلم قليلًا ولا كثيرًا[٢].

وقال القرطبيُّ: **وهي [أي: الذَّرَّة] في الجملة عبارةٌ عن أقلِّ الأشياء وأصغرها**[٣].

* قال الشَّيخ ابن عثيمين: المراد بالذَّرَّة: صغار النَّمل كما هو معروفٌ، وليس المراد بالذَّرَّة: الذَّرَّة المتعارف عليها اليوم كما ادَّعاه بعضهم؛ **لأنَّ هذه الذَّرَّة المتعارف عليها اليوم ليست معروفةً في ذلك الوقت، والله عزَّ وجلَّ لا يخاطب النَّاس إلَّا بما يفهمون**[٤].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٥١٤).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٤٠٦).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٥/ ١٩٥).

(٤) «لقاء الباب المفتوح».

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* ومن المفيد هنا عرض أهمِّ الضَّوابط الَّتي ينبغي أن تُراعى فيما يُسمَّى بالإعجاز العلميِّ في القرآن، يقول الدُّكتور مساعد الطَّيَّار حفظه الله:

إنَّ من المهمِّ جدًّا لدارس علم التَّفسير أن يعرف الصَّحيح من الضَّعيف في التَّفسير، ولا يُمكنه ذلك إلَّا إذا كانت هناك ضوابط وقواعد واضحةٌ يعمل بها.

وقد اطَّلعت على ما كتبه بعض المعتنين بالإعجاز من الضَّوابط فألفيتها تحتاج إلى ضبطٍ وتدقيقٍ، وأنَّ هناك ضوابط لم تُذكر، وإليك ما ظهر لي ممَّا أراه في ضوابط قبول هذه التَّفسيرات:

أوَّلًا: أن تكون القضيَّة المفسَّرُ بها صحيحةً في ذاتها، فإن كانت باطلةً فلا يصحُّ أن يُحمل القرآن عليها:

وتظهر صحَّتها من ثلاثة وجوهٍ:

الوجه الأوَّل: صحَّتها من جهة الوقوع.

الوجه الثَّاني: دلالة اللُّغة عليها.

الوجه الثَّالث: عدم مناقضتها للشَّرع.

أمَّا الوجه الأوَّل: فلا يُمكن أن يدركه إلَّا المتخصِّص بتلك الواقعة من فلكيٍّ، أو طبيبٍ، أو جيولوجيٍّ، أو غيرهم؛ كلٌّ في تخصُّصه.

وما ذلك إلَّا لأنَّ العالم بالتَّفسير أو بالشَّريعة لم يدرس هذه العلوم ليدرك صحَّة الواقعة من خلافها، لذا فإنَّه يعتمد على ما يذكره العالم بتلك الواقعة ثقةً به في علمه، فإذا أخبر الطَّبيب عن الظُّلمات الثَّلاث بحسب ما وصل إليه علم الطِّبِّ الآن، فإنَّه لا سبيل للمفسِّر إلى إنكار ذلك، بل شأنه التَّصديق ثقةً بالمخبِر عن ذلك.

أمَّا الوجه الثَّاني والثَّالث: فإنَّ المفسِّر أقدر فيهما من العالم بالواقعة الكونيَّة أو التَّجريبيَّة، ويمكنه معرفة صحَّة دلالة اللُّغة على تلك الواقعة أو عدم مناقضتها للشَّرع، وأضرب على ذلك مثالين موجزين لضيق المقام:

الأوَّل: من فسَّر الذَّرَّة في مثل قوله تعالى: {فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ *وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ} [الزلزلة: ٧ - ٨]. بأنَّها الذَّرَّة الإلكترونيَّة، وذلك غير معروفٍ في لغة العرب، فلا يصحُّ التَّفسير بها.

الثَّاني: من فسَّر قوله تعالى: {وَقَدْ خَلَقَكُمْ أَطْوَارًا} [نوح: ١٤] بأنَّها الأطوار الدَّاروينيَّة في نظريَّة النُّشوء والارتقاء، وتلك النَّظريَّة مصادمةٌ للشَّرع، وهي باطلةٌ مردودةٌ.

ثانيًا: ألَّا تُناقض قول السَّلف (الصَّحابة، والتَّابعين، وأتباعهم):

والمناقضة إنَّما تكون في ردِّ ما اتَّفقوا عليه، أو ردِّ جميع تفسيراتهم؛ لأنَّ من لوازم ذلك أن يكون في القرآن شيءٌ من معانيه جهِله المسلمون منذ عهد الصَّحابة إلى وقت ظهورِ هذه القضيَّة العلميَّة، واكتشافِ وجه ارتباطها بمعنى الآية، وهذا لازمٌ باطلٌ بلا ريبٍ، والقول بجهل السَّابقين بمعنى الآية مطلقًا يدلُّ على وجود خللٍ في تنظير القضيَّة.

والصَّواب في ذلك: أن يُقبل ما قاله السَّلف، ويُضاف إلى أقوالهم ما تحتمله الآية من المعاني الصَّحيحة الَّتي يحتملها السِّياق.

ثالثًا: أن تحتمل الآية القضيَّة المفسَّر بها:

إنَّ المُلاحَظ أنَّ من يتوجَّه إلى بيان القرآن بالمكتشفات المعاصرة يحرص على ربط بعض تلك المكتشَفات بالقرآن، ويقع الخلل عنده في الرَّبط.

فقد تكون القضيَّة الَّتي ثبتت في المكتشفات صحيحةً لا ريب فيها، ولكنَّ الآية لها دلالةٌ عند السَّلف لا توافق تلك القضيَّة المكتشَفة، فيأتي من يعتني بهذا الأسلوب فيجعل الآية تدلُّ على ما ثبت في الاكتشاف المعاصر، وقد تكون الآية لا تدلُّ عليه.

فهل يدلُّ قوله تعالى: {فَمَنْ يُرِدِ اللَّهُ أَنْ يَهْدِيَهُ يَشْرَحْ صَدْرَهُ لِلإِسْلاَمِ وَمَنْ يُرِدْ أَنْ يُضِلَّهُ يَجْعَلْ صَدْرَهُ ضَيِّقًا حَرَجًا كَأَنَّمَا يَصَّعَّدُ فِي السَّمَاءِ كَذَلِكَ يَجْعَلُ اللَّهُ الرِّجْسَ عَلَى الَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ} [الأنعام: ١٢٥] على ما اكتُشِف حديثًا من أنَّ الإنسان إذا صعد في طبقات الجوِّ العُليا يضيق تنفُّسه بسبب قِلَّة الأكسجين؟

ذلك ما يحتاج إلى تحريرٍ؛ لأنَّ القضية الَّتي اكتُشِفت قضيَّةٌ كونيَّةٌ صحيحةٌ، والآية لها دلالةٌ، فهل من دلالاتها هذه القضيَّة؟

وأقول: إنَّ كثيرًا من القضايا الَّتي رُبِطت بالقرآن تكون قد ثبتت علميًّا، لكنَّ الأمر هنا في صحَّة دلالة القرآن عليها، والله أعلم.

والنَّتيجة في مثل هذه: أن تكون القضيَّة المكتشفة صحيحةً، ولا تُناقض تفسير السَّلف، لكنَّ الآية لا تحتملها ولا تدلُّ عليها.

وهذه المسألة -وهي صحَّة دلالة الآية على المكتشفات العلميَّة- هي محور الخلاف، ومحلُّ النِّزاع الَّذي يحتاج إلى تحريرٍ؛ إذ الأقوال الباطلة المبنيَّة على علمٍ باطلٍ لا يدلُّ عليها القرآن قطعًا.

رابعًا: ألَّا يُقصَر معنى الآية على هذا التَّفسير المعاصر:

هذا الضَّابط يتداخل مع الضَّابط الثَّاني، وهو ألَّا يُناقض قول السَّلف، وإنَّما أُفرِدَ للتَّنبيه على أنَّه قد يُفهم من عرض المكتشفات العلميَّة دون الأقوال الأخرى المحتمَلة؛ أنَّ الآية لا تدلُّ إلَّا على هذا التَّفسير الحادث دون ما سواه، وعلى هذا فهو ضابطٌ احترازيٌّ يحسن بمن يتعرَّض للتَّفسير أن يتنبَّه له، وأن يذكر -ولو على سبيل الإجمال دون التَّفصيل- أنَّ في الآية أقوالًا أخرى صحيحةً، حتَّى يزول عند السَّامع احتمال أنَّ التَّفسير المعاصر هو المراد دون غيره[1].

(١) «الإعجاز العلميُّ إلى أين» (ص: ٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٤٤﴾ ﴿أَوْ جَآءَ أَحَدٌ مِّنكُم مِّنَ ٱلْغَآئِطِ﴾ [النساء: ٤٣]

الْغَائِط هنا هو مكان قضاء الحاجة [٣] وليس الحاجة المعروفة نفسها، وقد كنى الله عن الحاجة بمكانها، وإلا فمجرد إتيان مكان الحاجة ليس موجبًا للوضوء كما أن الحكم ليس مختصًا بالغائط وحده بل والبول والريح.

﴿٤٤﴾ الغائط: ما اتَّسع من الأودية وتصوَّب، وجُعل كنايةً عن قضاء حاجة الإنسان، لأنَّ العرب كانت تختار قضاءَ حاجتها في الغِيطان، فكثر ذلك منها حتَّى غلب عليهم ذلك، فقيل لكلِّ من قضى حاجتَه الَّتي كانت تُقضى في الغِيطان حيثُ قضاها من الأرض: مُتَغَوِّطٌ.

وجاء فلانٌ من الغائط: يعني به: قضى حاجته الَّتي كانت تُقضى في الغائط من الأرض[١].

وكانت العرب تقصد هذا الصِّنف من المواضع لقضاء الحاجة تستُّرًا عن أعين النَّاس، **ثمَّ سُمِّي الحَدَثُ الخارج من الإنسان غائطًا توسُّعًا، ويدخل في الغائط جميع الأحداث النَّاقضة للوضوء**[٢].

وقال ابن عاشورٍ: فكان قولهم: (ذهب إلى الغائط أو تغوَّط) كنايةً لطيفةً، ثمَّ استعملها النَّاس بعد ذلك كثيرًا حتَّى ساوت الحقيقة فسمجت، فصار الفقهاء يطلقونه على نفس الحَدَث ويعلِّقونه بأفعالٍ تناسب ذلك[٣].

فائدة:

في ذكر {أَحَدٌ} دون غيره إيماءٌ إلى أنَّ الإنسان ينفرد عند قضاء الحاجة كما هو دَأْبُه وأَدَبُه[٤].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ٣٨٨).

(٢) «فتح القدير» (١/ ٥٤٢).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٥/ ٦٦).

(٤) «حاشية الشِّهاب» (٣/ ١٤٠)، «روح المعاني» (٣/ ٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* وما ذكره المعدُّ من ظنِّ البعض أنَّ الغائط هو الحاجة نفسها لا يُمكن تصورُّه في هذا السِّياق، فلا يُقال: (جاء من الغائط) على افتراض أنَّه الحاجةُ نفسُها؛ العَذِرةُ أو البول، إلَّا أن يكون المعنى (جاء من موضع قضاء الحاجة)، لا أنَّه جاء من العَذِرة نفسها أو البول نفسه! وهذا هو نفس المعنى الذي ذكره المعدُّ للغائط: (مكان قضاء الحاجة)!

وإنَّما معنى الغائط في اللُّغة: هو المُطْمَئِنُّ من الأرض[1].

فالَّذي يظهر: أنَّ المعنى الَّذي قد يفهمه البعض خطأً هنا: هو فهم الآية على ظاهرها؛ من أنَّ مجرَّد المجيء من الغائط ناقضٌ للوضوء، سواءٌ فَهِم الغائط على معناه اللُّغويِّ (الأرض المنبسطة المنخفضة)، أو على ما تُوسِّع فيه بعد ذلك (موضع قضاء الحاجة).

والصَّواب الَّذي يجب تنبيههم عليه: أنَّ ذلك التَّعبير كلَّه (جاء من الغائط) إنَّما هو كنايةٌ استعملتها العرب عن قضاء الحاجة وفعل الحَدَث النَّاقض للوضوء، كما سبق بيانه.

(١) «التَّفسير الوسيط» (٢/ ٥٨)..

٤٥ ﴿وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذ ظَّلَمُوٓاْ أَنفُسَهُمْ جَآءُوكَ فَٱسْتَغْفَرُواْ ٱللَّهَ وَٱسْتَغْفَرَ لَهُمُ ٱلرَّسُولُ﴾

[النساء: ٦٤]

وهذا المجيء إلى الرسول ﷺ مختص بحياته؛ لأن السياق يدل على ذلك لكون الاستغفار من الرسول ﷺ لا يكون إلا في حياته، وأما بعد موته فإنه لا يطلب منه شيء بل هو شرك [١].

٤٥ قال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: ومنهم من يتأوَّل قوله تعالى {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} ويقولون: إذا طلبنا منه الاستغفار بعد موته كنَّا بمنزلة الَّذين طلبوا الاستغفار من الصَّحابة، ويخالفون بذلك إجماع الصَّحابة والتَّابعين لهم بإحسانٍ وسائر المسلمين، فإنَّ أحدًا منهم لم يطلب من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بعد موته أن يشفع له، ولا سأله شيئًا، ولا ذكر ذلك أحدٌ من أئمَّة المسلمين في كتبهم، وإنَّما ذكر ذلك من ذكره من متأخِّري الفقهاء، وحكَوْا حكايةً مكذوبةً على مالكٍ رضي الله عنه[١].

وقال الشَّيخ محمَّد صدِّيق خان: وهذا المجيء يختصُّ بزمان حياته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم، وليس المجيء إليه يعني: إلى مرقده المنوَّر بعد وفاته صلَّى الله عليه وآله وسلَّم ممَّا تدلُّ عليه هذه الآية... ولهذا لم يذهب إلى هذا الاحتمال البعيد أحدٌ من سلف الأُمَّة وأئمَّتها، لا من الصَّحابة، ولا من التَّابعين، ولا ممَّن تبعهم بالإحسان[٢].

* وممَّا يلزم التَّنبيه عليه تلك القصَّة الَّتي أوردها الحافظ ابن كثيرٍ رحمه الله في تفسير تلك الآية، واعتمد عليها أيضًا كثيرٌ من متأخِّري الفقهاء، يقول رحمه الله:

وقد ذكر جماعةٌ منهم الشَّيخ أبو نصر بن الصَّبَّاغ في كتابه "الشَّامل" الحكاية المشهورة عن العتبيِّ، قال: كنت جالسًا عند قبر النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فجاء أعرابيٌّ فقال: السَّلام عليك يا رسول الله، سمعت الله يقول: {وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ جَاءُوكَ فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ

(١) «مجموع الفتاوى» (١/ ١٥٩).

(٢) «فتح البيان» (٣/ ١٦٦).

وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ لَوَجَدُوا اللَّهَ تَوَّابًا رَحِيمًا} وقد جئتك مستغفرًا لذنبي مستشفعًا بكَ إلى ربِّي، ثمَّ أنشأ يقول:

يَا خيرَ مَنْ دُفنَت بِالْقَاعِ أعظُمُه .:. فَطَابَ مِن طِيبِهِنَّ القاعُ والأَكَمُ

نَفْسي الفداءُ لقبرٍ أَنْتَ ساكنُه .:. فيهِ العفافُ وَفِيهِ الجودُ والكرمُ

ثمَّ انصرف الأعرابيُّ فغلبتني عيني، فرأيتُ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم في النَّوم فقال: يا عتبيُّ الحق الأعرابيَّ فبشِّره أنَّ الله قد غفر له[1].

قال الحافظ ابن عبد الهادي: وفي الجملة: ليست هذه الحكاية المنكورة عن الأعرابيِّ ممَّا يقوم به حُجَّةٌ، وإسنادها مُظلمٌ مختلفٌ[2]، ولفظها مختلفٌ[2] أيضًا، ولو كانت ثابتةً لم يكن فيها حُجَّةٌ على مطلوب المعترِض، ولا يصلح الاحتجاج بمثل هذه الحكاية، ولا الاعتماد على مثلها عند أهل العلم، وبالله التوفيق[3].

وقال بدر الدِّين البَعْلِيُّ: وهذه الحكاية لا يثبت بها حكمٌ شرعيٌّ، لا سيَّما في مثل هذا الأمر الَّذي لو كان سُنَّةً لكان السَّابقون إليه أسبق وبه أعلم[4].

(١) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٣٤٧).

(٢) كذا! ولعلها: مُخْتَلَقٌ.

(٣) «الصَّارم المُنْكِي» (ص: ٢٥٣).

(٤) «المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصِّراط المستقيم» (ص: ١٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٤٦﴾ ﴿فَٱنفِرُواْ ثُبَاتٍ أَوِ ٱنفِرُواْ جَمِيعًا﴾ [النساء: ٧١]

ثُبَاتٍ ليس معناها ثابتين بل معناها انفروا جماعات متفرقة، جماعة بعد جماعة، جمع ثُبَة [٢].

﴿٤٦﴾ قال جميع أهل اللُّغة: الثُّبَات: جماعاتٌ مُتفرِّقة، واحدها ثُبَةٌ، وأنشدوا لزُهيرٍ:

وَقَدْ أَغْدُوا عَلَى ثُبَةٍ كِرَامٍ .:. نَشَاوَى وَاجِدِينَ لِمَا نَشَاء

...وأمَّا التَّفسير: فقال المفسِّرون في الثُّبات نحوَ قول أهل اللُّغة:

فقال مقاتلٌ: عُصبًا متفرِّقين.

وقال قتادة: الثُّبات: الفِرَق.

وقال ابن عبَّاسٍ: سرايا متفرِّقين

وأمَّا معنى الآية: فقال العلماء: هذه الآية تدلُّ على أنَّ الجهاد من فروض الكفاية؛ لأنَّ الله تعالى خيَّرهم بين أن يُقاتلوا جميعًا، وبين أن يُقاتل بعضُهم دون بعضٍ بقوله: {فَانْفِرُوا ثُبَاتٍ أَوِ انْفِرُوا جَمِيعًا}، فدلَّ أنَّه ليس من فروض الأعيان. وهذا مذهب جماعةٍ من المفسِّرين في الآية.

وقال قومٌ: الآية لا تدلُّ على ذلك؛ لأنَّ قوله: {فَانْفِرُوا} {أَوِ انْفِرُوا} محمولٌ على حالين مختلفين، فقوله: {انْفِرُوا ثُبَاتٍ} إذا لم ينفر معهم رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، {أو انفروا جميعًا} مع الرَّسول. نظيره قوله: {مَا كَانَ لِأَهْلِ الْمَدِينَةِ وَمَنْ حَوْلَهُمْ مِنَ الْأَعْرَابِ أَنْ يَتَخَلَّفُوا عَنْ رَسُولِ اللَّهِ} [التوبة: ١٢٠] إذا نفر رسول الله، {وَمَا كَانَ الْمُؤْمِنُونَ لِيَنْفِرُوا كَافَّةً} [التوبة: ١٢٢] إذا لم ينفر رسول الله. وهذا قول عبد الرحمن بن زيدٍ والكلبيّ.

ومنهم من قال: التَّخيير في قوله: {فَانْفِرُوا} {أَوِ انْفِرُوا} يعود إلى صفة الخروج للقتال، يقول: انفروا جماعاتٍ متفرِّقةً، أو انفروا جميعًا بعضُكم إلى بعض، أي: على أيِّ صفةٍ كانت[١].

(١) «التَّفسير البسيط» (٦/ ٥٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ وَيُلْقُوٓاْ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَمَ ﴾ [النساء: ٩١]

أي انقادوا لكم طائعين مستسلمين[1]، وليس المراد: ألقوا إليكم تحية السلام، ومنه كذلك قوله: ﴿ وَأَلۡقَوۡاْ إِلَى ٱللَّهِ يَوۡمَئِذٍ ٱلسَّلَمَۖ ﴾ أي استسلموا لله يوم القيامة ذالّين منقادين لحكمه[2]، بخلاف قوله تعالى: ﴿ وَلَا تَقُولُواْ لِمَنۡ أَلۡقَىٰٓ إِلَيۡكُمُ ٱلسَّلَٰمَ لَسۡتَ مُؤۡمِنٗا ﴾: فهي تعني إلقاء التحية أي قول (السلام عليكم)[3].

٤٧

١- قوله تعالى: {فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلًا} [النساء: ٩٠] **وقوله تعالى: {فَإِنْ لَمْ يَعْتَزِلُوكُمْ وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ وَيَكُفُّوا أَيْدِيَهُمْ فَخُذُوهُمْ وَاقْتُلُوهُمْ حَيْثُ ثَقِفْتُمُوهُمْ}** [النساء: ٩١]

ففي {السَّلَمَ} هنا قولان:

أحدهما: الصُّلح، وهو قول الرَّبيع ومقاتل.

والثَّاني: الإسلام، وهو قول الحسن[1].

قال الطَّبريُّ: {فلم يقاتلوكم وألقوا إليكم السَّلَم}، يقول: وصالحوكم. و{السَّلَم} هو الاستسلام. وإنَّما هذا مثلٌ، كما يقول الرَّجل للرَّجل: أعطيتك قِيادي، وألقيت إليك خِطَامي: إذا استسلم له وانقاد لأمره. فكذلك قوله: {وألقوا إليكم السَّلَم} إنَّما هو: ألقوا إليكم قيادَهم واستسلموا لكم صلحًا منهم لكم وسَلَمًا[2].

فكأنَّ إلقاء السَّلَم استعارةٌ؛ لأنَّ من سلَّم شيئًا ألقاه وطرحه عند المسلَّم له[3].

٢- قوله تعالى: {وَأَلْقَوْا إِلَى اللَّهِ يَوْمَئِذٍ السَّلَمَ وَضَلَّ عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَفْتَرُونَ} [النحل: ٨٧]

قال ابن عبَّاسٍ: يريد استسلموا وأقرُّوا لله بالرُّبوبيَّة.

وقال الكلبيُّ: استسلم العابد والمعبود.

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٤٤٦)، «النُّكَت والعيون» (١/ ٥١٤).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٨/ ٢٣).

(٣) «حاشية الشِّهاب» (٣/ ١٦٥)، «روح المعاني» (٣/ ١٠٧).

وقال قتادة: يقول: ذَلُّوا واستسلموا يومئذٍ لحكم الله[1].

قال ابن الجوزيّ: وفي المشار إليهم قولان:

أحدهما: أنَّهم المشركون، قاله الأكثرون.

ثمَّ في معنى استسلامهم قولان:

أحدهما: أنَّهم استسلموا له بالإقرار بتوحيده ورُبوبيَّته.

والثَّاني: أنَّهم استسلموا لعذابه.

والثَّاني: أنَّهم المشركون والأصنام كلُّهم.

قال الكلبيُّ: والمعنى: أنَّهم استسلموا لله منقادين لحُكمه[2].

٣- قوله تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا ضَرَبْتُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَتَبَيَّنُوا وَلَا تَقُولُوا لِمَنْ أَلْقَى إِلَيْكُمُ السَّلَامَ لَسْتَ مُؤْمِنًا} [النساء: ٩٤]

قال ابن الجوزيّ: قرأ ابن كثيرٍ، وأبو عمرٍو، وأبو بكرٍ، وحفصٌ عن عاصمٍ، والكسائيُّ: (السَّلام) بالألف مع فتح السِّين.

قال الزَّجَّاج: يجوز أن يكون بمعنى التَّسليم، ويجوز أن يكون بمعنى الاستسلام.

وقرأ نافعٌ، وابن عامرٍ، وحمزة، وخلفٌ، وجبَلةُ عن المفضَّل عن عاصمٍ: (السَّلَم) بفتح السِّين واللَّام من غير ألف، وهو من الاستسلام.

وقرأ أبان بن يزيدٍ عن عاصمٍ [(السِّلْم)] بكسر السِّين وإسكان اللَّام من غير ألف[3].

قال القرطبيُّ: السَّلَمُ والسِّلْم والسَّلام واحدٌ، قاله البخاريُّ. وقُرئ بها كلِّها...

وقيل: (السَّلام) قوله (السَّلامِ عليكم)، وهو راجِعٌ إلى الأوَّلِ [يعني: السَّلَم الَّذي هو الاستسلام]؛ لأنَّ سلامه بتحيَّة الإسلام مُؤذنٌ بطاعته وانقياده...

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ١٦٨).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٥٧٨).

(٣) «زاد المسير» (١/ ٤٥٣).

والسِّلْم بِشدِّ السِّين وكسرها وسكون اللَّام: الصُّلح[1].

وقال ابن عاشورٍ: قرأ نافعٌ، وابن عامرٍ، وحمزة، وخلفٌ: (السَّلَم) بدون ألف بعد اللَّام: وهو ضدُّ الحرب، ومعنى ألقى السَّلم: أظهره بينَكم، كأنَّه رماه بينهم.

وقرأ البقيَّة (**السَّلام**) **بالألف: وهو مشتركٌ بين معنى السِّلْم ضدِّ الحرب، ومعنى تحيَّة الإسلام**، فهي قول: (السَّلام عليكم)، أي: من خاطبكم بتحيَّة الإسلام علامةً على أنَّه مسلمٌ[2].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٥/ ٣٣٨).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٥/ ١٦٧).

٤٨ ﴿ إِنۡ خِفۡتُمۡ أَن يَفۡتِنَكُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ ﴾ [النساء: ١٠١]

أي إن خفتم أن يعتدوا عليكم فيجوز لكم قصر الصلاة[٤]، وليس يفتنكم أي يضلونكم عن دينكم.

٤٨ قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يريد: أن يقتلكم[١].

قال الطَّبريُّ: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا} يعني: إن خشيتم أن يفتنكم الَّذين كفروا في صلاتكم. وفتنتهم إيَّاهم فيها: حملهم عليهم وهم فيها ساجدون حتَّى يقتلوهم أو يأسروهم، فيمنعوهم من إقامتها وأدائها، ويحولوا بينهم وبين عبادة الله وإخلاص التَّوحيد له[٢].

وقال البغوي: {إِنْ خِفْتُمْ أَنْ يَفْتِنَكُمُ} أي: يغتالَكم ويقتلَكم {الَّذِينَ كَفَرُوا} في الصَّلاة، نظيره قوله تعالى: {عَلَى خَوْفٍ مِنْ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِمْ أَنْ يَفْتِنَهُمْ} [يونس: ٨٣] أي: يقتلَهم[٣].

وقال ابن عطيَّة: {يَفْتِنَكُمُ} معناه: يمتحنكم بالحمل عليكم وإشغال نفوسكم في صلاتكم... **وأصل الفتنة الاختبار بالشَّدائد، وإلى هذا المعنى ترجع كيف تصرَّفَتْ**[٤].[٥]

---

(١) «التَّفسير الوسيط» (٢/ ١٠٨).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٩/ ١٢٣).

(٣) «تفسير البغويّ» (٢/ ٢٧٤).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ١٠٤).

(٥) ويُنظر معنى الفتنة أيضًا في قوله تعالى: {وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلهِ} رقم (١٥).

﴿٤٩﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِ﴾ [المائدة:١]

يفهم بعض الناس أن هذا أمرٌ بالإيفاء بالعقود التجارية فقط، والصواب أنها أعم من ذلك، قال ابن سعدي: «وهذا شامل للعقود التي بين العبد وبين ربه، من التزام عبوديته والقيام بها أتم قيام وعدم الانتقاص من حقوقها شيئًا، والتي بينه وبين الرسول ﷺ بطاعته واتباعه، والتي بينه وبين الوالدين والأقارب ببرهم وصلتهم وعدم قطيعتهم، والتي بينه وبين أصحابه من القيام بحقوق الصحبة في الغنى والفقر واليسر والعسر، والتي بينه وبين الخلق من عقود المعاملات كالبيع والإجارة ونحوهما، وعقود التبرعات كالهبة ونحوها، بل والقيام بحقوق المسلمين التي عقدها الله بينهم في قوله: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ إِخۡوَةٞ﴾ بالتناصر على الحق والتعاون عليه والتآلف بين المسلمين وعدم التقاطع، فهذا الأمر شامل لأصول الدين وفروعه، فكلها داخلة في العقود التي أمر الله القيام بها»[1].

﴿٤٩﴾ العُقُود: العُهُود، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وابن جُبيرٍ، وقتادة، والضَّحَّاك، والسُّدِّيُّ، والجماعة.

وقال الزَّجَّاج: العقود: أوكد العهود[1].

والعَقْد في اللُّغة معناه: الجمع بين الشَّيئين بما يعسر انفصال أحدهما عن الآخر، كعُقْدَة الحَبْل بالحَبْل، ثمَّ يُسمَّى العَهْد وما يُؤَكِّده النَّاس بينهم الأمانات والمواثيق عقدًا لإحكامه[2].

فأصل العقود الرُّبُوط، يُقال: عَقَدْتُ الحَبْل والعَهْد، فهو يُستعمل في الأجسام والمعاني، وإذا استُعمل في المعاني كما هنا أفاد أنَّه شديد الإحكام، قويُّ التَّوثيق[3].

* واختلفوا في المراد بالعهود هاهنا على خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها عهود الله الَّتي أخذها على عباده فيما أحلَّ وحَرَّم، وهذا قول ابن عبَّاسٍ ومجاهد.

والثَّاني: أنَّها عهود الدِّين كلِّها، قاله الحسن.

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٥٠٥).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٧/ ٢١٧).

(٣) «فتح القدير» (٢/ ٦).

والثَّالث: أنَّها عهود الجاهليَّة، وهي الحِلْف الَّذي كان بينَهم، قاله قتادة.

والرَّابع: أنَّها العهود الَّتي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنَّبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، قاله ابن جريجٍ، وعنه أنَّ الخطاب للكتابيِّين.

والخامس: أنَّها عقود النَّاس بينَهم من بيعٍ ونكاحٍ، أو عَقْد الإنسان على نفسه من نذرٍ أو يمينٍ، وهذا قول ابن زيدٍ(١).

* ورجَّح ابن جريرٍ الطبريُّ والزَّمخشريُّ القول الأوَّل:

قال الطَّبريُّ: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصَّواب ما قاله ابن عبَّاسٍ، وأنَّ معناه: أوفوا يا أيُّها الَّذين آمنوا بعقود الله الَّتي أوجبَهَا عليكم وعقدها فيما أحلَّ لكم وحرَّم عليكم، وألزمكم فرضه، وبيَّن لكم حدودَه.

وإنَّما قلنا ذلك أولى بالصَّواب من غيره من الأقوال؛ لأنَّ الله جلَّ وعزَّ أتبع ذلك البيانَ عمَّا أحلَّ لعباده وحرَّم عليهم، وما أوجب عليهم من فرائضه(٢).

وقال الزَّمخشريُّ: والظَّاهر أنَّها عقود الله عليهم في دينه، من تحليل حلاله وتحريم حرامه، وأنَّه كلامٌ قُدِّم مُجملًا ثُمَّ عُقِّب بالتَّفصيل(٣).

* أمَّا القول الرَّابع -وهو قول ابن جريجٍ-: أنَّها العهود الَّتي أخذها الله على أهل الكتاب من الإيمان بالنَّبيِّ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فيكون الخطاب بقوله {يا أيها الَّذين آمنوا} مرادًا به أهل الكتاب، وهو خلاف الظَّاهر(٤).

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٥٠٥)، «النُّكَت والعيون» (٢/ ٥).

(٢) «تفسير الطَّبريِّ» (٩/ ٤٥٤).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٦٠٠).

(٤) «روح المعاني» (٣/ ٢٢٢).

* واختار بعض المفسِّرين أنَّ المراد بالعقود يعمُّ جميع ما ألزمه الله تعالى عبادَه وعقد عليهم من التَّكاليف والأحكام الدِّينيَّة، وما يعقدونه فيما بينهم من عقود الأمانات والمعاملات ونحوهما ممَّا يجب الوفاء به، أو يحسن دينًا، ويُحمل الأمر على مُطلَق الطَّلب ندبًا أو وجوبًا، ويدخل في ذلك اجتناب المحرَّمات والمكروهات؛ لأنَّه أوفق بعموم اللَّفظ إذ هو جمعٌ مُحَلًّى باللَّام وأوفى بعموم الفائدة[1].

وقال السَّمرقنديُّ: هذا من جوامع الكَلِم؛ لأنَّه اجتمع فيه ثلاثة أنواعٍ من العقود:

أحدها: العقود الَّتي عقد الله تعالى على عبادة من الأوامر والنَّواهي.

والنَّوع الثَّاني: العقود الَّتي يعقدها الإنسان بينَه وبينَ الله تعالى من النُّذور والأيمان، وغير ذلك.

والنَّوع الثَّالث: العقود الَّتي بينَه وبينَ النَّاس، مثل البيوع والإجارات وغير ذلك.

فوجب الوفاء بهذه العقود كلِّها[2].

قال ابن عطيَّة: أصوب ما يُقال في تفسير هذه الآية أنْ تُعمَّم ألفاظها بغاية ما تتناول، فيُعمَّم لفظُ المؤمنين في جملة من يُظهر الإيمان إن لم يُبْطِنْه[3]، وفي المؤمنين حقيقةً، ويُعمَّم لفظ العقود في كلِّ رَبْطٍ بقولٍ موافقٍ للحقِّ والشَّرع[4].

(١) «روح المعاني» (٣/ ٢٢٢).

(٢) «تفسير السَّمرقنديّ» (١/ ٣٦٥).

(٣) هذا التَّعميم المذكور لا يوافق عُرف خطاب القرآن بـ{يا أيُّها الَّذين آمنوا} لإنَّه صار كاللَّقب لمن اتَّبع الدِّين اتِّباعا حقًّا. يُنظر «التَّحرير والتَّنوير» (٢/ ٢٧٧).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ١٤٤).

﴿٥٠﴾ {يَسْأَلُونَكَ مَاذَا أُحِلَّ لَهُمْ قُلْ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ اللَّهُ} [المائدة: ٤]

* {الجوارح}: الكَواسب من سباع البهائم والطَّير، سُمِّيت جوارحُ لجَرْحِها لأربابها، وكَسْبها إيَّاهم أقواتَهم من الصَّيد. يُقال منه: جَرَحَ فلانٌ لأهله خيرًا: إذا أكسبهم خيرًا، وفلانٌ جارِحَة أهله، يعني بذلك: كاسبهم. ولا جارحة لفلانةٍ: إذا لم يكن لها كاسبٌ[١].

فيدخل في الجوارح: الكلاب الضَّواري، والفُهُود، والصُّقُور، وأشباهها[٢].

وحكى ابن المُنْذِر عن قومٍ أنَّهم قالوا: (الجوارح) مأخوذٌ من الجارح، أي: الحيوان الَّذي له نابٌ وظُفُرٌ أو مخلبٌ يجرح به صيدَه.

قال ابن عطيَّة : وهذا قولٌ ضعيفٌ، أهل اللُّغة على خلافه[٣].

* وفي معنى {مُكَلِّبِينَ} أقوالٌ:

الأول: أنَّه حالٌ مشتقٌ من (الكَلْب) الحيوان المعروف:

وقد فهم بعض أئمة السَّلف من هذا المعنى أنَّ هذه الحال مخصصّةٌ لعموم الجوارح، ورأَوْا أنَّ معنى الآية: أُحلَّ لكم ما علَّمتم من الجوراح حال كونكم أصحاب كلابٍ فقط.

فذهب ابن عُمر والضَّحَّاك ومجاهدٌ إلى أنَّه لا يَحِلُّ ما صيد بغير الكلب من الفهد والبازيّ[٤].

﴿٥٠﴾ ﴿وَمَا عَلَّمْتُم مِّنَ ٱلْجَوَارِحِ مُكَلِّبِينَ﴾ [المائدة ٤]

فهم بعضهم من كلمة مكلبين أن ذلك مختص بكلاب الصيد المعلَّمة، والصواب أن ذلك يشمل الكلاب والفهود والصقور وأشباهها[١]، إذ الكلب يطلق ويراد به السبع ففي الحديث عن النبي ﷺ: «**اللهم سلط عليه كلباً من كلابك**» فقتله الأسد[٢].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٩/ ٥٤٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٢).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ١٥٧).

(٤) «غرائب التَّفسير» (١/ ٣١٨).

ومثل هذا يُروى عن السُّدِّيِّ أيضًا. وهذا قولٌ غير معمولٍ به[١].

وجمهور العلماء على أنَّ قوله {وما علَّمتم من الجوارح} يدخل فيه كلُّ ما يُمكن الاصطياد به، كالفهد والسِّباع والطُّيور الجارحة[٢].

وذكروا في توجيه {مكلِّبين} على المعنى السَّابق: **أنَّ هذه الحال قد خرجت مَخْرَج الغالب:**

قال أبو سليمان الدِّمشقيُّ: وإنَّما قيل لهم: مُكلِّبين؛ لأنَّ الغالب من صيدهم إنَّما يكون بالكلاب[٣].

وقال ابن عاشورٍ: {مُكَلِّبِينَ} وصفٌ مشتقٌّ من الاسم الجامد، اشتُقَّ من اسم الكلب جريًا على الغالب في صيد الجوارح، ولذلك فوقوعه حالًا من ضمير {عَلَّمْتُمْ} ليس مخصِّصًا للعموم الَّذي أفاده قوله: {وَما عَلَّمْتُمْ}، فهذا العموم يشمل غير الكلاب من فهود وبُزاةٍ[٤].

الثَّاني: أنَّه حالٌ مشتقٌّ من (التَّكليب)، وهو تأديب وتعليم الجوارح:

فالمكلِّب: مؤدِّب الجوارح ومضرِّيها بالصَّيد لصاحبها، ورائضها لذلك بما عُلِم من الحيل وطرق التَّأديب والتَّثقيف، واشتقاقه من الكَلْب؛ لأنَّ التَّأديب أكثر ما يكون في الكلاب، فاشتقَّ من لفظه لكثرته من جنسه.

فإن قلتَ: ما فائدة هذه الحال وقد استغنى عنها بـ{علَّمْتُم}؟

قلتُ: فائدتها أن يكون من يُعلِّم الجوارح نحريرًا في علمه مدرَّبًا فيه، موصوفًا بالتَّكليب[٥].

وقال الشَّوكانيُّ: ولم يكتف بقوله: {وَما عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوارِحِ} مع أنَّ التَّكليب هو التَّعليم؛ لقصد التَّأكيد لما لا بُدَّ منه مِن التَّعليم[٦].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٧/ ٢٦٣).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١١/ ٢٩١).

(٣) «زاد المسير» (١/ ٥١٦).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٦/ ١١٤).

(٥) «الكشَّاف» (١/ ٦٠٦).

(٦) «فتح القدير» (٢/ ١٦).

الثَّالث: أنَّه حالٌ مشتقٌّ من (الكَلَب) الَّذِي هُوَ الحِرْص والضَّرَواة:

يُقال فلانٌ: كَلِبٌ بكذا إذا كان حريصًا عليه، وبه كَلَبٌ أي: حرصٌ[١].

ويُقال: هو كَلِبٌ بكذا، إذا كان ضاريًا به[٢].

قال السَّمين الحلبيُّ: وكأنَّ (الكَلَب) أيضًا مشتقٌّ من الكَلْبِ هذا الحيوانِ لحرصه[٣].

وعلى القولين الثَّاني والثَّالث فالحال {مُكلِّبين} لا يُنافي عموم ما عُلِّم من الجوارح، فيدخل فيه السِّباع والطُّيور الجارحة.

الرَّابع: أنَّه حالٌ مشتقٌّ من (الكَلْب)، والكَلْب: هو كلُّ سَبُعٍ:

فقد أخرج الحاكم في المستدرَك- وقال: صحيح الإسناد- من حديث أبي نَوْفَلٍ قال: «كان لَهَب بن أبي لَهَبٍ يسبُّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال صلَّى الله عليه وسلَّم: اللَّهمَّ سلِّط عليه كلبًا من كلابك -أو كلبك- فخرج في قافلةٍ يريد الشَّام، فنزلوا منزلًا فيه سباعٌ فقال: إنِّي أخاف دعوة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فجعلوا متاعه حولَه وقعدوا يحرسونه، فجاء أسدٌ فانتزعه وذهب به»[٤].

ولم يسلم هذا الاشتقاق من الاعتراض:

فقال الخفاجيُّ: في شموله للطَّير نظرٌ، ولا دلالة في تسميته الأسد كلبًا عليه[٥].

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١١/ ٢٩١).

(٢) «الكشَّاف» (١/ ٦٠٦).

(٣) «الدُّرُّ المصون» (٤/ ٢٠٢).

(٤) «روح المعاني» (٣/ ٢٣٦).

(٥) «حاشية الشِّهاب الخفاجيّ» (٣/ ٢١٦)، «روح المعاني» (٣/ ٢٣٦)، «تاج العروس» (٤/ ١٦٠).

﴿ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ قَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمۡ كَثِيرٗا مِّمَّا كُنتُمۡ تُخۡفُونَ مِنَ ٱلۡكِتَٰبِ وَيَعۡفُواْ عَن كَثِيرٖ ﴾ [المائدة: ١٥]

ليس معنى يعفو هنا يصفح ويتجاوز كما فهم بعض الناس، بل معناها يُعرض عن كثير مما يُخفي أهل الكتاب فلا يتعرض له ولا يؤاخذهم به[٣].

(٣) تفسير البغوي ٣/ ٣٣

(٥١) أحال المعدُّ في الهامش على تفسير البغويّ ممَّا يُوهم أنَّ التَّنبيه المذكور له، وهذا نصُّ كلامه رحمه الله:

{وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ} أي: يُعرض عن كثيرٍ ممَّا أخفيتُم فلا يتعرَّض له، **ولا يؤاخذكم به**[١].

فأين في قول البغويّ التَّنبيه على أنَّ العفو هنا ليس بمعنى الصَّفح والتَّجاوز؟!

كما أنَّ سياق كلام المعدِّ يُناقض أوَّلُه آخرَه، فإن كان العفو لا يُراد به معنى الصَّفح والتَّجاوز، فما هو معنى قول البغويّ (ولا يُؤاخذهم به)!

* ويمكن إجمال ما ذكره المفسِّرون في معنى العَفْو في هذه الآية في معنيين، هما:

الأوَّل: العفو بمعنى: التَّجاوز بترك إخبارهم بكثيرٍ ممَّا أخفوه من كتبهم، ممَّا لم يَضطرَّه إليه أمرٌ دينيٌّ:

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: يتجاوز عن كثيرٍ، فلا يخبرهم بكتمانه[٢].

قال ابن الجوزيّ: إن قيل: كيف كان له أن يُمسك عن حقٍّ كتموه فلا يُبيّنه؟

فعنه جوابان:

أحدهما: أنَّه كان مُتلقِّيًا ما يُؤمر به، فإذا أُمِر بإظهار شيءٍ من أمرهم أظهره، وأخذهم به، وإلَّا سكت.

والثَّاني: أنَّ عقد الذِّمَّة إنَّما كان على أن يُقرُّوا على دينهم، فلمَّا كتموا كثيرًا ممَّا أُمروا به، واتَّخذوا غيره دينًا، أظهر عليهم ما كتموه مِن صفته وعلامة نبوَّته؛ لتتحقَّق معجزته عندهم،

---

(١) «تفسير البغويّ» (٣/ ٣٣).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٧/ ٣١٠).

واحتكموا إليه في الرَّجم، فأظهر ما كتموا ممَّا يوافق شريعته، وسكت عن أشياء ليتحقَّق إقرارهم على دينهم[١].

وقيل: هذا المتروك الَّذي لا يُبيِّن هو في معنى افتخارهم ونحوه، ممَّا لا يتعيَّن في ملَّة الإسلام فضحهم به وتكذيبهم[٢].

الثَّاني: العفو بمعنى: الصَّفح وعدم مؤاخذتهم أو فضحهم بما أخفَوْه من كتبهم:

عن الحسن: ويعفو عن كثير منكم لا يُؤاخِذه[٣].

قال الطَّبري: يعني بقوله: {ويعفو} ويترك أخذكم بكثيرٍ ممَّا كنتم تُخفون من كتابكم الَّذي أنزله الله إليكم، وهو التَّوراة، فلا تعملون به حتَّى يأمره الله بأخذكم به[٤].

* وهذان المعنيان هما الواردان في كلام البغويِّ السَّابق، وقد ذكرهما أيضًا غيره من المفسِّرين، وجعلوا الوجه الَّذي عدَّه معدُّ الكتاب خطأً وجهًا محتملًا:

يقول البيضاويُّ: {وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} ممَّا تخفونه لا يُخبِر به إذا لم يَضطرَّ إليه أمرٌ دينيٌّ، **أو عن كثيرٍ منكم فلا يُؤخِذه بجرمه**[٥].

ويقول الشَّوكانيُّ: {وَيَعْفُوا عَنْ كَثِيرٍ} ممَّا تخفونه، فيترك بيانه لعدم اشتماله على ما يجب بيانُه عليه من الأحكام الشَّرعيَّة... **وقيل: يعفو عن كثيرٍ منكم فلا يُؤاخِذهم بما يصدر منهم**[٦].

---

(١) «زاد المسير» (١/ ٥٢٩).

(٢) «البحر المحيط» (٤/ ٢٠٨).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٦١٧).

(٤) «تفسير الطَّبريِّ» (١٠/ ١٤٣).

(٥) «أنوار التَّنزيل» (٢/ ١٢٠).

(٦) «فتح القدير» (٢/ ٢٨).

ويقول ابن عاشورٍ: ومعنى (يعفو) يُعرِض ولا يُظْهِر، وهو أصل مادَّة العفو. يُقال: عفا الرَّسم، بمعنى: لم يظهر، وعفاه: أزال ظهوره. ثمَّ قالوا: عفا عن الذَّنب، بمعنى: أعرض، ثمَّ قالوا: عفا عن المذنب، بمعنى ستر عنه ذنبه.

ويجوز أن يُراد هنا معنى الصَّفح والمغفرة، أي: ويصفح عن ذنوبٍ كثيرةٍ، أي: يُبيِّن لكم دينكم ويعفو عن جهلكم[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٦/ ١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٥٢﴾ ﴿عَلَىٰ فَتۡرَةٖ مِّنَ ٱلرُّسُلِ﴾ [المائدة: ١٩]

الفترة هنا بمعنى الفتور وليس المدة، وذلك أن بين محمد وعيسى عليهما الصلاة والسلام قرابة الستمائة سنة وهي مدة فتور وانقطاع من الوحي[1]، فالفترة تعني: سكون بعد حركة.

﴿٥٢﴾ قال الطَّبريُّ: {عَلَى فَتْرَةٍ مِنَ الرُّسُلِ} يقول: على انقطاع من الرُّسُل. و(الفَتْرة) في هذا الموضع الانقطاع، يقول: قد جاءكم رسولنا يبيّن لكم الحقَّ والهُدى، على انقطاعٍ من الرُّسُل.

و(الفَتْرَة) (الفَعْلَة) من قول القائل:فَتَرَ هذا الأمر يَفتُر فُتورًا، وذلك إذا هَدَأَ وسَكَنَ. وكذلك (الفَتْرَة) في هذا الموضع، معناها: السُّكون، يُراد به سكون مجيء الرُّسُل، وذلك انقطاعها[1].

وقال الألوسيُّ: (الفَتْرَة) (فَعْلَة) من فَتَرَ عن عمله يَفتُر فتورًا: إذا سَكَنَ، والأصل فيها الانقطاع عمَّا كان عليه من الجدِّ في العمل، **وهي عند جميع المفسِّرين انقطاع ما بين الرَّسُولَيْن**[2].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٠/ ١٥٦).

(٢) «روح المعاني» (٣/ ٢٧٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنۢبِيَآءَ وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا ﴾

[المائدة: ٢٠]

مُلُوكاً: أي تملكون أمركم بعد أن كنتم مملوكين لقوم فرعون[٢]، وقيل جعل لكم خدما وبيوتا وأزواجا[٣] وليس معناها أنه جعل لهم رياسة على غيرهم كما فهم بعضهم .

(٥٣) للمفسِّرين في قوله تعالى: {وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا} أقوالٌ كثيرةٌ، ذكر منها ابن الجوزيِّ ثمانيةً، فقال:

أحدها: بالمَنِّ والسَّلوى والحَجَر.

والثَّاني: بأن جعل للرَّجُل منهم زوجةً وخادمًا.

والثَّالث: بالزَّوجة والخادم والبيت، رُويت هذه الثَّلاثة عن ابن عبَّاسٍ، وهذا الثَّالث اختيار الحسن، ومجاهد.

والرَّابع: بالخادم والبيت، قاله عكرمة.

والخامس: بتمليكهم الخَدَم، وكانوا أوَّل مَن ملك الخَدَم، ومَن اتَّخذ خادمًا فهو مَلِكٌ، قاله قتادة[١].

والسَّادس: بكونهم أحرارًا يملك الإنسان منهم نفسَه وأهلَه ومالَه، قاله السُّدِّيُّ.

والسَّابع: بالمنازل الواسعة، فيها المياه الجارية، قاله الضَّحَّاك.

والثَّامن: بأن جعل لهم المُلْك والسُّلطان، ذكره الماورديُّ[٢].

ويُمكن أن يُضاف إلى ما سبق أقوالٌ أخرى، منها:

التَّاسع: كلُّ من لا يُدخَل عليه إلَّا بإذنه فهو مَلِكٌ، قاله مجاهد[٣].

العاشر: وجعلكم أحيارًا، والملوك: الأحيار بلغَة هُذَيْلٍ وكنانة. قَالَه المؤرِّج[٤].

---

(١) قال ابن عطيَّة: وهذا ضعيفٌ؛ لأنَّ القبط كانوا يستخدمون بني إسرائيل، وظاهر أمر بني آدم أنَّ بعضهم كان يُسخِّر بعضًا مذ تناسلوا وكثروا. «المحرَّر الوجيز» (٢/ ١٧٣).

(٢) «زاد المسير» (١/ ٥٣١). ويُنظر «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٤).

(٣) «التَّفسير الوسيط» (٢/ ١٧١).

(٤) «تفسير السَّمعانيِّ» (٢/ ٢٥).

الحادي عشرَ: أنَّ كلَّ من كان رسولًا ونبيًّا كان مَلِكًا؛ لأنَّه يملك أمر أُمَّته ويملك التَّصرُّف فيهم، وكان نافذ الحكم عليهم فكان مَلِكًا[1].

* وقوله تعالى: {وَجَعَلَكُم مُّلُوكًا} ظاهره إسناد المُلْك لجميعهم بخلاف قوله: {جعل فيكم أنبياء} فإنَّه ظاهرٌ في تخصيص بعضهم بالنُّبوَّة، ولَمَّا كان إسناد المُلْك إليهم جميعًا ظاهره مشكلٌ، التمس المفسِّرون توجيهاتٍ لحلِّ هذا الإشكال، يُمكن حصرها في ثلاثٍ يندرج فيها جميع ما سبق من أوجه التَّفسير:

الأوَّل: أنَّ الجملة على حقيقتها في الإسناد واللَّفظ:

فيستحيل أن يكون المراد بالمُلْك هنا الإمارة والسُّلطان العامُّ؛ لأنَّه لا يمكن أن يُسند لعموم المخاطبين في الآية، وعليه فجلعوا المُلْك هنا امتلاك البيت أو الخادم أو النَّفْس أو المال أو غير ذلك، واستشهدوا على ذلك بجملةٍ من الآثار ورد فيها تسمية ذلك مُلْكًا.

يقول الألوسيُّ في عرض هذا القول: وقيل: لا مجازٌ أصلًا، بل جُعلوا كلُّهم ملوكًا على الحقيقة، والمَلِك من كان له بيتٌ وخادمٌ، كما جاء عن زيد بن أسلم مرفوعًا.

وأخرج ابن أبي حاتمٍ عن أبي سعيدٍ الخُدريِّ قال: قال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: كانت بنو إسرائيل إذا كان لأحدهم خادمٌ ودابَّةٌ وامرأةٌ كُتب مَلِكًا.

وأخرج ابن جريرٍ عن الحسن: هل المُلْك إلَّا مركبٌ وخادمٌ ودارٌ.

وأخرج البخاريُّ عن عبد الله بن عمرٍو أنَّه سأله رجلٌ فقال: ألسنا من فقراء المهاجرين؟ فقال عبد الله: ألك زوجةٌ تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكنٌ تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء، قال: فإنَّ لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك.

وقيل: المَلِك من له مسكنٌ واسعٌ فيه ماءٌ جارٍ.

وقيل: من له مالٌ لا يحتاج معه إلى تكلُّف الأعمال وتحمُّل المشاقِّ. وإليه ذهب أبو عليٍّ الجُبَّائيُّ[1].

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١١/ ٣٣١).

وقال الرَّاغب الأصفهانيُّ: المُلْك ضربان: مُلْكٌ هو التَّملُّك والتَّولِّي، ومُلْكٌ هو القوَّة على ذلك، تولَّى أو لم يتولَّ، فمن الأوَّل قوله تعالى: {إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا} [النمل: ٣٤]، ومن الثَّاني: {إِذْ جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} [المائدة: ٢٠]، فجعل النُّبوَّة مُخصَّصةً والملك فيهم عامًّا، فإنَّ المُلْك هاهنا هو القوَّة الَّتي بها يترشَّح للسِّياسة، لا أنَّه جعل كلَّهم مُتولِّين للأمر، فذلك منافٍ للحكمة، كما قيل: لا خير في كثرة الرُّؤساء.

وقال بعضهم: المَلِك: اسمٌ لكلِّ من يملك السِّياسة، إمَّا في نفسه، وذلك بالتَّمكين من زمام قواه وصرفها عن هواها، وإمَّا في غيره، سواءٌ تولَّى ذلك أو لم يتولَّ، على ما تقدَّم[٢].

فهل إطلاق لفظ (المَلِك) على من وَرَد ذكره في الآثار أو على من يملك القُوَّة على التَّملُّك دون تولٍّ يعدُّ حقيقةً لغويَّةً أو عُرفيَّةً؟

الأقرب أنَّ ذلك مجازٌ وتوسُّعٌ لا حقيقة.

يقول القرطبيُّ مثلًا في قول عبد الله بن عمرو السَّابق: (أنت من الملوك) لَمَّا أخبره أنَّ له خادمًا على جهة الإغياء والمبالغة، لا أنَّه ألحقه بالملوك حقيقةً، ولا بالأغنياء، ولا سلبه ذلك اسم الفقراء، إذ لم يكن له غير ما ذَكَر. والله تعالى أعلم[٣].

وبهذا يذهب هذا القول إلى القول الثَّاني القادم:

الثَّاني: أنَّ الجملة على الحقيقة في الإسناد، والمجاز في اللَّفظ:

وعلى هذا الوجه يُمكن حمل أكثر أقوال السَّلف من المفسِّرين:

فكون صاحب الدَّار والزَّوجة والخادم، أو من يملك نفسه، أو يملك مالًا، أو ينزل عليه المنُّ والسَّلوى، أو لا يُدخل عليه إلَّا بإذنه؛ يُسمَّى ملكًا، هو مجازٌ وتوسُّعٌ.

---

(١) «روح المعاني» (٣/ ٢٧٦).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٧٤).

(٣) «المُفهِم» (٧/ ١٣٣).

وكونهم ملوكًا لأنَّهم ملكوا أمرهم بعد أن كانوا مملوكين لفرعون، هو أيضًا مجازٌ وتوسُّعٌ.

الثَّالث: أنَّ الجملة على المجاز في الإسناد، والحقيقة في اللَّفظ:

فيكون المراد بالمُلْك الرِّئاسة والسُّلطان والتَّولية، وإنَّما المجاز في إسناد ذلك إلى جميعهم.

يقول الخفاجيُّ: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} [عطفٌ على {جَعَلَ فِيكُمْ}] وغُيِّر الأسلوب فيه؛ لأنَّهم لكثرة الملوك فيهم أو منهم صاروا كلُّهم كأنَّهم ملوكٌ لسلوكهم مسلكهم في السَّعَة والتَّرَفُّه، فلذا تُجوِّز في إسناد المُلْك إلى الجميع، بخلاف النُّبوَّة فإنَّها وإن كثرت لا يَسلك أحدٌ مسلك الأنبياء عليهم الصَّلاة والسَّلام؛ لأنَّها أمرٌ إلهيٌّ يخصُّ اللهُ تعالى به من يشاء، فلذا لم يُتَجوَّز في إسنادها[1].

قال الرَّازيُّ: قد يُقال فيمن حَصَل فيهم ملوكٌ: أنتم ملوكٌ على سبيل الاستعارة[2].

وقال الزَّمخشريُّ: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} لأنَّه ملَّكهم بعد فرعون مُلْكَه، وبعد الجبابرة مُلْكَهم، ولأنّ الملوك تكاثروا فيهم تكاثر الأنبياء[3].

وعلَّق عليه ابن المنيِّر بقوله: والحامل على تفسير المُلْك بهذه التَّفاسير أنَّ الله تعالى أنبأ في ظاهر الكلام أنَّه جعل الجميع ملوكًا بقوله: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا}، ولم يقل: (وجعل فيكم ملوكًا) كما قال: {جَعَلَ فِيكُمْ أَنْبِيَاءَ}، فلمَّا عمَّم المُلْك فيهم، ولا شكَّ أنَّ المُلْك- المعهود هو الاستيلاء العامُّ- لم يثبت لكلِّ أحدٍ منهم، فيتعيَّن حمل المُلْك على ما كان ثابتًا لجميعهم أو لأكثرهم من الأبعاض المذكورة، هذا هو الباعث على تفسير المُلْك بذلك، والله أعلم.

وهذا المعنى وإن لم يثبت لكلِّ واحدٍ منهم إلَّا أنَّه كان ثابتًا لملوكهم وهم منهم، إذ إسرائيل الأب الأقرب يجمعهم، فلَّما كانت ملوكهم منهم، وهم أقرباؤهم وأشياعهم وملتبِّسون بهم، جاز الامتنان عليهم بهذه الصَّنيعة، والمعنى مفهومٌ[1].

---

(١) «حاشية الشِّهاب» (٣/ ٢٢٩)، «روح المعاني» (٣/ ٢٧٦).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١١/ ٣٣١)، «اللُّباب» (٧/ ٢٦٨).

(٣) «الكشَّاف» (١/ ٦٢٠).

* وجعل بعض المفسِّرين قوله تعالى: {وجعلكم ملوكًا} على تقدير (وجعل منكم ملوكًا).

يقول البيضاويُّ: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} أي: وجعل منكم أو فيكم، وقد تكاثر فيهم الملوك تكاثر الأنبياء بعد فرعون حتَّى قتلوا يحيى وهمُّوا بقتل عيسى[٢].

وقال الشَّوكانيُّ: {وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا} أي: وجعل منكم مُلُوكًا، وإنَّما حذف حرف الجرِّ لظهور أنَّ معنى الكلام على تقديره... **والظَّاهر أنَّ المراد من الآية المُلْك الحقيقيُّ، ولو كان بمعنًى آخر لما كان للامتنان به كثير معنًى**.

فإن قلت: قد جعل غيرهم مُلُوكًا كما جعلهم؟ قلتُ: قد كَثُر الملوك فيهم كما كثُر الأنبياء، فهذا وجه الامتنان[٣].

* فالقول بأنَّ المراد بجعلهم ملوكًا هو رئاستهم وتوليتهم لا يظهر خطؤه، بل هو محتملٌ في تفسير الآية على ما ذُكِر من توجيهاتٍ.

(١) «الانتصاف» (١/ ٦١٩).

(٢) «أنوار التَّنزيل» (٢/ ١٢١).

(٣) «فتح القدير» (٢/ ٣١).

٥٤ ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبۡحَثُ فِي ٱلۡأَرۡضِ لِيُرِيَهُۥ كَيۡفَ يُوَٰرِي سَوۡءَةَ أَخِيهِ﴾ [المائدة ٣١]

يظن بعض الناس أن معنى السوأة هنا أي العورة، والصواب أن معناها كامل جسد أخيه القتيل[١].

٥٤ قال الماورديُّ: {سَوْءَةَ أَخِيهِ} فيه تأويلان:

أحدهما: يعني عورة أخيه.

والثَّاني: جيفة أخيه؛ لأنَّه تركه حتَّى أنتن، فقيل لجيفته سوأةٌ[١].

وقال السَّمعانيُّ: أي: جيفة أَخِيه، وقيل: عَورة أخيه؛ لأنَّه كان قد سلبه ثيابه[٢].

وقال ابن عطيَّة: السَّوأة العورة، وخُصَّت بالذِّكر مع أنَّ المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام بها، ولأنَّ سترها أوكد.

ويحتمل أن يُراد (بالسَّوأة) هذه الحالة الَّتي تسوء النَّاظر بمجموعها، وأُضيفت إلى المقتول من حيث نزلت به النَّازلة لا على جهة الغضِّ منه، بل الغضُّ حقٌّ للقاتل، وهو الَّذي أتى (بالسَّوْأة)[٣].

وممَّن ذكر هذين التَّأويلين أيضًا: الواحديُّ[٤]، وابن الجوزيِّ[٥]، والرَّازيُّ[٦]، وأبو حيَّان[٧].

* ورجَّح بعض المفسِّرين أنَّ المراد بالسَّوأة هنا جسد أخيه الميِّت:

(١) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٣٠).

(٢) «تفسير السَّمعانيِّ» (٢/ ٣٢).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ١٨١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٧/ ٣٤٤)

(٥) «زاد المسير» (١/ ٥٣٩).

(٦) «مفاتيح الغيب» (١١/ ٣٤١).

(٧) «البحر المحيط» (٤/ ٢٣٤).

قال الطَّبريُّ: فتأويل الكلام: فأثار الله للقاتل إذ لم يدر ما يصنع بأخيه المقتول {غرابًا يبحث في الأرض} يقول: يحفِر في الأرض، فيُثير ترابها {ليُرِيَه كيف يواري سوأة أخيه}، يقول: ليريه كيف يواري جيفةَ أخيه.

وقد يحتمل أن يكون عُنِيَ بـ(السَّوأة) الفرج، غير أنَّ الأغلب من معناه ما ذكرتُ من الجيفة، بذلك جاء تأويل أهل التَّأويل[1].

وقال الخفاجيُّ: وفسَّر [أي: البيضاويُّ] (السَّوأة) بجسد الميِّت، وهو المراد، والزَّمخشريُّ فسَّرها بالعورة، **وما فعله المصنِّف رحمه الله أولى**، وسُمِّيت سوأةً لأنَّها تسوء ناظرها[2].

وقال الألوسيُّ: المراد بالسَّوأة: جسد الميت، وقيَّده الجُبَّائيُّ بالمتغيِّر، وقيل: العورة؛ لأنَّها تسوء ناظرها، وخُصَّت بالذِّكر مع أنَّ المراد مواراة جميع الجسد للاهتمام بها؛ لأنَّ سترها آكد، **والأوَّل أولى**، ووجه التَّسمية مشتركٌ[3].

* فما عدَّه معدَّ الكتاب خطأً هو قولٌ محتملٌ، وإن كان بعض المفسِّرين عدَّ القول الثَّاني أولى، فإنَّ هذا لا يعني خطأ القول الآخر، وفَرْقٌ كبيرٌ بين كون القول محتملًا أو هناك أولى منه وبين كونه خطأً لا يصحُّ حمل المعنى عليه، فتنبَّه.

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (١٠/ ٢٢٩).

(٢) «حاشية الشِّهاب» (٣/ ٢٣٥).

(٣) «روح المعاني» (٣/ ٢٨٦).

﴿٥٥﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ عَلَيۡكُمۡ أَنفُسَكُمۡۖ لَا يَضُرُّكُم مَّن ضَلَّ إِذَا ٱهۡتَدَيۡتُمۡ﴾ [المائدة: ١٠٥]

يفهمها بعضهم فهمًا خاطئًا بترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والصواب: أي لا تضركم ذنوب غيركم إن اهتديتم بالقيام بأمر الله بالأمر بالمعروف، ومَن تركَ الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وهو مستطيع فهو ضالٌّ وليس مهتدٍ، وروي حول هذا المعنى عن عدد من الصحابة رضوان الله عليهم: أبي بكر، وابن عمر، وأبي ثعلبة الخشني[٢] وغيرهم.

﴿٥٥﴾ قال الواحديُّ: هل تدلُّ هذه الآية على جواز ترك الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؟

قيل: في هذا وجوه:

أحدها: وهو الَّذي عليه أكثر النَّاس أنَّ الآية لا تدلُّ على ذلك، بل تُوجب أنَّ المطيع لربِّه لا يكون مؤاخذًا بذنوب العاصي، فأمَّا وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فمعقولٌ بالآيات في ذلك، وخطب أبو بكرٍ الصِّدِّيق ﷺ فقال: إنَّكم تقرؤون هذه الآية: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} وتضعونها غير موضعها، وإنِّي سمعتُ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «إنَّ النَّاس إذا رأوا المنكر فلم ينكروه، يوشك أن يَعمَّهم الله بعقابٍ».

الوجه الثَّاني في تأويل الآية: ما رُوي عن ابن مسعودٍ وابن عمر أنَّهما قالا: قوله تعالى: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ} يكون هذا في آخر الزَّمان.

قال ابن مسعودٍ وقُرئت عليه هذه الآية: ليس هذا بزمانها ما دامت قلوبكم واحدةً، ولم تُلْبَسوا شِيَعًا، ولم يُذَق بعضُكم بأس بعضٍ، فأمروا وانهَوْا، فإذا اختلفت القلوب والأهواء، وأُلبستم شِيعًا، فامرؤٌ ونفسُه، فعند ذلك جاء تأويل هذه الآية، قال: ومن الآيات آيٌ وقع تأويلهنَّ في آخر الزِّمان.

ورُوي عن ابن عمر أنَّه قال: «هذه الآية لأقوامٍ يجيئون من بعدنا، إن قالوا لم يُقبَل منهم».

ويُؤكِّد هذا الوجه: ما رُوي أنَّ أبا ثعلبة الخُشَنِيَّ سأل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم عن هذه الآية فقال: ائتمروا بالمعروف وتناهَوْا عن المنكر، حتَّى إذا رأيت دنيا مُؤْثَرَةً، وشحًّا مطاعًا، وهوًى مُتَّبعًا، وإعجاب كلِّ ذي رأيٍ برأيه، فعليك بخويصة نفسك، وذر عوامَّهم.

الوجه الثَّالث في تأويل الآية: ما ذهب إليه عبد الله بن المبارك، فقال: هذه أوكد آيةٍ في وجوب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر؛ لأنَّ الله تعالى خاطب بها المؤمنين جميعًا، وأغراهم بالأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر فقال: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ} يعني: عليكم أهل دينكم {لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ} من الكُفَّار. وهذا كقوله تعالى: {فَاقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [البقرة: ٥٤] يعني: أهل دينكم، وقال: {وَلَا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ} [النساء: ٢٩] بهذا المعنى.

وهذا قول ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ عنه، قال في قوله: {عَلَيْكُمْ أَنْفُسَكُمْ}: يريد يعِظُ بعضُكم بعضًا، وينهى بعضُكم بعضًا، ويُعلِّم بعضُكم بعضًا ما يقرِّبه إلى الله ويبعده من الشَّيطان، و{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ} من غيركم، يريد من المشركين وأهل الكتاب والمنافقين.

الوجه الرَّابع: أنَّ الآية نازلةٌ في أهل الأهواء؛ لأنَّه لا ينفعهم الوعظ ولا يتركون هواهم بالأمر بالمعروف، فإذا رأيتهم أو كنت فيهم فعليك نفسك وذرهم وما اختاروه لأنفسهم، فلن يضرَّك ضلالهم. وهذا الوجه يُروى عن صفوان بن مُحْرِزٍ، ونحو ذلك قال الضَّحَّاك[١].

وقال الشَّوكانيُّ: ليس في الآية ما يدلُّ على سقوط الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، فإنَّ من تركه مع كونه من أعظم الفروض الدِّينيَّة فليس بمُهتَدٍ، وقد قال الله سبحانه: {إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}، وقد دلَّت الآيات القرآنيَّة والأحاديث المتكاثرة على وجوب الأمر بالمعروف والنَّهيِّ عن المنكر وجوبًا مُضيَّقًا مُتحتِّمًا، **فتُحمل هذه الآية على من لا يقدر على القيام بواجب الأمر بالمعروف والنَّهي عن المنكر، أو لا يظنُّ التَّأثير بحالٍ من الأحوال، أو يخشى على نفسه أن يحلَّ به ما يضرُّه ضررًا يسوغ له معه التَّرك**[٢].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٧/ ٥٦٠).

(٢) «فتح القدير» (٢/ ٩٦).

٥٦ قال تعالى: {وَيُعَلِّمُهُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [آل عمران: ٤٨]

وقال تعالى: {وَإِذْ عَلَّمْتُكَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَالتَّوْرَاةَ وَالْإِنْجِيلَ} [المائدة: ١١٠]

٥٦ ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾ [المائدة ١١٠]

يظن بعض الناس أن معنى الكتاب في الآية أي الإنجيل، والصواب أن الكتاب بمعنى: الخط[١]، وهو قول أكثر المفسرين.

للمفسِّرين في تفسير (الكتاب) في الآيتين قولان:

الأوَّل: الكتاب: الكتابة والخطُّ:

أخرج ابن أبي حاتمٍ عن ابن عَبَّاسٍ في قوله: {ويعلِّمه الكتاب} قَالَ: الْخطَّ بالقلم.

وأخرج ابن جريرٍ عن ابن جريجٍ {ويعلِّمه الكتاب} قال: بيده[١].

قال ابن كثير: **الظَّاهر أنَّ المراد بالكتاب هاهنا الكتابة**[٢].

وقال ابن عطيَّة: الكتاب هو الخطُّ باليد، فهو مصدر كَتَب يَكْتُب، **هذا قول ابن جريجٍ وجماعة المفسِّرين**[٣].

وقال الرَّازيُّ: الأقرب عندي أن يُقال: المراد من الكتاب تعليم الخطِّ والكتابة[٤].

الثاني: الكتاب: جنس الكتاب عمومًا:

فيشمل الكتب السابقة؛ لأنها جميعًا متَّفقةٌ في أصول العقيدة، وأُصول الشَّريعة[٥].

---

(١) «الدُّرُّ المنثور» (٢/ ١٩٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٢/ ٤٤).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٨).

(٤) «مفاتيح الغيب» (٨/ ٢٢٦).

(٥) «التَّفسير الوسيط - مجمع البحوث» (٣/ ١١٨٣).

ونسب ابن الجوزيّ هذا القول لابن عبَّاسٍ، فقال: وفي الكتاب قولان:

أحدهما: أنَّه كُتُبُ النَّبيّين وعلمهم، قاله ابن عبَّاس.

والثَّاني: الكتابة، قاله ابن جريجٍ ومقاتل[١].

قال الشَّوكانيُّ: أي: جنس الكتاب، أو المراد بالكتاب الخطُّ، وعلى الأوَّل يكون ذكر التَّوراة والإنجيل من عطف الخاصِّ على العامِّ، وتخصيصهما بالذِّكر لمزيد اختصاصه بهما[٢].

وقال ابن عادل: وذكر التَّوراة والإنجيل بعد الكتاب على سبيل التَّشريف، كقوله تبارك وتعالى: {وَإِذْ أَخَذْنَا مِنَ النَّبِيِّين مِيثَاقَهُمْ وَمِنْكَ وَمِن نُّوحٍ} [الأحزاب: ٧] ، وقوله: {ومَلَائِكَتِهِ وَرُسُلِهِ وَجِبْرِيلَ وَمِيكَالَ} [البقرة: ٩٨] [٣].

وقال السَّعديُّ: يحتمل أن يكون المراد جنس الكتاب، فيكون ذكر التَّوراة والإنجيل تخصيصًا لهما؛ لشرفهما وفضلهما واحتوائهما على الأحكام والشَّرائع الَّتي يحكم بها أنبياء بني إسرائيل والتَّعليم، لذلك يدخل فيه تعليم ألفاظه ومعانيه[٤].

* وذكر بعض المفسِّرين قولًا ثالثًا: الكتاب: كتابٌ سماويٌّ بعينه قبل التَّوراة والإنجيل:

قال الواحديُّ : قيل: أراد كتابًا آخر غير التَّوراة والإنجيل، من نحو: الزَّبُور وغيره[٥].

قال ابن عطيَّة: وهذه دعوى لا حُجَّة عليها[٦].

(١) «زاد المسير» (١/ ٢٨٤).

(٢) «فتح القدير» (٢/ ١٠٤).

(٣) «اللُّباب» (٧/ ٦٠٠).

(٤) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ١٣١).

(٥) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٢٦٥). ويُنظر: «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ٩٣)، «البحر المحيط» (٣/ ١٥٨).

(٦) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٨).

﴿٥٧﴾ ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِى عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِى ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾ [المائدة ١١٠]

الكَهْل هو من بلغ الثلاثين ووخطه الشيب[٢] ، وأكثر ما قيل في الكهل أنه من بلغ الخمسين[٣]، وليس كما يظن بعض الناس أن معنى الكهل أي الشيخ الكبير الطاعن في السن .

﴿٥٧﴾ (كهل) الكاف والهاء واللَّام أصلٌ يدلُّ على قوَّةٍ في الشَّيء أو اجتماع جِبِلَّةٍ. من ذلك الكَاهِل: ما بين الكَتفين: سُمِّي بذلك لقوَّته.

ويقولون للرَّجُل المُجتمِع إذا وَخَطَه الشَّيب: كَهْلٌ، وامرأةٌ كَهْلَةٌ[١].

وقال ابن الأثير: الكَهْل من الرِّجالِ: من زاد على ثلاثين سنةً إلى الأربعين.

وقيل: هو من ثلاثٍ وثلاثين إلى تمام الخمسين.

وفي المُحكَم: أو أربعًا وثلاثينَ إلى إحدى وخمسينَ[٢].

وقال النَّحَّاس: الكَهْل عند أهل اللُّغة من ناهَزَ الأربعين[٣].

وقيل: الكَهْل ما بين الشَّابِّ والشَّيخ، وقد ذكر غير واحدٍ أنَّ ابن آدم ما دام بين الثَّلاثين والأربعين فهو شابٌّ، ثمَّ كهلٌ إلى أن يستوفي السِّتِّين[٤].

قال ابن عطيَّة: اختلف النَّاس في حدِّ الكُهُولة، فقيل: الكَهْل ابن أربعين سنةً، وقيل: ابن خمسٍ وثلاثين، وقيل: ابن ثلاثٍ وثلاثين، وقيل: ابن اثنين وثلاثين، وهذا حدُّ أوَّلها. وأمَّا آخرها فاثنتان وخمسون، ثمَّ يدخل سنَّ الشَّيخوخة[٥].

* وقال مجاهدٌ: الكَهْل: الحليم[١].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (كهل).

(٢) «تاج العروس» (كهل).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ٩١).

(٤) «روح المعاني» (٢/ ١٥٧).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٧).

قال النَّحَّاس: هذا لا يُعرف في اللُّغة[٢].

وقال ابن عطيَّة: وهذا تفسير الكُهُولة بعَرَضٍ مصاحبٍ لها في الأغلب[٣].

* قال ابن عبَّاسٍ: أرسل الله عيسى وهو ابن ثلاثين سنةً، فمكث في رسالته ثلاثين شهرًا ثمَّ رفعه الله إليه[٤].

وقال وَهْب بن مُنَبِّهٍ: جاءه الوحي على رأس ثلاثين سنةً، فمكث في نبوَّته ثلاث سنين، ثمَّ رفعه الله[٥].

* فعلى قول من قال: الكَهْل: من وَخَطَه الشَّيب، أو من دخل في الثَّلاثين، أو ابن اثنين أو ثلاثٍ وثلاثين، فإنَّ عيسى عليه السَّلام كلَّم النَّاس قبل رفعه.

وهذا معنى قولِ مقاتلٍ، وابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ[٦].

وأمَّا على قول من يقول: إنَّ أوَّل سنِّ الكهولة أربعون سنةً، فلا بُدَّ أن يُقال إنَّه رُفع شابًّا، ولا يُكلِّم النَّاس كهلًا إلَّا بعد أن ينزل من السَّماء في آخر الزَّمان[٧].

وهذا اختيار الحسين بن الفضل، قال: وفي هذا بيان نزوله في نصِّ القرآن[٨].

كما روى ابن جريرٍ بسندٍ صحيحٍ عن كعب الأحبار: أنَّه عليه السَّلام رُفع إلى السَّماء وهو ابن ثلاثٍ وثلاثين سنةً، وأنَّه سينزل إلى الأرض ويبقى حيًّا فيها أربعًا وعشرين سنةً.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٦/ ٤١٩).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٤/ ٩١).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٧).

(٤) «الكشف والبيان» (٤/ ١٢٣).

(٥) «زاد المسير» (١/ ٢٨٣).

(٦) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٢٦٢).

(٧) «روح البيان» (٢/ ٣٥).

(٨) «التَّفسير البسيط» (٥/ ٢٦٢).

ويُؤيِّد هذا ما أخرجه ابن جريرٍ عن ابن زيدٍ في الآية قال: قد كلَّمهم عيسى في المهد، وسيكلمهم إذا قتل الدَّجَّال، وهو يومئذٍ كَهْلٌ[1].

* ولَّما كان الكلام في الكُهُولة غير مستغربٍ، فقد أورد المفسرون عددًا من فوائد ذكر كلامه عليه السَّلام كهلًا، منها:

- أنَّ المراد: أنَّه يكلِّمهم كَهْلًا بالوحي والنُّبوَّة[2].
- أنَّ معنى قوله {في المَهْد وكَهْلًا} أنَّه يتكلَّم حال كونه في المهد وحال كونه كَهْلًا على حدٍّ واحدٍ وصفةٍ واحدةٍ كلام الكَهْل في السِّنِّ[3].
- أنَّ هذا الكلام خرج مخرج البشارة لأُمِّه بطول عمره، أي: أنَّه يبلغ الكهولة[4].
- أنَّه إخبارٌ بأنَّ الزَّمان يُؤثِّر فيه، وأنَّ الأيَّام تنقُله من حالٍ إلى حالٍ، ولو كان إلهًا لم يدخل عليه هذا التَّغير، والمراد منه الرَّدُّ على وفد نجران في قولهم: إنَّ عيسى كان إلهًا[5].
- أنَّه نصٌّ في الأخبار بنزوله آخر الزَّمان، وهذا على قول من ذهب إلى أنَّه رُفع قبل الكُهُولة.
- أنَّه تبشيرٌ بحكمته ورجاحة رأيه، وهذا على قول مجاهدٍ في تفسير الكَهْل، كما سبق.

(١) «روح المعاني» (٢/ ١٥٧).

(٢) «النُّكَت والعيون» (١/ ٣٩٤)، «مفاتيح الغيب» (٨/ ٤٦).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٨/ ٤٦)، «الكشَّاف» (١/ ٧٢٣)، «النُّكَت والعيون» (١/ ٣٩٤).

(٤) «زاد المسير» (١/ ٢٨٣)، «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٧).

(٥) «تفسير الطَّبريّ» (٦/ ٤١٨)، «زاد المسير» (١/ ٢٨٣)، «مفاتيح الغيب» (٨/ ٤٦).

٥٨ ﴿ لَقُضِيَ ٱلْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ﴾ [الأنعام: ٨]

أي لا يؤخرون أو يُمهلون [١]، وليس من النظر الذي بمعنى الرؤية.

٥٨ من القواعد الصَّرفيَّة أنَّ حرف المضارعة يكون مضمومًا من الفعل المضارع إذا كان ماضيه رُباعيًّا، ويكون مفتوحًا إذا لم يكن ماضيه رباعيًّا؛ بأن كان ثلاثيًّا، أو خماسيًّا، أو سداسيًّا.

فالفعل (نَظَر) بمعنى: أبصر أو رأى ثُلاثيٌّ، فيكون مضارعه مفتوحَ حرف المضارعة (يَنْظُر).

أمَّا الفعل (أَنْظَرَ) بمعنى: أمهل أو أخَّر، كقوله تعالى عن إبليس {قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} [الأعراف: ١٤، ١٥] فهو رُباعيٌّ، فيكون مضارعه مضمومَ حرف المضارعة (يُنْظِرْ)

وعند بناء الفعلين المضارعين لما لم يُسمَّ فاعله (المجهول)؛ فإنَّنا نضمُّ الأوَّل ونفتح ما قبل الآخر، فنقول:

(يَنْظُر) == (يُنْظَر)

(يُنْظِرْ) == (يُنْظَر)

فيشتبهان لفظًا، وكذا بعد إسنادهما إلى الضَّمير (واو الجماعة):

(يَنْظُر) == (يُنْظَر) == (يُنْظَرُون)

(يُنْظِرْ) == (يُنْظَر) == (يُنْظَرُون)

والاشتباه اللَّفظيُّ غير مشكلٍ؛ إذ سياق الكلام غالبًا ما يُفصح عن المعنى المراد، كما أنَّ الفعل (نظر) بمعنى: أبصر أو رأى غالبًا ما يكون متعدِّيًا بـ(إلى) أو (في)؛ بـ(إلى) إذا كان نظرًا بالبصر (نظرتُ إلى القمر)، وبـ(في) إذا كان نظرًا بالبصيرة (تأمُّلٌ وتفكُّرٌ) (نظرت في الأمر).

* ولك أن تتأمَّل هذه الآيات، وهي كلُّ ما ورد في القرآن على هذه الصِّيغة (يُنْظَرُون):

{خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة: ١٦٢] [آل عمران: ٨٨]

{وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ مَلَكٌ وَلَوْ أَنْزَلْنَا مَلَكًا لَقُضِيَ الْأَمْرُ ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ} [الأنعام: ٨]

{وَإِذَا رَأَى الَّذِينَ ظَلَمُوا الْعَذَابَ فَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [النحل: ٨٥]

{بَلْ تَأْتِيهِمْ بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [الأنبياء: ٤٠]

{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [السجدة: ٢٩]

فجميعها بمعنى: يُؤخَّرون ويُمهَلون، ولا يُصحُّ فيها يُبصَرون!

﴿ وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ مَلَكًا لَّجَعَلْنَٰهُ رَجُلًا وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِم مَّا يَلْبِسُونَ ﴾ [الأنعام: ٩]

ليس المعنى أن الملَك لو أُنزل سيلبس مثل لباسهم، بل المعنى: أي خلطنا عليهم ما يخلطون وشبهنا عليهم فلا يدرون أملك هو أم آدمي [٢]، فيلتبس عليهم أمره.

٥٩ يُقال: (لَبَسْتُ عليهم الأمر أَلْبِسُه لَبْسًا): إذا خلطته عليهم، (ولَبِسْتُ الثَّوبَ أَلْبَسُه لُبْسًا)[١].

فالفعل (لَبَسَ) -بفتح الباء- مضارعه (يَلْبِس)، ومصدره (لَبْسًا) بفتح اللَّام، بمعنى: خَلَّط وشَبَّه.

أمَّا الفعل (لَبِسَ) -بكسر الباء- مضارعه (يَلْبِس)، ومصدره (لُبْسًا) بضمِّ اللَّام، بمعنى: ارتدى الثَّوْب.

قال أهل اللُّغة: معنى اللَّبْس: منع النَّفْس من إدراك المعنى كما هو، كالسَّتْر له، وأصله من السَّتْر بالثَّوب، ومنه لُبْس الثَّوب؛ لأنَّه ستر النَّفس به[٢].

قال ابن عاشورٍ: اللَّبْس: خَلْطٌ يعرض في الصِّفات والمعاني بحيثُ يعسُر تمييز بعضها عنْ بعضٍ[٣].

وعن ابنِ عبَّاسٍ في قوله: {وَلَوْ جَعَلْنَاهُ مَلَكًا لَجَعَلْنَاهُ رَجُلًا} يقول: لو أتاهم مَلَكٌ ما أتاهم إلَّا في صورة رجلٍ؛ لأنَّهم لا يستطيعون النَّظر إلى الملائكة من النُّور، {وَلَلَبَسْنَا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} أي: ولخَلَطنا عليهم ما يخلطون.

وقال الوَالِبِيُّ عنه: ولَشَبَّهنا عليهم[٤].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١١/ ٢٦٩).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٢٧).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٧/ ١٤٦).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٢٤٢).

قال الشَّوكانيُّ: {وَلَلَبَسْنا عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ} أي: لخلطنا عليهم ما يخلطون على أنفسهم؛ لأنَّهم إذا رأوه في صورة إنسانٍ قالوا: هذا إنسانٌ وليس بملَكٍ، فإن استدلَّ لهم بأنَّه ملَكٌ كذَّبوه.

قال الزَّجَّاج: المعنى: للَبَسنا عليهم، أي: على رؤسائهم كما يُلْبِسون على ضعفتهم، وكانوا يقولون لهم: إنَّما محمَّدٌ بشرٌ وليس بينه وبينكم فرقٌ، فيُلبِسون عليهم بهذا ويُشكِّكونهم[1].

* وعن جُويبرٍ: (وللبسنا) على الملائكة من الثِّياب (ما يلبسه) النَّاس من ثيابهم؛ ليكونوا على صورهم وعلى زِيِّهم[2].

قال تاج القُرَّاء: وهذا بعيدٌ؛ لأنَّ العرب تقول: لَبَست الأمر بالفتح، ولَبِست الثَّوب بالكسر[3].

وقال السَّمرقنديُّ: روى بعضهم عن ابن عامرٍ أنَّه قرأ: {ما يَلْبَسُونَ} بنصب الباء، يعني: جعلنا عليه من الثِّياب ما يَلبَسونه على أنفسهم، ظنُّوا أنَّه آدميٌّ. والقراءة المعروفة: بالكسر[4].

* وعلى هذا فتفسير الآية بـ(لَبِسَ) بمعنى: ارتدى الثِّياب لا يصحُّ إلَّا على هذه القراءة الشَّاذَّة، أمَّا القراءة المتواترة فلا يُمكن حملها على هذا التَّفسير؛ إذ الفعل فيها (لَبَس) مختلفٌ لفظًا ومعنًى.

(١) «فتح القدير» (٢/ ١١٦).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٩٦)، «غرائب التَّفسير» (١/ ٣٥٣). ونسب ذلك الفيروزآبادي لابن عبَّاسٍ. «تنوير المقباس» (ص: ١٠٦).

(٣) «غرائب التَّفسير» (١/ ٣٥٣).

(٤) «تفسير السَّمرقنديّ» (١/ ٤٣٦).

﴿ وَذَرِ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُوا۟ دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا ﴾ [الأنعام ٧٠]

ليس في الآية أمرٌ بترك دعوتهم كما توهم بعضهم، بل هو تهديد لهم[1]؛ كقوله تعالى: ﴿ ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا۟ وَيَتَمَتَّعُوا۟ ﴾ وأمرٌ بمسامحتهم - حتى نسخ بالأمر بالقتل- وأمرٌ بالحذر منهم وعدم الاغترار بهم[2].

٦٠ قولـــه تعـــالى: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا وَغَرَّتْهُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ } [الأنعام: ٧٠]

قال الماورديُّ: {وَذَرِ الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا} فيهم قولان:

أحدهما: أنَّهم الكفَّار الَّذين يستهزئون بآيات الله إذا سمعوها، قاله عليُّ بن عيسى.

والثَّاني: أنَّه ليس قومٌ لهم عيدٌ إلَّا يلهون فيه، إلَّا أمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، فإنَّ أعيادهم صلاةٌ وتكبيرٌ وبرٌّ وخيرٌ، قاله الفرَّاء[1].

والقول الأوَّل: هو قول ابن عبَّاسٍ وجمهور المفسِّرين[2].

وعلى قول الفرَّاء المراد بالدِّين: العيد؛ لأنَّه ممَّا يُتديَّن به، فصار داخلًا في جملة الدِّين[3].

قال الرَّازيُّ: ومعنى (ذَرْهُم) أعرض عنهم، وليس المراد أن يترك إنذارهم؛ لأنَّه تعالى قال بعده: {وَذَكِّرْ بِهِ}. ونظيره قوله تعالى: {أُولَئِكَ الَّذِينَ يَعْلَمُ اللَّهُ مَا فِي قُلُوبِهِمْ فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ} والمراد ترك معاشرتهم وملاطفتهم ولا يترك إنذارهم وتخويفهم[4].

وقوله تعالى: {ذَرْهُمْ يَأْكُلُوا وَيَتَمَتَّعُوا وَيُلْهِهِمُ الْأَمَلُ فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ} [الحجر: ٣]

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٢/ ١٣٠).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٢١٤).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٢١٤).

(٤) «مفاتيح الغيب» (١٣/ ٢٣).

قال ابن عاشورٍ: الأمر بتركهم مُستعمَلٌ في لازمه، وهو قلَّة جدوى الحرص على إصلاحهم، وليس مُستعملًا في الإذن بمُتاركتهم؛ لأنَّ النَّبيء صلَّى الله عليه وسلَّم مأمورٌ بالدَّوام على دعائهم(١).

وقال الشِّنقيطيُّ: هدَّد الله تعالى الكفَّار في هذه الآية الكريمة بأمره نبيَّه صلَّى الله عليه وسلم أن يتركهم يأكلون ويتمتَّعون، فسوف يعلمون حقيقة ما يَئُول إليه الأمر من شدَّة تعذيبهم وإهانتهم، وهدَّدهم هذا النَّوع من التَّهديد في مواضع أُخَر كقوله: {قل تمتَّعوا فإنَّ مصيركم إلى النَّار}، وقوله: {كلوا وتمتَّعوا قليلًا إنِّكم مجرمون}، وقوله: {قل تمتَّع بكفرك قليلًا إنَّك من أصحاب النَّار}، وقوله: {فذرهم يخوضوا ويلعبوا حتَّى يُلاقوا يومهم الَّذي يوعدون}، وقوله: {فذرهم حتَّى يُلاقوا يومهم الَّذي فيه يُصعَقون} إلى غير ذلك من الآيات.

وقد تقرَّر في فنِّ المعاني وفي مبحث الأمر عند الأُصوليِّين أنَّ من المعاني الَّتي تأتي لها صيغة (افعل) التَّهديد، كما في الآية المذكورة(٢).

فائدة عن نسخ الآيتين:

ذهب كثيرٌ من المفسِّرين إلى أنَّ الآيتين منسوختان بآية السَّيف، وهو قوله تعالى: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} الآية.

قال الطَّبريُّ في آية سورة الأنعام: وقد نسخ الله تعالى ذكره هذه الآية بقوله: {فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدْتُمُوهُمْ} [التوبة:٥] . وكذلك قال عددٌ من أهل التَّأويل، وساق ذلك بأسانيده إلى قتادة(٣).

وقال ابن الجوزيِّ: ولعلماء النَّاسخ والمنسوخ في هذا القدر من الآية [يعني: آية الأنعام]، قولان:

أحدهما: أنَّه خرج مخرج التَّهديد، كقوله تعالى: {ذَرْنِي وَمَنْ خَلَقْتُ وَحِيدًا}، فعلى هذا هو مُحكَم، وإلى هذا المعنى ذهب مجاهدٌ.

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٤/ ١٣).

(٢) «أضواء البيان» (٢/ ٢٥٣).

(٣) «تفسير الطَّبريِّ» (١١/ ٤٤٢).

والثَّاني: أنَّه اقتضى المسامحة لهم والإعراض عنهم، ثمَّ نُسخ بآية السَّيف، وإلى هذا ذهب قتادة، والسُّدِّيُّ[1].

وقال في آية سورة الحجر: وهذه الآية عند المفسِّرين منسوخةٌ بآية السَّيف[2].

وقد توسَّع كثيرٌ من المفسِّرين في النَّسخ، خاصَّةً بآية السَّيف، حتَّى قال ابن العربيِّ: كلُّ ما في القرآن من الصَّفح عن الكفَّار والتَّولِّي والإعراض والكفِّ عنهم فهو منسوخٌ بآية السَّيف، وهي: {فَإِذَا انْسَلَخَ الأَشْهُرُ الْحُرُمُ فَاقْتُلُوا الْمُشْرِكِينَ} الآية، نسخت مائةً وأربعًا وعشرين آيةً، ثمَّ نسخ آخرها أوَّلها. انتهى[3].

وهذا التَّوسُّع في النَّسخ ردَّه عددٌ من المحقِّقين، يقول الزَّركشيُّ: ما أَمر به لسببٍ ثمَّ يزول السَّبب، كالأمر حين الضَّعف والقلَّة بالصَّبر والصَّفح ثمَّ نُسخ بإيجاب القتال، وهذا في الحقيقة ليس نسخًا، بل هو من قسم المُنْسأ، كما قال تعالى: {أو نُنْسِئْها}، فالمُنْسأ هو الأمر بالقتال إلى أن يقوى المسلمون، وفي حال الضَّعف يكون الحكم وجوب الصَّبر على الأذى.

وبهذا التَّحقيق تبيَّن ضعف ما لهج به كثيرٌ من المفسِّرين في الآيات الآمرة بالتَّخفيف أنَّها منسوخةٌ بآية السَّيف، وليست كذلك، بل هي من المُنْسأ، بمعنى: أنَّ كلَّ أمرٌ ورد يجب امتثاله في وقتٍ ما لعلَّةٍ تُوجب ذلك الحكم، ثمَّ ينتقل بانتقال تلك العلَّة إلى حكمٍ آخر، وليس بنسخٍ، إنَّما النَّسخ الإزالة حتَّى لا يجوز امتثاله أبدًا[4].

وقد ذكر السُّيوطيُّ أنَّ النَّسخ وقع في إحدى وعشرين آيةً على خلافٍ في بعضها، وقال: ولا يصحُّ دعوى النَّسخ في غيرها[5].

(١) «زاد المسير» (٢/ ٤٢).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٥٢٤).

(٣) «الإتقان» (٣/ ٧٨).

(٤) «البرهان» (٢/ ٤٢)، «الإتقان» (٣/ ٦٨).

(٥) «الإتقان» (٣/ ٧٧).

(٦١) {وَذَكِّرْ بِهِ أَنْ تُبْسَلَ نَفْسٌ بِمَا كَسَبَتْ لَيْسَ لَهَا مِنْ دُونِ اللَّهِ وَلِيٌّ وَلَا شَفِيعٌ وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا} [الأنعام: ٧٠]

{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا شَفَاعَةٌ وَلَا يُؤْخَذُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة: ٤٨]

{وَاتَّقُوا يَوْمًا لَا تَجْزِي نَفْسٌ عَنْ نَفْسٍ شَيْئًا وَلَا يُقْبَلُ مِنْهَا عَدْلٌ وَلَا تَنْفَعُهَا شَفَاعَةٌ وَلَا هُمْ يُنْصَرُونَ} [البقرة: ١٢٣]

(٦١) ﴿وَإِن تَعْدِلْ كُلَّ عَدْلٍ لَّا يُؤْخَذْ مِنْهَآ﴾ [الأنعام:٧٠]

ليس معنى العدل هنا القسط والقيام بالحق كما فهم بعضهم، بل معناه : الفدية، ومعنى الآية : أي وإن افتدى بكل فداء فإنه لا يفيده ولا ينقذه من النار[٣].

قال الطَّبريُّ: (العَدْل) في كلام العرب بفتح العين: الفدية[١].

والمعنى: وإن بذلت تلك النَّفس الَّتي سلَّمت للهلاك كلَّ فديةٍ لا يُؤخذ منها ذلك العَدل حتَّى تنجوَ به من الهلاك[٢].

وسُمِّي الفداء عَدلًا؛ لأنَّه يعادل المفديَّ ويماثله، وأصل هذا الباب المساواة والمماثلة، يُقال: فلانٌ يعدل فلانًا، أي: يساويه، ويُقال: ما يعدلك عندنا شيءٌ، أي: ما يقع عندنا شيءٌ موقعك، ولا يساويك[٣].

وقال ابن الجوزيّ: واختلف اللُّغويُّون: هل «العَدْل» و «العِدْل» بفتح العين وكسرها يختلفان، أم لا؟

فقال الفَرَّاء: العَدْل بفتح العين: ما عادل الشَّيء من غير جنسه، والعِدْل بكسرها: ما عادل الشَّيء من جنسه، فهو المِثْل، تقول: عندي عَدْل غلامك، بفتح العين: إذا أردت قيمته من غير جنسه، وعندي عِدْل غلامك، بكسر العين: إذا كان غلامٌ يعدل غلامًا.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١/ ٣٤).

(٢) «فتح القدير» (٢/ ١٤٧).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٢/ ٤٨٧).

وحكى الزَّجَّاج عن البصريّين أنَّ العَدل والعِدل في معنى المِثْل، وأنَّ المعنى واحدٌ، سواءٌ كان المثل من الجنس أو من غير الجنس[1].

(١) «زاد المسير» (١/ ٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٦٢﴾ ﴿كَٱلَّذِى ٱسْتَهْوَتْهُ ٱلشَّيَٰطِينُ فِى ٱلْأَرْضِ حَيْرَانَ﴾

[الأنعام ٧١]

يفهم بعض الناس أن معنى استهوته أي أحبته وهويته، والصواب :أغوته وأضلته بتزيين هواه له[٤].

﴿٦٢﴾ قال ابن عبَّاسٍ: أي: مثل عابد الصَّنم مثل من دعاه الغُول فيتَّبعه فيصبح وقد ألقته في مَضلَّةٍ ومَهلكةٍ، فهو حائرٌ في تلك المَهَامِه.

وقال في رواية أبي صالحٍ: نزلت في عبد الرَّحمن بن أبي بكرٍ الصِّدِّيق، كان يدعو أباه إلى الكفر، وأبواه يدعوانه إلى الإسلام[١].

وفي معنى «استهواء الشَّياطين» قولان:

أحدهما: أنَّها هَوَت به وذهبت، قاله ابن قتيبة.

وقال أبو عبيدة: تُشبَّه له الشَّياطين، فيتبعها حتَّى تهوي به في الأرض، فتضلَّه.

والثَّاني: زيَّنت له هواه، قاله الزَّجَّاج[٢].

قال الرَّازيُّ: اختلفوا في اشتقاق {اسْتَهْوَتْهُ} على قولين:

القول الأوَّل: أنَّه مشتقٌّ من الهَوِيِّ في الأرض، وهو النُّزول من الموضع العالي إلى الوَهْدة السَّافلة العميقة في قعر الأرض، فشبَّه الله تعالى حال هذا الضَّالِّ به، وهو قوله: {وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ السَّمَاءِ} [الحَجّ: ٣١]، ولا شكَّ أنَّ حال هذا الإنسان عند هَوِيِّه من المكان العالي إلى الوَهْدة العميقة المظلمة يكون في غاية الاضطراب والضَّعف والدَّهشة.

والقول الثَّاني: أنَّه مشتقٌّ من اتِّباع الهوى والميل، فإنَّ من كان كذلك فإنَّه ربَّما بلغ النِّهاية في الحيرة.

والقول الأوَّل أولى؛ لأنَّه أكمل في الدَّلالة على الدَّهشة والضَّعف[٣].

قال الواحدي: أكثر أهل اللُّغة على أنَّ: استهوى من هَوَى يَهْوِي، وعلى هذا يدلُّ كلام ابن عبَّاسٍ؛ لأنَّه قال: كالَّذي استفزَّته الغيلان في الهامة. وانفرد أبو إسحاق [الزَّجَّاج] بقوله[٤].

---

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ١٨).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٤٣).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٣/ ٢٥).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٢٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٦٣﴾ ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ ۖ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام ١٠٣]

ليس المنفي هنا رؤية الله كما فهم بعضهم، بل سوف يراه المؤمنون في الآخرة كما ثبت في الكتاب والسنة، ومعنى الآية أنه لا تحيط به الابصار سبحانه وإن كانت تراه[٥].

﴿٦٣﴾ قال ابن كثيرٍ: قوله تعالى: {لَا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ} فيه أقوالٌ للأئمَّة من السَّلف:

أحدها: لا تدركه في الدُّنيا، وإن كانت تراه في الآخرة كما تواترت به الأخبار عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم من غير ما طريقٍ ثابتٍ في الصِّحاح والمسانيد والسُّنن، كما قال مسروقٌ عن عائشة أنَّها قالت: من زعم أنَّ محمَّدًا أبصر ربَّه فقد كذب -وفي روايةٍ: على الله- فإنَّ الله يقول: {لَا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأبْصَارَ}...

وقد خالفها ابن عبَّاسٍ، فعنه إطلاق الرُّؤية، وعنه أنَّه رآه بفؤاده مرَّتين...

وقال آخرون: {لَا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ} أي: جميعُها، وهذا مخصَّصٌ بما ثبت من رؤية المؤمنين له في الدَّار الآخرة.

وقال آخرون من المعتزلة بمقتضى ما فهموه من الآية: أنَّه لا يُرى في الدُّنيا ولا في الآخرة. فخالفوا أهل السُّنَّة والجماعة في ذلك، مع ما ارتكبوه من الجهل بما دلَّ عليه كتاب الله وسنَّة رسوله.

أمَّا الكتاب: فقوله تعالى: {وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَاضِرَةٌ* إِلَى رَبِّهَا نَاظِرَةٌ} [الْقِيَامَةِ: ٢٢، ٢٣]، وقال تعالى عن الكافرين: {كَلَّا إِنَّهُمْ عَنْ رَبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَمَحْجُوبُونَ} [الْمُطَفِّفِينَ: ١٥]. قال الإمام الشَّافعيُّ: فدلَّ هذا على أنَّ المؤمنين لا يُحجبون عنه تبارك وتعالى.

وأمَّا السُّنَّة، فقد تواترت الأخبار عن أبي سعيدٍ، وأبي هريرة، وأنسٍ، وجريرٍ، وصُهيبٍ، وبلالٍ، وغير واحدٍ من الصَّحابة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: أنَّ المؤمنين يرون الله في الدَّار الآخرة في العَرَصات، وفي روضات الجنَّات، جعلنا الله تعالى منهم بمنِّه وكرمه، آمين[١].

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٠٩).

وما ذكره ابن كثيرٍ رحمه الله من أنَّ الأبصار لا تدركه في الدُّنيا، أو أنَّ الإدراك خاصٌّ بالمؤمنين في الآخرة، فهو "على القول بأنَّه لا فرق بين الرُّؤية والإدراك"[1].

قال الواحديُّ: الإدراك: الإحاطة بكُنْه الشَّيء وحقيقته، وهو غير الرُّؤية؛ لأنَّه يصحُّ أن يُقال: رآه وما أدركه.

فالأبصار تَرى الباري عزَّ وجلَّ ولا تُحيط به، كما أنَّ القلوب تعرفه ولا تحيط به، قال تعالى: {وَلا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا} [طه: ١١٠][2].

وقال السَّعديُّ: {لا تُدْرِكُهُ الأبْصَارُ} لعظمته وجلاله وكماله، أي: لا تُحيط به الأبصار، وإن كانت تراه، وتفرح بالنَّظر إلى وجهه الكريم، فنفي الإدراك لا ينفي الرُّؤية، بل يثبتها بالمفهوم، فإنَّه إذا نفى الإدراك الَّذي هو أخصُّ أوصاف الرُّؤية، دلَّ على أنَّ الرُّؤية ثابتةٌ، فإنَّه لو أراد نفي الرُّؤية، لقال (لا تراه الأبصار) ونحو ذلك، فعُلم أنَّه ليس في الآية حجَّةٌ لمذهب المعطِّلة الَّذين ينفون رؤية ربِّهم في الآخرة، بل فيها ما يدلُّ على نقيض قولهم[3].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٣٣٣).

(٢) «التَّفسير الوسيط» (٢/ ٣٠٦).

(٣) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٢٦٨).

﴿ذَٰلِكَ أَن لَّمْ يَكُن رَّبُّكَ مُهْلِكَ ٱلْقُرَىٰ بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا غَٰفِلُونَ﴾ [الأنعام ١٣١]

ليس معنى غافلين أي لاهين منشغلين كما فهم بعض الناس، بل معناها : جاهلون لم يأتهم رسول يخبرهم بما أوجب الله عليهم ، والمعنى : أن الله لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتى يبعث إليهم رسولا ينبههم على حجج الله عليهم[٦].

٦٤ {وَأَهْلُهَا غَافِلُونَ} عَن الْأَمر وَالنَّهْي وتبليغ الرُّسُل[١].

وقال الرَّازيُّ: ليس المراد من هذه الغفلة أن يتغافل المرء عمَّا يُوعظ به، بل معناها ألَّا يُبيّن الله لهم كيفيَّة الحال، ولا أن يُزيل عذرهم وعلَّتهم[٢].

* قال الإمام أبو جعفرٍ ابن جريرٍ: ويحتمل قوله تعالى: {بِظُلْمٍ} وجهين:

أحدهما: ذلك من أجل أنَّ ربَّك مُهلكُ القُرى بظلم أهلها بالشِّرك ونحوه، وهم غافلون، يقول: لم يكن يعاجلهم بالعقوبة حتَّى يبعث إليهم من يُنبِّههم على حجج الله عليهم، وينذرهم عذاب الله يوم معادهم، ولم يكن بالَّذي يؤاخذهم غفلةً فيقولوا: {مَا جَاءَنَا مِنْ بَشِيرٍ وَلا نَذِيرٍ} [الْمَائِدَةِ: ١٩].

والوجه الثَّاني: أنَّ {ذَلِكَ أَنْ لَمْ يَكُنْ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ} يقول: لم يكن ربُّك ليهلكهم دون التَّنبيه والتَّذكير بالرُّسل والآيات والعبر، فيظلمهم بذلك، والله غير ظلَّامٍ لعبيده.

ثمَّ شرع يرجِّح الوجه الأوَّل، ولا شكَّ أنَّه أقوى، والله أعلم[٣].

وقال الواحديُّ عن القول الأوَّل: وهذا قول جميع المفسِّرين، والظُّلم على هذا ظلمهم الَّذي هو ذنوبهم ومعاصيهم[٤].

وأضاف بعض المفسِّرين وجهًا ثالثًا:

---

(١) «تنوير المقباس» (ص: ١١٩).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٣/ ١٥٢).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٤١). ويُنظر: «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ١٢٤).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٤٤٦).

أنَّ الله لا يُهلك أهلَ القُرَى بسبب ظُلم مَن يظلم منهم مع كون الآخرين غافلين عن ذلك، فهو مثل قوله: {وَلا تَزِرُ وازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرى}[1].

(١) «فتح القدير» (٢/ ١٨٦).

٦٥ ﴿وَمِنَ ٱلْأَنْعَٰمِ حَمُولَةً وَفَرْشًا﴾ [الأنعام: ١٤٢]

وفرشًا: هي صغار الإبل وقيل الغنم[1] وليس المعنى من الفِراش، وهذا قول أكثر المفسرين.

٦٥ (فرش) الفاء والراء والشين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تمهيد الشَّيء وبسطه. يُقال: فرَشْت الفِراش أفرِشُه. والفَرْش: مصدرٌ. والفَرْش: المفروش أيضًا. وسائر كَلِم الباب يرجع إلى هذا المعنى. يُقال تفرَّش الطَّائر: إذا قرُب من الأرض ورفرف بجناحه...

ومن ذلك: الفَرْش من الأنعام: وهو الَّذي لا يصلح إلَّا للذَّبح والأكل[1].

وقوله تعالى: {وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} [الأنعام: ١٤٢]

قال الثَّوريُّ: عن أبي إسحاق، عن أبي الأحوص، عن عبد الله في قوله: {حَمُولَةً}: ما حُمِل عليه من الإبل، {وَفَرْشًا} وقال: الصِّغار من الإبل. رواه الحاكم، وقال: صحيح الإسناد ولم يخرِّجاه.

وقال ابن عبَّاسٍ: الحمولة: الكبار، والفَرْش: هي الصِّغار من الإبل. وكذا قال مجاهدٌ.

وقال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ: {وَمِنَ الأَنْعَامِ حَمُولَةً وَفَرْشًا} فأمَّا الحمولة: فالإبل والخيل والبغال والحمير، وكلُّ شيءٍ يُحمَل عليه، وأمَّا الفَرْش: فالغنم. واختاره ابن جريرٍ، قال: **وأحسبه إنَّما سُمِّي فرشًا لدنوِّه من الأرض.**

وقال الرَّبيع بن أنسٍ، والحسن، والضَّحَّاك، وقتادة: الحمولة: الإبل والبقر، والفَرْش: الغنم.

وقال السُّدِّيُّ: أمَّا الحمولة: فالإبل، وأمَّا الفَرْش: فالفُصْلان والعجاجيل والغنم، وما حُمِل عليه: فهو حَمُولة.

قال عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم: الحمولة: ما تركبون، والفَرْش: ما تأكلون وتحلبون، **شاةٌ لا تحمل، تأكلون لحمها وتتَّخذون من صوفها لحافًا وفَرْشًا**[2].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (فرش).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الرَّازيُّ: كَثُر أقوالُهم في تفسير الحَمُولة والفَرْش، وأقربُها إلى التَّحصيل وجهان:

الأوَّل: أنَّ الحَمُولة: مَا تحمل الأثقال، **والفَرْش: ما يُفْرَش للذَّبح أو يُنسَج من وَبَرِه وصوفه وشَعره للفَرْش**.

والثَّاني: الحَمُولة: الكبار الَّتي تصلح للحمل، والفَرْش: الصِّغار كالفُصْلان والعجاجيل والغَنَم؛ **لأنَّها دانيةٌ من الأرض بسبب صغر أجرامها، مثل الفَرْش المفروش عليها**[1].

* وحاول التَّوفيق بين هذه الأقوال الكثيرة ابن عاشورٍ فقال:

والفَرْش: اختُلف في تفسيره في هذه الآية:

فقيل: الفَرْش: ما لا يُطيق الحمل من الإبل، أي: **فهو يُركب كما يُفْرش الفَرْش**، وهذا قول الرَّاغب.

وقيل: الفَرْش: الصِّغار من الإبل أو من الأنعام كلِّها؛ **لأنَّها قريبةٌ من الأرض، فهي كالفَرْش**.

وقيل: الفَرْش: ما يُذبح؛ **لأنَّه يُفرش على الأرض حين الذَّبح أو بعدَه**، أي: فهو الضَّأن والمعز والبقر؛ لأنَّها تُذبح.

وفي «اللِّسان» عن أبي إسحاق: أجمع أهل اللُّغة على أنَّ الفَرْش هو صغار الإبل.

زاد في «الكشَّاف»: أو الفَرْش: **ما يُنسج من وَبَره وصوفه وشعره الفَرْش**، يريد أنَّه كما قال تعالى: {وَمِنْ أَصْوافِها وَأَوْبارِها وَأَشْعارِها أَثاثًا وَمَتاعًا إِلى حِينٍ} [النَّحل: ٨٠]، وقال: {وَالْأَنْعامَ خَلَقَها لَكُمْ فِيها دِفْءٌ وَمَنافِعُ وَمِنْها تَأْكُلُونَ* وَلَكُمْ فِيها جَمالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ وَتَحْمِلُ أَثْقالَكُمْ} [النَّحل: ٥- ٧] الآية، ولأنَّهم كانوا يفترشون جلود الغنم والمعز للجلوس عليها.

ولفظ (فَرْشًا) صالح لهذه المعاني كلِّها، ومحامله كلُّها مناسبةٌ للمقام، فينبغي أن تكون مقصودةً من الآية، وكأنَّ لفظ الفَرْش لا يوازنه غيره في جمع هذه المعاني، وهذا من إعجاز القرآن

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٣/ ١٦٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

من جانب فصاحته، فالحمولة: الإبل خاصَّةً، والفَرْش: يكون من الإبل والبقر والغنم على اختلاف معاني اسم الفرش الصَّالحة لكلِّ نوعٍ مع ضميمته إلى كلمة (من) الصَّالحة للابتداء.

فالمعنى: وأنشأ من الأنعام ما تحملون عليه وتركبونه، وهو الإبل الكبيرة والإبل الصَّغيرة، وما تأكلونه، وهو البقر والغنم، وما هو فَرْشٌ لكم، وهو ما يُجزُّ منها، وجلودها[1].

* وللقارئ بعدُ أن يتأمَّل هل للاشتقاق من الفَرْش -سواءٌ أكان مصدرًا أم اسمًا للمفروش- دخلٌ في تفسير المراد بالفَرْش من الأنعام أم لا؟!

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٨-أ/ ١٢٥).

﴿قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِّلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا﴾ [سورة الأنعام١٦١]

دِيناً قِيَما: أي قائمًا ثابتًا[٢]، وديناً يصلح ويقوم به أمر الناس في المعاش والمعاد[٣]، وليس معنى «قِيَم» كما في المعنى الدارج : المبادئ والأخلاق.

(٦٦) قال الطَّبريُّ رحمه الله:

اختلفت القَرَأَة في قراءة قوله: {دِينًا قِيَمًا}.

فقرأ ذلك عامَّة قَرَأَة المدينة وبعض البصريّين: {دِينًا قَيِّمًا} بفتح القاف وتشديد الياء، إلحاقًا منهم ذلك بقول الله: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ}، وبقوله: {وَذَلِكَ دِينُ الْقَيِّمَةِ}.

وقرأ ذلك عامَّة قَرَأَة الكوفيّين: {دِينًا قِيَمًا} بكسر القاف وفتح الياء وتخفيفها.

وقالوا:"القَيِّم" و"القِيَم" بمعنًى واحدٍ، وهم لغتان معناهما: الدِّين المستقيم.

قال أبو جعفرٍ: والصَّواب من القول في ذلك عندي أنَّهما قراءتان مشهورتان في قَرَأَة الأمصار، متَّفقتا المعنى، فبأيَّتهما قرأ القارئ فهو للصَّواب مصيبٌ، غير أنَّ فتح القاف وتشديد الياء أعجب إليَّ؛ لأنَّه أفصح اللُّغتين وأشهرهما[١].

قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: مستقيمًا[٢].

وقال ابن كثيرٍ: أَيْ: قَائِمًا ثَابِتًا[٣].

وقال ابن عرفة: يحتمل وجهين:

أحدهما: أنَّه قائمٌ دائمٌ إلى قيام السَّاعة لَا ينسخه شيءٌ من الأديان.

الثَّاني: أنَّ برهانه دائمٌ، والأدلَّة الدَّالة على حقيقته قائمةٌ، يُوصف هو بوصف دليله ويجعل قائمًا[٤].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ٢٨٢).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٥٥٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٨٠).

(٤) «تفسير ابن عرفة» (٢/ ٢٠٧).

* أما استعمال كلمة (القِيَم) بمعنى الفضائل الدِّينية والخُلقيَّة والاجتماعيَّة فهو استعمالٌ معاصرٌ، لم تذكره المعاجم اللُّغويَّة القديمة[1].

(١) يُنظر «معجم الصَّواب اللُّغويّ» (١/ ٦١١) .

﴿٦٧﴾ قالَ = يَقُولُ = قَوْلًا =

﴿٦٧﴾ ﴿فَجَآءَهَا بَأْسُنَا بَيَٰتًا أَوْ هُمْ قَآئِلُونَ﴾ [الأعراف:٤]

من القيلولة[٤] أي في وقت القائلة منتصف النهار، وليس من القول.

فهو قائلٌ = بمعنى: تكلَّم

قالَ = يَقِيلُ = قَيْلُولَةً = فهو قائلٌ

أيضًا = بمعنى: نام في وسط النَّهار.

ولا شكَّ أن سيق الآية يدلُّ على أنَّ المراد هو الفعل (قال يَقِيل) لا (قال يَقُول)، بقرينة ذكر البَيَات قبلَه.

{بَيَاتًا} أي: ليلًا، ومنه البيت؛ لأنَّه يُبات فيه... وَ{قائِلُونَ} من القائلة وهي القيلولة، وهي نوم نصف النَّهار، وقيل: الاستراحة نصف النَّهار إذا اشتدَّ الحر وإن لم يكن معها نومٌ. والمعنى: جاءهم عذابنا وهم غافلون إمَّا ليلًا وإمَّا نهارًا[١].

وقال الماورديُّ: فإن قيل: فلم جاءهم بالعذاب في وقت النَّوم دون اليقظة؟

قيل: لأمرين:

أحدهما: لأنَّ العذاب في وقت الرَّاحة أشدُّ وأغلظ.

والثَّاني: لئلَّا يتحرَّزوا منه ويهربوا عنه؛ لاستسلام النَّائم وتحرُّز المستيقظ[٢].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ١٦٣).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٠٠).

﴿ وَقَاسَمَهُمَآ إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴾ [الأعراف:٢١]

من القسَم أي حلف لهما الشيطان[1]، وليست من القِسمة.

(٦٨) عن قتادة قوله: {وقاسمهما إنِّي لكما لمن النَّاصحين} فحلف لهما بالله حتَّى خدعهما، وقد يُخْدع المؤمن بالله، فقال: إنِّي خُلِقتُ قبلكما، وأنا أعلم منكما، فاتَّبعاني أرشدكما. وكان بعض أهل العلم يقول: من خادَعنا بالله خُدِعْنا[1].

وقال ابن عبَّاسٍ: غرَّهما باليمين، وكان آدم لا يظنُّ أنَّ أحدًا يحلف بالله كاذبًا[2].

* قال السَّمين الحلبيُّ: المفاعلةُ هنا تحتمل أن تكون على بابها [يعني: من المشاركة]، فقال الزَّمخشريُّ: «كأنَّه قال لهما: أُقسم لكما إنِّي لمن النَّاصحين، وقالا له: أتقسم بالله أنت إنَّك لمن النَّاصحين لنا، فَجعَل ذلك مقاسمةً بينهم.

أو أقسم لهما بالنَّصيحة وأقسما له بقبولها.

أو أَخْرج قسمَ إبليس على وزن المفاعلة؛ لأنَّه اجتهد فيها اجتهادَ المُقاسِم».

وقال ابن عطيَّة: «وقاسمهما: أي: حلف لهما، وهي مفاعلةٌ؛ إذ قبول المحلوف له وإقباله على معنى اليمين، كالقَسَم وتقريره، وإن كان بادئَ الرَّأي يُعطي أنَّها من واحدٍ».

ويحتمل أن يكون (فاعَل) بمعنى (أَفْعَل) كباعَدْتُه وأبعدته، وذلك أنَّ الحلفَ إنَّما كان من إبليس دونهما، وعليه قول خالد بن زُهيرٍ:

وقاسَمَها باللهِ جَهْدًا لأنتمُ .:. أَلَذُّ مِنَ السَّلْوَى إذاَ مَا نَشُورُهَا[3]

وقال ابن عاشورٍ: المُفاعلة هنا للمبالغة في الفعل، وليست لحصول الفعل من الجانبين، ونظيرها: عافاه الله[1].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ٣٤٩).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ١٠٨).

(٣) «الدُّرُّ المصون» (٥/ ٢٧٩).

* وانتُقض الوجهان الأوَّلان للزَّمخشريِّ بعدم الدَّليل عليهما من النَّقل عن المعصوم[٢].

* أمَّا أن تكون المقاسمة في الآية من القِسْمة فهو وجهٌ ذكره بعض المفسِّرين:

قال الماورديُّ: ويحتمل وجهًا آخر: أن يكون معنى قوله: {وَقَاسَمَهُمَا} أي: قال لهما: إن كان ما قلته خيرًا فهو لكما دوني، وإن كان شرًّا فهو عليَّ دونكما، ومن فعل ذلك معكما فهو من النَّاصحين لكما. فكانت هذه مقاسمتهما؛ أنْ قَسَمَ الخير لهما والشَّرَّ له على وجه الغرور لتنتفي عنه التُّهمة ويُسرع إليه القبول[٣].

وقال السَّمعانيُّ: وَفِيه قَولٌ آخر: أنَّ قَوْله: {وقاسمهما} من القِسمة، كأنَّ إبليس قال لَهما: كُلا من هذه الشَّجرة، فما كان من خيرٍ فلكما، وما كان من شرٍّ وسُوءٍ فعليَّ[٤].

كما ذكره أيضًا تاج القُرَّاء وعدَّه وجهًا غريبًا[٥].

وممَّا يُضعِّف هذا الوجه ما أخرجه ابْن جريرٍ وأبو الشَّيخ عن الرَّبيع بن أنسٍ قال: في بعض القراءة (وقاسمهما **بِاللهِ** إنِّي لكما لمن النَّاصحين) [٦].

وقال أبو العالية في بعض القراءة: (وقاسمهما **بالله**) [٧].

فهي نصٌّ في كون المقاسمة يمينًا.

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٨-ب/ ٦٠).

(٢)يُنظر «تفسير المنار» (٨/ ٣١٠)..

(٣) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢١٠).

(٤) «تفسير السَّمعانيِّ» (٢/ ١٧١). ويُنظر «باهر البرهان» (١/ ٥١١).

(٥) «غرائب التَّفسير» (١/ ٣٩٩).

(٦) «الدُّرُّ المنثور» (٣/ ٤٣١).

(٧) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٣٨٥).

﴿٦٩﴾ ﴿قَدْ أَنزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْءَاتِكُمْ وَرِيشًا﴾

[الأعراف:٢٦]

الريش بمعنى المال وقيل ثياب الزينة[٢]، وليس معناها عند أغلب المفسرين ريش الطيور.

﴿٦٩﴾ (ريش) الرَّاء والياء والشِّين أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حُسن الحال، وما يكتسب الإنسان من خيرٍ[١].

قال الطَّبريُّ: اختلفت القَرَأَة في قراءة ذلك:

فقرأته عامَّة قَرَأَة الأمصار: (وَرِيشًا) ، بغير ألفٍ.

وذُكِر عن زِرّ بن حُبيشٍ والحسن البصريّ: أنَّهما كانا يقرآنه: (وَرِياشًا)...

و(الرِّياش) في كلام العرب: الأثاث، وما ظهر من الثِّياب من المتاع ممَّا يُلبس أو يُحْشى من فراشٍ أو دِثَار.

و(الرِّيش) إنَّما هو المتاع والأموال عندَهم. ورُبَّما استعملوه في الثِّياب والكسوة دون سائر المال... وقد يُستعمل (الرِّياش) في الخَصْب ورَفاهة العيش[٢].

وقال الفَرَّاء: يجوز أن تكون الرِّياش جمع الرِّيش، ويجوز أن تكون بمعنى الرِّيش كما قالوا: لِبْس، ولِبَاس.

قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ: «الرِّياش»: المال.

وقال عطاءٌ: المال والنَّعيم.

وقال ابن زيدٍ: الرِّيش: الجَمال.

وقال معبدٌ الجُهنيُّ: الرِّيش: الرِّزق.

وقال ابن قُتيبة: الرِّيش والرِّياش: ما ظهر من اللِّباس.

وقال الزَّجَّاج: الرِّيش: اللِّباس وكلُّ ما ستر الإنسان في جسمه ومعيشته.

وعلى قول الأكثرين: الرِّيش والرِّياش بمعنًى. قال قُطْرُب: الرِّيش والرِّياش واحدٌ.

وقال سفيان الثَّوريُّ: الرِّيش: المال، والرِّياش: الثِّياب[١].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (ريش).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ٣٦٣).

* قال ابن كثيرٍ: يمتنُّ تبارك وتعالى على عباده بما جعل لهم من اللِّباس والرِّيش، فاللِّباس المذكور هاهنا لستر العورات، وهي السَّوآت، **والرِّياش والرِّيش: هو ما يُتجمَّل به ظاهرًا**، فالأوَّل من الضَّروريَّات، والرِّيش من التَّكمُّلات والزِّيادات[٢].

وقال ابن عطيَّة بعد ذكره ما سبق من أقوال مفسِّري السَّلف: **ويُشبه أنَّ هذا كلَّه من معنى ريش الطَّائر وريش السَّهم**؛ إذ هو لباسه وسُترته وعونه على النُّفوذ[٣].

وقال السَّمين الحلبيُّ: (وريشًا) يُحتمل أن يكونَ من باب عطف الصِّفات، والمعنى: أنَّه وَصَفَ اللِّباس بشيئين: مواراةِ السَّوْءة والزِّينة، **وعبَّر عنها بالرِّيش، لأنَّ الريش زينةٌ للطَّائر، كما أنَّ اللِّباس زينةٌ للآدميِّين**، ولذلك قال الزَّمخشريُّ: «والرِّيش: لباسُ الزِّينة، **استُعير مِنْ ريش الطَّير؛ لأنَّه لباسُه وزينتُه**».

ويُحتَمل أن يكون من باب عطف الشَّيء على غيره أي: أَنْزَلْنا عليكم لباسَيْن: لباسًا موصوفًا بالمواراة، ولباسًا موصوفًا بالزِّينة، وهذا اختيار الزَّمخشريِّ... وعلى هذا فالكلام في قوَّة حذف موصوفٍ وإقامة صفته مُقامه، والتَّقدير: ولباسًا ريشًا أي: ذا ريش[٤].

* فالرِّيش على القول بأنَّه الزِّينة الظَّاهرة مستعارٌ من ريش الطَّائر؛ لأنَّه لباسه وزينته، وليس مراد المفسِّرين أنَّ اللِّباس نفسه من الرِّيش، وإن كان الرِّيش يدخل أحيانًا على الحقيقة في بعض لباس الزِّينة، لكنَّ المعنى أعمُّ وأوسع من ذلك.

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ١٠٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٣٩٩).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٣٨٩).

(٤) «الدُّرُّ المصون» (٥/ ٢٨٦).

﴿ وَإِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً قَالُوا۟ وَجَدْنَا عَلَيْهَآ ءَابَآءَنَا وَٱللَّهُ أَمَرَنَا بِهَا ۗ قُلْ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأْمُرُ بِٱلْفَحْشَآءِ ﴾ [الأعراف ٢٨]

الفاحشة هنا في قول أكثر المفسرين: طوافهم بالبيت عراة[٣]، وقيل الشرك بالله، أو ما تبالغ قبحه من الذنوب[١]، وليس المراد بالفاحشة: الزنا كما فهم البعض.

﴿٧٠﴾ فيمن عُني بهذه الآية ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم الَّذين كانوا يطوفون بالبيت عراةً، والفاحشة: كشف العورة، رواه سعيد بن جبيرٍ عن ابن عباسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وزيد بن أسلم، والسُّدِّيُّ.

والثَّاني: أنَّهم الَّذين جعلوا السَّائبة والوصيلة والحام، وتلك الفاحشة، روى هذا المعنى أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّهم المشركون، والفاحشة: الشِّرك، قاله الحسن، وعطاءٌ[١].

قال القُرطبيُّ: الفاحشة هنا في قول أكثر المفسِّرين طوافهم بالبيت عُراةً[٢].

* وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الفاحشة: كلُّ ما تَبالغ في قبحه من الذُّنوب[٣]، أو هي: كلُّ ما يُستفحَش ويُستقبَح[٤]، فهي عامَّةٌ:

قال الرَّازيُّ: اعلم أنَّ في النَّاس من حمل الفحشاء على ما كانوا يُحرِّمونه من البحيرة والسَّائبة وغيرهما، وفيهم من حمله على أنَّهم كانوا يطوفون بالبيت عُراةً الرِّجال والنِّساء، والأولى أن يُحكم بالتَّعميم، والفحشاء عبارةٌ من كلِّ معصيةٍ كبيرةٍ، فيدخل فيه جميع الكبائر[٥].

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ١١١).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ١٨٧).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٩٩).

(٤) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٢٨٦).

(٥) «مفاتيح الغيب» (١٤/ ٢٢٥).

وقال الشَّوكانيُّ: الفاحشة: ما تبالغ في فحشه وقبحه من الذُّنوب. قال أكثر المفسِّرين: هي طواف المشركين بالبيت عُراةً. وقيل: هي الشِّرك. والظَّاهر أنَّها تصدق على ما هو أعمُّ من الأمرين جميعًا[1].

وقال ابن عاشورٍ: وقد رُوي عن ابن عبَّاسٍ أنَّ المراد بالفاحشة في الآية التَّعرِّي في الحجِّ، وإنَّما محمل كلامه على أنَّ التَّعرِّي في الحجِّ من أوَّل ما أُريد بالفاحشة، لا قصرها عليه[2].

* قال قومٌ: (الفاحشة) إذا وردت مُعرَّفةً فهي الزِّنا واللُّواط.

وإذا وردت مُنكَّرةً فهي سائر المعاصي، كلُّ ما يُستفحَش.

وإذا وردت موصوفةً بالبيان [مثل: (فاحشةٍ مبيِّنةٍ)] فهي عقوق الزَّوْج وفساد عشرته، ولذلك يصفها بالبيان إذ لا يُمكن سترُها، والزِّنا وغيره هو ممَّا يُتستَّر به ولا يكون مُبيَّنًا[3].

(١) «فتح القدير» (٢/ ٢٢٦).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٨-ب/ ٨٢).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٨١).

(٧١) ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ خُذُواْ زِينَتَكُمۡ عِندَ كُلِّ مَسۡجِدٖ وَكُلُواْ وَٱشۡرَبُواْ وَلَا تُسۡرِفُوٓاْۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلۡمُسۡرِفِينَ﴾ [الأعراف ٣١]

كل مسجد أي كل صلاة[٢] ؛ ولو كانت في البيت، وليس كما يفهم بعض الناس أن أخذ الزينة مختص بما بُني من المساجد .

(٧١) هـذه الآيـة الكريمـة ردٌّ على المشركين فيما كانوا يعتمدونه من الطَّواف بالبيت عُراةً، كما رواه مسلمٌ والنَّسائيُّ وابن جريرٍ -واللَّفظ له- من حديث شعبة، عن سلمة بن كُهيلٍ، عن مسلمٍ البَطِين، عن سعيد بن جُبيرٍ، عن ابن عبَّاسٍ قال: كانوا يطوفون بالبيت عُراةً الرِّجال والنِّساء: الرِّجال بالنَّهار، والنِّساء باللَّيل، وكانت المرأة تقول:

اليومَ يبدُو بعضُه أو كلُّه .:. وما بدا منه فلا أُحلُّه

فقال الله تعالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}

وقال العوفيُّ، عن ابن عبَّاسٍ في قوله تعالى: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} الآية، قال: كان رجالٌ يطوفون بالبيت عُراةً، فأمرهم الله بالزِّينة، والزِّينة: اللِّباس، وهو ما يُواري السَّوأة، وما سوى ذلك من جيِّد البزِّ والمتاع، فأُمروا أن يأخذوا زينتهم عند كلِّ مسجدٍ.

وكذا قال مجاهدٌ، وعطاءٌ، وإبراهيم النَّخَعِيُّ، وسعيد بن جُبيرٍ، وقتادة، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاك، ومالكٌ عن الزُّهريِّ، وغيرُ واحدٍ من أئمَّة السَّلف في تفسيرها: أنَّها أُنزلت في طواف المشركين بالبيت عُراةً[١].

فمعنى {زينتكم} أي: ثيابكم؛ لمواراة عوراتكم؛ لأنَّ المستفاد من الأمر الوجوب، والواجب إنَّما هو ستر العورة، {عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أي: طوافٍ أو صلاةٍ، وإلى ذلك ذهب مجاهدٌ، وأبو الشَّيخ، وغيرهما...

وحمل بعضهم الزِّينة على لباس التَّجمُّل؛ لأنَّه المتبادر منه، ونُسب للباقر رضي الله تعالى عنه، ورُوي عن الحسن السِّبْط رضي الله تعالى عنه أنَّه كان إذا قام إلى الصَّلاة لبس أجود ثيابه، فقيل له: يا ابن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم لم تلبس أجود ثيابك؟ فقال: إنَّ الله تعالى جميلٌ

(١) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٠٥).

يحبُّ الجمال، فأتجمَّل لربِّي، وهو يقول: {خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ}، فأُحبُّ أن ألبس أجمل ثيابي، ولا يخفى أنَّ الأمر حينئذٍ لا يُحمل على الوجوب؛ لظهور أنَّ هذا التَّزيُّن مسنونٌ لا واجبٌ.

وقيل: إنَّ الآية على الاحتمال الأوَّل تُشير إلى سُنِّيَّة التَّجمُّل؛ لأنَّها لَمَّا دلَّت على وجوب أخذ الزِّينة لستر العورة عند ذلك فُهم منه في الجملة حُسن التَّزيُّن بلبس ما فيه حُسنٌ وجمالٌ فيها[1].

وقال السَّعديُّ: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} أي: استروا عوراتكم عند الصَّلاة كلِّها، فرضها ونفلها، فإنَّ سترَها زينةٌ للبدن، كما أنَّ كشفها يدع البدن قبيحًا مُشوَّهًا.

ويُحتمل أنَّ المراد بالزِّينة هنا ما فوق ذلك من اللِّباس النَّظيف الحسن، ففي هذا الأمر بستر العورة في الصَّلاة، وباستعمال التَّجميل فيها ونظافة السُّترة من الأدناس والأنجاس[2].

* فإن كان المراد بالزِّينة هو ستر العورة، والأمر بها للوجوب؛ فلا شكَّ أنَّ هذا يشمل كلَّ صلاةٍ أو طوافٍ، ومع كون سبب النُّزول في طواف المشركين عُراةً إلَّا أن العبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب، ويكون المراد بالمسجد كلَّ موضع سجودٍ.

وإن كان المراد بالزِّينة قدرٌ زائدٌ على مجرد ستر العورة، والأمر بها للنَّدب والاستحباب؛ فإنَّ فَهْم البعض أنَّ الذَّهاب للمساجد للجُمع والجماعات له مزيد مزيَّةٍ في ذلك التَّزيُّن، فهو مُحتمَلٌ، وقد ذكره بعض المفسِّرين وجهًا في تفسير الآية:

يقول الماورديُّ: {يَا بَنِي آدَمَ خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ مَسْجِدٍ} فيه أربعة أقاويل:

أحدها: أنَّ ذلك واردٌ في ستر العورة في الطَّواف على ما تقدَّم ذكره، قاله ابن عبَّاسٍ، والحسن، وعطاءٌ، وقتادة، وسعيد بن جُبيرٍ، وإبراهيم.

والثَّاني: أنَّه واردٌ في ستر العورة في الصَّلاة، قاله مجاهدٌ، والزَّجَّاج.

---

(١) «روح المعاني» (٤/ ٣٤٨).

(٢) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٢٨٧).

والثَّالث: **أنَّه واردٌ في التَّزيُّن بأجمل اللِّباس في الجُمَع والأعياد.**

والرَّابع: أنَّه أراد به المُشْط لتسريح اللِّحية[1].

(١) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ ﴾ [الأعراف: ٥٣]

تأويله أي ما وُعدوا في القرآن وما يؤول إليه أمرهم[٣] من جنة أو نار، وليس معناها «تفسيره».

﴿٧٢﴾ النَّظر هاهنا بمعنى: الانتظار[١].

{تأويله} قال ابن عبَّاسٍ: تصديق ما وُعدوا في القرآن[٢].

وقال مجاهد: {تَأْوِيلَهُ} جزاءه، أي: جزاء تكذيبهم بالكتاب.

وقال قتادة: {تَأْوِيلَهُ} عاقبته[٣].

قال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: {هل ينظرون إلَّا تأويله} هل ينتظر هؤلاء المشركون الَّذين يكذِّبون بآيات الله ويجحدون لقاءه {إلَّا تأويله}، يقول: إلَّا ما يَؤُول إليه أمرُهم، من ورُودهم على عذاب الله، وصِليّهم جحيمَه، وأشباه هذا ممَّا أوعدهم الله به[٤].

وقال ابن عطيَّة: **(التَّأويل) في هذا الموضع بمعنى المآل والعاقبة**... فالتَّأويل على هذا مأخوذٌ من آلَ يَؤُول.

وقال الخطَّابيُّ: أَوَّلْتُ الشَّيء رددته إلى أَوَّله، فاللَّفظة مأخوذةٌ من الأَوَّل، حكاه النَّقَّاش.

قال القاضي أبو محمَّدٍ [هو ابن عطيَّة]: وقد قيل: أوَّلت معناه: طلبت أوَّل الوجوه والمعاني[٥].

(١) «التَّفسير البسيط» (٩/ ١٦٣).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ١٢٦).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٢١٧).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ٤٧٨).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٠٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٧٣﴾ ﴿وَاذْكُرُوٓاْ إِذْ جَعَلَكُمْ خُلَفَآءَ مِنۢ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ﴾

[الأعراف ٦٩]

خلفاء أي تخلفونهم وتسكنون الأرض من بعدهم[١] فأهلكهم وأبقاكم[٢]، وليس المراد هنا بالخلافة الملك والرياسة.

﴿٧٢﴾ قال الرَّاغب: خَلَفَ فلانٌ فلانًا: قام بالأمر عنه، إمَّا معه، وإمَّا بعدَه، قال تعالى: {وَلَوْ نَشاءُ لَجَعَلْنا مِنْكُمْ مَلائِكَةً فِي الْأَرْضِ يَخْلُفُونَ} [الزخرف: ٦٠].

والخِلافةُ: النِّيابة عن الغير، إمّا لغَيْبة المنوب عنه، وإمَّا لموته، وإمّا لعجزه، وإمَّا لتشريف المستخلَف.

وعلى هذا الوجه الأخير استخلف الله أولياءه في الأرض، قال تعالى: {هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ فِي الْأَرْضِ} [فاطر: ٣٩]، {وَهُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلائِفَ الْأَرْضِ} [الأنعام: ١٦٥]، وقال: {وَيَسْتَخْلِفُ رَبِّي قَوْمًا غَيْرَكُمْ} [هود: ٥٧].

والخلائف: جمع خَلِيفَة، وخُلَفاء: جمع خَلِيف[١].

وقال ابن عاشورٍ: الخلفاء: جمع خليفةٍ[٢]، وهو الَّذي يخلُف غيرَه في شيءٍ، أي: يتولَّى عمل ما كان يعملُه الآخرُ[٣].

* فالخلافة: هي النِّيابة عن الغير مطلقًا، فهي عامَّةٌ في كلِّ نيابةٍ، والنِّيابة في المُلْك إنَّما هي نوع خلافةٍ خاصَّةٍ.

ومعنى نيابة عادٍ عن قوم نوحٍ هو في النِّيابة في سُكْنَى الأرض وتعميرها، أو في مساكنهم، وهو ما ذكره جمهور المفسِّرين:

قال السُّدِّيُّ وابن إسحاق: المعنى: جعلكم سُكَّان الأرض بعد قوم نوحٍ[٤].

---

(١) «المفردات» (ص: ٢٩٤).

(٢) على معنى التَّذكير لا على اللَّفظ. «عمدة الحفَّاظ» (١/ ٥٢٣).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٨-ب/ ٢٠٥).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤١٧).

وذكر بعض المفسِّرين أن خلافة المُلْك أيضًا وجهٌ مُحتمَلٌ، على أنَّ الإسناد لجميعهم مجازيٌّ كما سبق في قوله تعالى {وجعلكم ملوكًا}[1]:

قال الزَّمخشريُّ: أي: خلفتموهم في الأرض، أو جعلكم ملوكًا في الأرض قد استخلفكم فيها بعدَهم[2].

وقال البيضاويُّ: أي: في مساكنهم، أو في الأرض بأن جعلكم ملوكًا، فإنَّ شدَّاد بن عادٍ ممَّن ملك معمورة الأرض من رمل عالج إلى شَحْر عُمَان[3].

وقال البقاعيُّ: قيل: إن ذلك لكون شدَّاد بن عادٍ ملك جميع الأرض، فكأنَّه قيل: جعل جدَّكم خليفةً في جميع الأرض[4].

---

(١) يُنظر رقم (٥٣).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ١١٧).

(٣) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ١٩)، «روح المعاني» (٤/ ٣٩٤). وشَحْر عُمَان: هو ساحل البحر بين عُمان وعَدَن، مشتَمِلٌ على بلادٍ وأوديةٍ وقُرًى، كانت فيها مساكن سَبَأ على ما قيل. «تاج العروس» (شحر).

(٤) «نظم الدُّرر» (٧/ ٤٣٨).

﴿ كَأَن لَّمْ يَغْنَوْاْ فِيهَآ ﴾ [الأعراف: ٩٢]

أي كأنهم لم يقيموا فيها ولم يعيشوا فيها قط[٣] - أي في ديارهم - وليس معناها يغتنوا وتكثر أموالهم.

(٧٤) أخرج ابن جريرٍ وابن أبي حاتمٍ عن ابن عبَّاسٍ {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيها} قال: كأن لم يعيشوا فيها.

وأخرج ابن أبي حاتمٍ وأبو الشَّيخ عنه، قال: كأن لم يُعمَّروا فيها.

وأخرج ابن أبي حاتمٍ عن قتادة قال: كأن لم يَنعمُوا فيها[١].

وقال ابن الجوزيّ: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا} فِيهَا فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: كأن لم يعيشوا في دارهم، قاله ابن عبَّاسٍ، والأخفش...

والثَّاني: **كأن لم يَتنعَّموا فيها، قاله قتادة.**

والثَّالث: كأن لم يكونوا فيها، قاله ابن زيدٍ، ومقاتل.

والرَّابع: كأن لم ينزلوا فيها، قاله الزَّجَّاج.

قال الأصمعيُّ: المغاني: المنازل، يُقال: غَنِينا بمكان كذا، أي: نزلنا به.

وقال ابن قُتيبة: كأن لم يقيموا فيها، ومعنى: غَنِينا بمكان كذا: أقمنا[٢].

* فذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الفعل (غَنِيَ) بالمكان (يَغْنَى) هو بمعنى الإقامة بالمكان فقط، سواءٌ كانت هذه الإقامة إقامة غنًى أم فقرٍ.

وربط بعض المفسِّرين الفعل (غَنِي) بالمكان بالإقامة لكن مع الغنى، وذلك على وجهين: إمَّا إقامةٌ بمكانٍ يستغنون به عن غيره، وإمَّا إقامةٌ فيها الغنى ونعيم العيش.

قال ابن عطيَّة: **وغَنِيتُ في المكان إنَّما يُقال في الإقامة الَّتي هي مقترنةٌ بتنعُّمٍ وعيشٍ مُرْضٍ**، هذا الَّذي استقريتُ من الأشعار الَّتي ذكرت العرب فيها هذه اللَّفظة... ويُشبه أن تكون اللَّفظة من الاستغناء، وأمَّا قوله: {كأن لم تغن بالأمس} ففيه هذا المعنى؛ لأنَّ المراد كأن لم تكن ناعمةً نَضِرةً مستقِلَّةً، ولا توجد فيما علمتُ إلَّا مقترنةً بهذا المعنى[٣].

---

(١) «فتح القدير» (٢/ ٥٧٧).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ١٣٩).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٣٠).

وقال الألوسيُّ: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} أي: لم يقيموا في دارهم، وقال قتادة: المعنى كأن لم يعيشوا فيها مستغنين، وذكر غير واحدٍ أنَّه يُقال: غَنِي بالمكان يَغْنَى غنًى وغنيانًا إذا أقام به دهرًا طويلًا، **وقيَّده بعضهم بالإقامة في عيشٍ رغدٍ**، وقال ابن الأنباريّ كغيره: إنَّه من الغنى ضدِّ الفقر، كما في قول حاتمٍ:

غَنِينا زمانًا بالتَّصَعْلُك والغِنَى .:. فُكلًّا سَقَاناهُ بكأسهما الدَّهرُ

فما زادنا بغيًا على ذي قرابةٍ .:. غنانا، ولا أَزْرى بأحسابنا الفقرُ

وعلى هذا تفسير قتادة، وردَّ الرَّاغب (غنِيَ) بمعنى أقام إلى هذا المعنى، فقال: غَنِي بالمكان طال مقامه فيه مُستغنيًا به عن غيره[1].

وقال الرَّازيُّ: في قوله: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} قولان:

أحدهما: يُقال: غَنِي القومُ في دارهم إذا طال مقامهم فيها، والمغاني: المنازل الَّتي كان بها أهلُوها، واحدها: مَغْنًى... وعلى هذا الوجه كان قوله: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فِيهَا} كأن لم يُقيموا بها، ولم ينزلوا فيها.

والقول الثَّاني: قال الزَّجَّاج: {كَأَنْ لَمْ يَغْنَوْا فيها} **كأن لم يعيشوا فيها مُستغنين**، يُقال: غَنِي الرَّجل يَغْنَى: إذا استغنى، وهو من الغنى الَّذي هو ضدُّ الفقر[2].

وقال السَّمين الحلبيُّ: يُقال: غَنِي بالمكان يَغْنَى به، أي: أقام. ومنه قوله تعالى: {كأنْ لم يغنَوْا فيها} [الأعراف: ٩٢] أي: كأن لم يُقيموا. وأصله من غني المكان: **إذا أقام به إقامة مستغنٍ به راضٍ بمحلِّه فيه**. وقال بعضهم: يُقال: غَنِي في مكان كذا: **إذا طال مقامه مُستغنيًا به عن غيره**[3].

---

(١) «روح المعاني» (٥/ ٨).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٤/ ٣١٩).

(٣) «عمدة الحفَّاظ» (٣/ ١٧٦).

﴿ ثُمَّ بَدَّلْنَا مَكَانَ ٱلسَّيِّئَةِ ٱلْحَسَنَةَ حَتَّىٰ عَفَواْ ﴾ [الأعراف:٩٥]

أي تكاثروا وكثرت أموالهم وأولادهم[٤]، ومنه قول النبي ﷺ في الصحيحين «حفوا الشوارب واعفوا اللحى» أي كثروها [٥] وقيل بمعنى اتركوها؛ وليس «عَفَواْ» من العفو الذي بمعنى التجاوز والصفح.

(٧٥) قال الواحديُّ: أصل العَفْو في اللُّغة: الزِّيادة[١].

وقال أيضًا قال أهل اللُّغة: العفو الفَضْل، وما أتى بغير كُلْفَةٍ[٢].

وقال القَفَّال: العَفْو: ما سهُل وتيسَّر ممَّا يكون فاضلًا عن الكفاية، يُقال: خذ ما عفا لك، أي: ما تيسَّر، **ويُشبه أن يكون العَفْو عن الذَّنب راجعًا إلى التَّيسُّر والتَّسهيل**[٣].

* **وقوله تعالى: {حَتَّى عَفَوْا}**

قال الواحديُّ: أي: زادوا على ما كانوا عليه من العدد[٤].

وقال ابن عطيَّة: {حَتَّى عَفَوْا} معناه: حتَّى كثرُوا، يُقال: عفا النَّبات والرِّيش يعفو: إذا كثُر نباتُه... وعليه قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أَحْفُوا الشَّوارب وأَعْفُوا اللِّحَى».

وعفا أيضًا في اللُّغة بمعنى: دَرَسَ وبَلِيَ، فقال بعض النَّاس: هي من الألفاظ الَّتي تُستعمل للضِّدَّين[٥].

قال الماورديُّ: {حَتَّى عَفَواْ} فيه أربعة أقاويل:

أحدها: حتَّى كثُروا، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهد، والسُّدِّيُّ...

والثَّاني: حتَّى أَعْرَضُوا، قاله ابن بحرٍ...

والثَّالث: حتَّى سُرُّوا، قاله قتادة.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٤/ ١٥٦).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٥٣٩).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٦/ ٤٠٢).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٤/ ١٥٦).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٣١).

والرَّابع: حتَّى سَمِنوا، قاله الحسن[1].

قال الطَّبريُّ: {حتَّى عَفَوْا} يقول: حتَّى كَثرُوا، وكذلك كلُّ شيءٍ كَثُر فإنَّه يُقال فيه: قد عَفَا...

وقال آخرون: معنى ذلك: حتَّى سُرُّوا.

وساقه بإسناده إلى قتادة، ثمَّ قال: وهذا الَّذي قاله قتادة في معنى: (عَفَوْا) تأويلٌ لا وجه له في كلام العرب؛ لأنَّه لا يُعرف (العَفْو) بمعنى السُّرور في شيءٍ من كلامها، إلَّا أن يكون أراد: حتَّى سُرُّوا بكثرتهم وكثرةِ أموالهم، فيكون ذلك وجهًا، وإن بَعُد[2].

ويُمكن أن يُقال مثل ذلك في تفسير ابن بحرٍ أنَّهم أعرضوا، فإنَّه أيضًا تفسيرٌ بالمآل، أي: لما كَثُروا اغترُّوا فأعرضوا.

وأمَّا قول الحسن فهو أيضًا من العفو الَّذي بمعنى الزِّيادة، لكنَّه حمله على زيادة الحجم لا زيادة العدد.

(١) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٤٢).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ٥٧٣).

﴿٧٦﴾ ﴿أَوَأَمِنَ أَهْلُ ٱلْقُرَىٰٓ أَن يَأْتِيَهُم بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ﴾ [الأعراف ٩٨]

ليس المراد باللعب في الآية مجرد اللهو كما فهم بعضهم، بل ويشمل الغفلة والانشغال بالأعمال[1].

﴿٧٦﴾ * قوله تعالى: {أَوَأَمِنَ أَهْلُ الْقُرَى أَنْ يَأْتِيَهُمْ بَأْسُنَا ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأعراف: ٩٨]

قال الزَّجَّاج: يُقال لكلِّ من كان في شيءٍ لا يُجْدي أو في ضلالٍ: إنَّما أنت لاعبٌ.

وإنَّما قيل لهم: (ضُحًى وَهُمْ يَلْعَبُون)، أي: وهم في غير ما يُجدي عليهم[1].

وقال الرَّازيُّ: {وَهُمْ يَلْعَبُونَ} يحتمل التَّشاغُل بأمور الدُّنيا، فهي لعبٌ ولهوٌ، ويحتمل خوضهم في كفرهم؛ لأنَّ ذلك كاللَّعب في أنَّه لا يضُرُّ ولا ينفع[2].

وقال البيضاويُّ: يَلْهُون من فرط الغفلة، أو يشتغلون بما لا ينفعهم[3].

* وقوله تعالى: {مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحْدَثٍ إِلَّا اسْتَمَعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ} [الأنبياء: ٢]

{وَهُمْ يَلْعَبُونَ} فيه وجهان:

أحدهما: أي: يَلْهُون.

الثَّاني: يشتغلون.

فإن حُمل تأويله على اللَّهْو احتمل ما يَلْهُون به وجهين:

أحدهما: بلذَّاتهم.

الثَّاني: بسماع ما يُتلى عليهم.

وإن حُمِل تأويله على الشُّغْل احتمل ما يشتغلون به وجهين:

---

(١) «معاني القرآن» (٢/ ٣٦٠).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٤/ ٣٢٢).

(٣) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ٢٥).

أحدهما: بالدُّنيا، لأنَّها لعبٌ، كما قال تعالى: {إِنَّمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا لَعِبٌ وَلَهْوٌ} [الحديد: ٢٠].

الثَّاني: يتشاغلون بالقَدْحِ فيه والاعتراض عليه.

قال الحسن: كلَّما جدَّد لهم الذِّكر استمرُّوا على الجهل[١].

(١) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٤٣٦)، «تفسير القُرطبيّ» (١١/ ٢٦٨).

﴿٧٧﴾ ﴿وَلَقَدْ أَخَذْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ بِٱلسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِّنَ ٱلثَّمَرَٰتِ﴾ [الأعراف: ١٣٠]

بِالسِّنِينَ أي: بالقحط والجدوب[٢] وليس المراد بالسنين: الأعوام أي المدة المعروفة، وقد ابتلاهم الله بها لأن الشدائد ترقق القلوب وتدفع بالرجوع إلى الله والإنابة إليه.

(٧٧) قال الفَرَّاء: أخذهم بالسِّنين: القحط والجدوبة عامًا بعد عامٍ[١].

وقال الزَّجَّاج: السُّنون في كلام العرب: الجُدوب، يُقال: مسَّتهم السَّنة، ومعناه: جدب السَّنة، وشدَّة السَّنة[٢].

وقال النَّحَّاس: قال مجاهدٌ: أي: بالجوائح، وهذا معروفٌ في اللُّغة أن يُقال: أصابتهم سنةٌ، أي: جدبٌ، وتقديره: سنة جدبٍ، ثمَّ حُذِف[٣].

وقال الطَّبريُّ: {بالسِّنين} يقول: بالجُدوب سنةً بعد سنةً، والقحوط[٤].

وقال السَّمين الحلبيُّ: وقد غَلَبت السَّنَة على زمان الجَدْب، والعام على زمان الخصْب حتَّى صارا كالعَلَم بالغلبة، ولذلك اشتقُّوا من لفظ السَّنة فقالوا: أَسْنَتَ القومُ...

ويؤيِّد ما ذكرتُ لك ما في سورة يوسف: {تَزْرَعُونَ سَبْعَ سِنِينَ} [يوسف: ٤٧] ثم قال: {سَبْعٌ شِدَادٌ} [يوسف: ٤٨] فهذا في الجَدْب. وقال: {ثُمَّ يَأْتِي مِن بَعْدِ ذلك عَامٌ فِيهِ يُغَاثُ الناس} [يوسف: ٤٩][٥].

وقال الألوسيُّ: السِّنين: جمع سنة، والمراد بها عام القحط، وقد غلبت في ذلك حتَّى صارت كالعَلَم له لكثرة ما يُذكر ويُؤرَّخ به، ولا كذلك العام الخصب[٦].

---

(١) «معاني القرآن» (١/ ٣٩٢).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ١٤٦).

(٣) «معاني القرآن» (٣/ ٦٦).

(٤) «تفسير الطَّبريّ.» (١٣/ ٤٥).

(٥) «الدُّرُّ المصون» (٥/ ٤٢٧).

(٦) «روح المعاني» (٥/ ٣١).

وقال الشِّنقيطيُّ: المراد بالسِّنين: الجدب والقحط حتَّى تقلَّ بسببه الأرزاق، يعني: هذا البلاء بالسِّنين، العرب تقول: هذه سنةٌ، وهذه سنون -يعنون: أنَّها عامٌ أو أعوام- جدبٍ، يقلُّ فيها المطر، ويكثر فيها الجدب، ويقلُّ فيها الأرزاق، وهذا معروفٌ في كلام العرب[1].

*وجمهور المفسِّرين على أنَّ في جمع السَّنة دلالةٌ على تعاقب القحط عليهم عامًا بعد عامٍ.

وذهب ابن عاشورٍ إلى أنَّ في جمع السَّنة دلالةٌ على كثرة الأماكن الَّتي وقع فيها القحط، بناءً على ما ظهر له من قراءة التَّوراة! يقول:

ويُؤخذ من التَّوراة أنَّ موسى بقي في قومه مدَّةً يُعيد محاولة فرعون أن يُطلق بني إسرائيل، وفرعون يَعِد ويُخلف، ولم تضبط التَّوراة مدَّة مقام موسى كذلك، وظاهرها أنَّ المدَّة لم تطل، وليس قوله تعالى: {بِالسِّنِينَ} دليلًا على أنَّها طالت أعوامًا؛ لأنَّ السِّنين هنا جمع سنةٍ بمعنى: الجدب، لا بمعنى الزَّمن المقدَّر من الدَّهر.

فالسَّنَة في كلام العرب إذا عُرِّفت باللَّام يُراد بها سنة الجدب والقحط، وهي حينئذٍ عَلَم جنسٍ بالغلبة، ومن ثمَّ اشتقُّوا منها: أَسْنَتَ القوم: إذا أصابهم الجدب والقحط.

فالسِّنين في الآية مرادٌ بها القحوط، وجمعها باعتبار كثرة مواقعها، أي: أصابهم القحط في جميع الأرَضين والبلدان، فالمعنى: ولقد أخذناهم بالقحوط العامَّة في كلِّ أرضٍ[2].

* ويظهر -والله أعلم- أنَّ كلمة السَّنة وإن صارت علمًا بالغلبة على القحط، إلَّا أنَّ القحط نفسه مع ذلك لا يتبيَّن إلَّا إذا مرَّ وقتٌ طويلٌ من السَّنة فصلٌ أو أكثر تتخلَّف فيه الأمطار، ويهلك فيه الزَّرع، ويقلُّ فيه الطَّعام، يقول الدُّكتور محمَّد حسن جبل:

---

(١) «العذب النَّمير» (٤/ ١٠٤).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٩/ ٦٣).

فُسِّرَت السِّنين في قوله تعالى: {وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ} [الأعراف: ١٣٠] بالقُحوط، وهذا هو اللَّفظ الوحيد من بين مفردات التَّركيب القرآنيَّة الَّذي يقضي السِّياق بكونه بمعنى القحط. **والمقصود ضرورةً (زمن القحط)، لأنَّ القحط لا يتبيَّن إلَّا بمرور فصلٍ من العام يُخلف فيه المطر والزَّرع معتاد حصولهما**[(١)].

وما ذكره ابن عاشورٍ رحمه الله من أنَّ دلالة الجمع هي باعتبار كثرة مواقع القحط حتَّى عمَّ جميع الأرَضين والبلدان، هو مُعارَضٌ بما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضى الله عنهما: أنَّ السِّنين كانت لباديتهم وأهل مواشيهم، وأنَّ نقص الثَّمرات كان في أمصارهم[(٢)].

ويشهد لكون السَّنة إذا جُمعت يُراد بها القحط مع امتداد الأعوام، قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «اللَّهُمَّ اشْدُدْ وَطْأَتَكَ عَلَى مُضَرَ، اللَّهُمَّ اجْعَلْهَا عَلَيْهِمْ سِنِينَ كَسِنِي يُوسُفَ»[(٣)]، فلا يُتصوَّر في هذا الحديث مثلًا أن تكون دلالة جمع السَّنة كثرة مواقع القحط في قبيلة مُضَر، خاصَّةً مع تشبيهها بسِنِي يوسف، وهي سبع سنواتٍ شدادٍ كما نصَّ عليها القرآن.

(١) «المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل» (٢/ ١٠٨٩).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ١٤٤).

(٣) متَّفقٌ عليه.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٧٨﴾ ﴿٧٩﴾ قال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: فإذا جاءت آل فرعون العافية والخصب والرَّخاء وكثرة الثِّمار، ورأوا ما يُحبُّون في دنياهم {قالوا لنا هذه}: نحن أولى بها، {وإن تصبهم سيئةٌ} يعني: جدوبٌ وقحوطٌ وبلاءٌ {يطَّيَّروا بموسى ومن معه}، يقول: يتشاءموا ويقولوا: ذهبت حظوظنا وأنصباؤنا من الرَّخاء والخصب والعافية مذ جاءنا موسى عليه السَّلام[1].

﴿٧٨﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف ١٣١]

الحسنة هنا ليس معناها ما يكتب من أجر كما فهم بعضهم بل معناها الغيث والخصب وسعة الرزق والسلامة[1].

﴿٧٩﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَتْهُمُ ٱلْحَسَنَةُ قَالُوا۟ لَنَا هَٰذِهِۦ ۖ وَإِن تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا۟ بِمُوسَىٰ وَمَن مَّعَهُۥٓ﴾ [الأعراف ١٣١]

السيئة ليس معناها الذنب كما يفهم بعضهم، بل معناها القحط والجدب والبلاء[2].

وقال الواحديُّ: قال ابن عبَّاسٍ والمفسِّرون: معنى {الْحَسَنَة} يريد بها: الغيث والخصب، والثِّمار والمواشي، والألبان والسَّعة في الرِّزق، والعافية والسَّلامة.

وقوله تعالى: {قَالُوا لَنَا هَذِهِ} أي: إنَّا مستحقُّوه على العادة الَّتي جرت لنا من نعمنا وسعة أرزاقنا في بلادنا، ولم يعلموا أنَّه من الله فيشكروا عليه، ويقوموا بحقِّ النِّعمة فيه.

وقوله تعالى: {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} يريد: القحط والجدب، والمرض والبلاء والضُّرَّ، {يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ} أي: يتشاءموا، وقالوا: إنَّما أصابنا هذا الشَّرُّ بشُؤْم موسى وقومه، والتَّطيُّر: التَّشاؤم في قول جميع المفسِّرين[2].

وقال الماورديُّ: في الحسنة والسَّيِّئة هنا وجهان:

أحدهما: أنَّ الحسنة: الخصب، السَّيِّئة: القحط.

والثَّاني: أنَّ الحسنة: الأمن، والسَّيِّئة: الخوف[1].

---

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (١٣/ ٤٧).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٢٩٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الألوسيُّ: المراد بالحسنة كما يُفهِمُه ظاهر كلام البعض: الخصب والرَّخاء، وفسَّرها مجاهدٌ بالرَّخاء والعافية، وبعضهم بأعمَّ من ذلك، أي: إذا جاءهم ما يستحسنونه {قالُوا لَنا هذِهِ} أي: إنَّا مستحقُّوها بيُمْن الذَّات، {وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ} أي: ضيقةٌ وجدبٌ، أو جدبٌ ومرضٌ، أو عقوبةٌ وبلاءٌ {يَطَّيَّرُوا بِمُوسى وَمَنْ مَعَهُ} أي: يتشاءموا بهم ويقولوا: ما أصابنا ذلك إلَّا بشؤمهم(٢).

*** فائدةٌ بلاغيَّة:**

المجيء: الحصول والإصابة، وإنَّما عُبِّر في جانب الحسنة بالمجيء؛ لأنَّ حصولها مرغوبٌ، فهي بحيث تُترقَّب كما يُترقَّب الجائي، وعُبِّر في جانب السَّيِّئة بالإصابة؛ لأنَّها تحصل فجأةً من غير رغبةٍ ولا ترقُّبٍ.

وجيء في جانب الحسنة بـ(إذا) الشَّرطيَّة؛ لأنَّ الغالب في (إذا) الدَّلالة على اليقين بوقوع الشَّرط، أو ما يقرب من اليقين، كقولك: إذا طلعت الشَّمس فعلت كذا، ولذلك غلب أن يكون فعل الشَّرط مع (إذا) فعلًا ماضيًا؛ لكون الماضي أقرب إلى اليقين في الحصول من المستقبل، كما في الآية. فالحسنات أي: النِّعم كثيرة الحصول تنتابهم متواليةً من صحَّةٍ وخصبٍ ورخاءٍ ورفاهيةٍ.

وجيء في جانب السَّيِّئة بحرف (إنْ)؛ لأنَّ الغالب أن تدلَّ (إنْ) على التَّردُّد في وقوع الشَّرط، أو على الشَّكِّ، ولكون الشَّيء النادر الحصول غير مجزومٍ بوقوعه، ومشكوكًا فيه، جيء في شرط إصابة السَّيِّئة بحرف (إنْ) لندرة وقوع السَّيِّئات، أي: المكروهات عليهم، بالنِّسبة إلى الحسنات، أي: النِّعم.

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٥١).

(٢) «روح المعاني» (٥/ ٣٢).

وفي ذلك تعريضٌ بأنَّ نعم الله كانت متكاثرةً لديهم، وأنَّهم كانوا معرضين عن الشُّكر، وتعريضٌ بأنَّ إصابتهم بالسَّيِّئات نادرةٌ، وهم يَعدُّون السَّيِّئات من جرَّاء موسى ومن آمن معه، فهم في كلتا الحالتين بين كافرين بالنِّعمة وظالمين لموسى ومن معه.

ولهذين الاعتبارين عُرِّفت (الحسنة) تعريف الجنس المعروف في علم المعاني بالعهد الذِّهنيّ، أي: جاءتهم الحسنات، لأنَّ هذا الجنس محبوبٌ مألوفٌ كثير الحصول لديهم، ونُكِّرت (سيئةٌ) لنُدْرة وقوعها عليهم، ولأنَّها شيءٌ غير مألوفٍ حلوله بهم، أي: وإن تصبهم آيَّة سيِّئةٍ، كذا في «الكشَّاف» و«المفتاح»[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٩/ ٦٤).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ ﴾ [الأعراف:١٣٣]

الْقُمَّلَ هو: سوس الطعام وقيل هو البراغيث وقيل الجراد الصغير، وليس هو القَمْل الذي يدب في الرأس[٣]، فذاك قَمْل وهذا قُمّل.

٨٠ قال ابن الجوزيّ: في القُمَّل سبعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه السُّوس الَّذي يقع في الحِنْطَة، رواه سعيد بن جُبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ، وقال به.

والثَّاني: أنَّه الدَّبى[١]، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وعطاءٌ.

وقال قتادة: القُمَّل: أولاد الجراد. وقال ابن فارسٍ: الدَّبى: الجراد إذا تحرَّك قبل أن تَنبت أجنحتُه.

والثَّالث: أنَّه دوابُّ سودٌ صغارٌ، قاله الحسن، وسعيد بن جُبيرٍ. وقيل: هذه الدَّوابُّ هي السُّوس.

والرَّابع: أنَّه الجِعْلان[٢]، قاله حبيب بن ثابتٍ.

والخامس: أنَّه القَمْل، ذكره عطاءٌ الخُراسانيُّ، وزيد بن أسلم.

والسَّادس: أنَّه البراغيث، حكاه ابن زيدٍ.

والسَّابع: أنَّه الحَمْنان، واحدتها: حَمْنانة، وهي ضربٌ من القِردان، قاله أبو عُبيدة[٣].

* وقد ذكر بعض اللُّغويّين أنَّ القُمَّل غيرُ قَمْل النَّاس المعروف:

قال ابن سِيدَه: وقيل: القُمَّل: قَمْل النَّاس، وليس بشيءٍ[٤].

---

(١) الدَّبَى: الجَرَاد قبل أَن يطير أَو أَصْغَر مَا يكون من الجَرَاد. «المعجم الوسيط» (دبي).

(٢) (الجُعَل) حيوانٌ كالخُنفساء يكثر في المواضع النَّديَّة (ج) جِعْلان. «المعجم الوسيط» (جعل).

(٣) «زاد المسير» (٢/ ١٤٨).

(٤) «المُحكَم» (٦/ ٤٤٠).

وقال الفيروزآبادي: والقُمَّل، كسُكَّر: صغار الذَّرِّ، والدَّبَى الَّذي لا أجنحة له، أو شيءٌ صغيرٌ بجناحٍ أحمر، وشيءٌ يُشبه الحَلَمَ لا يأكل أكل الجراد خبيث الرَّائحة، أو دَوابُّ صغارٌ كالقِرْدانِ، واحدتها: بهاءٍ، أو قَمْل النَّاس. وهذا القول مردودٌ[1].

* **وقرأ الحسن البصريُّ (والقَمْل)** بفتح القاف وسكون الميم[2].

* وذكر بعض المفسِّرين أنَّ القُمَّل والقَمْل لغتان، والمعنى واحد:

قال العكبريُّ: (والقُمَّل): يُقرأ بالتَّشديد والتَّخفيف مع فتح القاف وسكون الميم. قيل: هما لغتان. وقيل: هما القَمْل المعروف في الثِّياب ونحوها، والمشدَّد يكون في الطَّعام[3].

* فعلى القول بأنَّ القَمْل والقُمَّل لغتان، يكون معنى قراءة الحسن وقراءة الجمهور واحدًا، وهو قَمْل النَّاس المعروف، ويكون التَّفسير المرويُّ عن عطاءٍ أنَّ القُمَّل هو القَمْل جامعًا للقراءتين.

يقول السَّمين الحلبيُّ: وقيل: هو القُمَّل المعروف الَّذي يكون في بدن الإنسان وثيابه. ويُؤيِّد هذا قراءة الحسن «والقَمْل» بفتح القاف وسكون الميم، فيكون فيه لغتان: القُمَّل كقراءة العامَّة، والقَمْل كقراءة الحسن البصريِّ[4].

* وقال النَّحَّاس: يجوز أن تكون هذه الأشياء كلُّها[5] أُرسلت عليهم[6].

---

(١) «القاموس» (قمل).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٢٦٩).

(٣) «التبيان» (١/ ٥٩٠)، «الدُّرُّ المصون» (٥/ ٤٣٤).

(٤) «الدُّرُّ المصون» (٥/ ٤٣٤). ونقل ذلك الشَّيخ الأثيوبيُّ وجعله القول الصَّحيح، يُنظر: «حدائق الرَّوْح والرَّيحان» (١٠/ ٩١).

(٥) يعني: الأوجه المذكورة في تفسير (القُمَّل).

(٦) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٢٦٩).

﴿٨١﴾ ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ﴾ [الأعراف: ١٣٣]

مُفَصَّلَاتٍ: ليست بمعنى موضحات مبينات وإن كانت كذلك، ولكن المعنى أن الآيات التي أرسلها الله عذابًا لبني إسرائيل متفرقات وليست دفعة واحدة؛ قال المفسرون: كانت الآية تمكث من السبت إلى السبت، ثم يبقون عقيب رفعها شهرًا في عافية، ثم تأتي الآية الأخرى. وقال وهب بن منبه: بين كل آيتين أربعون يوما. وروى عكرمة عن ابن عباس قال: مكث موسى في آل فرعون بعد ما غلب السحرة عشرين سنة يريهم الآيات، الجراد والقمل والضفادع والدم[1].

﴿٨١﴾ (مُفصَّلاتٍ: ليست بمعنى موضَّحاتٍ مبيَّناتٍ، وإن كانت كذلك) فإن كانت كذلك، فما المانع أن يكون وضوحها وظهورها وجهًا محتملًا في تفسير {مُفصَّلات}؟!

وقد رُوي عن مجاهدٍ أنَّه قال: {مُفَصَّلَاتٍ}: مبيَّناتٍ ظاهراتٍ[1].

وأخرج ابن جريرٍ عنه: (آياتٍ مفصَّلاتٍ) قال: معلوماتٍ[2].

وقال الماورديُّ: {آياتٍ مُّفَصَّلاتٍ} فيها قولان:

أحدهما: مُبيِّناتٌ لنبوَّة موسى.

والثَّاني: مُفصَّلٌ بعضها عن بعض؛ لأنَّ هذه الآيات لم تجتمع في وقتٍ واحدٍ، بل كانت تأتي شهرًا بعد شهرٍ، فيكون في تفرقتها مع الإنذار إعذارٌ، وكان بين كلِّ آيتين شهرٌ[3].

وقال ابن عطيَّة: التَّفصيل أصله في الأَجْرام إزالة الاتِّصال، فهو تفريق شيئين، فإذا استُعمل في المعاني فيُراد أنَّه فُرِّق بينها وأُزيل اشتراكها وإشكالها، فيجيء من ذلك بيانها.

وقالت فرقةٌ من المفسِّرين: (مُفَصَّلاتٍ) يُراد به مفرَّقاتٌ بالزَّمن، والمعنى: أنَّه كان العذاب يرتفع ثمَّ يبقون مدَّة شهرٍ، وقيل: ثمانية أيَّامٍ ثمَّ يرد الآخر، فالمراد أنَّ هذه الأنواع من العذاب لم تجيء جملةً ولا مُتَّصلةً[4].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٣١٤).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٦٩).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٥٣).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٤٤).

وقال الزَّمخشريُّ: ومعنى مُفصَّلاتٍ: مبيّناتٍ ظاهراتٍ لا يشكل على عاقلٍ أنَّها من آيات الله الَّتي لا يقدر عليها غيره، وأنَّها عبرةٌ لهم ونقمةٌ على كفرهم.

أو فُصِل بين بعضها وبعضٍ بزمانٍ تُمتحن فيه أحوالهم، ويُنظر أيستقيمون على ما وعدوا من أنفسهم أم ينكثون إلزامًا للحُجَّة عليهم(١).

وقال ابن عاشورٍ: الفَصْل حقيقته التَّفرقة بين الشَّيئين بحيث لا يختلط أحدهما بالآخر، ويُستعار الفَصْل لإزالة اللَّبس والاختلاط في المعاني فمُفصَّلات وصفٌ لآياتٍ، فيكون مرادًا منه معنى الفَصْل المجازيّ، وهو إزالة اللَّبس؛ لأنَّ ذلك هو الأنسب بالآيات والدَّلائل، أي: هي آياتٌ لا شُبهة في كونها كذلك لمن نظر نظر اعتبار.

وقيل: المراد أنَّها مفصولٌ بعضها عن بعض في الزَّمان، أي: لم تحدث كلُّها في وقتٍ واحدٍ، بل حدث بعضُها بعدَ بعضٍ، وعلى هذا فصيغة التَّفعيل للدَّلالة على تراخي المدَّة بين الواحدة والأخرى، ويجيء على هذا أنَّ العذاب كان أشدَّ وأطول زمنًا، كما دلَّ عليه قوله تعالى: {وَما نُرِيهِمْ مِنْ آيَةٍ إِلَّا هِيَ أَكْبَرُ مِنْ أُخْتِها} [الزخرف: ٤٨]، قيل: كان بين الآية منها والأخرى مدَّة شهرٍ أو مدَّة ثمانية أيَّامٍ، وكانت تدوم الواحدة منها مدَّة ثمانية أيَّامٍ وأكثر(٢).

---

(١) «الكشَّاف» (٢/ ١٤٨).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٩/ ٧٠).

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف ١٣٧]

يفهم بعض الناس أن المراد بالأرض عموم الأرض، والصواب أن المراد به أرض مصر والشام قال ابن عطية :«ولكن الذي يليق بمعنى الآية لا سيما بوصفه الأرض بأنها التي بارك فيها ولا يتصف بهذه الصفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلا أرض الشام لما بها من الماء والشجر والنعم والفوائد»[1]. هـ بتصرف

٨٢ قال الواحديُّ: قوله تعالى: {مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا} قال ابن عبَّاسٍ وغيره: يُريد مشارق أرض الشَّام ومصر ومغاربها، أي: جهات الشَّرق بها والغرب، وهو قول الحسن وقتادة.

وقال مقاتلٌ: مشارق الأرض المقدَّسة ومغاربها.

فالأرض على هذا مخصوصةٌ.

وقال الزَّجَّاج: فكان منهم داود وسليمان ملكا الأرض.

ذهب إلى أنَّ الأرض هاهنا اسم الجنس ولم يَخُصَّ[1].

وقال ابن الجوزيّ: {مَشارِقَ الْأَرْضِ وَمَغارِبَهَا} فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: مشارق الشَّام ومغاربها، قاله الحسن.

والثَّاني: مشارق أرض الشَّام ومصر.

والثَّالث: أنَّه على إطلاقٍ في شرق الأرض وغربها[2].

وقال اللَّيث: {الأرض}، هنا أرض مصر، وإنَّ مصر هي الَّتي بارك الله فيها[3].

* وقال ابن عطيَّة: وقالت فرقةٌ: يريد الأرض كلَّها، وهذا يتَّجه إمَّا على المجاز؛ لأنَّه مَلَّكهم بلادًا كثيرة، وإمَّا على الحقيقة في أنَّه مَلَّك ذُرِّيتهم وهو سليمان بن داود.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٣٢٠).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ١٥٠). ويُنظر «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٥٤).

(٣) «الهداية الى بلوغ النِّهاية» (٤/ ٢٥٢٢).

ولكن الَّذي يليق بمعنى الآية ورُوي فيها هو أنَّه مَلَّك أبناء المستضعفين بأعيانهم مشارق الأرض ومغاربها، لا سيَّما بوصفه الأرض بأنَّها الَّتي بارك فيها، ولا يتَّصف بهذه الصِّفة وينفرد بها أكثر من غيرها إلَّا أرض الشَّام لما بها من الماء والشَّجر والنِّعم والفوائد[1].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٤٦).

﴿وَأَوْرَثْنَا ٱلْقَوْمَ ٱلَّذِينَ كَانُوا۟ يُسْتَضْعَفُونَ مَشَـٰرِقَ ٱلْأَرْضِ وَمَغَـٰرِبَهَا ٱلَّتِى بَـٰرَكْنَا فِيهَا﴾ [الأعراف ١٣٧]

فهم بعض الناس أن المعنى أنهم كانوا يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها، وهذا خطأ، قال الطبري: «وهذا قول لا معنى له، لأن بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيام فرعون غير فرعون وقومه، ولم يكن له سلطان إلا بمصر، فغير جائز والأمر كذلك أن يقال: الذين يستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها»[1]، والمعنى الصواب: أن الله أورثهم مشارق الأرض ومغاربها.

(٨٣) قال الفَرَّاء: قوله: {وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا} فتَنْصِب مشارقَ ومغارب، تُريد: في مشارق الأرض وفي مغاربها، وتُوقِع (وأورثنا) على قوله {الَّتِي بارَكْنا} فِيها.

ولو جعلتَ (وأورثنا) واقعةً عَلَى المشارق والمغارب؛ لأنَّهم قد أورثوها وتجعل (الَّتي) من نعت المشارق والمغارب فيكون نصبًا.

وإن شئت جعلت (الَّتي) نعتًا للأرض فيكون خفضًا[1].

ونسب مكيُّ بن أبي طالبٍ هذا القول إلى الكِسائيّ أيضًا، فقال: قوله: {مَشَارِقَ الْأَرْضِ وَمَغَارِبَهَا}، مفعولٌ (بأورث).

وقال الفَرَّاء والكسائيُّ: هو ظرفٌ. وتقدير الكلام عندهم: (وأورثنا القوم الَّذين كانوا يُستضعفون) في (مشارق الأرض ومغاربها) الأرضَ (الَّتي باركنا فيها)، في مشارق الأرض ومغاربها[2].

قال الطَّبريُّ: وكان بعض أهل العربيَّة يزعم أنَّ (مشارق الأرض ومغاربَها) نصبٌ على المحلِّ، بمعنى: وأورثنا القوم الَّذين كانوا يستضعفون في مشارق في الأرض ومغاربها، وأنَّ قوله: (وأورثنا) إنَّما وقع على قوله: (الَّتي باركنا فيها).

---

(١) «معاني القرآن» (١/ ٣٩٧).

(٢) «الهداية الى بلوغ النِّهاية» (٤/ ٢٥٢١).

وذلك قولٌ لا معنى له؛ لأنَّ بني إسرائيل لم يكن يستضعفهم أيَّام فرعون غير فرعون وقومه، ولم يكن له سلطانٌ إلَّا بمصر، فغير جائزٍ والأمر كذلك أن يُقال: الَّذين يُستضعفون في مشارق الأرض ومغاربها.

فإن قال قائل: فإنَّ معناه: في مشارق أرض مصر ومغاربها، فإنَّ ذلك بعيدٌ من المفهوم في الخطاب، مع خروجه عن أقوال أهل التَّأويل والعلماء بالتَّفسير[1].

كما رَدَّه أيضًا ابن عطيَّة وقال عنه: غير مُتَّجِه[2].

وقال أبو حيَّان: وقول الفَرَّاء ...تكلُّفٌ وخروجٌ عن الظَّاهر بغير دليلٍ.

وقال عن الوجه الثَّالث الَّذي ذكره الفَرَّاء: ومن أجاز أن تكون (الَّتي) نعتًا للأرض فقوله ضعيفٌ؛ للفصل بالعطف بين المنعوت ونعته[3].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٧٧).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٤٦).

(٣) «البحر المحيط» (٥/ ١٥٥).

﴿وَبَلَوْنَٰهُم بِٱلْحَسَنَٰتِ وَٱلسَّيِّـَٔاتِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الأعراف ١٦٨]

ليس المراد بالحسنات الأجور وليس المراد بالسيئات الخطيئات كما يفهم بعض الناس، والصواب : أن المراد بالحسنات الخير والخصب والعافية، والسيئات الجدب والشر والشدائد[٢].

٨٤ قال الطَّبريُّ: يقول: واختبرناهم بالرَّخاء في العيش، والخفض في الدُّنيا والدَّعَة، والسَّعَة في الرِّزق، وهي (الحسنات) الَّتي ذكرها جلَّ ثناؤه، ويعني بـ(السَّيِّئات) الشِّدَّة في العيش، والشَّظَف فيه، والمصائب والرَّزايا في الأموال، {لعلَّهم يرجعون} يقول: ليرجعوا إلى طاعة ربِّهم ويُنيبوا إليها، ويتوبوا من معاصيه[١].

وقال ابن كثيرٍ: {بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ} أي: بالرَّخاء والشِّدَّة، والرَّغبة والرَّهبة، والعافية والبلاء[٢].

وقال الماورديُّ: {وَبَلَوْنَاهُم بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ} فيه ثلاثة أوجه:

أحدها: بالثَّواب والعقاب.

والثَّاني: بالنِّعَم والنِّقَم.

والثَّالث: بالخَصْب والجَدْب[٣].

وقال ابن عطيَّة: و(بِالْحَسَناتِ) الصِّحَّة والرَّخاء ونحو هذا ممَّا هو بحسَب رأي ابن آدم ونظره، و(السَّيِّئاتِ) مقابلات هذه[٤].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٢٠٨).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٤٩٨).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٢٧٤).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٧١).

﴿٨٥﴾ ﴿فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلْكَلْبِ إِن تَحْمِلْ عَلَيْهِ يَلْهَث﴾
[الأعراف: ١٧٦]
تَحمِلْ عَلَيْهِ: أي تطرده وتزجره[٣] وليس من وضع الأحمال عليه؛ إذ الكلاب لا يُحمل عليها بهذا المعنى.

﴿٨٥﴾ ذكر الطَّبريُّ أنَّ معنى {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ} أي: تطرده، وحكاه عن مجاهدٍ وابن عبَّاسٍ[١].

وقال ابن عاشورٍ: معنى {إن تحمل عليه}: إن تطارده وتهاجمه، مشتقٌّ من الحَمْل الَّذي هو الهجوم على أحدٍ لقتاله، يُقال: حَمَل فلانٌ على القوم حَمْلةً شَعْواء أو حَمْلَةً منكرةً، وقد أغفل المفسِّرون توضيحَه، وأغفل الرَّاغب في «مفردات القرآن» هذا المعنى لهذا الفعل[٢].

وقال الألوسيُّ: {إِنْ تَحْمِلْ عَلَيْهِ} بالزَّجْر {يَلْهَثْ} يَدْلَع لسانه مع التَّنفُّس الشَّديد {أَوْ تَتْرُكْهُ يَلْهَثْ} أيضًا. والمراد أنَّه يلهث دائمًا[٣].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٧٨).
(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٩/ ١٧٨).
(٣) «روح المعاني» (٥/ ١٢١).

﴿ وَأُمْلِي لَهُمْ إِنَّ كَيْدِي مَتِينٌ ﴾ [الأعراف: ١٨٣]

ليس معنى «أملي لهم» أي أُخبرهم أو ألقي عليهم قولاً كما يتوهم البعض ، بل معناها : أمهلهم وأطيل لهم المدة وأؤخر عنهم العقوبة[1].

(٨٦) قال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: وأُؤخر هؤلاء الَّذين كذَّبوا بآياتنا.

وأصل الإملاء من قولهم: مضى عليه مَلِيٌّ، ومِلاوَةٌ ومُلاوَةٌ ومَلاوةٌ - بالكسر والضَّمّ والفتح- من الدَّهر، وهي الحين، ومنه قيل: انتظرتُك مَلِيًّا[1].

وقال الواحديُّ: الإملاء في اللُّغة: الإمهال وإطالة المُدَّة، وهو نقيض الإعجال، والمَلِيُّ زمانٌ طويلٌ من الدَّهر، ومنه قوله: {وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا} [مريم: ٤٦].

فمعنى {وَأُمْلِي لَهُمْ} أي: أُمهلهم وأُطيل لهم مُدَّة عمرهم؛ ليتمادَوْا في المعاصي، ولا أُعاجلهم بالعقوبة على المعصية ليقلعوا عنها بالتَّوبة والإنابة[2].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٢٨٧).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٤٨٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا فَمَرَّتْ بِهِۦ ﴾ [الأعراف: ١٨٩]

فَمَرَّتْ من الاستمراء والخفة وقيل من الاستمرار أي استمرت به[٢] وليس من المرور.

(٨٧) قرأ ابن عبَّاسٍ: (فاستمرَّتْ به)[١].

وقال مجاهدٌ: استمرَّت بحمله.

ورُوي عن الحسن، وإبراهيم النَّخَعيِّ، والسُّدِّيِّ نحوُه.

وقال ميمون بن مِهران: عن أبيه استخفَّته.

وقال أيوب: سألت الحسن عن قوله: {فمرَّت به} قال: لو كنتَ رجلًا عربيًّا لعرفت ما هي! إنَّما هي: فاستمرَّت به.

وقال قتادة: {فمرَّت به} واستبان حملُها.

وقال ابن جريرٍ: معناه: استمرَّت بالماء [يعني: منيَّ الرَّجل]، قامت به وقعدت[٢].

قال القرطبيُّ: {فَمَرَّتْ بِهِ} يعني المنيَّ، أي: استمرَّت بذلك الحمل الخفيف. يقول: تقوم وتقعد وتَقَلَّب، ولا تكترث بحمله إلى أن ثقُل، عن الحسن ومجاهدٍ وغيرهما[٣].

قال الزَّمخشريُّ: {فَمَرَّتْ بِهِ} **فمَضَتْ به** إلى وقت ميلاده من غير إخداجٍ ولا إزلاقٍ، وقيل: {حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا} يعنى: النُّطفة {فَمَرَّتْ بِهِ} فقامت به وقعدت[٤].

وقال أيضًا: **مرَّ الأمر واستمرَّ**: **مضى**... وحملت المرأة حملًا فمرَّت به واستمرَّت به، أي: **مَضَتْ به** واستقلَّت وقامت وقعدت لم يثقُل عليها[٥].

قال إسماعيل حقِّي: {فَمَرَّتْ بِهِ} أي: فاستمرَّت به كما كان قبلُ حيث قامت وقعدت وأخذت وتركت، ولم تكترث بحملها، **فمرتَّ من المرور بمعنى الذَّهَاب والمُضِيِّ، لا من المَرِّ**

---

(١) «الكشَّاف» (٢/ ١٨٦)، «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٨٦).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٣/ ٥٢٥).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٣٣٧).

(٤) «الكشَّاف» (٢/ ١٨٦).

(٥) «أساس البلاغة» (مرر).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

بمعنى الاجتياز والوصول، يُقال: مرَّ عليه وبه يمرُّ مرًّا، أي: اجتاز، ومرَّ يمرُّ مرًّا ومرورًا، أي: ذهب[1]، واستمرَّ مثله[2].

وقال د. محمَّد حسن جبل: {فَمَرَّتْ بِهِ}: استمرَّت بذلك الحَمْل تقوم وتقعد لا تكترِت بحَمله إلى أن ثقُلت (أي: **من المرور: الذَّهاب، ويُلحظ ما يُعطيه السِّياق من ضرورة كون المرور فيه قوَّةٌ**)[3].

وذهب ابن عاشورٍ إلى أنَّه من المرور بمعنى الاجتياز، لكنَّه استُعير في التَّغافل، فقال:

حقيقة المرور: الاجتياز، ويُستعار للتَّغافل وعدم الاكتراث للشَّيء، كقوله تعالى: {فَلَمَّا كَشَفْنا عَنْهُ ضُرَّهُ مَرَّ كَأَنْ لَمْ يَدْعُنا إِلى ضُرٍّ مَسَّهُ} [يُونُس: ٧٢] أي: نسي دعاءنا، وأعرض عن شكرنا؛ لأنَّ المارَّ بالشَّيء لا يقف عنده ولا يسائله، وقوله: {وَإِذا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِراما} [الْفرْقَان: ٧٢]، وقال تعالى: {وَكَأَيِّنْ مِنْ آيَةٍ فِي السَّماواتِ وَالْأَرْضِ يَمُرُّونَ عَلَيْها وَهُمْ عَنْها مُعْرِضُونَ} [يُوسُف: ١٠٥].

فمعنى {فَمَرَّتْ بِهِ} **لم تتفطَّن له، ولم تفكِّر في شأنه**[4].

* فمرَّ من المرور بمعنى المُضيِّ والذَّهاب ومثله استمرَّ معنًى صحيحٌ، ووجه الخطأ أن يكون من المرور بمعنى الاجتياز، إلَّا أن يكون ذلك استعارةً عن عدم الاكتراث كما ذهب إليه ابن عاشورٍ.

ولا أدري ما وجه قول المعدِّ في أوَّل كلامه (فمَرَّتْ من الاستمراء)؟! فإن كان قصد به الاستمراء من قولهم: مَرَأَني الطَّعام وأَمْرَأَني، بمعنى: لم يَثْقُل الطَّعام على المعدة؛ فهو قولٌ لم أقف عليه، ولا أدري كيف يُستساغ أن يكون الفعل (مرَّ) من (مَرَأَ)!

---

(١) يُنظر «مختار الصِّحاح» (مرر).

(٢) «روح البيان» (٣/ ٢٩٤).

(٣) «المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل» (٤/ ٢٠٥١).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٩/ ٢١٢).

﴿ خُذِ ٱلْعَفْوَ وَأْمُرْ بِٱلْعُرْفِ وَأَعْرِضْ عَنِ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴾

[الأعراف: ١٩٩]

العفو هنا ليس الصفح والمسامحة، بل معنى أشمل كما قال المفسرون، فهو ما سمحت به أنفسهم، وما سهل عليهم من الأعمال والأخلاق، فلا يكلفهم ما لا تسمح به طبائعهم، بل يشكر من كل أحد ما قابله به، من قول وفعل جميل أو ما هو دون ذلك، ويتجاوز عن تقصيرهم ويغض طرفه عن نقصهم[١].

٨٨ قال الواحديُّ: قال أهل اللُّغة: العفو: الفَضْل، وما أتى بغير كُلْفَةٍ[١].

وقال القَفَّال: العَفْو: ما سهُل وتيسَّر ممَّا يكون فاضلًا عن الكفاية، يُقال: خذ ما عفا لك، أي: ما تيسَّر، **ويُشبه أن يكون العَفْو عن الذَّنب راجعًا إلى التَّيسُّر والتَّسهيل**[٢].

* قال ابن الجوزيِّ: في الَّذي أُمر بأخذ العفو منه ثلاثة أقوال:

أحدها: أخلاق النَّاس. قاله ابن الزُّبير، والحسن، ومجاهدٌ، فيكون المعنى: **اقبل الميسور من أخلاق النَّاس، ولا تستقص عليهم فتظهر منهم البغضاء.**

والثَّاني: أنَّه المال. وفيه قولان:

أحدهما: أنَّ المراد بعفو المال: الزَّكاة. قاله مجاهدٌ في روايةٍ، والضَّحَّاك.

والثَّاني: أنَّها صدقةٌ كانت تُؤخَذ قبل فرض الزَّكاة، ثمَّ نُسخت بالزَّكاة. رُوي عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّالث: أنَّ المراد به: مساهلة المشركين والعفو عنهم، ثمَّ نُسخ بآية السَّيف[٣]. قاله ابن زيدٍ[٤].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٥٣٩).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٦/ ٤٠٢).

(٣) يُنظر ما قيل في النَّسخ بآية السَّيف في الفائدة رقم (٦٠).

(٤) «زاد المسير» (٢/ ١٨٠).

وعن عبد الله بن الزُّبير {خُذِ العَفْوَ وَأْمُرْ بِالعُرْفِ} قال: «مَا أَنْزَلَ اللهُ إِلَّا فِي أَخْلاَقِ النَّاسِ». رواه البخاريُّ.

وقال الجمهور في قوله {خُذِ الْعَفْوَ} إنَّ معناه: **اقبل من النَّاس في أخلاقهم وأقوالهم ومعاشرتهم ما أتى عفوًا دون تكلُّفٍ، فالعفو هنا الفَضْل والصَّفْو الَّذي تهيَّأ دون تحرُّجٍ**[1].

* قال الشَّيخ محمَّد رشيد رضا: العفو: يُطلق في اللُّغة على خالص الشَّيء وجيِّده، وعلى الفضل الزَّائد فيه أو منه، وعلى السَّهل الَّذي لا كُلْفة فيه، وعلى ما يأتي بدون طلبٍ أو بدون إخفاءٍ ومبالغةٍ في الطَّلب، وهذه المعاني متقاربةٌ، وهي وجوديَّةٌ.

ومن معانيه السَّلبيَّة إزالة الشَّيء، كعَفَت الرِّياحُ الدِّيارَ والآثارَ، أو إزالة أثره، كالعفو عن الذَّنب، وهو منع ما يترتَّب عليه من العقاب.

فمعاني العفو الوجوديَّة والعدميَّة، أو الموجبة والسَّالبة كلُّها إحسانٌ ورفقٌ، وقد ورد عن مفسِّري السَّلف في تفسير العفو هنا أقوالٌ كلُّها ترجع إلى هذه المعاني...

وأحسن الزَّمخشريُّ ما شاء في تصويره معنى العفو بما تعطيه اللُّغة، فقال: والعفو: ضدُّ الجَهْد، أي: خُذ ما عفا لك من أفعال النَّاس وأخلاقهم، وما أتى منهم وتسهَّل من غير كُلْفةٍ، ولا تداقّهم ولا تطلب منهم الجَهْد وما يشقُّ عليهم حتَّى ينفروا ... وقيل: خذ الفضل وما تسهَّل من صدقاتهم، وذلك قبل نزول آية الزَّكاة، فلمَّا نزلت أُمِر أن يأخذهم بها طوعًا أو كرهًا. اهـ. نقول: وبقيت الآية مُحكمةً في صدقة التَّطوُّع.

والمختار عندنا أنَّ العفو يشمل هذا وذاك، فالمراد به أنَّ من أصول آداب هذا الدِّين وقواعد شرعه اليُسر وتجنُّب الحرج وما يشقُّ على النَّاس[2].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٩٠).

(٢) «تفسير المنار» (٩/ ٤٤٤).

* قال القرطبيُّ: هذه الآية من ثلاث كلماتٍ، تضمَّنت قواعد الشَّريعة في المأمورات والمنهيَّات.

فقوله: (خذ العفو) دخل فيه صلة القاطعين، والعفو عن المذنبين، والرِّفق بالمؤمنين، وغير ذلك من أخلاق المطيعين.

ودخل في قوله: (وأمر بالعُرْف) صلة الأرحام، وتقوى الله في الحلال والحرام، وغضُّ الأبصار، والاستعداد لدار القرار.

وفي قوله: (وأعرض عن الجاهلين) الحضُّ على التَّعلُّق بالعلم، والإعراض عن أهل الظُّلم، والتَّنزُّه عن منازعة السُّفهاء، ومساواة الجهلة الأغبياء، وغير ذلك من الأخلاق الحميدة والأفعال الرَّشيدة[1].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٣٤٤).

﴿ ٨٩ ﴾ ﴿ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ ﴾ [الأنفال: ٢]

ليس المراد ذكر اللسان فقط بل المراد تذكر الله ومراقبته فيوجل العبد ويجتنب المعصية أو يتوب منها، قال السُدي: «هو الرجل يهمُّ بالمعصية، فيذكر الله فينزع عنها»[٢]. ومنه قوله: ﴿ وَٱلَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا۟ فَٰحِشَةً أَوْ ظَلَمُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ ذَكَرُوا۟ ٱللَّهَ فَٱسْتَغْفَرُوا۟ لِذُنُوبِهِمْ ﴾.

﴿ ٨٩ ﴾ قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ قوله: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} قال: المنافقون لا يدخل قلوبَهم شيءٌ من ذكر الله عند أداء فرائضه، ولا يؤمنون بشيءٍ من آيات الله، ولا يتوكَّلون، ولا يُصلُّون إذا غابوا، ولا يُؤدُّون زكاة أموالهم، فأخبر الله تعالى أنَّهم ليسوا بمؤمنين، ثمَّ وصف المؤمنين فقال: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} فأدَّوْا فرائضه، {وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا} يقول: تصديقًا، {وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ} يقول: لا يرجون غيره[١].

وقال سفيان الثَّوريُّ: سمعتُ السُّدِّيَّ يقول في قوله تعالى: {إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ} قال: هو الرَّجل يريد أن يَظلِم -أو قال: يَهُمّ بمعصيةٍ- فيُقال له: اتَّق الله فيَجِل قلبُه[٢].

وقال الزَّجَّاج: إذا ذُكرتْ عظمتُه وقدرتُه وما خوَّف به من عصاه، فزعت قلوبهم[٣].

وقال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: ليس المؤمن بالَّذي يُخالف اللهَ ورسولَه، ويترك اتِّباعَ ما أنزله إليه في كتابه من حدوده وفرائضه والانقياد لحكمه، ولكنَّ المؤمن هو الَّذي إذا ذُكِر الله وَجِل قلبه، وانقاد لأمره، وخضع لذكره، خوفًا منه، وفَرَقًا من عقابه[٤].

* قال ابن القيِّم: أفضل الذِّكْر ما تواطأ عليه القلب واللِّسان، وإنَّما كان ذِكْر القلب وحدَه أفضل من ذكر اللِّسان وحدَه؛ لأنَّ ذِكْر القلب يُثمر المعرفة، ويُهيِّج المحبَّة، ويُثير الحياء،

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ١١).

(٣) «زاد المسير» (٢/ ١٨٨).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٣٨٥).

ويبعث على المخافة، ويدعو إلى المراقبة، ويَزَع عن التَّقصير في الطَّاعات والتَّهاون في المعاصي والسِّيِّئات، وذِكْر اللِّسان وحدَه لا يُوجب شيئًا منها، فثمرته ضعيفةٌ[1].

(١) «الوابل الصَّيِّب» (ص: ٨٨).

﴿ ٩٠ ﴾ ﴿ وَمَن يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِّقِتَالٍ ﴾

[الأنفال١٦]

يظن بعض الناس أن معنى متحرف لقتال أي محترف للقتال ماهر فيه، والصواب أن متحرفا معناها الكر بعد الفر[١] ؛ بأن يُري العدو كأنه منهزم ثم يميل عليه مخادعة له .

﴿٩٠﴾ أخرج ابن أبي حاتمٍ وأبو الشَّيخ عن سعيد بن جُبَيرٍ {إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ} يَعْني: مُستطرِدًا يُرِيد الكَرَّة على الْمُشْركين[١].

قال الزَّمخشريُّ: **هو الكَرُّ بعد الفَرِّ**، يُخيِّل عدوَّه أنَّه منهزِمٌ ثمَّ يعطف عليه، وهو بابٌ من خُدَع الحرب ومكائدها[٢].

وقال القرطبيُّ: التَّحرُّف: **الزَّوال عن جهة الاستواء**. فالمتحرِّف من جانبٍ إلى جانبٍ لمكايد الحرب غير مُنهزِمٍ، وكذلك المُتَحيِّز إذا نوى التَّحَيُّز إلى فئةٍ من المسلمين ليستعين بهم فيرجع إلى القتال غير مُنهزِمٍ أيضًا[٣].

وقال ابن عاشورٍ: **(التَّحَرُّف) الانصراف إلى الحَرْف**، وهو المكان البعيد عن وسطه، فالتَّحَرُّف مُزايلة المكان المستقَرِّ فيه والعدول إلى أحد جوانبه، وهو يَستدعِي تولية الظَّهر لذلك المكان، بمعنى: الفرار منه... فالمراد بهذا التَّحرُّف ما يُعبَّر عنه بالفَرِّ لأجل الكَرِّ، فإنَّ الحرب كَرٌّ وفَرٌّ[٤].

وقال الألوسيُّ: {مُتَحَرِّفًا لِقِتالٍ} أي: تاركًا موقفَه إلى موقفٍ أصلح للقتال منه، أو متوجِّهًا إلى قتال طائفةٍ أخرى أهمَّ من هؤلاء، أو مستطرِدًا يُريد الكَرَّ...

وأصل التَّحرُّف على ما في (مجمع البيان) الزَّوال عن جهة الاستواء إلى جهة الحَرْف، **ومنه الاحْتِراف وهو أن يقصد جهةً من الأسباب طالبًا فيها رزقَه**[٥].

---

(١) «الدُّرُّ المنثور» (٤/ ٣٧).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٢٠٦).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٣٨٣).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٩/ ٢٨٩).

(٥) «روح المعاني» (٥/ ١٦٩).

﴿٩١﴾ ﴿وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ الْيَوْمَ مِنَ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ﴾ [الأنفال: ٤٨]

جَارٌ لَّكُمْ أي: أنا مجيركم وأنتم في ذمتي وحماي وليس المراد أنه مقيم بجوارهم[٢].

﴿٩١﴾ قال الجمهور في ذلك بما رُوي وتظاهر أنَّ إبليس جاء كفَّار قريشٍ -ففي السِّير لابن هشامٍ أنَّه جاءهم بمكَّة، وفي غيرها أنَّه جاءهم وهم في طريقهم إلى بدرٍ- وقد لحقهم خوفٌ من بني بكرٍ وكنانة لحروبٍ كانت بينهم، فجاءهم إبليس في صورة سُراقة بن مالك بن جعشمٍ، وهو سيِّدٌ من ساداتهم، فقال لهم: إنِّي جارٌ لكم، ولن تخافوا من قومي، وهم لكم أعوانٌ على مقصدكم، ولن يغلبكم أحدٌ. فسُرُّوا عند ذلك ومضَوْا لطيَّتهم، وقال لهم: أنتم تقاتلون عن دين الآباء، ولن تُعدموا نصرًا[١].

قال البغويُّ والسَّمعانيُّ: {وإنِّي جارٌ لكم} أي: مُجيرٌ لكم من كنانة[٢].

* قال الرَّاغب الأصفهانيُّ: الجار: من يقرب مسكنُه منك، وهو من الأسماء المتضايفة، فإنَّ الجار لا يكون جارًا لغيره إلَّا وذلك الغير جارٌ له، كالأخ والصَّديق، ولمَّا استُعظِم حقُّ الجار عقلًا وشرعًا عُبِّر عن كلِّ مَن يُعظَّم حقُّه أو يُستعظَم حقُّ غيره بالجار، قال تعالى: {وَالْجَارِ ذِي الْقُرْبَى وَالْجَارِ الْجُنُبِ} [النساء: ٣٦]، ويُقال: استجرته فأجارني، وعلى هذا قوله تعالى: {وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} [الأنفال: ٤٨]، وقال عزَّ وجلَّ: {وَهُوَ يُجِيرُ وَلا يُجَارُ عَلَيْهِ}[المؤمنون: ٨٨] [٣].

قال الرَّازيُّ: **ومعنى الجار هاهنا: الدَّافع عن صاحبه أنواع الضَّرر كما يُدفع الجارُ عن جاره**، والعرب تقول: أنا جارٌ لك من فلانٍ، أي: حافظٌ من مضرَّته فلا يصل إليك مكروهٌ منه[٤].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٥٣٨).

(٢) «تفسير البغويّ» (٣/ ٣٦٦)، «تفسير السَّمعانيّ» (٢/ ٢٧١).

(٣) «المفردات» (ص: ٢١١).

(٤) «مفاتيح الغيب» (١٥/ ٤٩٢).

وقال صاحب المنار: الاستجارة: طلب الجِوار، وهو الحماية والأمان، **فقد كان من أخلاق العرب حماية الجار والدِّفاع عنه، حتَّى صاروا يُسمُّون النَّصيرَ جارًا**[1].

* وقال الماورديُّ: {وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ} يحتمل وجهين:

أحدهما: يعني: أنِّي معكم، وفي جواركم ينالني ما نالكم.

الثَّاني: مجيرٌ لكم وناصرٌ.

فيكون على الوجه الأوّل من الجِوار، وعلى الوجه الثَّاني من الإجارة[2].

* فالإجارة بمعنى النُّصرة والحماية أصلها من الجِوار وقُرب الدَّار وما يلزم ذلك من حقوقٍ، و(الجار) في هذه الآية بمعنى المُجير النَّاصر والحامي على قول جمهور المفسِّرين.

والقول بأنَّ الجار هنَّا: المجاور القريب، بمعنى: أنَّه معهم يصيبه ما أصابهم، قولٌ محتمَلٌ على ما ذكره الماورديُّ.

ويشهد له ما رُوي عن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما أنَّه قال: لَمَّا كان يوم بدرٍ، سار إبليس برايته وجنوده مع المشركين[3].

(١) «تفسير المنار» (١٠/ ١٦٠).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٣٢٥).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٩٢﴾ ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ﴾ [الأنفال ٥٥]

ليس المراد بالدواب أي البهائم كما يفهم بعضهم، بل معناها كل ما دبّ على الأرض[٣] وهم جميع الخلائق.

﴿٩٢﴾ **{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ}** [الأنفال: ٢٢]

{إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ} [الأنفال: ٥٥]

أخرج ابن جريرٍ عن ابن زيدٍ ﷺ في قوله: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْد اللهِ} قال: الدَّوابُّ: الخَلْق[١].

وقال الواحديُّ: كلُّ ما دبَّ على وجه الأرض فهو من جملة الدَّوابِّ. بيَّن الله تعالى أنَّ هؤلاء الكفَّار شرُّ ما دبَّ على الأرض من الحيوان[٢].

* وكون المراد بالدَّوابِّ هنا البهائم وجهٌ مُحتمَلٌ أيضًا:

يقول الزَّمخشريُّ: {إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ} أي: إنَّ شرَّ من يدبُّ على وجه الأرض، أو إنَّ شرَّ البهائم الَّذين هم صمٌّ عن الحقِّ لا يعقلونه، جعلهم من جنس البهائم، ثمَّ جعلهم شرَّها[٣].

وقال الرَّازيُّ: اختلفوا في (الدَّوابِّ):

فقيل: شبَّههم بالدَّوابِّ لجهلهم وعدولهم عن الانتفاع بما يقولون ويُقال لهم، ولذلك وصفهم بالصُّمِّ والبُكْم وبأنَّهم لا يعقلون.

وقيل: بل هم من الدَّوابِّ؛ لأنَّه اسمٌ لما دبَّ على الأرض، ولم يذكره في مَعرِض التَّشبيه، بل وصفهم بصفةٍ تليق بهم على طريقة الذَّمِّ، كما يُقال لمن لا يفهم الكلام: هو شبحٌ وجسدٌ وطللٌ على جهة الذَّمِّ[١].

---

(١) «الدُّرُّ المنثور» (٤/ ٤٣).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٠/ ٨٣).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٢٠٩). ويُنظر «أنوار التَّنزيل» (٣/ ٥٥)، «مدارك التَّنزيل» (١/ ٦٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الألوسيُّ: (الدَّوابُّ) جمع دابَّةٍ، والمراد بها إمَّا المعنى اللُّغويّ أو العُرفيّ، أي: إنَّ شرَّ من يدبُّ على الأرض، أو شرَّ البهائم عند الله، أي: في حُكْمه وقضائه[٢].

(١) «مفاتيح الغيب» (١٥/ ٤٦٩).

(٢) «روح المعاني» (٥/ ١٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٩٣﴾ ﴿فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ [التوبة ٥]

ليس معنى حصرهم أي عدهم واستيعابهم كما فهم بعض الناس، وإنما المعنى حبسهم ومحاصرتهم ومنعهم من الخروج[١].

﴿٩٣﴾ قال الواحديُّ: معنى الحَصْر: المنع عن الخروج من محيطٍ.

قال ابن عبَّاسٍ: يريد: إن تَحصَّنوا فاحْصُروهم.

وقال الفَرَّاء: حَصْرُهم: أن يُمنعُوا من البيت الحرام.

وقال ابن الأنباريّ: يريد: أن احبسوهم واقطعوهم عن البيت الحرام[١].

وقال الطَّبريُّ: {واحصروهم} يقول: وامنعوهم من التَّصرُّف في بلاد الإسلام ودخول مكَّة، {واقعدوا لهم كلَّ مرصدٍ} يقول: واقعدوا لهم بالطَّلب لقتلهم أو أسرهم، {كلَّ مَرْصَدٍ} يعني: كلَّ طريقٍ ومَرْقَبٍ[٢].

وقال أبو حيان: {وَاحْصُرُوهُمْ} قيِّدوهم وامنعوهم من التَّصرُّف في البلاد.

وقيل: اسْترِقُّوهم.

وقيل: معناه: حاصروهم إن تَحصَّنُوا، وقُرئ: (فحاصروهم) شاذًّا، وهذا القول يُروى عن ابن عبَّاسٍ.

وعنه أيضًا: حُولُوا بينهم وبين المسجد الحرام.

وقيل: امنعوهم عن دخول بلاد الإسلام والتَّصرُّف فيها إلَّا بإذنٍ[٣].

* قال ابن فارسٍ: (حصر) الحاء والصَّاد والرَّاء أصلٌ واحدٌ، وهو الجمع والحبس والمنع[٤].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٠/ ٢٩٤).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٤/ ١٣٤).

(٣) «البحر المحيط» (٥/ ٣٧٢).

(٤) «مقاييس اللُّغة» (٢/ ٧٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال الرَّاغب: الحَصْر: التَّضييق، قال عز وجل: {واحصروهم} [التوبة: ٥]، أي: ضيِّقوا عليهم... والحَصْر والإِحْصار: المنع من طريق البيت، فالإِحْصار يُقال في المنع الظَّاهر كالعدوِّ، والمنع الباطن كالمرض، والحَصْر لا يُقال إلَّا في المنع الباطن[١].

* أمَّا الحَصْر بمعنى الاستيعاب أو العدِّ فأصله الحَصْر بمعنى التَّضييق أو الحبس، فالمعدود لا يُمكن عدُّه واستيعاب أفراده إلَّا بالإحاطة به وجمع أفراده في موضعٍ واحد.

وظاهرٌ أنَّ الحَصْر بهذا المعنى غير مرادٍ في الآية، فما الفائدة من عدِّ المشركين بعد الأمر بقتلهم وأخذهم!

(١) «المفردات» (١/ ٢٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٩٤﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّمَا ٱلۡمُشۡرِكُونَ نَجَسٞ فَلَا يَقۡرَبُواْ ٱلۡمَسۡجِدَ ٱلۡحَرَامَ بَعۡدَ عَامِهِمۡ هَٰذَا﴾ [التوبة ٢٨]

يفهم بعض الناس من هذه الآية أن المشركين نُهوا عن دخول المسجد الحرام فقط، والصواب أن النهي يشمل كل منطقة الحرم لأنهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا من الحرم، فالنهي عن الاقتراب وليس مجرد الدخول[٢].

من الواضح أنَّ المعدَّ أراد بقوله: (لأنَّهم إذا دخلوا الحَرَم فقد قربوا من الحَرَم): (لأنَّهم إذا دخلوا الحَرَم فقد قربوا من المسجد الحرام).

قال الطَّبريُّ: قوله: {فلا يقربوا المسجد الحرام بعد عامهم هذا} يقول للمؤمنين: فلا تَدَعُوهم أن يقربوا المسجد الحرام بدخولهم الحَرَم. وإنَّما عنى بذلك منعَهم من دخول الحَرَم، لأنَّهم إذا دخلوا الحرم فقد قربوا المسجد الحرام.

وساق بإسناده إلى عطاءٍ قال: الحَرَمُ كلُّه قبلةٌ ومسجدٌ. قال: {فلا يقربوا المسجد الحرام} لم يعنِ المسجدَ وحدَه، إنَّما عنى مكَّة والحَرَم. قال ذلك غير مرَّةٍ[١].

* قال الرَّازيُّ: اختلفوا في أنَّ المراد من المسجد الحرام هل هو نفس المسجد أو المراد منه جميع الحَرَم؟

والأقرب هو هذا الثَّاني، والدَّليل عليه قوله تعالى: {وَإِنْ خِفْتُمْ عَيْلَةً فَسَوْفَ يُغْنِيكُمُ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}، وذلك لأنَّ موضع التِّجارات ليس هو عين المسجد، فلو كان المقصود من هذه الآية المنع من المسجد خاصَّةً لما خافوا بسبب هذا المنع من العَيْلة، وإنَّما يخافون العَيْلة إذا مُنعوا من حضور الأسواق والمواسم، وهذا استدلالٌ حسنٌ من الآية.

ويتأكَّد هذا القول بقوله سبحانه وتعالى: {سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى} [الإسراء: ١] مع أنَّهم أجمعوا على أنَّه إنَّما رُفع الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام من بيت أمِّ هانئٍ.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٤/ ١٩١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأيضًا يتأكَّد هذا بما رُوي عن الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «لا يجتمع دينان في جزيرة العرب»[١].

وقال ابن الجوزيّ: قوله تعالى: {فَلا يَقْرَبُوا الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ} قال أهل التَّفسير: يُريد جميع الحَرَم[٢].

وقال السُّيوطيُّ: **المسجد الحرام حيث أُطلق في القرآن فالمراد به الحَرَم كلُّه**، كما أخرجه ابن أبي حاتمٍ عن ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبيرٍ، ومجاهدٍ، وعطاءٍ، وغيرهم[٣].

*** فائدةٌ فقهيَّةٌ:**

قال ابن عطيَّة: نصَّ الله تعالى في هذه الآية على المشركين وعلى المسجد الحرام، فقاس مالكٌ رحمه الله وغيره جميع الكفَّار من أهل الكتاب وغيرهم على المشركين، وقاس سائر المساجد على المسجد الحرام، ومنع من دخول الجميع في جميع المساجد، وكذلك كتب عمر بن عبد العزيز إلى عمَّاله ونزع في كتابه بهذه الآية، ويُؤيِّد ذلك قوله تعالى: {فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللهُ أَنْ تُرْفَعَ} [النور: ٣٦].

وقال الشَّافعيُّ هي عامَّةٌ في الكفَّار، خاصَّةٌ في المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود والنَّصارى والوثنيِّين في سائر المساجد، ومن حُجَّته حديث ربط ثُمامَة بن أثالٍ.

وقال أبو حنيفة هي خاصَّةٌ في عبدة الأوثان وفي المسجد الحرام، فأباح دخول اليهود والنَّصارى في المسجد الحرام وغيره، ودخول عبدة الأوثان في سائر المساجد[٤].

فذهب الشَّافعيَّة والحنابلة وهو قولٌ عند المالكيَّة: إلى منع دخول الكفَّار إلى الحَرَم مُطلقًا؛ لعموم الآية.

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٦/ ٢٢).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٢٤٨).

(٣) «الإكليل» (ص: ١٣٩).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٢٠).

وقال الحنفيَّة: لا يُمنع الذِّميُّ من دخول الحَرَم، ولا يَتوقَّف جواز دخوله على إذن مسلمٍ، ولو كان المسجد الحرام.

يقول الجصَّاص في تفسير قوله تعالى: {إنَّما المشركون نجسٌ فلا يقربوا المسجد الحرام}: يجوز للذِّميّ دخول سائر المساجد، وإنَّما معنى الآية على أحد الوجهين:

إمَّا أن يكون النَّهي خاصًّا في المشركين الَّذين كانوا ممنوعين من دخول مكَّة وسائر المساجد؛ لأنَّهم لم تكن لهم ذمَّةٌ، وكان لا يُقبل منهم إلَّا الإسلام أو السَّيف، وهم مشركو العرب.

أو أن يكون المراد منعهم من دخول مكَّة للحجّ، ويدلُّ على ذلك قوله تعالى: {وإن خفتم عَيْلةً} الآية، وإنَّما كانت خشية العَيْلة لانقطاع تلك المواسم بمنعهم من الحجّ؛ لأنَّهم كانوا ينتفعون بالتِّجارات الَّتي كانت في مواسم الحج[1].

(١) «الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة» (١٧/ ١٨٨).

﴿ إِنَّ عِدَّةَ ٱلشُّهُورِ عِندَ ٱللَّهِ ٱثْنَا عَشَرَ شَهْرًا فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِ ﴾ [التوبة ٣٦]

يظن بعض الناس أن المراد هنا بكتاب الله أي القرآن الكريم، والصواب أن المراد بكتاب الله هو اللوح المحفوظ[1] وقيل حكم الله.

(٩٥) قال الواحديُّ: قوله: {فِي كِتَابِ اللهِ} [التوبة: ٣٦] يعني: اللَّوح المحفوظ.

قال ابن عبَّاسٍ: في الإمام الَّذي عند الله كتبه يوم خلق السَّموات والأرض[1].

وقال الطَّبريُّ: إنَّ عدَّة شهور السَّنَة اثنا عشر شهرًا في كتاب الله، الَّذي كتبَ فيه كلَّ ما هو كائنٌ في قضائه الَّذي قضى[2].

* وذكر بعض المفسِّرين وجهين آخرين:

قال الرَّازيُّ: وفي تفسير (كتاب الله) وجوهٌ:

الأوَّل: قال ابن عبَّاسٍ: إنَّه اللَّوح المحفوظ الَّذي كتب فيه أحوال مخلوقاته بأسرها على التَّفصيل، وهو الأصل للكتب الَّتي أنزلها الله على جميع الأنبياء عليهم السَّلام.

الثَّاني: قال بعضهم: المراد من الكتاب: القرآن، وقد ذكرنا آياتٍ تدلُّ على أنَّ السَّنَة المعتبرة في دين محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم هي السَّنَة القمريَّة، وإذا كان كذلك كان هذا الحُكم مكتوبًا في القرآن.

الثَّالث: قال أبو مُسلمٍ: (في كتاب الله) أي: فيما أوجبه وحكم به، والكتاب في هذا الموضع هو الحكم والإيجاب، كقوله تعالى: {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِتالُ} [الْبَقَرَة: ٢١٦] {كُتِبَ عَلَيْكُمُ الْقِصاصُ} [الْبَقَرَة: ١٧٨] {كَتَبَ رَبُّكُمْ عَلى نَفْسِهِ الرَّحْمَةَ} [الْأَنْعَام: ٥٤][3].

---

(١) «التَّفسير الوسيط» (٢/ ٤٩٤).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٤/ ٢٣٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٦/ ٤١)، «لُباب التَّأويل» (٢/ ٣٥٧).

* والقول الأوَّل المنسوب لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما هو المشهور، أمَّا القولين الآخرين فلم يسلما من اعتراض بعض المفسِّرين عليهما[1].

وقال ابن عطيَّة عن تفسير كتاب الله هنا بالقرآن: ويُقلِق أن يكون الكتاب القرآن في هذا الموضع[2].

(١) يُنظر الاعتراض على قول أبي مسلمٍ والأجابة عنه في «مفاتيح الغيب» (١٦/ ٤١).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٣٠).

﴿٩٦﴾ {وَيَحْلِفُونَ بِاللَّهِ إِنَّهُمْ لَمِنْكُمْ وَمَا هُمْ مِنْكُمْ وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} [التوبة: ٥٦]

﴿٩٦﴾ ﴿وَلَٰكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ﴾ [التوبة: ٥٦]

يفرقون أي يخافون(٢)؛ من الفَرَق وليس من الفُرقة.

قال الضَّحَّاك: أي: إنَّما يحلفون تقيَّةً.

والفَرَق: الخوف، ومنه قيل: رجلٌ فَرُوقةٌ، وهو الشَّديد الخوف(١).

أي: يخافونكم، فيقولون بألسنتهم ما لا يعتقدن خوفًا منكم، لئلَّا تقتلوهم(٢).

* قال الرَّاغب: **والفَرَق: تفرُّق القلب من الخوف**، واستعمال الفَرْق فيه كاستعمال الصَّدْع والشَّقِّ فيه(٣).

وقال الألوسيُّ: {وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ يَفْرَقُونَ} أي: يخافون منكم أن تفعلوا بهم ما تفعلوا بالمشركين، فيُظهِرون الإسلام تقيَّةً، ويُؤيِّدونه بالأيمان الفاجرة.

وأصل الفَرَق انزعاج النَّفس بتوقع الضَّرر، قيل: وهو من مفارقة الأمن إلى حال الخوف(٤).

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٠/ ٤٩٤).

(٢) «الهداية الى بلوغ النِّهاية» (٤/ ٣٠٣٠).

(٣) «المفردات» (٢/ ١٩٠).

(٤) «روح المعاني» (٥/ ٣٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٩٧﴾ ﴿نَسُوا اللَّهَ فَنَسِيَهُمْ﴾ [التوبة: ٦٧]

أي تركوا أمر الله فتركهم الله من رحمته وتوفيقه[٣] وليس النسيان الذي هو بمعنى السهو والذهول لأنه ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾، ﴿لَّا يَضِلُّ رَبِّي وَلَا يَنسَى﴾.

﴿٩٧﴾ قال ابن عبَّاسٍ: تركوا ما أمرهم به من طاعته، وحضَّهم عليه من الجهاد في سبيله، فتركهم وخذلهم في الشَّكِّ في قلوبهم.

وقال الضَّحَّاك: تركوا أمر الله فتركهم من كلِّ خيرٍ.

وقال أهل المعاني: معناه: تركوا أمرَه حتَّى صار بمنزلة المنسيِّ بالسَّهْو عنه، فجازاهم بأن صيَّرهم بمنزلة المنسيِّ من ثوابه ورحمته، وجاء هذا على مزاوجة الكلام[١].

قال ابن القيّم: قوله تعالى {نَسُوا اللهَ فَنَسِيَهُمْ} [التوبة: ٦٧] وقوله تعالى {قَالَ كَذَلِكَ أَتَتْكَ آيَاتُنَا فَنَسِيتَهَا وَكَذَلِكَ الْيَوْمَ تُنْسَى} [طه: ١٢٦] وقوله تعالى {وَقِيلَ الْيَوْمَ نَنْسَاكُمْ كَمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا} [الجاثية: ٣٤] لا يقتضي أنَّه لا يعلم أحوالهم، بل الأمر كما قال السَّلف: أنَّهم نُسُوا في الخير دون الشَّرِّ.

كما روى ابن أبي حاتمٍ في تفسيره عن أبي روقٍ عن الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ: {نَسُوا اللهَ} تركوا أنفسَهم، {فَنَسِيَهُمْ} يقول: تركهم من كرامته وثوابه.

وفي تفسير سعيد بن أبي عَرُوبة عن قتادة قال: نُسُوا من كلِّ خيرٍ، ولم يُنْسَوا من الشَّرِّ.

وهو كما قالوا، فإنَّه من المعلوم أنَّهم إذا عُذِّبوا فهو الخالق لعذابهم وبمشيئته يكون، والمشيئة مستلزمةٌ للعلم فلا يشاء إلَّا ما علمه، بل قدَّر ذلك وكتبه قبل أن يكون، وهو عالمٌ به وبكلِّ شيءٍ بعدما يكون، كما أخبر في غير موضعٍ أنَّه يعلم أحوال العبد.

واستعمال النِّسيان في مثل ذلك لا يستلزم عدم العلم، يقول القائل لمن أعطى النَّاس أو مدحهم أو أكرمهم أو ولَّاهم: نسيتني فلم تفعل ما فعلتَ بفلانٍ، ولا يكون غافلًا، بل يكون ذاكرًا له، لكن تركه على عمدٍ؛ لأنَّه لا يستحقُّ ذلك.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٠/ ٥٤٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويُقال لمن عاقب غيره فجعله في السِّجن ونحوه: نسيت فلانًا، وهو يخطر بقلبه ويشعر به، لكنَّه لا يذكره بخيرٍ كما يذكره غيره[1].

(١) «بيان تلبيس الجهميَّة» (٨/ ٤٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٩٨ ﴿وَتَزْهَقَ أَنفُسُهُمْ وَهُمْ كَافِرُونَ﴾ [التوبة: ٨٥]

أي تخرج أرواحهم ويموتون[٤]، وليس معناه يكتئبون وتضيق صدورهم.

٩٨ قال ابن عبَّاسٍ: يريد: وتموت أنفسُهم.

يُقال: زَهَقَت نفسُه فهي تَزْهَق: أي: تذهب.

قال الكِسائيُّ: زَهَقَت نفسُه وزُهِقَت لغتان.

وقال أبو زيدٍ: زَهَقَت نفسُه وزَهَقَ الباطلُ، وزهَق: إذا سبق، ليس في شيءٍ منه زُهِق.

قال الزَّجَّاج: المعنى: وتخرج أنفسُهم وهم على الكفر[١].

وقال البيضاويُّ: أصل الزُّهوق الخروج بصعوبة[٢].

وقال ابن عاشور: (الزُّهُوق) الخروج بشدَّةٍ وضيقٍ، وقد شاع ذكره في خروج الرُّوح من الجسد[٣].

وعند ابن فارسٍ: (زهق) الزَّاء والهاء والقاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على تقدُّمٍ ومُضيٍّ وتجاوزٍ.

من ذلك: زَهَقَت نفسُه. ومن ذلك: زَهَق الباطل، أي: مضى.

ويُقال: زَهَق الفرس أمام الخيل، وذلك إذا سبقها وتقدَّمها.

ويُقال: زَهَق السَّهم، إذا جاوز الهدف...

فأمَّا قولهم: أَزْهَق إناءه، إذا ملأه، فإن كان صحيحًا فهو من الباب؛ لأنَّه إذا امتلأ سبق وفاض ومرَّ.

ومن الباب الزَّاهق، وهو السَّمين؛ لأنَّه جاوز حدَّ الاقتصاد إلى أن اكتنز من اللَّحم[٤].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٠/ ٤٩٣).

(٢) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ٨٥).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٠/ ٢٢٩).

(٤) «مقاييس اللُّغة» (زهق).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* أمَّا زَهَق العاميَّة بمعنى الضِّيق والضَّجَر، فأصلها -كما يبدو- من زَهَقَ الفصيحة، بمعنى: الخُروج عن حدِّ الصَّبر وتجاوزه، أو الامتلأ مللًا حتَّى يفيض.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿عَسَى ٱللَّهُ أَن يَتُوبَ عَلَيْهِمْ﴾ [التوبة: ١٠٢]

عسى في اللغة العربية للطمع في قرب الشيء وحصوله فهي من أفعال المقاربة كقولك: عسى أن يأتي محمد، أما عسى من الله فهي للإيجاب وتحقق الوقوع كهذه الآية، قال عمر بن علي بن عادل في اللباب: «اتفق المفسرون على أن كلمة عسى من الله واجب: لأنه لفظ يفيد الإطماع، ومن أطمع إنسانًا في شيء ثم حرمه كان عارًا؛ والله تعالى أكرم من أن يُطمِع واحدًا في شيء ثم لا يعطيه»[1].

٩٩

لم يذكر جمهور النُّحاة في (عسى) غير أنَّها من أفعال المقاربة، وهي للتَّرجي كثيرًا وللإشفاق قليلًا.

أمَّا اللُّغويُّون والمفسِّرون فذكروا فيها مع دلالة الرَّجاء وما ينمُّ عنه من الشَّك دلالةَ اليقين[1].

قال ابن الأنباريِّ: وعَسَى لها معنيان متضادَّان: أَحدهما الشَّكُّ والطَّمَع، والآخر اليقين[2].

قال الجوهريُّ: (عسى): من الله واجبةٌ في جميع القرآن، إلَّا في قوله: {عسى ربُّهُ إنْ طلَّقكُنَّ أنْ يُبدِلَه}، وقال أبو عُبيدة: (عسى) من الله إيجابٌ، فجاءت على إحدى لغتي العرب؛ لأنَّ عسى في كلامهم رجاءٌ ويقينٌ[3].

وقال ابن كيسان: (عسى) من الله واجبٌ، ومن العباد ظنٌّ؛ لأنَّ العبد ليس له فيما يستقبل علمٌ نافذٌ إلَّا بدلائل ما شاهد، وقد يجوز أن تبطل الشَّواهد له على ما لم يكن فلا يكون ما يظنُّ، وقد اجتهد في (عسى) بأغلب الظَّنِّ عليه، وهو مُنتهى علمه فيما لم يقع، والله تعالى علمه بما لم يكن كعلمه بما كان، فلا يكون في خبره (عسى) إلَّا على علمه، فهي واجبةٌ من قِبَله على هذا[4].

وقال ابن عطيَّة في قوله تعالى: {عَسَى اللهُ أَنْ يَعْفُوَ عَنْهُمْ}: قال الحسن: (عسى) من الله واجبةٌ.

---

(١) يُنظر «الأثر العقديُّ في تعدُّد التَّوجيه الإعرابيِّ لآيات القرآن الكريم» (ص ٣٣٧).

(٢) «الأضداد» (ص: ٢٢).

(٣) «الصِّحاح» (عسى).

(٤) «تهذيب اللُّغة» (عسى).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال غيره: هي بمنزلة الوعد، إذ ليس يُخبِر بـ(عسى) عن شكٍّ ولا توقُّعٍ، وهذا يرجع إلى الوجوب.

قال آخرون: هي على مُعتقَد البَشَر، أي: ظنُّكم بمن هذه حاله تُرجِّي عفو الله عنه[1].

وقال الرَّازيُّ: قال المفسِّرون (عسى) من الله واجبٌ؛ لأنَّ الكريم إذا أطمع في خيرٍ فعله، فهو بمنزلة الوعد لِتعلُّق النَّفس به ورجائها له[2].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ١٠٠).

(٢) «مفاتيح الغيب» (١٢/ ٣٧٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٠٠﴾ ﴿وَءَاخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ ٱللَّهِ إِمَّا يُعَذِّبُهُمْ وَإِمَّا يَتُوبُ عَلَيْهِمْ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ﴾ [التوبة: ١٠٦]

مُرجَون أي مؤخرون لأمر الله يحكم فيهم بما يريد، قال القرطبي: «مِن أرجأته أي أخرته. ومنه قيل: مرجئة، لأنهم أخروا العمل»(٢)، وليس مُرجون من الرجاء.

قال ابن عبَّاسٍ وعامَّة المفسِّرين: نزلت هذه الآية في ثلاثة نفرٍ: كعب بن مالك من بني سلمة، وهلال بن أميَّة الواقفيّ، ومُرارة بن الرَّبيع الزّبيديّ، كانوا تخلَّفوا عن غزوة تبوكَ وكانوا مياسير، ثمَّ لم يتَّسع لهم العذر كما اتَّسع للآخرين الَّذي ذُكروا قبل هذا، ولم يبالغوا في التَّنصُّل والاعتذار كما فعل الآخرون، ولم يُوثِقُوا أنفسهم بالسَّواري، فوقف رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمرَهم، ونهى النَّاس عن مكالمتهم ومخالطتهم، حتَّى نزل قوله تعالى: {وَعَلَى الثَّلَاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} [التوبة: ١١٨] الآيات بعد خمسين ليلةً(١).

ومعنى: {مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ}، قال ابن عبَّاسٍ: مُؤخَّرون ليقضيَ فيهم ما هو قاضٍ(٢).

قال الطَّبري: {وآخرون مرجون} يعني: مُرْجؤون لأمر الله وَقضائه. يُقال منه: أَرْجَأْته أُرْجِئُه إِرْجاءً، وهو مُرْجَأٌ، بالهمز وترك الهمز، وهما لغتان معناهما واحدٌ. وقد قرأتْ القَرَأَة بهما جميعًا(٣).

فقرأ نافعٌ وحمزة والكِسائيُّ وحفصٌ عن عاصمٍ وأبو جعفرٍ وخلفٌ (مُرْجَوْن) بسكون الواو بدون همزٍ على أنَّه اسم مفعولٍ من (أرجاه) بالألف، وهو مخفَّف (أرجأه) بالهمز: إذا أَخَّره، فيُقال في مضارعه المخفَّف: أَرْجَيْتُه بالياء، كقوله: {تُرْجِي مَنْ تَشاءُ مِنْهُنَّ} [الْأَحْزَاب: ٥١] بالياء، فأصل (مُرْجَوْن) مُرْجَيُون.

وقرأ البقيَّة (مُرْجَؤُون) بهمزٍ بعد الجيم على أصل الفعل، كما قُرئ: {تُرْجِئُ مَنْ تَشَاء} [الأحزاب: ٥١](٤).

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١١/ ٤٢).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١١/ ٤٣).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١٤/ ٤٦٤).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (١١/ ٢٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* وقال المُبرّد: لا يُقال: أَرْجَيْتُه بمعنى أخَّرْتُه، ولكن يكون من الرَّجاء[1].

فيكون معنى قراءة التَّخفيف على قول المبرِّد من الرَّجاء لا من الإرجاء، وقوله يُخالف قول الجمهور من أنَّهما لغتان معناهما واحدٌ.

وقال ابن عطيَّة: وأنكر المبرِّد ترك الهمز في معنى التَّأخير، وليس كما قال[2].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٨/ ٢٥٢).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٨٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٠١﴾ ﴿ٱلسَّٰٓئِحُونَ﴾ [التوبة: ١١٢]

السائحون قيل هم الصائمون وقيل المجاهدون وقيل طلبة العلم وقيل المهاجرون [١]، وليس معنى السياحة هنا المعنى الدارج: السفر والترحال.

﴿١٠١﴾ في السَّائحين أربعة أقوالٍ:

أحدها: الصَّائمون، قاله ابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ، والحسن، وسعيد بن جُبيرٍ، وقتادة في آخرين.

والثَّاني: أنَّهم الغُزاة، قاله عطاءٌ.

والثَّالث: طلَّاب العلم، قاله عكرمة.

والرَّابع: المهاجرون، قاله ابن زيدٍ[١].

* وتلك الأقوال جميعًا يرجع معناها إلى السِّياحة بمعناها المشهور من السَّفر والتَّرْحال:

فالهجرة سياحةٌ لما فيها من سفرٍ.

والغزو سياحةٌ لما فيه من تَرحالٍ وسفرٍ لمقابلة العدوّ.

وأمَّا طلب العلم فلأنَّ طُلَّاب العلم يسيحون في الأرض يطلبونه في مظانِّه[٢].

وأمَّا الصِّيام فذكروا في كونه سياحةً أكثر من وجه:

قال الفَرَّاء: ويرى أهل النَّظر أنَّ الصَّائم إنَّما سُمِّي سائحًا تشبيهًا بالسَّائح؛ لأنَّ السَّائح لا زاد معه، والعرب تقول للفرس إذا كان قائمًا لا علف بين يديه: صائمٌ، وذلك أنَّ له قُوتَيْن، غُدوةً وعشيَّةً، فشُبِّه به صيام الآدميِّ؛ لتسحُّره وإفطاره[٣].

قال الرَّازيُّ: وفي المعنى الَّذي لأجله حسن تفسير السَّائح بالصَّائم وجهان:

الأوَّل: قال الأزهريُّ: قيل للصَّائم سائحٌ؛ لأنَّ الَّذي يسيح في الأرض متعبِّدًا لا زاد معه، كان ممسكًا عن الأكل، والصَّائم يمسك عن الأكل، فلهذه المشابهة سُمِّي الصَّائم سائحًا.

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ٣٠٣)، «النُّكَت والعيون» (٢/ ٤٠٨).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٣١٤)، «روح المعاني» (٦/ ٣١).

(٣) «زاد المسير» (٢/ ٣٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثَّاني: أنَّ أصل السِّياحة الاستمرار على الذَّهاب في الأرض، كالماء الَّذي يسيح، والصَّائم يستمرُّ على فعل الطَّاعة وترك المُشتَهى، وهو الأكل والشُّرب والوقاع.

وعندي فيه وجهٌ آخر: وهو أنَّ الإنسان إذا امتنع من الأكل والشُّرب والوقاع وسدَّ على نفسه أبواب الشَّهوات، انفتحت عليه أبواب الحكمة، وتجلَّت له أنوار عالم الجلال، ولذلك قال عليه الصَّلاة والسَّلام: «من أخلص لله أربعين صباحًا، ظهرت ينابيع الحكمة من قلبه على لسانه»، فيصير من السَّائحين في عالم جلال الله المنتقِلين من مقامٍ إلى مقامٍ، ومن درجةٍ إلى درجةٍ، فيحصل له سياحةٌ في عالم الرَّوحانيَّات[1].

وقال الألوسيُّ: هو من باب الاستعارة؛ لأنَّ الصوم يعوق عن الشَّهوات كما أنَّ السِّياحة تمنع منها في الأكثر.

أو لأنَّه رياضةٌ روحانيَّةٌ ينكشف بها كثيرٌ من أحوال المُلْك والملكوت، فشُبِّه الاطلاع عليها بالاطلاع على البلدان والأماكن النَّائية، إذ لا يزال المرتاض يتوصَّل من مقامٍ إلى مقامٍ ويدخل من مدائن المعارف إلى مدينةٍ بعد أخرى على مطايا الفِكْر[2].

* وذهب الشَّيخ السَّعديُّ إلى تفسير {السَّائحون} بعموم السَّفر والتَّرحال في القربات، وجعله هو الصَّحيح، فقال:

{السَّائِحُونَ} فسُرِّت السِّياحة بالصِّيام، أو السَّياحة في طلب العلم، وفُسِّرت بسياحة القلب في معرفة الله ومحبَّته والإنابة إليه على الدَّوام. **والصَّحيح أنَّ المراد بالسِّياحة: السَّفر في القُربات**؛ كالحجِّ، والعمرة، والجهاد، وطلب العلم، وصلة الأقارب، ونحو ذلك[3].

* ولعلَّ المعدَّ فهم نفي كون السِّياحة هنا بمعنى السَّفر والتَّرحال من قول ابن كثيرٍ:

---

(١) «مفاتيح الغيب» (١٦/ ١٥٣).

(٢) «روح المعاني» (٦/ ٣١).

(٣) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٣٥٣).

وليس المراد من السِّياحة ما قد يفهمه بعض من يتعبَّد بمجرَّد السِّياحة في الأرض، والتَّفرُّد في شواهق الجبال والكهوف والبَراري، فإنَّ هذا ليس بمشروعٍ إلَّا في أيَّام الفتن والزَّلازل في الدِّين[1].

وقول الألوسيّ: إنَّما لم تُحمل السِّياحة على المعنى المشهور؛ لأنَّها نوعٌ من الرَّهبانيَّة، وقد نُهي عنها، وكانت كما أخرج ابن جريرٍ عن وهب بن مُنَبِّهٍ في بني إسرائيل[2].

* فالمراد بهذه السِّياحة السَّفر والتَّرحل المقصود لذاته على وجه التَّعبُّد؛ أمَّا السِّياحة بمعنى السَّفر والتَّرحال المقصود لغيره من جهادٍ، أو طلب علمٍ، أو مفارقة دار كفرٍ (الهجرة)، أو حجٍّ أو عمرةٍ، فهو معنًى صحيحٌ يصحُّ حمل الآية عليه.

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٢٢٠).

(٢) «روح المعاني» (٦/ ٣١).

١٠٢ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ﴾ [التوبة: ١١٨]

خلفوا عن التوبة عليهم وليس عن الخروج مع النبي ﷺ، أخرج البخاري ومسلم عن كعب بن مالك قوله: «وليس الذي ذكر الله مما خلفنا تخلُّفُنا عن الغزو، وإنما هو تخليفه إيانا، وإرجاؤه أمرنا، عمن حلف له واعتذر إليه فقبل منه»[٢].

هؤلاء الثَّلاثة هم: هلال بن أُميَّة، ومُرَارة بن الرَّبيع، وكعب بن مالك.

قال ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ: خُلِّفوا عن التَّوبة عليهم.

وقال كعب بن مالكٍ الشَّاعر - وكان أحد الثَّلاثة الَّذين تخلَّفوا بغير عذرٍ -: (ما هذا من تخلُّفنا إنَّما هو تأخير رسول الله صلَّى الله عليه وسلم أمرَنا)؛ ليشير بذلك إلى قوله تعالى: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ} [التوبة: ١٠٦][١].

قال ابن الجوزيّ: وفي معنى «خُلِّفوا» قولان:

أحدهما: خُلِّفوا عن التَّوبة، قاله ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ. فيكون المعنى: خُلِّفوا عن توبة الله على أبي لُبابة وأصحابه إذ لم يخضعوا كما خضع أولئك.

والثَّاني: خُلِّفوا عن غزوة تبوك، قاله قتادة[٢].

ونسب الماورديُّ القول الثَّاني لعكرمة[٣].

وقال الرَّازيُّ: واختلفوا في السَّبب الَّذي لأجله وصُفوا بكونهم مُخلَّفين، وذكروا وجوهًا:

أحدها: أنَّه ليس المراد أنَّ هؤلاء أُمِرُوا بالتَّخلُّف، أو حصل الرِّضا من الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام بذلك، بل هو كقولك لصاحبك: أين خَلَّفتَ فلانًا فيقول: بموضع كذا، لا يُريد به أنَّه أمرَه بالتَّخلُّف، بل لعلَّه نهاه عنه، وإنَّما يُريد أنَّه تَخَلَّف عنه.

وثانيها: لا يمتنع أنَّ هؤلاء الثَّلاثة كانوا على عزيمة الذَّهاب إلى الغزو فأذن لهم الرَّسول عليه الصَّلاة والسَّلام قَدْرَ ما تُحصَّل الآلاتُ والأدوات، فلمَّا بقَوْا مُدَّةً ظهر التَّواني والكسل فصحَّ أن يُقال: خلَّفهم الرَّسول.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١١/ ٨٤).

(٢) «زاد المسير» (٢/ ٣٠٨).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٢/ ٤١٣).

وثالثها: أنَّه حكى قصَّة أقوامٍ وهم المرادون بقوله: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ}، فالمراد من كون هؤلاء مُخلَّفين كونهم مُؤخَّرين في قبول التَّوبة عن الطَّائفة الأولى.

قال كعب بن مالكٍ -وهو أحد هؤلاء الثَّلاثة-: قول الله تعالى في حقِّنا: {وَعَلَى الثَّلاثَةِ الَّذِينَ خُلِّفُوا} ليس من تخلُّفنا، إنَّما هو تأخير رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أمرَنا ليُشير به إلى قوله: {وَآخَرُونَ مُرْجَوْنَ لِأَمْرِ اللَّهِ}[1].

* ولا شكَّ أنَّ أولى ما حُمل عليه التَّفسير هو قول الصَّحابيِّ الَّذي نزلت الآية في شأنه، خاصَّةً أنَّه لم يكتفِ بتفسيره فقط، بل نفى التَّفسير الآخر أيضًا.

قال ابن عطيَّة: ومعنى {خُلِّفُوا} أُخِّرُوا وتُرك أمرُهم ولم تُقبل منهم معذرةٌ ولا رُدَّت عليهم، فكأنَّهم خُلِّفوا عن المعتذِرين.

وقيل: معنى {خُلِّفُوا} أي: عن غزوة تبوكٍ، قاله قتادة. وهذا ضعيفٌ، وقد ردَّه كعب بن مالكٍ بنفسِه وقال: معنى {خُلِّفُوا} تُرِكُوا عن قبول العذر، وليس بتخلُّفنا عن الغزو.

ويُقوِّي ذلك من اللَّفظة: جعلُه {إذا ضاقت} غايةً للتَّخليف، ولم يكن ذلك عن تخليفهم عن الغزو، وإنَّما ضاقت عليهم الأرض عن تخليفهم عن قبول العذر[2].

(١) «مفاتيح الغيب» (١٦/ ١٦٤).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٩٤). ويُنظر أيضًا: «البحر المحيط» (٥/ ٥١٩)، «تفسير القُرطبيِّ» (٨/ ٢٨١).

﴿١٠٣﴾ ﴿وَعَلَى ٱلثَّلَٰثَةِ ٱلَّذِينَ خُلِّفُواْ حَتَّىٰٓ إِذَا ضَاقَتۡ عَلَيۡهِمُ ٱلۡأَرۡضُ بِمَا رَحُبَتۡ وَضَاقَتۡ عَلَيۡهِمۡ أَنفُسُهُمۡ وَظَنُّوٓاْ أَن لَّا مَلۡجَأَ مِنَ ٱللَّهِ إِلَّآ إِلَيۡهِ﴾ [التوبة ١١٨]

وظنوا معناها تيقنوا وليس معناها شكّوا كما قد يتوهم بعضهم[1].

﴿١٠٣﴾ قال الطَّبريُّ: {وظنُّوا أن لا ملجأ} يقول: وأيقنوا بقلوبهم أن لا شيء لهم يلجأون إليه ممَّا نزل بهم من أمر الله من البلاء[1].

وقال ابن عطيَّة: {وَظَنُّوا} في هذه الآية بمعنى أيقنوا وحصل علمٌ لهم[2].

قال الرَّازيُّ: (وظنُّوا) أي: علموا، كما في قوله: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلاقُوا رَبِّهِمْ} [الْبَقَرَة: ٤٦]، والدَّليل عليه أنَّه تعالى ذكر هذا الوصف في حقِّهم في مَعْرِض المدح والثَّناء، ولا يكون كذلك إلَّا وكانوا عالمين بأنَّه لا ملجأ من الله إلَّا إليه[3].[4]

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٤/ ٥٤٣).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٩٤).

(٣) «مفاتيح الغيب» (١٦/ ١٦٥).

(٤) سبق بيان معنى الظَّنّ وضابطه في القرآن في الفائدة رقم (٢)، في قوله تعالى: {الَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ وَأَنَّهُمْ إِلَيْهِ رَاجِعُونَ}.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٠٤ ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً﴾ [يونس ٨٧]

أي اجعلوا بيوتكم مساجد تصلون فيها ، وذلك بعد أن هدم فرعون كنائسهم وبيَعهم[٢]، وليس المراد أن تكون بيوتهم قبلة للناس يصلّون إليها كما فهم بعضهم .

١٠٤ للمفسِّرين في المراد بالبيوت والقبلة في الآية أقوالٌ كثيرةٌ، واختلفت في ذلك ترجيحاتهم، والمعنى الَّذي نفاه المعدُّ ذكره بعض المفسِّرين وجهًا محتمَلًا في الآية:

فقوله تعالى: {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً} فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: اجعلوها مساجد، رواه مجاهدٌ، وعكرمة، والضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال النَّخَعيُّ، وابن زيدٍ.

وقد كان فرعون أمر بهدم مساجدهم، فقيل لهم: اجعلوا بيوتكم قبلةً بدلًا من المساجد.

والثَّاني: اجعلوها قِبَل القبلة، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

ورَوى الضَّحَّاك عن ابن عبَّاسٍ، قال: قِبَل مكَّة.

وقال مجاهدٌ: أُمروا أن يجعلوها مستقبلةً الكعبة، وبه قال مقاتلٌ، وقتادة، والفَرَّاء.

والثَّالث: اجعلوها يقابل بعضها بعضًا، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ أيضًا، وبه قال سعيد بن جُبيرٍ.

والرَّابع: اجعلوا بيوتكم الَّتي بالشَّام قبلةً لكم في الصَّلاة، فهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحرٍ[١].

وقال الجرجانيُّ: {وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً}: مستقبلةً القبلة.

وقيل: اجعلوها قبلةً لكم تُصلُّون إليها.

وقيل: اجعلوا بعضها مقابل بعضٍ.

وقيل: المراد به المصلَّى.

وقيل: المسجد[١].

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ٣٤٥)، «النُّكَت والعيون» (٢/ ٤٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* وكون بيوتهم بالشَّام قبلةً يُصلُّون إليها، ليس لأنَّها عين القبلة، فالقبلة هي بيت المقدس، وبيوتهم إنَّما هي في جهته، فكأنَّ المصلِّي إذا اتَّجه لبيت المقدس توجَّه إلى تلك البيوت.

قال القرطبيُّ في تفسير المراد بالقبلة: قيل: بيت المقدس، وهي قبلة اليهود إلى اليوم، قاله ابن بحرٍ.

وقيل: الكعبة[٢].

(١) «درج الدُّرر» (١/ ٨٢٧).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٨/ ٣٧١).

﴿١٠٥﴾ ﴿أَفَمَن كَانَ عَلَىٰ بَيِّنَةٍ مِّن رَّبِّهِۦ وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِّنْهُ﴾ [هود: ١٧]

يتلوه أي يتبعه، وليس من التلاوة - على الصحيح -

وقد فسر شيخ الإسلام هذا السطر في ست وأربعين صفحة في المجلد الخامس عشر من الفتاوى[1] ومجمل القول أن الذي على بينة من ربه هو محمد ﷺ والبينة من ربه هو الإيمان ويتبعه شاهد منه أي شاهد من ربه وهو القرآن.

﴿١٠٥﴾ الأَوْلى أن يُقال: (على ما رجَّحه أو صحَّحه شيخ الإسلام) بدلًا من على (الصَّحيح) إذ المسألة اجتهاديَّةٌ، وللمفسِّرين فيها أقوالٌ كثيرةٌ جدًّا وترجيحاتٌ مختلفةٌ.

وأكتفي في الإشارة إلى هذا الخلاف بما أورده الرَّازيُّ من أقوالٍ في تفسير الآية:

اعلم أنَّ أوَّل هذه الآية مشتملٌ على ألفاظٍ أربعةٍ كلُّ واحدٍ مُجْمَلٍ:

فالأوَّل: أنَّ هذا الَّذي وصفه الله تعالى بأنَّه (على بيِّنةٍ من ربِّه) مَن هو؟

والثَّاني: أنَّه ما المراد بهذه البيِّنة؟

والثَّالث: أنَّ المراد بقوله: (يتلوه) القرآن، أو كونه حاصلًا عقيب غيره؟

والرَّابع: أنَّ هذا الشَّاهد ما هو؟

فهذه الألفاظ الأربعة مُجمَلةٌ، فلهذا كثُر اختلاف المفسِّرين في هذه الآية:

أمَّا الأوَّل: وهو أنَّ هذا الَّذي وصفه الله تعالى بأنَّه (على بيِّنةٍ من ربِّه) من هو؟

فقيل: المراد به النَّبيُّ عليه الصَّلاة والسَّلام.

وقيل: المراد به من آمن من اليهود، كعبد الله بن سلَامٍ وغيره، وهو الأظهر؛ لقوله تعالى في آخر الآية: {أُولَئِكَ يُؤْمِنُونَ بِهِ} وهذا صيغة جمعٍ، فلا يجوز رجوعه إلى محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم.

والمراد بالبيِّنة هو البيان والبرهان الَّذي عُرِف به صحَّة الدِّين الحقِّ.

والضَّمير في (يتلوه) يرجع إلى معنى البيِّنة، وهو البيان والبرهان.

والمراد بالشَّاهد هو القرآن.

و(منه) أي: من الله.

و{من قبله كتاب موسى} أي: ويتلو ذلك البرهانَ من قَبلِ مجيء القرآن كتابُ موسى، واعلم أنَّ كون كتاب موسى تابعًا للقرآن ليس في الوجود بل في دلالته على هذا المطلوب.

و(إمامًا) نُصب على الحال.

فالحاصل أنَّه يقول: اجتمع في تقرير صحَّة هذا الدِّين أمورٌ ثلاثةٌ:

أوَّلها: دلالة البيِّنات العقليَّة على صحَّته.

وثانيها: شهادة القرآن بصحَّته.

وثالثها: شهادة التَّوراة بصحَّته.

فعند اجتماع هذه الثَّلاثة لا يبقى في صحَّته شكٌّ ولا ارتيابٌ، **فهذا القول أحسن الأقاويل في هذه الآية، وأقربها إلى مطابقة اللَّفظ، وفيها أقوالٌ أُخر:**

فالقول الأوَّل: أنَّ الَّذي وصفه الله تعالى بأنَّه (على بيِّنةٍ من ربِّه) هو محمَّدٌ عليه السَّلام، والبيِّنة هو القرآن، والمراد بقوله: (يتلوه) هو التِّلاوة بمعنى القراءة، وعلى هذا التَّقدير فذكروا في تفسير (الشَّاهد) وجوهًا:

أحدها: أنَّه جبريل عليه السَّلام، والمعنى: أنَّ جبريل عليه السَّلام يقرأ القرآن على محمَّدٍ عليه السَّلام.

وثانيها: أنَّ ذلك الشَّاهد هو لسان محمَّدٍ عليه السَّلام، وهو قول الحسن، وروايةٌ عن محمَّد بن الحنفيَّة عن عليٍّ رضي الله عنهما، قال: قلتُ لأبي أنت التَّالي؟ قال: وما معنى التَّالي؟ قلت: قوله: {ويتلوه شاهدٌ منه} قال: وددت أنِّي هو، ولكنَّه لسان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم. ولمَّا كان الإنسان إنَّما يقرأ القرآن ويتلوه بلسانه لا جرم جعل اللِّسان تاليًا على سبيل المجاز، كما يُقال: عينٌ باصرةٌ وأذنٌ سامعةٌ ولسانٌ ناطقٌ.

وثالثها: أنَّ المراد هو عليُّ بن أبي طالبٍ رضي الله عنه، والمعنى: أنَّه يتلو تلك البيِّنة، وقوله: (منه) أي: هذا الشَّاهد من محمَّدٍ وبعضٌ منه، والمراد منه تشريف هذا الشَّاهد بأنَّه بعضٌ من محمَّدٍ عليه السَّلام.

ورابعها: أن لا يكون المراد بقوله: (ويتلوه) القرآن، بل حصول هذا الشَّاهد عقيب تلك البيِّنة، وعلى هذا الوجه قالوا إنَّ المراد أنَّ صورة النَّبيِّ عليه السَّلام ووجهه ومخايله كلُّ ذلك يشهد بصدقه؛ لأنَّ من نظر إليه بعقله علم أنَّه ليس بمجنونٍ ولا كاهنٍ، ولا ساحرٍ ولا كذَّابٍ، والمراد بكون هذا الشَّاهد منه: كون هذه الأحوال متعلِّقةٌ بذات النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم.

القول الثَّاني: أنَّ الَّذي وصفه الله تعالى بأنَّه (على بيِّنةٍ) هم المؤمنون، وهم أصحاب النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، والمراد بالبيِّنة: القرآن، و(يتلوه) أي: ويتلو الكتاب الَّذي هو الحجَّة، يعني: ويعقبه شاهدٌ من الله تعالى، وعلى هذا القول اختلفوا في ذلك الشَّاهد، فقال بعضهم:

إنَّه محمَّد عليه السَّلام.

وقال آخرون: بل ذلك الشَّاهد هو كون القرآن واقعًا على وجهٍ يعرف كلُّ من نظر فيه أنَّه معجزةٌ، وذلك الوجه هو اشتماله على الفصاحة التَّامة والبلاغة الكاملة، وكونه بحيث لا يقدر البشر على الإتيان بمثله، وقوله: (شاهدٌ منه) أي: من تلك البيِّنة؛ لأنَّ أحوال القرآن وصفاته من القراءات متعلِّقةٌ به.

وثالثها: قال الفرَّاء: {ويتلوه شاهدٌ منه} يعني: الإنجيل يتلو القرآن وإن كان قد أُنزِل قبلَه، والمعنى: أنَّه يتلوه في التَّصديق، وتقريره: أنَّه تعالى ذكر محمَّدًا صلَّى الله عليه وسلَّم في الإنجيل، وأمر بالإيمان به.

واعلم أنَّ هذين القولين وإن كانا محتمَلين إلَّا أنَّ القول الأوَّل أقوى وأتمُّ[1].

(١) «مفاتيح الغيب» (١٧/ ٣٢٩).

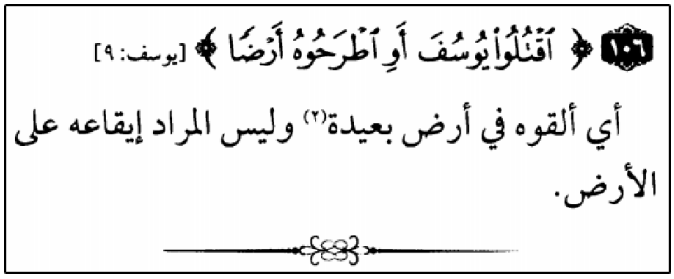

١٠٦ قال أبو إسحاق الزَّجَّاج: أراد أرضًا يَبعُد فيها عن أبيه؛ لأنَّه لم يخل من أن يكون في أرضٍ، ودلَّ على هذا المحذوف قوله {يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ}؛ لأنَّ هذا يدلُّ على أنَّهم تآمروا في أن يطرحوه في أرضٍ لا يقدر عليه فيها أبوه[١].

وقال الزَّمخشريُّ: {أَو اطرحوه أَرضًا} أرضًا منكورةً مجهولةً بعيدةً من العمران، وهو معنى تنكيرها وإخلائها من الوصف[٢].

وقال السَّمعانيُّ: أَي: اطرحوه فِي أَرضٍ تَأْكُله السِّبَاع، وَقيل: اطرحوه إلى أَرضٍ يَبعُد عن أبيه، ويَبعُد أبوه عنه[٣].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٣٠).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٤٤٧).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ١٠).

١٠٧ {أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ} [المائدة: ٩٦]

١٠٧ ﴿وَجَآءَتْ سَيَّارَةٌ﴾ [يوسف: ١٩]

السيارة نفرٌ من المارة المسافرين[٣]، وليست الآلة المعروفة.

{قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ} [يوسف: ١٠]

{وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَابُشْرَى هَذَا غُلَامٌ} [يوسف: ١٩]

يكفي أن يُعلَم أنَّ أوَّل نموذجٍ لسيَّارةٍ تعمل بمحرِّكٍ صُمِّم سنة ١٧٦٩م، فكيف يُمكن حمل الآية على شيءٍ لم يكن موجودًا؟!

قال البغويُّ: {وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ} هم القوم المسافرون، سُمُّوا سيَّارةً لأنَّهم يسيرون في الأرض[١].

وقال القرطبيُّ: أي: رُفقةٌ مارَّةٌ يسيرون من الشَّام إلى مصر فأخطؤوا الطَّريق وهامُوا حتَّى نزلوا قريبًا من الجُبِّ[٢].

وقال ابن عاشورٍ: السَّيَّارة: الجماعة السَّائرة في الأرض للسَّفر والتِّجارة، مؤنَّث سَيَّارٍ، والتَّأنيث باعتبار الجماعة[٣].

(١) «تفسير البغويّ» (٤/ ٢٢٣).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٩/ ١٥٢).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٧/ ٥٢).

﴿فَلَمَّا رَأَيْنَهُۥٓ أَكْبَرْنَهُۥ وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ﴾ [يوسف: ٣١]

أي جرحن أيديهن بالسكاكين حينما ذُهلن بجمال يوسف وليس قطعنها أي بترنها وأبنّها، وقال بعض المفسرين بل قطعنها حتى ألقين أيديهن أرضا. ولكن رُدّ ذلك، قال ابن عطية: «فظاهر هذا أنه بانت الأيدي، وذلك ضعيف من معناه، وذلك أن قطع العظم لا يكون إلا بشدة، ومحال أن يسهو أحد عنها»[1].

١٠٨ {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: حَزَزْنَ أيديَهُنَّ، وكنَّ يحسبن أنَّهنَّ يُقطِّعن طعامًا، قاله ابن عبَّاسٍ، وابن زيدٍ.

والثَّاني: قطَّعن أيديهنَّ حتَّى ألقينها، قاله مجاهدٌ، وقتادة.

والثَّالث: كَلَمْن الأكُفَّ وأَبَنَّ الأنامل، قاله وَهْب بن مُنَبِّهٍ[1].

* ذهب الطَّبريُّ رحمه الله إلى أنَّ القطع بمعنى الإبانة أو بمعنى الجَرْح والحَزّ كلاهما محتمَلٌ جائزٌ:

قال أبو جعفرٍ: والصَّواب من القول في ذلك أن يُقال: إنَّ الله أخبر عنهنَّ أنَّهنَّ قطَّعن أيديهُنَّ وهنَّ لا يشعرن لإعظام يوسف، وجائزٌ أن يكون ذلك قطعًا بإبانةٍ، وجائزٌ أن يكون كان قطع حَزٍّ وخدشٍ، ولا قول في ذلك أصوب من التَّسليم لظاهر التَّنزيل[2].

* وذهب الجمهور إلى أنَّ المراد بالقطع هنا هو الجَرْح دون الإبانة:

قال الزَّجَّاج: أردن أن يُقطِّعن الطَّعام الَّذي في أيديهنَّ فدُهشن لَمَّا رأينه فَخَدشْنَ أيديَهُن، ولم يقطعن الأيدي حتَّى تَبيَن منهنَّ، وهذا مُسْتعملٌ فى الكلام، يقول الرَّجل: قد قطعتَ يدِي. يعني: أنَّك قد خدشتها[3].

---

(١) «زاد المسير» (٢/ ٤٣٦).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٦/ ٧٧).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ١٠٦).

وقال السَّمعانيُّ: **الأكثرون على أنَّ هذا خدشٌ وجرحٌ بلا إبانةٍ**، وقال بَعضهم: إنَّهنَّ قطَّعن أَيْدِيهنَّ على تحقيق قطع اليد جُملةً، والأوَّل أصحُّ، يُقال: قطع فلانٌ يدَه إذا خدشها وجرحها[1].

وقال ابن عطيَّة: فظاهر هذا أنَّه بانت الأيدي، وذلك ضعيفٌ من معناه، وذلك أنَّ قطع العظم لا يكون إلَّا بشدَّةٍ، ومُحالٌ أن يسهوَ أحدٌ عنها، والقطع على المفصل لا يتهيَّأ إلَّا بتلطُّفٍ لا بُدَّ أن يُقصَد، والَّذي يُشبِه أنَّهنَّ حملن على أيديهنَّ الحمل الَّذي كنَّ يحملنه قِبَل المُتْك[2] فكان ذلك حزًّا، وهذا قول الجماعة.

وضُوعِّفت الطَّاء في (قَطَّعْنَ) لكثرتهنَّ وكثرة الحزِّ، فرُبَّما كان مرارًا[3].

وقال الألوسيُّ: {وَقَطَّعْنَ أَيْدِيَهُنَّ} أي: جرحنها بما في أيديهنَّ من السَّكاكين لفرط دهشتهنَّ وخروج حركات جوارحهنَّ عن منهاج الاختيار حتَّى لم يعلمن بما عملن ولم يشعرن بألم ما نالهنَّ، وهذا كما تقول: كنتُ أقطِّع اللَّحم فقطعت يدي، وهو معنًى حقيقيٌّ للتَّقطيع عند بعض، وفي الكشف أنَّه معنًى مجازيٌّ على الأصحِّ.

والتَّضعيف للتَّكثير؛ إمَّا بالنِّسبة لكثرة القاطعات، وإمَّا بالنِّسبة لكثرة القطع في يد كلِّ واحدةٍ منهنَّ.

وأخرج ابن المنذر وغيره عن مجاهدٍ أنَّه فسَّر التَّقطيع بالإبانة، والمعنى الأوَّل أسرع تبادرًا إلى الذِّهن[4].

---

(١) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ٢٧).

(٢) الأُتْرُجّ، وقُرِئ: وأعتدت لهنا مُتْكًا.

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٢٣٩).

(٤) «روح المعاني» (٦/ ٤٢٠).

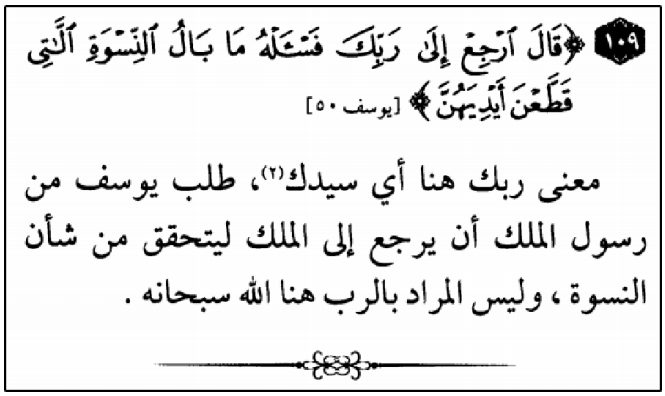

١٠٩ لم يُطلقوا الرَّبَّ إلَّا في الله وحدَه، وهو في غيره على التَّقيد بالإضافة[١].

ومعروفٌ في اللُّغة أن يُقال للسَّيِّد رَبٌّ[٢].

* قال الطَّبريُّ: {قال ارجع إلى ربِّك} يقول: قال يوسف للرَّسول: ارجع إلى سيِّدك[٣].

وقال البغويُّ: يعني: سيِّدك المَلِك[٤].

وقال الواحديُّ: أي: عند المَلِك صاحبك، والرَّبُّ هاهنا بمعنى السَّيِّد[٥].

(١) «الكشَّاف» (١/ ١٠).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٩/ ١٩٤).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١٦/ ١٣٣).

(٤) «تفسير البغويّ» (٤/ ٢٤٨).

(٥) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ١٢٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

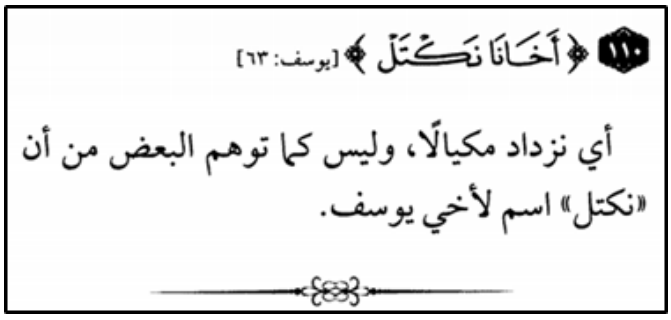

(١١٠) {فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [يوسف: ٦٣]

(نَكْتَلْ) الأصل (نَكْتَالُ)، فحُذِفت الضَّمَّة من اللَّام للجزم[١]، وحُذِفت الألف لالتقاء السَّاكنين[٢].

وقرأ ابن كثيرٍ ونافعٌ وأبو عمرٍو وعاصمٌ وابن عامرٍ: (نكتل) بالنُّون.

وقرأ حمزة، والكِسائيُّ: (يكتل) بالياء.

والمعنى: إنْ أرسلته معنا اكْتَلْنَا، وإلَّا فقد مُنعنا الكَيْل[٣].

قال الطبريُّ: يقول تعالى ذكره: فلمَّا رجع إخوة يوسف إلى أبيهم {قالوا يا أبانا مُنِع منَّا الكيل فأرسل معنا أخانا نكتل} يقول: مُنع منَّا الكيل فوق الكيل الَّذي كِيلَ لنا، ولم يكِلْ لكلِّ رجُلٍ منَّا إلَّا كيل بعيرٍ، {فأرسل معنا أخانا} بنيامين يكتل لنفسه كيلَ بعيرٍ آخر زيادةً على كيل أباعِرِنا، {وإنَّا له لحافظون} من أن يناله مكروهٌ في سفره[٤].

* قال الشَّيخ ابن عثيمين: هناك أسماءٌ بدأت تظهر على السَّاحة لا سيَّما في النِّساء وهي غريبةٌ، وقد ذكر بعض النَّاس رجلًا سمَّى ولده (نكتل) فقيل له لماذا؟

قال: لأنَّ هذا أخو يوسف، {فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا نَكْتَلْ}.

وهذا من الجهل فهم يريدون أن يتبرَّكوا بالأسماء الموجودة في القرآن الكريم، فيختطفون ولا يُفكِّرون ولا يُقدِّرون[٥].

---

(١) يعني: في جواب الطَّلَب.

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٩/ ٢٢٤).

(٣) «زاد المسير» (٢/ ٤٥٤).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (١٦/ ١٥٨).

(٥) «الشَّرح الممتع» (٧/ ٤٩٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

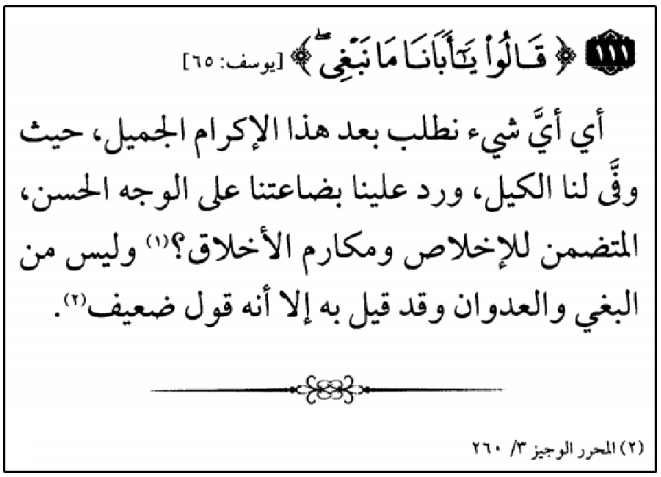
﴿١١١﴾ ﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا نَبْغِي﴾ [يوسف: ٦٥]

أي أيَّ شيء نطلب بعد هذا الإكرام الجميل، حيث وفَّى لنا الكيل، ورد علينا بضاعتنا على الوجه الحسن، المتضمن للإخلاص ومكارم الأخلاق؟[١] وليس من البغي والعدوان وقد قيل به إلا أنه قول ضعيف[٢].

(٢) المحرر الوجيز ٣/ ٢٦٠

﴿١١١﴾ عزا المعدُّ القول بضعف تفسير (نبغي) هنا بالبغي والعدون إلى المحرَّر الوجيز، وهذا نصُّ كلام ابن عطيَّة رحمه الله:

{ما نَبْغِي} يحتمل أن تكون (ما) استفهامًا، قاله قتادة. ونَبْغِي من البُغيَة، أي: ما نطلب بعد هذه التَّكرمة؟ هذا مالنا رُدَّ إلينا مع مِيرَتِنا؟!

قال الزَّجَّاج: ويُحتمل أن تكون (ما) نافيةً، أي: ما بقي لنا ما نطلب.

ويُحتمل أيضًا أن تكون نافيةً، ونَبْغِي من البغي، أي: ما تعدَّينا فكذبنا على هذا الملك، ولا في وصف إجماله وإكرامه، هذه البضاعة مردودة[١].

فعدَّه قولًا محتمَلًا لا ضعيفًا! فلا أدري أين وقف المعدُّ على ضعف هذا القول؟ وما وجه ضعفه؟

* وأكتفي بإيراد بعض أقوال المفسِّرين في كونه وجهًا محتمَلًا في تفسير الآية:

قال الماورديُّ: {قالوا يا أبانا ما نبغي} فيه وجهان:

أحدهما: أنَّه على وجه الاستفهام بمعنى: ما نبغي بعد هذا الَّذي قد عاملنا به؟ قاله قتادة.

الثَّاني: معناه: ما نبغي بالكذب فيما أخبرناك به عن المَلِك، حكاه ابن عيسى[٢].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٢٦٠).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٥٧).

وقال الزَّمخشري: {ما نَبْغِي} للنَّفي، أى: ما نبغى في القول، وما نتزيَّد فيما وصفنا لك من إحسان المَلِك وإكرامه، وكانوا قالوا له: إنَّا قدمنا على خير رجلٍ، أنزلنا وأكرمنا كرامةً لو كان رجلًا من آل يعقوب ما أكرمنا كرامته.

أو ما نبتغى شيئًا وراء ما فعل بنا من الإحسان.

أو على الاستفهام، بمعنى: أيَّ شيءٍ نطلب وراء هذا[1]؟

وقال أبو حيَّان: {وما نبغي} (ما) فيه استفهاميَّةٌ، أي: أيَّ شيءٍ نبغي ونطلب من الكرامة، هذه أموالنا رُدَّتْ إلينا، قاله قتادة...

وقال الزَّجَّاج: يحتمل أن تكون (ما) نافيةً، أي: ما بقي لنا ما نطلب.

ويحتمل أيضًا أن تكون نافيةً من البَغْي أي: ما افترينا فكذبنا على هذا المَلِك، ولا في وصف إجماله وإكرامه، هذه البضاعة مردودة...

وقيل: معناه ما نريد منك بضاعةً أخرى[2].

* وأضاف بعض المفسِّرين إلى وجه تفسير {نبغي} بالبَغْي معانيَ أُخر غير البَغْي في القول بالكذب على المَلِك:

قال ابن جُزَيٍّ: ويحتمل أن تكون (ما) نافيةً، و(نبغي) من البغي: **أي: لا نتعدَّى على أخينا**، ولا نكذب على المَلِك[3].

وقال أبو السُّعود: **(ما نبغي) في الرَّأي، وما نعدل عن الصَّواب فيما نشير به عليك من إرسال أخينا معنا**[4].

(١) «الكشَّاف» (٢/ ٤٨٦). ويُنظر «أنوار التَّنزيل» (٣/ ١٦٩).

(٢) «البحر المحيط» (٦/ ٢٩٦).

(٣) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (١/ ٣٩١).

(٤) «تفسير أبي السُّعود» (٤/ ٢٩١).

﴿ فَلَمَّا جَهَّزَهُم بِجَهَازِهِمْ ﴾ [يوسف: ٧٠]

الجهاز ليس المراد به الآلات التقنية المعروفة كما توهم بعضهم، وإنما الجهاز هنا -بفتح الجيم وكسرها- الطعام الذي أخذوه من عند يوسف عليه السلام[٣].

(١١٢) قال الرَّاغب: الجَهَاز: ما يُعَدُّ من متاعٍ وغيره، والتَّجهيز: حمل ذلك أو بعثه[١].

وقال السَّمعانيُّ: الجَهَاز: هو فاخر المتاع الَّذي يُنقل من بلدٍ إلى بلدٍ؛ ومعنى التَّجهيز هاهنا: هو أنَّه باع منهم الطَّعام وسلَّمه إليهم وسهَّل لهم الرُّجوع إلى بلدهم[٢].

وقال ابن الجوزيّ: {وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ بِجَهازِهِمْ} يُقال: جَهَّزت القوم تجهيزًا: إذا هيَّأت لهم ما يُصلحهم، وجَهَاز البيت: متاعُه. قال المفسِّرون: حمَّل لكلِّ رجلٍ منهم بعيرًا[٣].

وقال القرطبيُّ: يُقال: جَهَّزتُ القوم تجهيزًا، أي: تكلَّفت لهم بجَهازهم للسَّفر، **وجَهَاز العَروس ما يُحتاج إليه عند الإهداء إلى الزَّوج، وجَوَّز بعض الكُوفيّين الجِهَاز بكسر الجيم.** والجَهَاز في هذه الآية: الطَّعام الَّذي امتاروه من عنده[٤].

* ولا شكَّ أنَّ الجهاز التِّقنيَّ الحديث ليس مرادًا؛ لأنَّه لم يكن موجودًا أصلًا في زمان يوسف عليه السَّلام!

وأمَّا تسميته جهازًا فلكونه متاعًا يُحتاج إليه في البيوت، وتُجهَّز به العروس، والمتاع يتفاوت من عصر لعصرٍ، فجهاز زمن الجاهليَّة غير جهاز اليوم.

---

(١) «المفردات» (ص: ٢٠٩).

(٢) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ٤٣).

(٣) «زاد المسير» (٢/ ٤٥٢).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٩/ ٢٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١١٣﴾ ﴿وَلِمَن جَآءَ بِهِۦ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا۠ بِهِۦ زَعِيمٌ﴾ [يوسف:٢٧]

زعيم أي كفيل وضامن[١]، وليست الزعامة هنا بمعنى الرياسة والسيادة.

﴿١١٣﴾ قال الطَّبريُّ: {وأنا به زعيمٌ} يقول: وأنا بأنْ أُوفِيَه حملَ بعيرٍ من الطَّعام إذا جاءني بصواع الملك كفيلٌ.

وساق ذلك بإسناده إلى ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبيرٍ، وقتادة، والضَّحَّاك، ومجاهدٍ، وغيرهم.

ثمَّ قال: **وأصل (الزَّعيم) في كلام العرب: القائم بأمر القوم**، وكذلك (الكفيل) و(الحميل). ولذلك قيل: رئيس القوم زعيمُهم ومدبِّرهم. يُقال منه: قد زَعُم فلانٌ زعامةً وزَعامًا، ومنه قول ليلى الأخيليَّة:

حَتَّى إذَا بَرَزَ اللِّوَاءُ رَأَيْتَهُ .:. تَحْتَ اللِّوَاءِ عَلَى الخَمِيسِ زَعِيمَا[١]

وقال السَّمعانيُّ: وقوله: {وَأَنا بِهِ زعيمٌ} أي: كفيلٌ، والزَّعيم والكَفِيل والضَّمينُ بمعنًى واحدٍ، **ويُسمَّى الرَّئيس زعيمًا؛ لأنَّه كَفَل أمور القوم**، زعيمٌ يقوم بمصالحهم ويتكلَّم عنهم[٢].

وقال ابن عطيَّة: والزَّعيم: الضَّامن في كلام العرب، **ويُسمَّى الرَّئيس زعيمًا؛ لأنَّه يتضمَّن حوائج النَّاس**[٣].

وقال ابن فارسٍ: (زعم) الزَّاء والعين والميم أصلان: أحدهما: القول من غير صحَّةٍ ولا يقينٍ، والآخر: التَّكفُّل بالشَّيء.

فالأول: الزَّعْم والزُّعْم. وهذا القول على غير صحَّةٍ. قال الله جلَّ ثناؤه: {زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا} [التغابن: ٧]...

والأصل الآخر: زَعَمَ بالشَّيء، إذا كَفَلَ به. قال:

تُعَاتِبُنِي فِي الرِّزْقِ عِرْسِي وَإِنَّمَا .:. عَلَى اللهِ أَرْزَاقُ الْعِبَادِ كَمَا زَعَمْ

أي: كما كَفَلَ.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٦/ ١٧٨).

(٢) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ٥٠).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٢٦٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن الباب الزَّعامة، وهي السِّيادة؛ لأنَّ السَّيِّد يزعم بالأمور، أي: يتكفَّل بها. وأصدق من ذلك قول الله جلَّ ثناؤه: {قَالُوا نَفْقِدُ صُوَاعَ الْمَلِكِ وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ حِمْلُ بَعِيرٍ وَأَنَا بِهِ زَعِيمٌ} [يوسف: ٧٢][(١)].

* فظهر ممَّا سبق أنَّ الزَّعامة بمعنى السِّيادة مأخوذةٌ من كفالة أمور النَّاس وضمان حوائجهم، وقد كان المُتكفِّل والضَّامن بحمل البعير رئيسَ فتيان يوسف وكبيرهم أيضًا.

قال الحوفيُّ: **ولهذا جاء الخبر عن واحدٍ في قوله: {وَلِمَنْ جَاءَ بِهِ} وهم جماعةٌ؛ لأنَّه قصد الرَّئيس والقيِّم بأمرهم**[(٢)].

فالَّذي قال: {وأنا به زعيمٌ} واحدٌ من (المُقْبِلين)، **وهو كبيرهم**[(٣)].

فلعلَّ من بلاغة التَّعبير القُرآنيّ بكلمة (زعيمٍ) الجمع بين معنى الكفالة والضَّمان، وهو المعنى الظَّاهر المتبادر، ومعنى الرِّئاسة والسِّيادة.

(١) «مقاييس اللُّغة» (زعم).

(٢) «البرهان في علوم القرآن» (ص: ٢٦٩).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٣/ ٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١١٤﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَصِلُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ﴾ [الرعد ٢١]

يظن بعض الناس أن المراد بالذي أمر الله به أن يوصل هو الرحم فحسب ، والصواب أنه أعم ، قال ابن سعدي : «وهذا عام في كل ما أمر الله بوصله، من الإيمان به وبرسوله، ومحبته ومحبة رسوله ﷺ، والانقياد لعبادته وحده لا شريك له، ولطاعة رسوله ﷺ، ويصلون آباءهم وأمهاتهم ببرهم بالقول والفعل وعدم عقوقهم، ويصلون الأقارب والأرحام، بالإحسان إليهم قولا وفعلا ويصلون ما بينهم وبين الأزواج والأصحاب والمماليك، بأداء حقهم كاملا موفرا من الحقوق الدينية والدنيوية»[٢].

﴿١١٤﴾ قال ابن عبَّاسٍ: يريد الإيمان بالأنبياء، يعني: يصل بينهم بالإيمان بالجميع، كما قال في الخبر عن المؤمنين: {لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ} [البقرة: ٢٨٥].

وقال أكثر المفسِّرين: يريد صلة الأرحام[١].

قال البغويُّ: قيل: أراد به الإيمان بجميع الكُتُب والرُّسُل ولا يُفرِّقون بينهما.

والأكثرون على أنَّه أراد به صلة الرَّحم[٢].

وقال القرطبيُّ: {مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} ظاهرٌ في صلة الأرحام، وهو قول قتادة وأكثر المفسِّرين، وهو مع ذلك يتناول جميع الطَّاعات[٣].

وقال الشَّوكانيُّ: {وَالَّذِينَ يَصِلُونَ مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ} ظاهره شمول كلِّ ما أمر الله بصلته ونهى عن قطعه من حقوق الله وحقوق عباده، ويدخل تحت ذلك صلة الأرحام دُخولًا أوَّليًّا، **وقد قصره كثيرٌ من المفسِّرين على صلة الرَّحم، واللَّفظ أوسع من ذلك**[٤].

وقال ابن عاشورٍ: وما أمر الله به أن يوصل عامٌّ في جميع الأواصر والعلائق الَّتي أمر الله بالمودَّة والإحسان لأصحابها، فمنها آصرة الإيمان، ومنها آصرة القرابة، **وهي صلة الرَّحم، وقد اتَّفق المفسِّرون على أنَّها مراد الله هنا**[١].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٣٣٩).

(٢) «تفسير البغويّ» (٤/ ٣١٠).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (٩/ ٣١٠). وأصله في «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٣٠٩).

(٤) «فتح القدير» (٣/ ٩٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* فمن ذكر أنَّ المراد بهذه الآية هو صلة الرَّحم هم جمهور المفسِّرين، وليس بعض عوامِّ النَّاس.

وكون بعض المفسِّرين رأى أنَّ الأولى أن تكون الآية عامَّةً في جميع ما يُمكن أن يُوصل من أمر الله، لا يعني أنَّ من قَصَر معنى الآية على ما حمله عليه الجمهور مُخطئٌ أبدًا، بل أقصى ما يُقال أنَّه خالف ما ترجَّح أنَّه الأولى.

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٣/ ١٢٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١١٥ ﴿وَمَا ٱلْحَيَوٰةُ ٱلدُّنْيَا فِى ٱلْءَاخِرَةِ إِلَّا مَتَٰعٌ﴾ [الرعد: ٢٦]

ليس المراد بالمتاع أي المُتعة واللذّة كما فهم بعضهم، بل معنى المتاع أي الشيء الحقير التافه[١].

(١) تفسير ابن سعدي ١/ ٤١٧

١١٥ {وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مَتَاعٌ} أي: في حياة الآخرة، يعني بالقياس إليها.

قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: ما في الدُّنيا يذهب ويبيد، وهو قليلٌ.

وقال مجاهدٌ: أي: قليلٌ ذاهبٌ.

وقال الكلبيُّ: كالشَّيء الَّذي يُتمتَّع به ثمَّ يفنى ويذهب، مثل: القَصْعة والقِدْر والقَدَح يُنتفع بها ثمَّ يذهب[١].

قال الرَّاغب: **كلُّ ما يُنتفع به على وجهٍ ما فهو مَتَاعٌ ومُتْعَةٌ**، وعلى هذا قوله: {وَلَمَّا فَتَحُوا مَتَاعَهُمْ} [يوسف: ٦٥] أي: طعامهم، فسمَّاه مَتَاعًا، وقيل: وعاءهم، وكلاهما متاعٌ[٢].

قال ابن عطيَّة: **المتاع: ما يُتمتَّع به ممَّا لا يبقى**، وقال الشَّاعر: [الوافر]

تَمَتَّعْ يا مُشَعَّثُ إنَّ شَيْئًا .:. سَبَقْتَ بِهِ المَمَاتَ هُوَ المَتَاعُ[٣]

وقال البيضاويُّ: {إِلَّا مَتَاعٌ} إلَّا متعةٌ لا تدوم، كعُجالة الرَّاكب وزاد الرَّاعي، والمعنى: أنَّهم أَشِرُوا بما نالوا من الدُّنيا ولم يصرفوه فيما يستوجبون به نعيم الآخرة، واغترُّوا بما هو في جنبه نزرٌ قليل النَّفع سريع الزَّوال[٤].

وفي الجلالين {إِلَّا مَتَاع} شيءٌ قليلٌ يُتمتَّع به ويذهب[٥].

وقال ابن عاشورٍ: **والمتاع: ما يُتمتَّع به وينقضي، وتنكيره للتَّقليل**، كَقَوْلِهِ: {لَا يَغُرَّنَّكَ تَقَلُّبُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي الْبِلَادِ * مَتَاعٌ قَلِيلٌ}[١].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٣٤٤).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٥٧).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٣١١).

(٤) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ١٨٧).

(٥) «تفسير الجلالين» (ص: ٣٢٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* فمعنى الاستمتاع في (المتاع) ظاهرٌ، وجاء التَّنكير ليدلَّ على أنَّ هذا المتاع في نفسه حقيرٌ، وأنَّه أيضًا قليل البقاء زائل.

فنفيُ المعدِّ لمعنى المتعة عن (المتاع) مستغربٌ، وعزوه ذلك لتفسير السَّعديِّ أغرب، فهذا نصُّ كلامه رحمه الله:

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الآخِرَةِ إِلا مَتَاعٌ} أي: شيءٌ حقيرٌ **يُتمتَّع به قليلًا**، ويُفارق أهله وأصحابه، ويُعقِبُهم ويلًا طويلًا[٢].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٣/ ١٣٥).

(٢) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٤١٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١١٦﴾ ﴿مَّآ أَنَا۠ بِمُصْرِخِكُمْ وَمَآ أَنتُم بِمُصْرِخِيَّ﴾ [إبراهيم: ٢٢]

أي لست بمغيثكم ومنقذكم[٢]، وليس معناها مناديكم من الصراخ والنداء.

﴿١١٦﴾ قال ابن عبَّاسٍ: يريد: بمُغيثِكم ولا مُنقذِكم. **وهو قول الجميع.**

وقال ابن الأعرابيّ: الصَّارخ: المُستَغيث، والمُصرِخ: المُغِيث، يُقال: صرخ فلانٌ، إذا استغاث وقال: واغوْثاه، وأصرختُه: أغثته[١].

وقال ابن عاشورٍ: الإصراخ: الإغاثة، اشتُقَّ من الصُّراخ؛ لأنَّ المُستغِيث يصرخ بأعلى صوته، فقيل: أصرخه، إذا أجاب صراخه، كما قالوا: أعتبه، إذا قبل استعتابه[٢].

وقال الألوسيُّ: يُقال: استصرخني فأصرخته أي: استغاثني فأغثته، وأصله من الصُّراخ وهو مدُّ الصَّوت، والهمزة للسَّلب، كأنَّ المُغيث يُزيل صراخ المستغيث[٣].

* فالصُّراخ ومدُّ الصَّوت بطلب الاستغاثة أصل هذا المعنى، فالصَّارخ: مُستغيثٌ، والمُصرِخ: مُغيثٌ.

(١) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٤٥٣).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١٣/ ٢٢٠).

(٣) «روح المعاني» (٧/ ١٩٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١١٧﴾ ﴿مِن قَبْلِ أَن يَأْتِيَ يَوْمٌ لَّا بَيْعٌ فِيهِ وَلَا خِلَالٌ﴾

[إبراهيم٣١]

ليس المراد بالبيع أي المعاوضات التجارية بشكل عام كما فهم بعض الناس، إنما المراد به أنه لا يقبل من أحد فدية بأن تباع نفسه فيخلصها من العذاب[٣].

﴿١١٧﴾ قال أبو عُبيدة: البيع هاهنا: الفداء، والخلال: المخالَّة.

قال مقاتلٌ: إنَّما هو يومٌ **لا بيعٌ فيه ولا شراءٌ**، ولا مخالَّةٌ ولا قرابةٌ، إنَّما هي أعمالٌ يُثاب بها قومٌ ويُعاقب عليها آخرون[١].

قال الماورديُّ: فيه تأويلان:

أحدهما: معناه لا فِديةٌ ولا شفاعةٌ للكافر.

الثَّاني: أنَّ معنى قوله {لا بيع} **أي: لا تُباع الذُّنوب ولا تُشتري الجنَّة**[٢].

وقال البيضاويُّ: **{لا بَيْعٌ فِيهِ} فيبتاع المقصِّر ما يتدارك به تقصيره**، أو يفدي به نفسه[٣].

وقال ابن عاشور: وهذا كنايةٌ عن عظيم منافع إقامة الصَّلاة والإنفاق قبل يوم الجزاء عنهما، حين يتمنَّون أن يكونوا ازدادوا من ذَيْنِك؛ لما يسرُّهم من ثوابهما فلا يجدون سبيلًا للاستزادة منهما، **إذ لا بيع يومئذٍ فيُشترى الثَّواب**، ولا خلالٌ من شأنها الإرفاد والإسعاف بالثَّواب[٤].

وقال الألوسيُّ: {مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لا بَيْعٌ فِيهِ} **فيبتاع المُقصِرّ فيه ما يتلافى به تقصيره**، أو يفتدي به نفسَه، **والمقصود- كما قال بعض المحقِّقين- نفي عقد المعاوضة بالمرَّة**.

وتخصيص البيع بالذِّكر للإيجاز مع المبالغة في نفي العَقْد؛ إذ انتفاء البيع يستلزم انتفاء الشَّراء على أبلغ وجهٍ، وانتفاؤه ربَّما يُتصوَّر مع تحقق الإيجاب من البائع. انتهى.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٤٧٨).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٣/ ١٣٧).

(٣) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ١٩٩).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (١٣/ ٢٣٣).

وقيل: إنَّ البيع كما يُستعمل في إعطاء المُثمَن وأخذ الثَّمن وهو المعنى الشَّائع، يُستعمل في إعطاء الثَّمن وأخذ المُثمَن وهو معنى الشَّراء، وعلى هذا جاء قوله صلَّى الله عليه وسلم: «لا يبيعنَّ أحدكم على بيع أخيه»، ولا مانع من إرادة المعنيين هنا. فإن قلنا بجواز استعمال المشترَك في معنيَيْه مطلقًا كما قال به الشَّافعيَّة أو في النَّفي كما قال به ابن الهمام فذاك، وإلَّا احتجنا إلى ارتكاب عموم المجاز، **فكأنَّه قيل: لا معاوضة فيه**[1].

* فالقول بأنَّ المراد بالبيع هنا هو البيع والشِّراء أو عقود المعاوضة عمومًا مُحتمَلٌ جدًّا، ولا وجه لتخطئته!

(١) «روح المعاني» (٧/ ٢٠٩). ويُنظر «تفسير أبي السُّعود» (٥/ ٤٦).

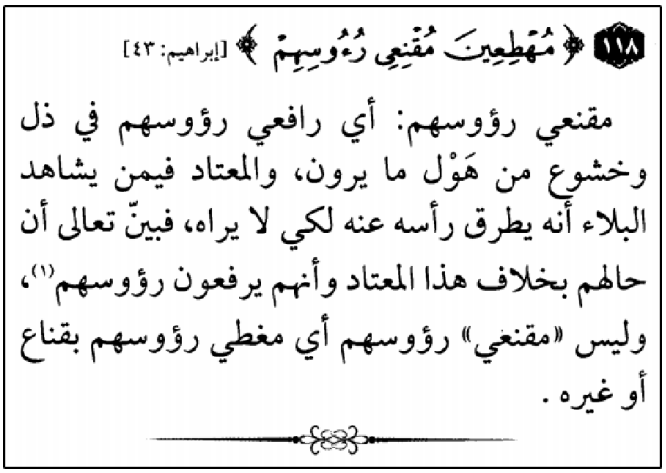

١١٨ {مُقْنِعِي رُءُوسِهِمْ} قال ابن عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ وغيرُ واحدٍ: رافعي رُؤوسهم(١).

قال الطَّبريُّ: إقْناع الرَّأس: رفعه، ومنه قول الشَّمَّاخ:

يُباكِرْنَ العِضَاةَ بمُقْنَعاتٍ .:.
نَوَاجِذُهُنَّ كالحِدَأِ الوَقيعِ

يعني: أَنَّهنَّ يُباكرن العضاة بُرؤوسهنَّ مرفوعاتٍ إليها لتتناول منها، ومنه أيضًا قول الرَّاجز:

أنْغَضَ نحْوِي رأسَهُ وأقْنَعَا .:. كأنَّما أَبْصَرَ شيْئًا أطْمَعا(٢)

وقال ابن الجوزيّ: في قوله تعالى: {مُقْنِعِي رُؤُوسِهِمْ} قولان:

أحدهما: رافعي رؤوسهم، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال مجاهدٌ، وسعيد بن جُبيرٍ، وقتادة، وأبو عُبيدة...

والثَّاني: ناكسي رؤوسِهم، حكاه الماورديُّ عن المؤرّج(٣).

قال ابن عطيَّة: و(المُقْنِع) هو الَّذي يرفع رأسه قُدُمًا بوجهه نحو الشَّيء...

وقال الحسن في تفسير هذه الآية: وجوه النَّاس يوم القيامة إلى السَّماء لا ينظر أحدٌ إلى أحدٍ.

وذكر المبرِّد -فيما حُكي عن مكّيٍّ- أنَّ الإقناع يوجد في كلام العرب بمعنى خفض الرَّأس من الذِّلَّة.

قال القاضي أبو محمَّدٍ [هو ابن عطيَّة]: والأوَّل أشهر(٤).

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥١٥).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٣١).

(٣) «زاد المسير» (٢/ ٥١٧).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٣٤٤).

قال الألوسي: {مُقْنِعِي رُؤُسِهِمْ} رافعيها مع الإقبال بأبصارهم إلى ما بين أيديهم من غير التفاتٍ إلى شيءٍ، قاله ابن عرفة، والقُتيبيُّ... ويُقال: أقنع رأسه نكَّسَه وطأطأه، فهو من الأضداد، قال المبرِّد: وكونه بمعنى رفعٍ أعرف في اللُّغة. اهـ.

وقيل: ومن المعنى الأوَّل قَنَع الرَّجُل: إذا رضي بما هو فيه، كأنَّه رفع رأسه عن السُّؤال.

وقد يُقال: إنَّه من الثَّاني، كأنَّه طأطأ رأسه ولم يرفعه للسُّؤال، ولم يستشرف إلى غير ما عنده[1].

(١) «روح المعاني» (٧/ ٢٣١).

﴿١١٩﴾ ﴿إِلَّا وَلَهَا كِتَابٌ مَّعْلُومٌ﴾ [الحجر: ٤]

أي لها أجل مقدر ومدة معروفة لا نهلكهم حتى يبلغوها[٢]. وليس المراد هنا أن لها كتابًا يُقرأ.

﴿١١٩﴾ أخرج ابن أبي حاتمٍ عن مُجاهدٍ ﷺ في قوله: {وَمَا أهلكنا من قَرْيَة إِلَّا وَلها كتابٌ مَعْلُومٌ} قال: أجلٌ معلومٌ[١].

أي: أجلٌ مُؤقَّتٌ كُتب لهم في اللَّوح المحفوظ[٢].

وقال الزَّمخشريُّ: مكتوبٌ معلومٌ، وهو أجلُها الَّذي كُتب في اللَّوْح وبُيِّن[٣].

وقال الألوسيُّ: (كِتابٌ): أجلٌ مُقدَّرٌ مكتوبٌ في اللَّوح، (مَعْلُومٌ): لا يُنسى ولا يُغفل عنه حتَّى يُتصوَّر التَّخلُّف عنه بالتَّقدُّم والتَّأخُّر[٤].

فأصل الكتاب: (فِعَال) بمعنى (مفعول)، وإتيان (الفِعَال) بمعنى (المفْعُول) مسموعٌ في لغة العرب في كلماتٍ غير كثيرةٍ، ككتابٍ بمعنى مكتوبٍ، ولباسٍ بمعنى ملبوسٍ، وإلهٍ بمعنى مَأْلُوهٍ، أي: معبودٍ، ونحو ذلك في أوزانٍ غير كثيرة[٥].

(١) «الدُّرُّ المنثور» (٥/ ٦٦).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٠/ ٣).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٥٧٠).

(٤) «روح المعاني» (٧/ ٢٥٧).

(٥) «العذب النَّمير» (٢/ ٥٢٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٢٠) ﴿ قَالَ رَبِّ فَأَنظِرْنِيٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴾ [الحجر: ٣٦]

بمعنى أخّرني وأمهلني إلى يوم القيامة [٣]، وليس المراد انظُر إليّ. ومثله قوله تعالى: ﴿فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ ٱلسَّمَآءُ وَٱلْأَرْضُ وَمَا كَانُوا۟ مُنظَرِينَ﴾ أي مؤخَّرين[١]، وقوله: ﴿فَنَظِرَةٌ إِلَىٰ مَيْسَرَةٍ﴾ أي تأخير وإمهال[٢].

(١٢٠) مادة (نَظَرَ) بمعنى الانتظار أو التَّأخير كثيرةٌ في القرآن، فمنها:

{وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ} [ص: ١٥] وما ينتظر قومُك أو الأحزابُ[١].

{وَإِنْ كَانَ ذُو عُسْرَةٍ فَنَظِرَةٌ إِلَى مَيْسَرَةٍ} [البقرة: ٢٨٠] النَّظِرة بكسر الظَّاء: الانتظار[٢].

{اذْهَبْ بِكِتَابِي هَذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَانْظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ} [النمل: ٢٨] أي: تأمَّل واستحضره في ذهنك. وقيل معناه: فانتظر[٣].

{يَوْمَ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالْمُنَافِقَاتُ لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا نَقْتَبِسْ مِنْ نُورِكُمْ قِيلَ ارْجِعُوا وَرَاءَكُمْ فَالْتَمِسُوا نُورًا} [الحديد: ١٣] (انْظُرُونا نَقْتَبِسْ) قراءة العامَّة بوصل الألف مضمومة الظَّاء من نَظَرَ، والنَّظر: الانتظار، أي: انتظرونا.

وقرأ الأعمش وحمزة ويحيى بن وَثَّابٍ (أنْظِرُونا) بقطع الألف وكسر الظَّاء من الإنظار، أي: أمهلونا وأخِّرونا[٤].

{قُلِ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ كِيدُونِ فَلَا تُنْظِرُونِ} [الأعراف: ١٩٥] فلا تُؤخِّرون بالكيد والمكر، ولكن عجِّلوا بذلك[٥].

---

(١) «أنوار التَّنزيل» (٥/ ٢٦).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٣/ ٩٥).

(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٢٣٣).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (١٧/ ٢٤٥).

(٥) «تفسير الطَّبريّ» (١٣/ ٣٢٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

{فَأَجْمِعُوا أَمْرَكُمْ وَشُرَكَاءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ اقْضُوا إِلَيَّ وَلَا تُنْظِرُونِ} [يونس: ٧١] رُوي عن ابن عبَّاسٍ قال: امضُوا إليَّ ولا تُؤخِّرون[١].

{فَكِيدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ} [هود: ٥٥] ثمَّ لا تُؤخِّرون ذلك[٢].

{قَالَ أَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ * قَالَ إِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ} [الأعراف: ١٤، ١٥] أي: أخِّرني إلى يوم البعث[٣].

{خَالِدِينَ فِيهَا لَا يُخَفَّفُ عَنْهُمُ الْعَذَابُ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [البقرة: ١٦٢] [آل عمران: ٨٨] أي: لا يُؤخَّرون عن العذاب وقتًا من الأوقات[٤].

{قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ} [السجدة: ٢٩] ولا هم يُؤخَّرون للتَّوبة والمراجعة[٥].

{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ} [الأحزاب: ٥٣] يعني: غير منتظرين إدراكه وبلوغه[٦].

{كَذَلِكَ سَلَكْنَاهُ فِي قُلُوبِ الْمُجْرِمِينَ * لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوُا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ * فَيَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ * فَيَقُولُوا هَلْ نَحْنُ مُنْظَرُونَ} [الشعراء: ٢٠٠ - ٢٠٣] أي: مُؤخَّرون ومُمهَلون[٧].

{فَمَا بَكَتْ عَلَيْهِمُ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ وَمَا كَانُوا مُنْظَرِينَ} [الدخان: ٢٩] وما كانوا مؤخَّرين بالعقوبة التي حلَّت بهم، ولكنَّهم عوجلوا بها إذ أسخطوا ربَّهم عزَّ وجلَّ عليهم[٨].

---

(١) «تفسير القُرطبيّ» (٨/ ٣٦٤).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٥/ ٣٦١).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٤٧).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٢/ ١٩٠).

(٥) «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ١٩٩).

(٦) «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ٣٠٥).

(٧) «تفسير القُرطبيّ» (١٣/ ١٤٠).

(٨) «تفسير الطَّبريّ» (٢٢/ ٣٦).

{مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ} [يس: ٤٩] أي: ما ينتظرون إلَّا صيحةً واحدةً، وهذه -والله أعلم- نفخة الفزع، يُنفخ في الصُّور نفخة الفزع، والنَّاس في أسواقهم ومعايشهم يختصمون ويتشاجرون على عادتهم(١).

* وجميع (هل يَنْظُرون) بمعنى الانتظار، وهنَّ خمس آيات:

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ يَأْتِيَهُمُ اللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِنَ الْغَمَامِ وَالْمَلَائِكَةُ وَقُضِيَ الْأَمْرُ وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ} [البقرة: ٢١٠] نَظَرْتُه وانتَظَرْتُه بمعنًى. والنَّظر: الانتظار(٢).

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ} [الأنعام: ١٥٨] هل ينتظر هؤلاء العادلون بربِّهم الأوثانَ والأصنامَ إلَّا أن تأتيهم الملائكة(٣).

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُ يَقُولُ الَّذِينَ نَسُوهُ مِنْ قَبْلُ قَدْ جَاءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِالْحَقِّ} [الأعراف: ٥٣] أي: هل ينتظرون إلَّا ما وُعِدوا به في القُرآن من العقاب والحساب.

وقيل: (يَنْظُرُونَ) من النَّظر إلى يوم القيامة(٤).

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمُ الْمَلَائِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ أَمْرُ رَبِّكَ كَذَلِكَ فَعَلَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَمَا ظَلَمَهُمُ اللَّهُ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ} [النحل: ٣٣] هل ينتظر هؤلاء إلَّا الملائكة أن تأتيَهم بقبض أرواحهم، قاله قتادة(٥).

{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا السَّاعَةَ أَنْ تَأْتِيَهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ} [الزخرف: ٦٦] أي: هل يرتقب هؤلاء الأحزاب وينتظرون إلَّا السَّاعة أن تأتيَهم بغتةً(٦). (٧)

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٨١).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (٣/ ٢٥).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١٢/ ٢٤٥).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٧/ ٢١٧).

(٥) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٦٩).

(٦) «فتح القدير» (٤/ ٦٤٤).

(٧) ويُنظر أيضًا الفائدة رقم (٥٨).

﴿١٢١﴾ ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾ وَإِنَّهَا لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ ﴿٧٦﴾﴾ [الحجر: ٧٥، ٧٦]

ظن بعضهم أن معنى لَبِسَبِيلٍ مُّقِيم أي أن الآيات على طريق واضح مستقيم، والصحيح أن قرى قوم لوط التي أصابها العذاب مقيمةٌ في طريق قريش إلى الشام[٣].

﴿١٢١﴾ قال ابن عبَّاسٍ: على طريق قومك إلى الشَّام. يُريد: لبسبيلٍ معروفٍ.

وقال قتادة ومجاهدٌ والضَّحَّاك: بطريقٍ واضحٍ. ومعناه: طريقٌ لا يَنْدَرس ولا يخفى، فهو طريقٌ مُقيمٌ للسَّابلة والمارَّة.

ومعنى الآية: أنَّ الاعتبار بها ممكنٌ؛ لأنَّ الآثار الَّتي يُستَدل بها مقيمةٌ ثابتةٌ بها[١].

وقال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: وإنَّ هذه المدينة، مدينة سَدُوم، لبطريقٍ واضحٍ مقيمٍ يراها المجتاز بها لا خفاء بها، ولا يبرح مكانها فيجهل ذو لُبٍّ أمرَها، وغبَّ معصية الله، والكفر به[٢].

وقال السَّمعانيُّ: أَي: بطريقٍ واضحٍ لا يخفى ولا يَنْدَرِس، وسمَّاهُ مُقيمًا لثُبُوت الآيات فيه، وقد كانوا يمرُّون عليها عند مُضيّهم إلى الشَّام ورجوعهم[٣].

* وذهب بعض المفسرين إلى أنَّ الضَّمير في (إنَّها) يحتمل أن يعود إلى الآيات أو إلى الحجارة:

قال النَّحَّاس: {وإنَّها لبسبيلٍ مُقيمٍ} يجوز أن يكون المعنى: وإنَّ الآيات، ويجوز أن يكون المعنى: وإنَّ مدينة قوم لوطٍ[٤].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٦٣٩).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ١٢٢).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ١٤٧).

(٤) «معاني القرآن» (٤/ ٣٥).

وقال مكيُّ بن أبي طالبٍ: أي: وإنَّ سَدُوم المنقلبة بقوم لوطٍ لبطريقٍ واضحٍ يراها المجتاز بها، لا يخفى مكانها.

وقيل: المعنى: **وإنَّ الآيات {لَبِسَبِيلٍ مُّقِيمٍ}، أي: إنَّ في صنيعنا بقومٍ لوطٍ لعلامةً ودلالةً لمن آمن بالله على انتقامه من أهل الكفر.**

وقيل: الهاء تعود على الحجارة، ورُوي عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: «إنَّ الحجارة لموقفةٌ في السَّماء منذ ألفي عامٍ لظالمي أُمَّتي إذا عملوا بأعمال قوم لوطٍ»، وعنه صلَّى الله عليه وسلَّم أنه قال: «سيكون خسفٌ وقذفٌ من السَّماء، وذلك إذا عملوا بأعمال قوم لوطٍ» ثمَّ تلا النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلمَّ الآية إلى {مُّقِيمٍ}[1].

وقال ابن عطيَّة: {وَإِنَّهَا} يحتمل أن يعود على المدينة المهلكة، أي: إنَّها في طريقٍ ظاهر بيِّن للمُعتبِر، وهذا تأويل مجاهدٍ وقتادة وابن زيدٍ.

ويحتمل أن يعود على الآيات.

ويحتمل أن يعود على الحجارة، ويُقوِّي هذا التَّأويل ما رُوي أنَّ النَّبيِّ عليه السَّلام قال: «إنَّ حجارة العذاب مُعلَّقةٌ بين السَّماء والأرض منذ ألفي سنةٍ لعصاة أُمَّتي»[2].

وقال الألوسيُّ: **وقيل: الضَّمير للآيات**، وقيل: للحجارة، وقيل: للصَّيحة، أي: وإنَّ الصَّيحة لبمرصدٍ لمن يعمل عملهم لقوله تعالى: {وَما هِيَ مِنَ الظَّالِمِينَ بِبَعِيدٍ} [هود: ٨٣][3].

---

(١) «الهداية الى بلوغ النِّهاية» (٦/ ٣٩١٨).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٣٧٠). ويُنظر أيضًا «الجواهر الحسان» (٣/ ٤٠٥).

(٣) «روح المعاني» (٧/ ٣١٧).

﴿١٢٢﴾ ﴿وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ﴾ [النحل: ٦]

تُرِيحُونَ: أي حين تعودون بها إلى منازلها وقت الرواح وهو المساء[٤]، وليس معناها حين ترتاحون.

﴿١٢٢﴾ قال الطَّبريُّ: {حِينَ تُرِيحُونَ} يعني: تردُّونها بالعَشِيِّ من مسارحها إلى مَراحِها ومنازلها الَّتي تأوي إليها، ولذلك سُمِّي المكان المَراح، لأنَّها تُراح إليه عشيًّا فتأوي إليه، يُقال منه: أراح فلانٌ ماشيته فهو يُريحها إراحةً. وقوله {وَحِينَ تَسْرَحُونَ} يقول: وفي وقت إخراجكموها غُدوةً من مَراحها إلى مسارحها[١].

وقال السَّمعانيُّ: الرَّواح في الأنعام: هو إذا جاءت من مراعيها إلى أفنية مُلَّاكها عشيًّا، والسَّراح: هو إذا خرجت من الأفنية إلى المراعي بُكْرةً.

فإن قال قائلٌ: لم قدَّم الرَّواح، والسَّراح هو المُقدَّم؟

قلنا: لأنَّ المَالِك يكون أعجب بها إذا راحت؛ ولأنَّ المنافع منها إنَّما تُؤخذ بعد الرَّواح[٢].

وقالَ ابن عاشورٍ: الإراحة: فِعْلُ الرَّوَاح، وهو الرُّجوع إلى المَعَاطِن، يُقال: أراح نَعَمَه إذا أعادها بعد السُّرُوح.

والسُّرُوح: الإِسَامَة، أي: الغُدوُّ بها إلى المراعي. يُقال: سَرَحَها- بتخفيف الرَّاء- سَرحًا وسُرُوحا، وسرَّحَها- بتشديد الرَّاء- تَسْرِيحًا.

وتقديم الإراحة على التَّسريح؛ لأنَّ الجمال عند الإراحة أقوى وأبهج؛ لأنَّها تُقبل حينئذٍ ملأى البطون حافلة الضُّرُوع مرحةً بمَسَرَّة الشَّبَع ومحبَّة الرُّجوع إلى منازلها من مَعَاطن ومَرَابِض[٣].

* فالمَرَاح هو مأوى الأنعام عند عودتها من سَرَاحها، فتأوي إليه وترتاح فيه، فلا يبعُد أن تكون الرَّاحة بمعنى السُّكون والدَّعَة مشتقَّةً من الرَّوَاح.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ١٦٩).

(٢) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ١٦٠).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٤/ ١٠٥).

قال الشَّيخ السَّعديُّ: {حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ} أي: في وقت راحتها وسكونها، ووقت حركتها وسرحها[1].

(١) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٤٣٦).

﴿ فَسْـَٔلُوٓاْ أَهْلَ ٱلذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴾ [النحل ٤٣]

أكثر المفسرين أن المقصود بأهل الذكر في هذه الآية هم اليهود والنصارى أصحاب الكتب السابقة، قال ابن كثير رداً على من توهم أن أهل الذكر في هذه الآية المراد بهم أهل القرآن: «ليس هو المراد هاهنا، لأن المخالف لا يرجع في إثباته بعد إنكاره إليه»ا.هـ[1]، ولا يمنع من إطلاقه على أهل العلم من المسلمين إذ العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب.

(١٢٣) {وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ إِلَّا رِجَالًا نُوحِي إِلَيْهِمْ فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ * بِالْبَيِّنَاتِ وَالزُّبُرِ وَأَنْزَلْنَا إِلَيْكَ الذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ} [النحل: ٤٣، ٤٤]

{فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ} [الأنبياء: ٧] يعني: أهل الكتابين في قول أكثر المفسِّرين[1].

قال ابن عطيَّة: {أَهْلَ الذِّكْرِ} هنا اليهود والنَّصارى، قاله ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ والحسن.

وقال الأعمش وسفيان بن عُيينة: المراد من أسلم منهم.

وقال ابن جُبيرٍ وابن زيدٍ: {أهل الذِّكر} أهل القرآن.

قال القاضي أبو محمَّدٍ [هو ابن عطيَّة]: **وهذان القولان فيهما ضعفٌ؛ لأنَّه لا حُجَّة على الكفَّار في إخبار المؤمنين بما ذُكر؛ لأنَّهم يُكذِّبون هذه الصَّنائف.** وقال الزَّجَّاج: {أَهْلَ الذِّكْرِ} هنا أحبار اليهود والنَّصارى الَّذين لم يُسلموا، وهم في هذه النَّازلة خاصَّةً إنَّما يُخبِرون بأنَّ الرُّسُل من البشر، وإخبارهم حُجَّةٌ على هؤلاء، فإنَّهم لم يزالوا مُصدِّقين لهم ولا يُتَّهمون بشهادةٍ لنا؛ لأنَّهم مدافعون في صدر ملَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، وهذا هو كسر حجَّتهم من مذهبهم، لا أنَّا افتقرنا إلى شهادة هؤلاء، بل الحقُّ واضحٌ في نفسه، وقد أرسلت قريشٌ إلى يهود يثرب يسألون ويستندون إليهم[2].

---

(١) «التَّفسير الوسيط» (٣/ ٢٣٠).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٣٩٥).

* وهذه الحُجَّة الَّتي أوردها ابن عطيَّة لضعف كون المراد بأهل الذِّكر هم أهل القرآن أو من أسلم من أهل الكتاب، ذكرها أيضًا أبو حيَّان[1] ونقل نصَّ كلام ابن عطيَّة السَّابق، وذكرها أيضًا ابن كثيرٍ[2]، ولعلَّه أخذها أيضًا عن ابن عطيَّة.

* وذهب بعض المفسِّرين إلى أن تعليق الشَّرط على السُّؤال في قوله تعالى: {فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} إنَّما هو للتَّبكيت والإلزام:

يقول الطِّيبيُّ: {فَاسْئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ} وقد عُلم وحُقِّق أنَّ قريشًا لم يكونوا عالمين بالبيِّنات والزُّبر، فتعليقه بالسُّؤال يُفيد التَّبكيت والإلزام، يعني: لا ارتياب في أنَّكم غير عالمين بها، ولستم أيضًا ممَّا تسألون عنهم؛ لأنَّكم تعلمون أنَّهم لا يُجيبُونَكم إلَّا بما ذكرنا، من أنَّا ما أرسلنا من قبله إلَّا رجالًا يُوحى إليهم، فلم يبق لكم طريقٌ سوى التَّسليم والإذعان[3].

ولَّما كان الغرض هو التَّبكيت والإلزام لمشركي قريشٍ لا حقيقة سؤالهم عند عدم العلم، جاز أن يكون المراد بأهل الذِّكر أهل القرآن أو من آمن من أهل الكتاب.

ويقول الألوسيُّ: وفي الشَّرط معنى التَّبكيت والإلزام كما في قول الأجير: إن كنتُ عملتُ لك فأعطني حقِّي، فإنَّ الأجير لا يشكُّ في أنَّه عَمِل، وإنَّما أخرج الكلام مخرج الشَّكِّ لأنَّ ما يُعامل به من التَّسويف معاملة من يَظنُّ بأجيره أنَّه لم يعمل، فهو في ذلك يُلزمه مقتضى ما اعترف به من العمل ويُبكِّتُه بالتَّقصير مُجهِّلًا إيَّاه، فكذا ما هنا لا يُشكُّ أنَّ قريشًا لم يكونوا من علم البيِّنات والزُّبر في شيءٍ، فيقول: إنَّ كون الرُّسُل عليهم السَّلام رجالًا أمرٌ مكشوفٌ لا شُبهة فيه، فاسألوا أهل الذِّكر إن لم تكونوا من أهله يُبيِّن لكم، يُريد أنَّ إنكاركم وأنتم لا تعلمون ليس بسديدٍ، وإنَّما السَّبيل أن تسألوا من أهل الذِّكر لا أن تنكروا قولهم، فإنكاركم منافٍ لما تقتضيه حالكم من السُّؤال، فهو تبكيتٌ من حيث الاعتراف بعدم العلم، وسبيل الجاهل سؤال

(١) «البحر المحيط» (٦/ ٥٣٣).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٤/ ٥٧٣).

(٣) «فتوح الغيب» (٩/ ١٢٦).

من يعلم لا إنكاره. قاله في الكشف أيضًا، ثمَّ قال: ولا أخصُّ أهل الذِّكر بأهل الكتابين؛ ليشمل النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم وأصحابه، ولو خُصَّ لجاز؛ لأنَّهم موافقون في ذلك، فإنكارهم إنكارهم، ثمَّ التَّبكيت متوجِّه إلى العدول عن السُّؤال إلى الإنكار سألوا أو لا. انتهى.

ومنه يُعلم جواز أن يُراد بأهل الذِّكر أهل القرآن، وما ذكر أبو حيَّان في تضعيفه من أنَّه لا حُجَّة في إخبارهم ولا إلزامهم ناشئٌ من عدم الوقوف على هذا التَّحقيق الأنيق[1].

(١) «روح المعاني» (٧/ ٣٨٨).

﴿١٢٤﴾ ﴿أَيُمْسِكُهُۥ عَلَىٰ هُونٍ أَمْ يَدُسُّهُۥ فِي ٱلتُّرَابِ﴾

[النحل: ٥٩]

عَلَى هُونٍ: أي يبقي البنت حية على هوان وذل لوالدها[٢] أو هوان للبنت فيبقيها والدها مهانة لا يعتني بها ولا يورثها [٣]، وليس «على هون» أي على تؤدة ومهل.

﴿١٢٤﴾ قال عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ في قوله: {أَيُمْسِكُهُ عَلَى هُونٍ} يُريد: على رغم أنفه وعلى الكراهية منه[١].

قال أبو حيَّان: وفي قوله: {على هُونٍ} قولان:

أحدهما: أنَّه حالٌ من الفاعل، وهو مرويٌّ عن ابن عبَّاسٍ. قال ابن عبَّاسٍ: إنَّه صفةٌ للأب، والمعنى: أيُمسكها مع رضاه بهوان نفسه، وعلى رغم أنفه!

وقيل: حالٌ من المفعول أي: أيُمسكها مُهانَةً ذليلةً[٢].

*قال السَّمين الحلبيُّ: وقرأت فرقةٌ (على هَوْنٍ) بفتح الهاء، وهي قَلِقَةٌ هنا؛ لأنَّ (الهَوْن) بالفتح الرِّفقُ واللِّين، ولا يناسب معناه هنا[٣].

وقال الألوسيُّ: وقُرئ (على هَوْنٍ) بفتح الهاء وإسكان الواو، **وهو بمعنى الذُّلِّ أيضًا**، ويكون بمعنى الرِّفق واللِّين، وليس بمُرادٍ[٤].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٩٤).

(٢) «البحر المحيط» (٦/ ٥٤٩).

(٣) «الدُّرُّ المصون» (٧/ ٢٤٦).

(٤) «روح المعاني» (٧/ ٤٠٨).

﴿ وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِظُلْمِهِم مَّا تَرَكَ عَلَيْهَا مِن دَآبَّةٍ ﴾ [النحل ٦١]

يظن بعض الناس أن معنى الظلم هنا أي الاعتداء على الناس وسلب حقوقهم، والصواب أن المراد بالظلم جميع المعاصي[1].

(١٢٥) قال قتادة في الآية: قد فعل الله ذلك في زمن نوحٍ، فأهلك من على الأرض، إلَّا من كان في سفينة نوحٍ عليه السَّلام.

رُوي أنَّ أبا هريرة سمع رجلًا يقول: إنَّ الظَّالم لا يضرُّ إلَّا نفسَه، فقال: بئس ما قلتَ إنَّ الحُبَارى تموت في وَكْرِها بظلم الظَّالم.

وقال ابن مسعودٍ: إن الجُعَل لتعُذَّب في جُحْرها بذنب ابن آدم[1].

قال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ} عصاة بني آدم بمعاصيهم {مَا تَرَكَ عَلَيْهَا} يعني: على الأرض {مِنْ دَابَّةٍ} تدبُّ عليها[2].

وقال الزَّمخشريُّ: {بِظُلْمِهِمْ} بكفرهم ومعاصيهم، {ما تَرَكَ عَلَيْها} أي: على الأرض {مِنْ دَابَّةٍ} قطُّ، ولأهلكها كلَّها بشؤم ظلم الظَّالمين[3].

* وخصَّ بعض المفسِّرين الظُّلم في الآية بالشِّرك:

قال ابن عبَّاسٍ: {وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللهُ النَّاسَ} يريد: المشركين، {بِظُلْمِهِمْ} قال: يريد بافترائهم على الله[4].

وقال السَّمعانيُّ: قوله تعالى: {وَلَو يُؤَاخذ الله النَّاس بظلمهم} أَي: بكفرهم[5].

---

(١) «تفسير البغويّ» (٥/ ٢٦).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٢٣٠).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٦١٣).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٩٨).

(٥) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ١٨١).

قال ابن عاشورٍ: الظُّلم: الاعتداء على الحقِّ، وأعظمه الاعتداء على حقِّ الخالق على مخلوقاته، وهو حقُّ إفراده بالعبادة، ولذلك كان الظُّلم في القرآن إذا لم يُعدَّ إلى مفعولٍ نحو {ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ} مرادًا منه أعظم الظُّلم وهو الشِّرك، حتَّى صار ذلك حقيقةً عرفيَّةً في مصطلح القرآن، وهو المراد هنا من هذا الإنذار.

وأما الظُّلم الَّذي هو دون الإشراك بالله فغير مرادٍ هنا؛ لأنَّه مراتب متفاوتةٌ فلا يقتضي عقاب الاستئصال على عمومه[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٤/ ١٨٧).

﴿١٢٦﴾ ﴿لَا جَرَمَ أَنَّ لَهُمُ ٱلنَّارَ وَأَنَّهُم مُّفۡرَطُونَ﴾ [النحل:٦٢]

من الفَرَط وهو الإسراع والعجلة أي أنهم مسارع بهم إلى النار[٢] ومنه قول تعالى: ﴿قَالَا رَبَّنَآ إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفۡرُطَ عَلَيۡنَآ أَوۡ أَن يَطۡغَىٰ﴾ أي يعجل علينا فرعون ولا يمهلنا، ومنه أيضا قول النبي ﷺ: «أنا فرطكم إلى الحوض» [٣] أي سابقكم إليه كالمهيئ له، وقيل معناه أنهم منسيون في النار، ولا تنافي بين المعنيين، وليس معناها من التفريط بالغفلة والتقصير وهي قراءة أخرى «مفرّطون» بالتشديد.

﴿١٢٦﴾ قال ابن الأعرابيّ وأبو عُبيدة: أي: متروكون منسيُّون في النَّار، وبه قال الكِسائيُّ والفَرَّاء، فيكون مُشتقًّا من أَفْرَطْتُ فلانًا خلفي: إذا خَلَّفْته ونسيته.

وقال قتادة والحسن: مُعجَّلون إليها مُقدَّمون في دخولها، من أَفْرَطْتُه، أي: قدَّمته في طلب الماء، والفارط: هو الَّذي يتقدَّم إلى الماء، والفُرَّاط: المتقدِّمون في طلب الماء، والوُرَّاد: المُتأخِّرُون، ومنه قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «أنا فَرَطُكُم على الحوض» أي: مُتقدِّمكم.

* وقرأ نافعٌ في رواية وَرْشٍ (مُفرِطون) بكسر الرَّاء وتخفيفها، وهي قراءة ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ، ومعناه: مسرفون في الذُّنوب والمعاصي، يُقال: أَفْرَطَ فلانٌ على فلانٍ: إذا أربى عليه وقال له أكثر ممَّا قال من الشَّرِّ.

وقرأ أبو جعفرٍ القارئ: (مُفرِّطون) بكسر الرَّاء وتشديدها أي: مُضيِّعون أمر الله، فهو من التَّفريط في الواجب.

وقرأ الباقون (مُفرَطون) بفتح الرَّاء مُخفَّفًا، ومعناه: مُقدَّمون إلى النَّار[١].

(١) «فتح القدير» (٣/ ٢٠٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٢٧﴾ ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعۡدُ ٱلۡأٓخِرَةِ﴾ [الإسراء: ٧]

أي وعد الإفساد الثاني لبني إسرائيل[١]، وليس المقصود به وعد يوم القيامة.

﴿١٢٧﴾ {إِنْ أَحْسَنْتُمْ أَحْسَنْتُمْ لِأَنْفُسِكُمْ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا الْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا مَا عَلَوْا تَتْبِيرًا} [الإسراء: ٧]

قال الطَّبريُّ: قوله {فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الآخِرَةِ} يقول: فإذا جاء وعد المرَّة الآخرة من مرَّتَيْ إفسادكم يا بني إسرائيل في الأرض[١].

وقال الشَّوكانيُّ: {وَعْدُ الْآخِرَةِ} أي: حضر وقت ما وُعِدوا من عقوبة المرَّة الآخرة، والمَرَّة الآخرة هي قتلهم يحيى بن زكريَّا[٢].

وقال ابن عاشورٍ: و(الآخرة) صفةٌ لمحذوفٍ دلَّ عليه قوله: مرَّتَين، أي وعد المرَّة الآخرة[٣].

* أمَّا قوله تعالى في ختام السُّورة: {وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا} [الإسراء: ١٠٤]

فقال ابن عبَّاسٍ: يريد القيامة[٤].

وقال الكلبيُّ: يعني: مجيء عيسى عليه السَّلام من السَّماء[٥].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٣٧١).

(٢) «فتح القدير» (٣/ ٢٥٠).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٥/ ٣٥).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٥٠٠).

(٥) «تفسير القُرطبيّ» (١٠/ ٣٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

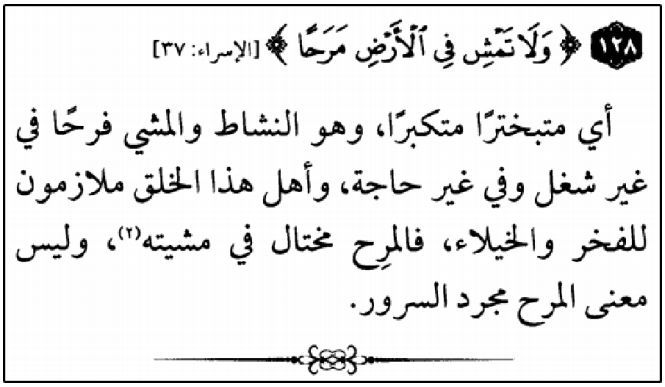

١٢٨ قال ابن فارسٍ: (مرح) الميم والرَّاء والحاء أصلٌ يدلُّ على مَسَرَّةٍ لا يكاد يستقرُّ معها طربًا[١].

قال أبو الهلال العسكريُّ: الفرق بين المَرَح والفَرَح:

أنَّ الفرح قد يكون بحقِّه فيُحمد عليه، وقد يكون بالباطل فيُندم عليه، **والمَرَح لا يكون إلَّا بالباطل**، ويُؤيِّده قوله تعالى: {ذلكم بما كنتم تفرحون في الأرض بغير الحقِّ وبما كنتم تمرحون} حيث قيَّد الأوَّل، وأطلق الثَّاني[٢].

* **وقوله تعالى: {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا}** [الإسراء: ٣٧] [لقمان: ١٨]

قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: بالكبرياء والعظمة.

وقال عبد الله بن مسلمٍ: أي: بالكبر والفخر.

وقال الزَّجَّاج: تأويل الآية: لا تَمْشِ في الأرض مختالًا ولا فخورًا[٣].

وعن قتادة: لا تمش في الأرض فخرًا وكبرًا، فإنَّ ذلك لا يبلغ بك الجبال، ولا تخرق الأرض بكبرك وفخرك[٤].

وعن ابن جُريجٍ قال: لا تفخر[٥].

وقال الماورديُّ: قوله عزَّ وجلَّ: {ولا تمش في الأرض مَرَحًا} فيه خمسة أوجه:

أحدها: أنَّ المرح شدَّة الفرح بالباطل.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (مرح).

(٢) «معجم الفروق اللُّغويَّة» (ص: ٤٩٢).

(٣) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٣٣٤).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٤٥٠).

(٥) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٤٥٠).

الثَّاني: أنَّه الخُيَلاء في المشي، قاله قتادة.

الثَّالث: أنَّه البَطَر والأَشَر.

الرَّابع: أنَّه تجاوز الإنسان قدرَه.

الخامس: التَّكبُّر في المشي[1].

(١) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٢٤٤).

﴿وَءَاتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا﴾ [الإسراء:٥٩]

أي أعطينا قوم صالح الناقة آية واضحة بينة لا لبس فيها، وليس المراد أن للناقة بصر تبصر به، وإن كان لها ذلك، قال القرطبي: «فالناظر إلى ظاهر العربية يظن أن المراد به أن الناقة كانت مبصرة، ولا يدري بماذا ظلموا، وأنهم ظلموا غيرهم وأنفسهم، فهذا من الحذف والإضمار، وأمثال هذا في القرآن كثير»[١].

١٢٩ قال ابن عبّاسٍ: يُريد: كانت لهم عَيَانًا.

وقال قتادة: بيّنةً.

وقال مجاهد: آيةً مُبصِرَةً[١].

* ويُمكن إجمال أهمّ الوجوه الَّتي ذكرها المفسِّرون في بيان هذا التَّعبير القرآنيّ {النَّاقة مُبصِرةً} في الآتي:

- أنَّها جعلتهم ذوي إبصارٍ، من أَبْصَرَهُ جعله بَصِيرًا، فالهمزة للتَّعدية[٢].
- (مُبْصِرَةً) أي: (ذات إبصارٍ) بمعنى: (ذاتُ بصيرةٍ يُبصرُها الغير ويتبصَّر بها)، فالصِّيغة للنَّسب، فالمُبصِر مُعطي الإبصار سببَه حسِّيًّا كان أو معنويًّا[٣].
- أنَّ إسناد الإبصار إليها مجازٌ، وهو في الحقيقة حال من يشاهدها. والمعنى: مُبصِرٌ مشاهدوها، فنَسب إليها فعلَ غيرها تجوُّزًا[٤].
- (مُبْصِرَةً) أي: (مُبصَرًا بها) كما يُقال: ليلٌ نائمٌ ونهار صائمٌ، أي: يُنام فيه ويُصام فيه[٥].
- (مُبْصِرَةً) صفةٌ لـ(آية) محذوفةٍ، والتَّقدير: آيةً مُبصِرةً، أي: مضيئةً بيّنةً، قال الفرَّاء: مُبصِرةً أي: مُضيئةً[١].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٣٧٥).

(٢) يُنظر «فتح القدير» (٣/ ٢٨٣)، «روح المعاني» (٨/ ٩٩)، «التَّحرير والتَّنوير» (١٥/ ١٤٤).

(٣) يُنظر «روح المعاني» (٨/ ٩٩)، «تفسير المنار» (١١/ ٣٧١).

(٤) يُنظر «أنموذج جليل» (ص: ٢٨٥)، «روح المعاني» (٨/ ٩٩).

(٥) «أنموذج جليل» (ص: ٢٨٥).

* وقرأ قومٌ (مُبصَرة) بزنة اسم المفعول، أي: يُبصرُها النَّاس، ولا خفاء في ذلك.

وقرأ قتادة (مَبْصَرَة) بفتح الميم والصَّاد أي: مَحلُّ إبصارٍ، بجعل الحامل على الشَّيء بمنزلة محلِّه، نحو الولد مَبْخَلَة مَجْبَنَة[٢].

وقيل: من قرأ (مَبْصَرة) بفتح الميم والصَّاد، فمعناه: المبالغة في وصف النَّاقة بالتِّبيان، كقولهم: الولد مَجْبَنة[٣].

---

(١) «أنموذج جليل» (ص: ٢٨٥).

(٢) «روح المعاني» (٨/ ٩٩).

(٣) «زاد المسير» (٣/ ٣٣).

﴿ إِذًا لَّأَذَقْنَٰكَ ضِعْفَ ٱلْحَيَوٰةِ وَضِعْفَ ٱلْمَمَاتِ ﴾

[الإسراء: ٧٥]

ضِعْفَ بكسر الضاد أي مثليَ عذاب الحياة الدنيا ومثلي عذاب الآخرة إن ركنت إلى المشركين أي عذابا مضاعفا[٢]، وليس من الضَعف الذي هو ضد القوة.

١٣٠ قال الواحديُّ: {إِذًا لَأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ} [الإسراء: ٧٥] أي: ضِعْف عذاب الحياة وضِعْف عذاب الممات، يريد عذاب الدُّنيا وعذاب الآخرة، **قاله ابن عبَّاسٍ والمفسِّرون كلُّهم**.

ومعنى ضِعْف العذاب: ضِعفُ ما يُعذِّب غيرَه.

قال أبو إسحاق: لأنَّه نبيٌّ يُضاعف له العذاب على عذاب غيره لو جنى هذه الجناية؛ كما قال: {يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيِّنَةٍ يُضَاعَفْ لَهَا الْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ} [الأحزاب: ٣٠]؛ لأنَّ درجة النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ودرجة آله الَّذين وصفهم الله فوق درجة غيرهم.

قال ابن عبَّاسٍ: ورسول الله معصومٌ، ولكن هذه مخاطبةٌ لأُمَّته لئلَّا يركن أحدٌ من المؤمنين إلى أحدٍ من المشركين في شيءٍ من أحكام الله وشرائعه[١].

وقال الزَّمخشريُّ: فكأنَّ أصل الكلامِ: لأذقناك عذابًا ضعفًا في الحياة، وعذابًا ضعفًا في الممات، ثمَّ حُذِف الموصوفُ وأُقيمت الصِّفةُ مقامَه، وهو الضِّعْف، ثمَّ أُضِيفت الصِّفة إضافةَ الموصوف، فقيل: ضعف الحياة وضعف الممات، كما لو قيل: أليم الحياة، وأليم الممات[٢].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٤٢١).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٦٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٣١) ﴿وَمِنَ ٱلَّيۡلِ فَتَهَجَّدۡ بِهِۦ نَافِلَةً لَّكَ﴾ [الإسراء: ٧٩]

نافلة أي زيادة في العلو والرفعة لك، وليس المراد أنها نافلة أي مندوبة وغير واجبة عليه ﷺ؛ إذ إن التهجد واجب على النبي ﷺ كما قال جمع من العلماء، وعلى القول بعدم وجوبه عليه ﷺ فمعنى الآية أن التهجد زيادة رفعة له إذ لا سيئات عليه، بخلاف غيره فإن التهجد يكفر به سيئاته (١).

(١) ابن سعدي ١/ ٤٦٤

(١٣١) هذا نصُّ كلام الشَّيخ السَّعديِّ رحمه الله: {نَافِلَةً لَكَ} أي: لتكون صلاة اللَّيل زيادةً لك في علو القدر، ورفع الدَّرجات، بخلاف غيرك، فإنَّها تكون كفارةً لسيِّئاته.

ويحتمل أن يكون المعنى: أنَّ الصَّلوات الخمس فرضٌ عليك وعلى المؤمنين، بخلاف صلاة اللَّيل، فإنَّها فرضٌ عليك بالخصوص، ولكرامتك على الله أن جعل وظيفتك أكثر من غيرك، وليكثِّر ثوابك، وتنال بذلك المقام المحمود(١).

فأين فيه ما قرَّره المعدُّ من أنَّ النَّافلة ليس معناها أنَّها مندوبةٌ حتَّى عند القول بعدم وجوبها على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم!

* ولا شكَّ أنَّ من المفسِّرين من صرَّح بأنَّ النَّافلة هنا بمعنى التَّطوُّع المندوب، فالنَّافلة معناها الزِّيادة، والتَّطوُّع زيادةٌ على الفرض:

عن قتادة {نَافِلَةً لَكَ} قال: **تَطوُّعًا وفضيلةً لك**(٢).

وقال ابن قُتيبة {نَافِلَةً لَكَ} أي: **تطوُّعًا**(٣).

وقال الواحديُّ: وذهب قومٌ إلى أنَّ معنى النَّافلة: التَّطوُّع الَّذي يتبرَّع به الإنسان، وقالوا: إنَّ صلاة اللَّيل كانت واجبةً عليه ثمَّ نُسخت عنه فصارت نافلةً، أي: تطوعًا وزيادةً على الفرائض يتبرَّع بها، وهو قول قتادة والمبرِّد وعبد الله بن مسلمٍ(١).

(١) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٤٦٥).

(٢) «تفسير الطَّبريِّ» (١٧/ ٥٢٦).

(٣) «غريب القرآن» (ص: ٢٦٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن الجوزيّ: {نافِلَةً لَكَ} النَّافلة في اللُّغة: ما كان زائدًا على الأصل، وفي معنى هذه الزِّيادة في حقِّه صلَّى الله عليه وسلَّم قولان:

أحدهما: أنَّها زائدةٌ فيما فُرِض عليه، فيكون المعنى: فريضةً عليك، وكان قد فُرض عليه قيام اللَّيل، هذا قول ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبيرٍ.

والثَّاني: أنَّها زائدةٌ على الفرض، وليست فرضًا، فالمعنى: تطوُّعًا وفضيلةً.

قال أبو أُمامة، والحسن، ومجاهدٌ: إنَّما النَّافلة للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم خاصَّةً.

قال مجاهدٌ: وذلك أنَّه قد غُفِرَ له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فما زاد على فرضه فهو نافلةٌ له وفضيلةٌ، وهو لغيره كفَّارةٌ[٢].

وقال الرَّازيُّ: معنى النَّافلة في اللُّغة ما كان زيادةً على الأصل، ومعناها أيضًا في هذه الآية الزِّيادة، وفي تفسير كونها زيادةً قولان مبنيَّان على أنَّ صلاة اللَّيل هل كانت واجبةً على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أم لا:

فمن النَّاس من قال: إنَّها كانت واجبةً عليه ثمَّ نُسخت فصارت نافلةً، أي: تطوعًا وزيادةً على الفرائض.

وذكر مجاهدٌ والسُّدِّيُّ في تفسير كونها (نافلةً) وجهًا حسنًا قالا: إنَّه تعالى غفر للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر، فكلُّ طاعةٍ يأتي بها سوى المكتوبة فإنَّه لا يكون تأثيرها في كفَّارة الذُّنوب ألبتَّة، بل يكون تأثيرها في زيادة الدَّرجات وكثرة الثَّواب، وكان المقصود من تلك العبادة زيادة الثَّواب، فلهذا سُمِّيت نافلةً بخلاف الأُمَّة، فإنَّ لهم ذنوبًا محتاجةً إلى الكفَّارات فهذه الطَّاعة محتاجون إليها لتكفير الذُّنوب والسَّيِّئات، فثبت أنَّ هذه الطَّاعات إنَّما تكون زوائد ونوافل في حقِّ النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا في حقِّ غيره، فلهذا السَّبب قال: نافلةً لك، يعني: أنَّها زوائد ونوافل في حقِّك لا في حقِّ غيرك، وتقريره ما ذكرناه.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٤٤١).

(٢) «زاد المسير» (٣/ ٤٧).

وأمَّا الَّذين قالوا: إنَّ صلاة اللَّيل كانت واجبةً على النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلم قالوا: معنى كونها نافلةً له على التَّخصيص أنَّها فريضةٌ عليك زائدةٌ على الصَّلوات الخمس خُصصت بها من بين أُمَّتك[1].

* فالَّذي يظهر -والله أعلم- أنَّ من ذهب من العلماء إلى أنَّ التَّهجُّد كان مفروضًا عليه صلَّى الله عليه وسلَّم ثمَّ نُسخت فرضيَّته، جعل معنى النَّافلة: التَّطوُّع الزَّائد على الفرض، وهذا صريح قول قتادة.

وذكر البعض أنَّ وجه تخصيص النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بهذه النَّافلةِ التَّطوُّعِ في الآية دون سائر المسلمين؛ أنَّها زيادةٌ ونافلةٌ أيضًا في درجاته وحسناته، وليست لتكفير الذُّنوب، بخلاف سائر المسلمين؛ لأنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم قد غُفر له ما تقدَّم من ذنبه وما تأخَّر.

وأمَّا من ذهب من العلماء إلى أنَّ التهجُّد كان مفروضًا عليه صلَّى الله عليه وسلَّم ولم يُنسخ، فجعل معنى النَّافلة أنَّها فريضةٌ زائدةٌ على فرائض المسلمين.

(١) «مفاتيح الغيب» (٢١/ ٣٨٦).

١٣٢ ﴿أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِّن زُخْرُفٍ﴾ [الإسراء: ٩٣]

الزخرف هنا أي: الذهب[٢]، وليس المراد به زخارف الزينة والنقوش.

١٣٢ قال الواحديُّ: قال المفسِّرون: كان فيما اقترحوا من الآيات أن يكون له جنانٌ وكنوزٌ وقصورٌ من ذهبٍ، فذلك قوله: {أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ زُخْرُفٍ}.

قال ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ وقتادة والسُّدِّيُّ: من ذهبٍ.

قال مجاهدٌ: كنا لا ندري ما الزُّخرف حتَّى رأيتُ في قراءة عبد الله: (أو يكون لك بيتٌ من ذهبٍ)[١].

قال الزَّجَّاج: جاء في التَّفسير أنَّ معناه بيتٌ من ذهبٍ، وأصل الزُّخرف -في اللُّغة- والزَّخرفة: الزِّينة، والدَّليل على ذلك قوله عزَّ وجلَّ: {حَتَّى إِذَا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَهَا} أي: أخذت كمال زينتها.

وزخرفتُ الشَّيءَ: إذا أكملت زينتَه، ولا شيء في تزيين بيتٍ وتحسينه وزخرفته كالذَّهب، فليس يخرج ما فسَّروه عن الحقِّ في هذا[٢].

وقال النَّحَّاس: الزُّخرف في اللُّغة: الزِّينة، والذَّهب من الزِّينة[٣].

وقال ابن عطيَّة: قال المفسِّرون: (الزُّخرف) الذَّهب في هذا الموضع، والزُّخرف ما تُزيِّن به، كان بذهبٍ أو غيره، ومنه {حَتَّى إِذا أَخَذَتِ الْأَرْضُ زُخْرُفَها} [يونس: ٢٤][٤].

وقال الألوسيُّ: {مِنْ زُخْرُفٍ} من ذهبٍ، كما رُوي عن ابن عبَّاسٍ وقتادة وغيرهما، وأصله الزِّينة، وإطلاقه على الذَّهب لأنَّ الزِّينة به أرغب وأعجب، وقرأ عبد الله (من ذهب) وجعل ذلك في «البحر» تفسيرًا لا قراءةً؛ لمخالفته سواد المصحف[١].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٤٨١).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٣/ ٢٦٠).

(٣) «معاني القرآن» (٤/ ١٩٥).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٤٨٥).

* فيتَّضح ممَّا سبق أنَّ الذَّهب نوعٌ من الزُّخرف (الزِّينة)، وخُصَّ به عموم الزُّخرف في هذه الآية لأنَّها في سياق طلب المعجزات، ممَّا يقتضي أن يكون المطلوب بيتًا مبنيًّا من الذَّهب، لا مجرد بيتٍ فيه نقوشٌ أو مُزيَّنٍ ومُزخرَفٍ.

* وما ذكر المعدُّ أنَّه ليس مرادًا في الآية -وهو أنَّ الزُّخرف الزِّينة أو النُّقوش- ذكره بعض المفسِّرين قولًا للحسن البصريِّ رحمه الله في هذه الآية:

قال الواحديُّ: وقال الحسن: الزُّخرف: النُّقُوش[٢].

وقال الماورديُّ: قوله عزَّ وجلَّ: {أو يكون لك بيتٌ من زُخرُفٍ} فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ الزُّخرف: النُّقوش، وهذا قول الحسن.

الثَّاني: أنَّه الذَّهب، وهذا قول ابن عبَّاسٍ وقتادة[٣].

والأقرب -والله أعلم- أنَّ تفسير الحسن للزُّخرف بالنُّقوش موضعه آية سورة الزُّخرف {وَلَوْلَا أَنْ يَكُونَ النَّاسُ أُمَّةً وَاحِدَةً لَجَعَلْنَا لِمَنْ يَكْفُرُ بِالرَّحْمَنِ لِبُيُوتِهِمْ سُقُفًا مِنْ فِضَّةٍ وَمَعَارِجَ عَلَيْهَا يَظْهَرُونَ * وَلِبُيُوتِهِمْ أَبْوَابًا وَسُرُرًا عَلَيْهَا يَتَّكِئُونَ * **وَزُخْرُفًا**} [الزخرف: ٣٣، ٣٥]، وليس هذه الآية، أو هو تفسيرٌ لغويٌّ للكلمة بعيدًا عن السِّياق القرآنيِّ لها.

---

(١) «روح المعاني» (٨/ ١٦٠).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٤٨٢).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٢٧٣).

﴿ وَقُلْنَا مِنۢ بَعْدِهِۦ لِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱسْكُنُوا۟ ٱلْأَرْضَ ﴾ [الإسراء ١٠٤]

ليس المراد به عموم الأرض كما فهم بعضهم، بل الصواب أن المراد بالأرض هنا: أي الشام ومصر[٣]

﴿١٣٣﴾ {فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ فَأَغْرَقْنَاهُ وَمَنْ مَعَهُ جَمِيعًا * وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا الْأَرْضَ فَإِذَا جَاءَ وَعْدُ الْآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا}

[الإسراء: ١٠٣، ١٠٤]

*** ذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الأرض في الموضعين واحدةٌ:**

فالأرض الَّتي قيل لهم اسكنوها هي نفس الأرض الَّتي أراد فرعون أن يستفزَّهم منها، فالقريب المتبادر أنَّها أرض مصر[١].

* وذكر بعض المفسِّرين أنَّ فرعون أراد أن يستأصلهم من مُطلَق الأرض بقتلهم، فتكون الأرض الَّتي قيل لهم اسكنوها هي مُطلق الأرض أيضًا:

قال البيضاويُّ: {فَأَرَادَ أَنْ يَسْتَفِزَّهُمْ مِنَ الْأَرْضِ}: أرض مصر أو الأرض مُطلَقًا بالقتل والاستئصال... {اسْكُنُوا الْأَرْضَ}: الَّتي أراد أن يستفزَّكم منها[٢].

وقال البقاعيُّ: {اسْكُنُوا الْأَرْضَ} أي: مُطلَق الأرض؛ إشارةً إلى أنَّ فرعون كان يريد محوهم عن الأرض، أو إلى أن سكناهم مع وجوده كانت عدمًا لما بهم من الذُّلِّ[٣].

* وقد ضعَّف هذا الاحتمال ابن عطيَّة فقال: {الأرض}: أرض مصر، وقد تقدَّم أنَّه متى ذُكرت الأرض عمومًا فإنَّما يُراد بها ما يُناسب القصَّة المُتكلَّم فيها، وقد يَحسن عمومُها في بعض القَصَص[٤].

---

(١) يُنظر: «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٤٩٠)، «الكشَّاف» (٢/ ٦٩٨).

(٢) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ٢٦٩).

(٣) «نظم الدُّرر» (١١/ ٥٢٩).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٤٩٠).

*** وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ الأرض الأولى غير الثَّانية:**

فالأرض الَّتي أراد فرعون استفزازهم منها هي أرض مصر، والأرض الَّتي قيل لهم اسكنوها هي أرض الشَّام:

قال ابن عاشورٍ: الأرض الأُولى هي المعهودة، وهي أرض مصر، والأرض الثَّانية أرض الشَّام، وهي المعهودة لبني إسرائيل بوعد الله إبراهيم إيَّاها(١).

وقال الألوسيُّ: {اسْكُنُوا الْأَرْضَ} الَّتي أراد أن يستفزَّكم منها، وهي أرض مصر، وهذا ظاهرٌ إن ثبت أنَّهم دخلوها بعد أن خرجوا منها واتَّبعهم فرعون وجنوده وأُغرِقوا، وإن لم يثبت فالمراد من بني إسرائيل ذُرِّيَّة أولئك الَّذين أراد فرعون استفزازهم.

واختار غير واحدٍ أنَّ المراد {من الأرض} الأرض المقدَّسة، وهي أرض الشَّام(٢).

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٥/ ٢٢٨).

(٢) «روح المعاني» (٨/ ١٧٦).

﴿ وَقُرْءَانًا فَرَقْنَٰهُ لِتَقْرَأَهُۥ عَلَى ٱلنَّاسِ عَلَىٰ مُكْثٍ وَنَزَّلْنَٰهُ تَنزِيلًا ﴾ [الإسراء ١٠٦]

فرقناه : أي وضّحناه وبيّنّاه وليس معناه هنا أنه نزل متفرقا[1] كما فهم بعضهم من هذه القراءة، ولكن في قراءة أخرى : ﴿فَرَّقْنَاهُ﴾ أي نزلناه متفرقا .

١٢٤ قال الطَّبريُّ: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ لِتَقْرَأَهُ} اختلفت القُرَّاء في قراءة ذلك، فقرأته عامَّة قُرَّاء الأمصار (فَرَقْناهُ) بتخفيف الرَّاء من (فرَقناه)، بمعنى: أحكمناه وفصَّلناه وبيَّنَّاه.

وذُكر عن ابن عبَّاسٍ أنَّه كان يقرؤه بتشديد الرَّاء (فَرَّقْناهُ) بمعنى: نزَّلناه شيئًا بعد شيءٍ، آيةً بعد آيةٍ، وقصَّةً بعد قصَّةٍ[1].

* وما ذكره المعدُّ من كون النُّزول مُفرَّقًا لا يُفهم من قراءة التَّخفيف لا أدري ما وجهه! ولا من نبَّه عليه قبله! وهذه أقوال عددٍ من المفسِّرين على خلافه:

قال الواحديُّ: قال أبو عُبيدٍ: والتَّخفيف أعجب إليَّ؛ لأنَّ تفسيره: بَيَّنَّاه، ومن قرأ بالتَّشديد لم يكن له معنًى إلَّا أنَّه أُنزل مُتفرِّقًا، والتَّأويل الأوَّل أعجب إليَّ وأشرق، هذا كلامه.

وحصل من هذا أنَّ معنى (الفَرْق) تفصيلٌ يتضمَّن التَّبيين، والتَّفريق لا يتضمَّن التَّبيين، ولهذا فسَّروا هاهنا وفي قوله: {فِيهَا يُفْرَقُ} [الدخان: ٤] بالتَّبيين[2].

وقال الزَّمخشريُّ: {وَقُرْآنًا} منصوب بفعلٍ يفسِّره {فَرَقْنَاهُ}، وقرأه أُبيٌّ: (فرَّقناه) بالتَّشديد، أي: جعلنا نزوله مُفرَّقًا مُنجَّمًا.

وعن ابن عبَّاسٍ رضي الله عنه أنَّه قرأ مُشدَّدًا وقال: لم ينزل في يومين أو ثلاثة، بل كان بين أوَّله وآخره عشرون سنةً. **يعني: أنَّ فرَق بالتَّخفيف يدلُّ على فصلٍ مُتقاربٍ**[3].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٥٧٣).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٣/ ٥٠٢).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٦٩٩).

وقال ابن كثير: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} أمَّا قراءة من قرأ بالتَّخفيف فمعناه: فَصَلْنَاه من اللَّوح المحفوظ إلى بيت العزة من السَّماء الدُّنيا، ثمَّ نزل مُفرَّقًا مُنجَّمًا على الوقائع إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم في ثلاثٍ وعشرين سنةً، قاله عكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

وعن ابن عبَّاسٍ أيضًا أنَّه قال {فرَّقناه} بالتَّشديد، أي: أنزلناه آيةً آيةً، مُبيَّنًا مُفسَّرًا[1].

وقال البيضاويُّ: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} نزَّلناه مُفرَّقًا مُنجَّمًا، وقيل: فرَّقنا فيه الحقَّ من الباطل فحذف الجارَّ كما في قوله: (ويومًا شهدناه). وقُرئ بالتَّشديد لكثرة نجومه، فإنَّه نزل في تضاعيف عشرين سنةً[2].

وقال الإيجيُّ: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ}: نزَّلناه مُفرَّقًا مُنجَّمًا على الوقائع في ثلاثٍ وعشرين سنةً[3].

وفي الجلالين: {فَرَقْنَاهُ} نَزَّلْنَاهُ مُفَرَّقًا في عشرين سنةً أو وثلاثٍ[4].

وقال الألوسيُّ: **{فرَقناه} أي: أنزلناه مُنجَّمًا مُفرَّقًا**، أو فرَّقنا فيه بين الحقِّ والباطل...

وقرأ عليٌّ كرَّم الله تعالى وجهه وابن عبَّاسٍ وأُبيٌّ وعبد الله وأبو رجاءٍ وقتادة والشَّعبيُّ وحُميدٌ وعمر بن قائدٍ وزيد بن عليٍّ وعمرو بن ذرٍّ وعكرمة والحسن بخلافٍ عنه **(فرَّقناه) بشدِّ الرَّاء ومعناه كالمخفَّف، أي: أنزلناه مُفرَّقًا منجَّمًا، بيد أنَّ التَّضعيف للتَّكثير في الفعل وهو التَّفريق، وقيل: فرَق بالتَّخفيف يدلُّ على فصلٍ مُتقاربٍ، وبالتَّشديد على فصلٍ مُتباعدٍ، والأوَّل أظهر، ولمَّا كان قوله تعالى الآتي: {عَلى مُكْثٍ} يدلُّ على كثرة نجومه كانت القراءتان بمعنًى.**

وقيل: معناه: فرَّقنا آياته بين أمرٍ ونهيٍ، وحِكَمٍ وأحكامٍ، ومواعظ وأمثالٍ، وقَصص وأخبارٍ مُغيَّباتٍ أتت وتأتي، والجمهور على الأوَّل[1].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ١٢٧).

(٢) «أنوار التَّنزيل» (٣/ ٢٦٩).

(٣) «جامع البيان» (٢/ ٤٢٠).

(٤) «تفسير الجلالين» (ص: ٣٧٧).

وقال القاسميُّ: {وَقُرْآنًا فَرَقْنَاهُ} أي: نزَّلناه مُفرَّقًا منجَّمًا. وقرئ بالتَّشديد. والقراءتان بمعنًى[٢].

(١) «روح المعاني» (٨/ ١٧٧).

(٢) «محاسن التَّأويل» (٦/ ٥٢٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٣٥﴾ ﴿وَيَخِرُّونَ لِلْأَذْقَانِ يَبْكُونَ وَيَزِيدُهُمْ خُشُوعًا﴾

[الإسراء ١٠٩]

معنى للأذقان أي للوجوه، فالسجود على الأذقان ليس على ظاهره كما فهم بعضهم، إذ المعنى : أنهم يسقطون على وجوههم سجدا تعظيما لأمر الله تعالى أو شكرا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثة النبي ﷺ وتخصيص الأذقان بالذكر للدلالة على كمال التذلل[٢].

﴿١٣٥﴾ قال الألوسيُّ: الخُرُور: السُّقوط بسرعةٍ، والأذقان: جمع ذَقْنٍ، وهو مجتمع اللَّحْيَيْن، ويُطلق على ما ينبت عليه من الشَّعر مجازًا، وكذا يُطلق على الوجه تعبيرًا بالجزء عن الكُلِّ، قيل: وهو المراد، ورُوي عن ابن عبَّاسٍ، فكأنَّه قيل: يسقطون بسرعةٍ على وجوههم سُجَّدًا تعظيمًا لأمر الله تعالى، أو شُكرًا لإنجاز ما وعد به في تلك الكتب من بعثتك.

والظَّاهر أنَّ هنا خرُّوا سجودًا على الحقيقة.

وقيل: لا شيء من ذلك، وإنَّما المقصود أنَّهم ينقادون لما سمعوا ويخضعون له كمال الانقياد والخضوع، فأخرج الكلام على سبيل الاستعارة التَّمثيليَّة.

وفَسَّر الخرورَ للأذقان بالسُّقوط على الوجوه الزَّمخشريُّ، ثمَّ قال: وإنَّما ذكر الذَّقن لأنَّه أوَّل ما يلقى السَّاجد به الأرض من وجهه.

وقيل: فيه نظرٌ؛ لأنَّ الأوَّل هو الجبهة والأنف، ثمَّ وُجِّه بأنَّه إذا ابتدأ الخرور فأقرب الأشياء من وجهه إلى الأرض هو الذَّقن، وكأنَّه أُريد أوَّل ما يقرب من اللِّقاء.

وجُوِّز أن تبقى الأذقان على حقيقتها، والمراد المبالغة في الخشوع، وهو تعفير اللِّحى على التُّراب.

أو أنَّه رُبَّما خرُّوا على الذَّقن كالمغشيِّ عليهم لخشية الله تعالى.

وقيل: لعلَّ سجودهم كان هكذا غير ما عرفناه، وهو كما ترى.

وقال صاحب الفرائد: المراد المبالغة في التَّحامل على الجبهة والأنف حتَّى كأنَّهم يُلصقون الأذقان بالأرض، وهو وجهٌ حسنٌ جدًّا[١].

(١) «روح المعاني» (٨/ ١٧٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٣٦﴾ ﴿تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ ٱلشِّمَالِ﴾ [الكهف: ١٧]

أي إن الشمس تعدل وتميل عن أصحاب الكهف وتتركهم وتتجاوزهم لئلا تصيبهم بحرها والمعنى: أنهم كانوا لا تصيبهم شمس ألبتة كرامة لهم[1]، وليس تقرضهم أي تقرصهم بحرارتها كما فهم بعضهم.

﴿١٣٦﴾ قال ابن فارسٍ: (قرض) القاف والرَّاء والضَّاد أصلٌ صحيحٌ، وهو يدلُّ على القطع.

يُقال: قَرَضْتُ الشَّيءَ بالمِقرَاض.

والقَرْض: ما تُعطيه الإنسان من مالك لتُقضاه، وكأنَّه شيءٌ قد قطعته من مالك[1].

وقال السَّمين الحلبيُّ: القَرْض في الأصل القطع. ومنه: قَرَضَ الفأر الثَّوب، وقَرَضَتُ الخشبةَ. والقَرْض: الدَّيْن المعروف، وهو إعطاء الشَّيء وردُّ بدله...

وقوله تعالى: {وإذا غربت تقرضهم ذات الشِّمال} أي: تَقْطَعُهم وتجاوز مكانهم إلى أحد الجانبين، فسُمِّي قطع المكان وتجاوزه قرضًا مجازًا واتِّساعًا[2].

قال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: وإذا غربت الشَّمس تتركهم من ذات شمالهم.

وإنَّما معنى الكلام: وترى الشَّمس إذا طلعت تعدل عن كهفهم، فتطلع عليه من ذات اليمين لئلَّا تصيب الفتية؛ لأنَّها لو طلعت عليهم قبالَهم لأحرقتهم وثيابهم أو أشحبتهم، وإذا غربت تتركهم بذات الشِّمال، فلا تصيبهم.

يُقال منه: قَرَضْتُ موضعَ كذا: إذا قطعته فجاوزته، وكذلك كان يقول بعض أهل العلم بكلام العرب من أهل البصرة.

وأمَّا الكوفيُّون فإنَّهم يزعمون أنَّه المُحاذاة، وذكروا أنَّهم سمعوا من العرب: قَرَضْتُه قُبُلًا ودُبُرًا، وحَذَوْتُه ذاتَ اليمين والشِّمال، وقُبلا ودُبرًا، أي: كنت بحذائه، قالوا: والقَرْض والحَذْو بمعنًى واحد.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (قرض).

(٢) «عمدة الحفَّاظ» (٣/ ٢٩٨).

وأصل القَرْض: القَطْع، يُقال منه: قَرَضْتُ الثَّوب: إذا قطعته، ومنه قيل للمِقْراض: مِقْراضٌ لأنَّه يقطع[1].

وقال الماورديُّ: فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: معنى (تقرضهم) تُحاذيهم ، والقَرْض: المُحاذاة ، قاله الكسائي والفَرَّاء.

الثَّاني: معناه: تقطعهم ذات الشَّمال، أي: أنَّها تجوزهم منحرفةً عنهم، من قولك: قَرَضْتُه بالمِقْراض، أي: قطعته.

الثَّالث: معناه: تُعطيهم اليسير من شعاعها ثمَّ تأخذه بانصرافها، مأخوذٌ من قَرْض الدَّراهم الَّتي تُردُّ؛ لأنَّهم كانوا في مكانٍ مُوحِشٍ، وقيل: لأنَّه لم يكن عليهم سقفٌ يُظلُّهم، ولو طلعت عليهم لأحرقتهم[2].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٧/ ٦٢١).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٢٩٠).

﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَاْىْءٍ إِنِّي فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴾ ١٣٧

[الكهف٢٣]

يظن بعض الناس أن معنى: لشيء أي لأحد، والصواب أن معنى لشيء: أي لفعلٍ قد عزمت على فعله مستقبلاً[٢].

١٣٧ سبب نزولها أنَّ قُريشًا سألوا النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذي القرنين، وعن الرُّوح، وعن أصحاب الكهف، فقال: غدًا أخبركم بذلك، ولم يقل: إن شاء الله، فأبطأ عليه جبريل خمسةَ عشرَ يومًا لتركه الاستثناء، فشقَّ ذلك عليه، ثمَّ نزلت هذه الآية. قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ[١].

* قال الزَّمخشريُّ: {وَلا تَقُولَنَّ لِشَيْءٍ} ولا تقولنَّ لأجل شيءٍ تعزم عليه {إِنِّي فاعِلٌ ذلِكَ} الشَّيء غَدًا، أى: فيما يُستقبَل من الزَّمان[٢].

وقال الخازن: يعني: إذا عزمتَ على فعل شيءٍ غدًا فقل: إن شاء الله، ولا تقله بغير استثناءٍ[٣].

قال ابن عطيَّة: اللَّام في قوله {لِشَيْءٍ} بمنزلة (في)، أو كأنَّه قال لأجل شيءٍ[٤].

(١) «زاد المسير» (٣/ ٧٦).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٧١٤).

(٣) «لُباب التَّأويل» (٣/ ١٦١).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٥٠٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿ وَٱصۡبِرۡ نَفۡسَكَ مَعَ ٱلَّذِينَ يَدۡعُونَ رَبَّهُم بِٱلۡغَدَوٰةِ وَٱلۡعَشِيِّ يُرِيدُونَ وَجۡهَهُۥۖ ﴾ [الكهف: ٢٨]

الغداة أي أول النهار مابين طلوع الفجر إلى طلوع الشمس[1]، وليس المراد وقت الظهر، ومثله قوله تعالى: ﴿ ٱلنَّارُ يُعۡرَضُونَ عَلَيۡهَا غُدُوّٗا وَعَشِيّٗا ﴾ أي أن قوم فرعون يعرضون على النار أول النهار وآخره، وفي الصحيحين قال رسول الله ﷺ: «**إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله عز وجل إليه يوم القيامة**»[2].

١٣٨ الغُدْوَة: **ما بين صلاة الغَدَاة وطلوع الشَّمس**[1].

والغُدْوَة، بالضَّمِّ: البُكْرة، **أو ما بين صلاة الفجر وطلوع الشَّمس**، كالغَداة والغَدِيَّة[2].

قال السَّمين الحلبيُّ: الغَدَاة والغُدْوة والغُدُوُّ بمعنًى، وهو **من أوَّل النَّهار إلى الزَّوال**، والعشيُّ: من الزَّوال. وكذلك الرَّواح والآصال. قال تعالى: {غدُّوها شهرٌ ورَواحُها شهرٌ} [سبأ: ١٢]

وقُوبل في التَّنزيل الغُدوُّ بالآصال، والغَداةُ بالعَشيّ.

وفي العُرْف: أنَّ الغَدَاة لأوَّل النَّهار إلى ارتفاع الضُّحى.

وقد يُطلق على مجرَّد الوقت؛ قال امرؤ القيس: [من الطويل]

كأنِّي غداةَ البَيْنِ يومَ تَحَمَّلوا .:. لدى سَمُراتِ الحيِّ ناقِفُ حَنْظَلِ

لا يريد بذلك خصوصيَّة زمان الغَداة؛ لأنَّهم قد يتحمَّلون في غير الغَدَاة. وقد يُقال: إنَّ هذه واقعةٌ خاصَّةٌ وقعت الغَداةَ المعهودة، وهذا هو الظَّاهر.

والغَد: اسمٌ لليوم الَّذي يلي يومك. وقد يُعبَّر به عن مُطلق الزَّمن المستقبل، كما يُعبَّر بأمسٍ عن مُطلق الماضي، وباليوم عن الحال...

والغَداء: ما يُتناول من الطَّعام وقتَ الغُدْوَة. قال تعالى: {آتنا غداءنا} [الكهف:٦٢] ويقابله العَشاء: وهو ما يُتناول وقت العِشاء[3].

---

(١) «الصِّحاح» (غدو).

(٢) «القاموس المحيط» (غدو).

(٣) «عمدة الحفَّاظ» (٣/ ١٥٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* وممَّا يشهد لقول السَّمين أنَّ الغُدوَّ إلى الزَّوال:

قول الطَّبريِّ: {غُدُوُّهَا شَهْرٌ} يقول تعالى ذكره: وسخَّرنا لسليمان الرِّيح **غُدوُّها إلى انتصاف النَّهار مسيرة شهرٍ**، ورَواحُها من انتصاف النَّهار إلى اللَّيل مسيرةَ شهرٍ[(١)].

وقول الزَّمخشريِّ: **{طَرَفَيِ النَّهارِ} غُدْوةً وعَشيَّةً** {وَزُلَفًا مِنَ اللَّيْلِ} وساعاتٍ من اللَّيل، وهي ساعاته القريبة من آخر النَّهار، مِن أَزْلَفَه: إذا قرَّبه وازدلف إليه، و**صلاة الغُدْوة: الفَجْر، وصلاة العَشِيَّة: الظُّهر والعصر؛ لأنَّ ما بعدَ الزَّوال عَشِيٌّ**، وصلاة الزُّلَف: المغرب والعِشاء[(٢)].

وقال ابن عادلٍ في قوله تعالى: {وَإِذْ غَدَوْتَ مِنْ أَهْلِكَ تُبَوِّئُ الْمُؤْمِنِينَ مَقَاعِدَ لِلْقِتَالِ} الغُدوُّ: الخروج أوَّل النَّهار، يُقال: غدا يغدو، أي: خرج غُدوةً، **وفي هذا دليلٌ على جواز صلاة الجُمعة قبلَ الزَّوال**؛ لأنَّ المفسِّرين أجمعوا على أنَّه إنَّما خرج بعد أن صَلَّى الجمعة[(٣)].

وقول ابن عادلٍ يتوافق مع مذهبه الحنبليِّ، ولم أقف على هذا الاستدلال في المشهور من كتب المذهب.

* وسواءٌ كان الغُدوُّ إلى طلوع الشَّمس أم إلى زوال الشَّمس، فإنَّ وقت الظُّهر لا يكون غُدُوًّا؛ لأنَّه وقت زوال الشَّمس، يقول الأزهريُّ: الظُّهْر: ساعة الزَّوال[(٤)].[(٥)]

---

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٢٠/ ٣٦٢).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٤٣٤).

(٣) «اللُّباب» (٥/ ٥٠٥).

(٤) «تهذيب اللُّغة» (ظهر).

(٥) ويُنظر الفائدة رقم (١٤٣)، ورقم (٢٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

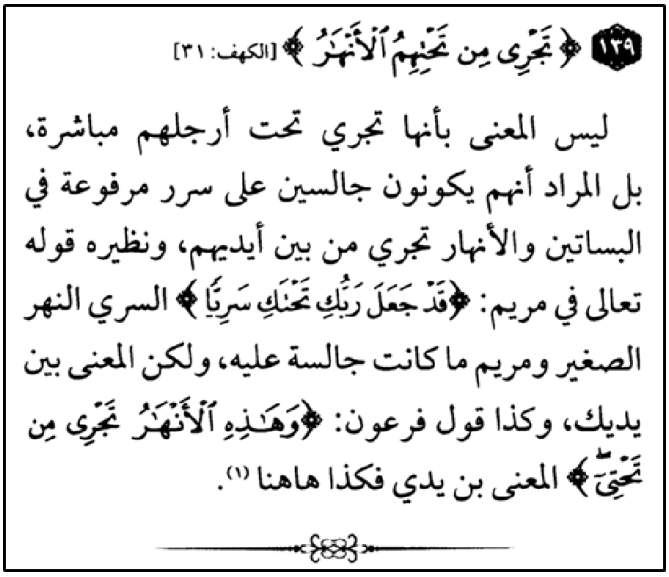

١٣٩ قال الطَّبريُّ: إن قال قائلٌ: وكيف قيل: {تجري من تحتهم الأنهار} وإنَّما وصف جلَّ ثناؤه أنهار الجنَّة في سائر القرآن أنَّها تجري تحت الجنَّات؟ وكيف يُمكن الأنهار أن تجري من تحتهم، إلَّا أن يكونوا فوق أرضها والأنهار تجري من تحت أرضها؟ وليس ذلك من صفة أنهار الجنَّة؛ لأنَّ صفتها أنَّها تجري على وجه الأرض في غير أخاديد؟

قيل: إنَّ معنى ذلك بخلاف ما إليه ذهبتَ، وإنَّما معنى ذلك: تجري من دونهم الأنهار إلى ما بين أيديهم في بساتين النَّعيم.

وذلك نظير قول الله: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [سورة مريم: ٢٤]، ومعلومٌ أنَّه لم يجعل (السَّريَّ) تحتها وهي عليه قاعدةٌ إذْ كان (السَّريُّ) هو الجدول، وإنَّما عني به: جعل دونَها بين يديها.

وكما قال جلَّ ثناؤه مُخبرًا عن قيل فرعون: {أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي} [سورة الزخرف: ٥١] ، بمعنى: من دُوني بين يديَّ(١).

وقال ابن عطيَّة: وقوله {تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ} يُريد: من تحت عِلِّيَّاتهم وغرفهم، وليس التَّحت الَّذي هو بالمُماسَّة، بل يكون إلى ناحيةٍ من الإنسان، كما قال تعالى: {جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} [مريم: ٢٤]، وكما قال حكايةً عن فرعون {وَهذِهِ الْأَنْهارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي}(٢).

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٥/ ٢٩).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ١٠٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٤٠﴾ ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓاْ أَن يَظْهَرُوهُ وَمَا ٱسْتَطَـٰعُواْ لَهُۥ نَقْبًا﴾

[الكهف: ٩٧]

يظهروه أي: يعلوه ويصعدوه يقال: ظهر فلان فوق البيت: إذا علاه، والمعنى: ما قدروا أن يعلوه لارتفاعه وإملاسه وما استطاعوا له نقبًا من أسفله، لشدته وصلابته [٢]. وليس معناها: يبينوه ويكشفوه.

﴿١٤٠﴾ * لو كان المراد يُبيِّنوه ويكشفوه لقيل (يُظْهِرُوه) من الفعل (أَظْهَر)، نقول: ظَهَر الحقُّ: أي: بان، وأَظْهَرْتُه: أي: بيَّنتُه.

* قوله تعالى: {أَنْ يَظْهَرُوهُ}

قال ابن عبَّاسٍ وغيره: أن يصعدوه ويعلوه[١].

وقال الطَّبريُّ: فما اسطاع يأجوج ومأجوج أن يعلوا الرَّدْم الَّذي جعله ذو القرنين حاجزًا بينهم وبين من دونهم من النَّاس، فيصيروا فوقه وينزلوا منه إلى النَّاس.

يُقال منه: ظَهَرَ فلانٌ فوق البيت: إذا علاه، ومنه قول النَّاس: ظهر فلانٌ على فلانٍ: إذا قَهَرَه وعلاه[٢].

وقال الزَّمخشريُّ: {أَنْ يَظْهَرُوهُ} أن يعلوه، أى: لا حيلة لهم فيه من صعودٍ؛ لارتفاعه وانملاسه، ولا نَقْبَ لصلابته وثَخانته[٣].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٤/ ١٥٨).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ١١٧).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٧٤٨).

(١٤١) صحيحٌ أنَّ (أجاءها) ليست بمعنى أتاها، لكن يصحُّ -على قول بعض المفسِّرين- أن تكون بمعنى: أتى بها.

(١٤١) ﴿فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ﴾ [مريم:٣٢]

أجاءها أي ألجأها واضطرها المخاض إلى الجذع[٣]، وليس أجاءها بمعنى أتاها.

* وللمفسِّرين في هذه الكلمة ثلاثة مذاهب:

الأوَّل: أنَّها منقولةٌ من (جاء)، والهمزة فيها للتَّعدية، فـ(أجاءها) بمعنى: جاء بها:

قال الطَّبريُّ: يقول تعالى ذكره: فجاء بها المخاض إلى جذع النَّخلة، ثمَّ قيل لَمَّا أُسقطت الباء منه: أجاءها، كما يُقال: أتيتك بزيد، فإذا حذفت الباء قيل: آتيتك زيدًا، كما قال جلَّ ثناؤه {آتُونِي زُبَرَ الْحَدِيدِ} والمعنى: بزُبَر الحديد، ولكنَّ الألف مُدَّت لَمَّا حُذفت الباء، وكما قالوا: خرجتُ به وأخرجتُه، وذهبتُ به وأذهبتُه، وإنَّما هو (أفعل) من المجيء، كما يُقال: جاء هو، وأجأتُه أنا، أي: جئتُ به...

وإنَّما تأوَّل من تأوَّل ذلك بمعنى: ألجأها؛ لأنَّ المخاض لَمَّا جاءها إلى جذع النَّخلة، كان قد ألجأها إليه[١].

وقال الواحديُّ: {فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ} أي: ألجأها واضطرَّها، يُقال: جاء بها وأجاءها بمعنًى، **هذا قول جميع أهل اللُّغة**، وأنشدوا لزُهيرٍ:

أَجَأَتْهُ المَخَافَةُ والرَّجَاءُ

قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادة، والسُّديُّ في تفسير {أجاءها}: ألجأها[٢].

الثَّاني: أنَّها منقولةٌ من جاء، إلَّا أنَّ استعمالها قد تغيَّر بعد النَّقل إلى معنى: الإلجاء:

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ١٦٧).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٤/ ٢١٩).

قال الزَّمخشريُّ: أجاء: منقولٌ من جاء، إلَّا أن استعماله قد تغيَّر بعد النَّقل إلى معنى الإلجاء، ألا تراك تقول: جئت المكان وأجاءنيه زيدٌ، كما تقول: بلغتُه وأبلغنيه. ونظيره (آتى) حيث لم يُستعمل إلَّا في الإعطاء، ولم تقل: أتيت المكان وآتانيه فلانٌ[1].

قال الألوسيُّ: {فَأَجاءَهَا الْمَخاضُ} أي: ألجأها كما قال الزَّمخشريُّ وجماعةٌ، وفي «الصِّحاح»: أجأته إلى كذا، بمعنى: ألجأته واضطررته إليه، قال زُهير بن أبي سُلْمى:

وجارٍ سارَ معتمدًا عليكم .:. أجاءتْهُ المخافةُ والرَّجاءُ

قال الفرَّاء: أصله من (جئتُ) وقد جعلته العرب إلجاءً.

واختار أبو حيَّان أنَّ المعنى: جاء بها، واعترض على الزَّمخشريِّ وأطال الكلام بما لا يخفى رَدُّه[2].

الثَّالث: أنَّها غير منقولةٍ، وكلٌّ من الفعلين (جاء) و(أجاء) موضوعٌ بوضعٍ مُستقِلٍّ:

قال الشَّوكانيُّ: قال في «الكشَّاف»: إنَّ أجاءها منقولٌ من جاء، إلَّا أنَّ استعماله قد تعيَّن بعد النَّقل إلى معنى الإلجاء، وفيه بُعدٌ.

والظَّاهر: أنَّ كلَّ واحدٍ من الفعلين موضوعٌ بوضعٍ مُستقلٍّ[3].

---

(١) «الكشَّاف» (٣/ ١١).

(٢) «روح المعاني» (٨/ ٣٩٩).

(٣) «فتح القدير» (٣/ ٣٨٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤٢ ﴿قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا﴾ [مريم: ٢٤]

سَرِيًّا: أي جعل تحتك أو تحت أمرك نهرًا صغيرًا، وقيل السري الرجل الرفيع الشأن، وقال الحسن: السري هو الرجل الرفيع المقام كما هو في لغة العرب وهو المناسب للسياق في رفع الحزن عن مريم بتبشيرها برفعة مقام ابنها وهو ما يهفو إليه الوالدان(١)، وظن بعضهم معنى سريًا أي «سريرًا» للتقارب اللفظي بينهما، وذكر لي أحد كبار السن أنهم يظنونه نخل السري وهو نخلٌ يكثر في جنوب منطقة الرياض.

(١) تفسير البغوي ٥/ ٢٢٦

١٤٢ يظهر من صنيع المعدِّ أنَّه نسب للبغويِّ القولَ بأنَّ السَّريَّ بمعنى: الرَّجل الرَّفيع المقام هو المناسب للسِّياق، وهذا غير صحيحٍ، يقول البغوي:

(السَّريُّ): النَّهر الصَّغير.

وقيل: (تحتَك) أي: جعله الله تحتَ أمرك، إن أمرتيه أن يجري جرى، وإن أمرتيه بالإمساك أمسك.

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما: ضرب جبريل عليه السَّلام -ويُقال: ضرب عيسى عليه الصَّلاة والسَّلام- برجله الأرض فظهرت عين ماءٍ عذبٍ وجرى.

وقيل: كان هناك نهرٌ يابسٌ أجرى الله سبحانه وتعالى فيه الماء، وحييت النَّخلة اليابسة، فأورقت وأثمرت وأرطبت.

وقال الحسن: (تحتَك سريًّا) يعني: عيسى، وكان والله عبدًا سريًّا، يعني: رفيعًا(١).

* وجمهور المفسِّرين على أنَّ المراد بالسَّريِّ هنا هو الجدول:

قال السَّمعانيُّ: **أكثر المفسِّرين أنَّ السَّريَّ هاهنا هو: النَّهر، ويُسمَّى سريًّا؛ لأنَّه يسري فيه الماء**. وقال إبراهيم النَّخَعِيُّ: هو نهرٌ صغيرٌ... وفي السَّريِّ قولٌ آخر: وَهُوَ أَنَّه بمعنى: الشَّريف، والمراد به: عيسى(٢).

وقال ابن الجوزيِّ: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} فيه قولان:

أحدهما: أنَّه النَّهر الصَّغير، **قاله جمهور المفسِّرين، واللُّغويون**.

(١) «تفسير البغويِّ» (٥/ ٢٢٦).

(٢) «تفسير السَّمعانيِّ» (٣/ ٢٨٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال أبو صالحٍ وابن جريجٍ: هو الجدول بالسِّريانيَّة.

والثَّاني: أنَّه عيسى كان سريًّا من الرِّجال، قاله الحسن، وعكرمة، وابن زيدٍ.

قال ابن الأنباريّ: **وقد رجع الحسن عن هذا القول إلى القول الأوَّل**، ولو كان وصفًا لعيسى كان (غلامًا سريًّا) أو (سريًّا من الغلمان)، وقلَّما تقول العرب: رأيت عندك نبيلًا، حتَّى يقولوا: رجلًا نبيلًا[1].

* قال الطَّبريُّ: وأولى القولين في ذلك عندي بالصَّواب قيل من قال: عنى به الجدول، وذلك أنَّه أعلمها ما قد أتاها الله من الماء الَّذي جعله عندها، وقال لها: {وَهُزِّي إِلَيْكِ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا فَكُلِي} من هذا الرُّطب {وَاشْرَبِي} من هذا الماء {وَقَرِّي عَيْنًا} بولدك، والسَّريُّ معروفٌ من كلام العرب أنَّه النَّهر الصَّغير[2].

وقال الشِّنقيطيُّ: أظهر القولين عندي أنَّ السَّريَّ في الآية النَّهر الصَّغير، والدَّليل على ذلك أمران:

أحدهما: القرينة من القرآن، فقوله تعالى: {فَكُلِي وَاشْرَبِي} قرينةٌ على أنَّ ذلك المأكول والمشروب هو ما تقدَّم الامتنان به في قوله: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا}، وقوله: {تُسَاقِطْ عَلَيْكِ رُطَبًا جَنِيًّا}، وكذلك قوله تعالى: {وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ}؛ لأنَّ المَعِينَ الماء الجاري، والظَّاهر أنَّه الجدول المُعبَّر عنه بالسَّريّ في هذه الآية، والله تعالى أعلم.

الأمر الثَّاني: حديثٌ جاء بذلك عن النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم يقول فيه: «إنَّ السَّريَّ الَّذي قال الله لمريم: {قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا} نهرٌ أخرجه الله لها لتشرب منه». فهذا الحديث المرفوع إلى النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم وإن كانت طرقه لا يخلو شيءٌ منها من ضعفٍ أقرب إلى الصَّواب من دعوى أنَّ السَّريَّ عيسى بغير دليلٍ يجب الرُّجوع إليه[3].

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ١٢٦).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ١٧٧).

(٣) «أضواء البيان» (٣/ ٣٩٥) بتصرُّفٍ.

* ومن الطَّريف أنَّ المعدَّ ذكر أنَّ تفسير (السَّريِّ) هو النَّهر الصَّغير في رقم (١٣٩)!

﴿١٤٣﴾ ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾ [مريم ٦٢]

فهم بعضهم من هذه الآية أن في الجنة ليلاً أو نهاراً والصواب كما قال ابن كثير : «أي في مثل وقت البكرات ووقت العشيات لا أن هناك ليلا ونهارا، ولكنهم في أوقات تتعاقب يعرفون مضيها بأضواء وأنوار[1]» ، قال شيخ الإسلام: «والجنة ليس فيها شمس ولا قمر ولا ليل ولا نهار لكن تعرف البكرة والعشية بنور يظهر من قبل العرش»[2] .

﴿١٤٣﴾ قال شيخ الإسلام:

البُكْرة والعَشِيُّ هو مقدار يومٍ من أيَّام الجنَّة، ويُعرف ذلك بنورٍ يظهر لهم يزيد على النُّور المعتاد، يعرفون به البُكْرة والعَشيَّ، كما تظهر الشَّمس لأهل الدُّنيا، لكنَّ الجنَّةَ ليس فيها ظلمةٌ[1].

وقال أيضًا: والجنَّة ليس فيها شمسٌ ولا زمهريرٌ، ولكن تُعرف الأوقات بأنوارٍ أُخر، قد رُوي أنَّه تظهر من تحت العرش، فالزَّمان هنالك مقدار الحركة الَّتي بها تظهر بها تلك الأنوار[2].

* وقد قيل: إنَّ اليوم الآخر سُمِّي بذلك؛ لأنَّه يومٌ لا ليل بعده.

يقول الطَّبريُّ: اليوم عند العرب إنَّما سُمِّي يومًا بليلته الَّتي قبله، فإذا لم يتقدَّم النَّهارَ ليلٌ لم يسمَّ يومًا، فيوم القيامة يومٌ لا ليلَ بعدَه، سوى اللَّيلة الَّتي قامت في صبيحتها القيامة، فذلك اليوم هو آخر الأيام، ولذلك سمَّاه الله جلَّ ثناؤه (اليوم الآخر)، ونعتَه بالعَقِيم، ووصفه بأنَّه يومٌ عَقيمٌ؛ لأنَّه لا ليلَ بعدَه[3].

(١) «الرَّدُّ على من قال بفناء الجنَّة والنَّار» (ص: ٦٥).

(٢) «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٦٧).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١/ ٢٧٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤٤ ﴿وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِي﴾ [طه: ١٨]

أي أضربُ بعصاي الشجر فتتساقط الأوراق لتأكل منه الغنم[٣]، وليس المراد بالهش: التلويح بالعصا للزجر.

١٤٤ الْهَـشُّ: يُقـارب الهَـزَّ في التَّحريك، ويقع على الشَّيء اللَّيِّن كَهَشِّ الورق، أي: خَبَطَه بالعصا[١].

قـال المـاورديُّ: {أَتَوَكَّـأُ عَلَيْهَـا وَأَهُـشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي} أي: أخبط بها ورق الشَّجر لترعاه غنمي، قال الرَّاجز:

أَهُشُّ بِالْعَصَا عَلَى أَغْنَامِي
مِنْ نَاعِمِ الْأَرَاكِ وَالْبَشَامِ

وقرأ عكرمة (وأَهُسُّ) بسين غير معجمةٍ.

وفي الهشِّ والهسِّ وجهان:

أحدهما: أنَّهما لغتان معناهما واحدٌ.

والثَّاني: أنَّ معناهما مختلفٌ، فالهشُّ بالمعجمة: خبط الشَّجر، والهسُّ بغير إعجامٍ: زجر الغنم[٢].

(١) «المفردات» (ص: ٨٤٢).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٣٩٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٤٥ ﴿فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا﴾ [طه: ٩٦]

الرسول هنا جبريل وهذا قول عامة المفسرين[٤]، إذ أخذ السامريّ من تراب حافر فرس جبريل وألقاه على حُلي قوم فرعون، واختلفوا متى رآه، وليس الرسول هنا موسى عليه السلام.

(٤) مفاتيح الغيب ٢٢/ ٩٥

١٤٥ قال ابن عبَّاسٍ **وجميع المفسِّرين**: يُريد: أثر فرس جبريل[١].

قال الماورديُّ: {مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ} فيه قولان:

أحدهما: أنَّ الرَّسول جبريل. وفي معرفته قولان:

أحدهما: لأنَّه رآه يوم فلق البحر فعرفه.

الثَّاني: أنَّه حين ولدته أمُّه جعلته في غارٍ حذرًا عليه من فرعون حين كان يقتل بني إسرائيل، وكان جبريل يغذوه صغيرًا لأجل البلوى، فعرفه حين كبر، فأخذ قبضة تُرابٍ من حافر فرسه وشدَّها في ثوبه.

{فَنَبَذْتُهَا} يعني فألقيتها، وفيه وجهان:

أحدهما: أنَّه ألقاها فيما سَبَكَه من الحُليّ بصياغة العجل حتَّى خار بعد صياغته.

الثَّاني: أنَّه ألقاها في جوف العجل بعد صياغته حتَّى ظهر خواره.

فهذا تفسيره على قول من جعل الرَّسول جبريل.

والقول الثَّاني: أنَّ الرَّسول موسى، وأنَّ أثره شريعته الَّتي شرعها وسنَّته الَّتي سنَّها، وأنَّ قوله: {فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ الرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا} أي: طرحتُ شريعة موسى ونبذتُ سنَّته، ثمَّ اتَّخذتُ العجل جسدًا له خُوار[٢].

* وإن كان القول الأوَّل هو قول جمهور المفسِّرين إلَّا أنَّ القول الثَّاني محتملٌ وله وجاهةٌ:

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٤/ ٥٠٧).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٤٢٢).

يقول القاسميُّ بعد أن ذكر قول الجمهور: وكلُّ هذا ليس عليه أثارةٌ من علمٍ ولا يدلُّ عليه التَّنزيل الكريم، ولذا قال أبو مسلمٍ الأصفهانيُّ: ليس في القرآن تصريحٌ بهذا الَّذي ذكره المفسِّرون، فهاهنا وجهٌ آخر، وهو: أن يكون المراد بالرَّسول موسى عليه السَّلام، وبأثره سنَّته ورسمه الَّذي أمر به، فقد يقول الرَّجل: فلانٌ يقفو أثر فلانٍ ويقبض أثرَه، إذا كان يمتثل رسمه، والتَّقدير: أنَّ موسى عليه السَّلام لَمَّا أقبل على السَّامريِّ باللَّوم والمسألة عن الأمر الَّذي دعاه إلى إضلال القوم في باب العجل، فقال {بَصُرْتُ بِما لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ} أي: عرفتُ أنَّ الَّذي أنتم عليه ليس بحقٍّ، وقد كنتُ قبضتُ قبضةً من أثرك أيُّها الرَّسُول -أي: شيئًا من سُنَّتك ودينك- فقذفته -أي: طرحته- فعند ذلك أعلمه موسى عليه السَّلام بما له من العذاب في الدُّنيا والآخرة... وأمَّا دعاؤه موسى عليه السَّلام رسولًا مع جحده وكفره، فعلى مثل مذهب من حكى الله تعالى عنه قوله: {يا أَيُّهَا الَّذِي نُزِّلَ عَلَيْهِ الذِّكْرُ إِنَّكَ لَمَجْنُونٌ} [الحجر: ٦] ، وإن لم يؤمنوا بالإنزال. انتهى.

قال الرَّازيُّ: ما ذكره أبو مسلمٍ أقرب إلى التَّحقيق ممَّا ذكره المفسِّرون، لوجوهٍ:

أحدها: أنَّ جبريل عليه السَّلام ليس بمشهورٍ باسم الرَّسُول، ولم يجر له فيما تقدَّم ذكرٌ حتَّى تُجعل لام التَّعريف إشارةً إليه، فإطلاق لفظ (الرَّسول) لإرادة جبريل عليه السَّلام، كأنَّه تكليفٌ بعلم الغيب.

وثانيها: أنَّه لا بُدَّ فيه من الإضمار، وهو قبضةٌ من أثر حافر فرس الرَّسول، والإضمار خلاف الأصل.

وثالثها: أنَّه لا بُدَّ من التَّعسُّف في بيان أنَّ السَّامريَّ كيف اختصَّ من بين جميع النَّاس برؤية جبريل عليه السَّلام ومعرفته؟ ثمَّ كيف عرف أنَّ لتراب حافر فرسه هذا الأثر؟

والَّذي ذكروه من أنَّ جبريل عليه السَّلام هو الَّذي ربَّاه، فبعيدٌ؛ لأنَّ السَّامريَّ إن عرف جبريل حال كمال عقله، عرف قطعًا أنَّ موسى عليه السَّلام نبيٌّ صادقٌ، فكيف يحاول الإضلال؟ وإن كان ما عرفه حال البلوغ، فأيُّ منفعةٍ لكون جبريل عليه السَّلام مربِّيًا له حال الطُّفوليَّة في حصول تلك المعرفة؟ انتهى[1].

---

(١) «محاسن التَّأويل» (٧/ ١٤٤). ويُنظر «مفاتيح الغيب» (٢٢/ ٩٥).

* ومن الغريب أن يُحيل المعدُّ إلى «مفاتيح الغيب» للرَّازيِّ في نسبة القول الأوَّل إلى عامَّة المفسِّرين، ومع ذلك يُخطِّئ القول بأنَّ الرَّسول في الآية ليس موسى عليه السَّلام، وكأنَّه لم يُطالع نقل الرَّازيِّ لقول أبي مسلمٍ الأصفهانيِّ ولا ترجيحه له!

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٤٦ ﴿يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِن وَرَقِ ٱلْجَنَّةِ﴾ [طه: ١٢١]

يخصفان ليس معناها يخيطان كما فهم بعض الناس، ولكن معناها: يلصقان عليهما من الورق، بعضه على بعض[١].

١٤٦ (خصف) الخاء والصَّاد والفاء أصلٌ واحدٌ يدلُّ على اجتماع شيءٍ إلى شيءٍ، وهو مُطَّرِدٌ مستقيمٌ، فالخَصْف خَصْف النَّعل، وهو أن يطبق عليها مثلها... ومن الباب الاختصاف، وهو أن يأخذ العُريان على عورته ورقًا عريضًا، أو شيئًا نحو ذلك يستتر به[١].

قال الزَّجَّاج: ومعنى {يَخْصِفَان}: يجعلانِ وَرَقَةً على ورَقَةٍ، ومنه قيل للخَصَّافِ الَّذي يرقع النَّعل: هو يخصِف[٢].

وقال الزَّمخشريُّ: {يَخْصِفان} ورقةً فوق ورقةٍ على عوراتهما ليستترا بها، كما يُخصَف النَّعل، بأن تُجعل طرقةً على طرقةً وتُوثق بالسِّيور[٣].

وقال ابن عطيَّة: و{يَخْصِفان} معناه: يلصقانها ويضمَّان بعضها إلى بعضٍ، والمِخْصَف: الإِشْفَى[٤]، **وضمُّ الورق بعضه إلى بعضٍ أشبه بالخَرْز منه بالخياطة**[٥].

وقال ابن عاشورٍ: الخَصْف حقيقته تقوية الطَّبقة من النَّعل بطبقةٍ أُخرى لتشتدَّ، ويُستعمل مجازًا مُرسلًا في مطلق التَّقوية للخِرْقة والثَّوب، ومنه ثوبٌ خصيفٌ، أي: مَخْصُوفٌ، أي: غليظ النَّسج لا يشفُّ عمَّا تحته، فمعنى {يخصفان}: يضعان على عوراتهما الورق بعضه على بعضٍ كفعل الخاصف، وضعًا مُلزَقًا مُتمكِّنًا[٦].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (خصف).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٢/ ٣٢٧).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٩٦).

(٤) الإِشْفَى: المِثْقَب يكون للأساكِفَةِ. «تاج العروس» (شفي).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٣٨٦).

(٦) «التَّحرير والتَّنوير» (٨-ب/ ٦٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٤٧﴾ ﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُم مِّنَ ٱلْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَٰكِنِهِمْ﴾ [طه ١٢٨]

يفهم بعض الناس أن الضمير في يمشون في مساكنهم عائد للقرون الذين أهلكهم الله، والصواب: أن الضمير عائد لقريش والمعنى: أفلم يتبين لكفار مكة إذا نظروا آثار من أهلكنا من الأمم، وكانت قريش تتجر وترى مساكن عاد وثمود وفيها علامات الهلاك[٢].

﴿١٤٧﴾ {أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى} [طه: ١٢٨]

{أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ} [السجدة: ٢٦]

عن قتادة قوله: {كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ} لأنَّ قريشًا كانت تَتَّجِر إلى الشَّأْم، فتمرُّ بمساكن عادٍ وثمود ومن أشبههم، فترى آثار وقائع الله تعالى بهم[١].

وقال الفَرَّاء {يَمْشُونَ فِي مَساكِنِهِمْ} المشيُ لكفَّار أهل مكَّة، والمساكن للمُهلَكين[٢].

قال السَّمعانيُّ: قال أهل التَّفسير: هذا الخطاب لقريشٍ، وقد كانوا يُسافرون إلى الشَّام، فيرون ديار المُهلَكين من أصحاب الحِجْر وثمود وقُرَيَّات لوطٍ[٣].

* وما عدَّه المعدُّ خطأً أورده عددٌ من المفسِّرين وجهًا محتملًا:

قال ابن عطيَّة: والضَّمير في {يَمْشُونَ} يحتمل أن يكون للمخاطَبين بالتَّنبيه المُحتَجِّ عليهم.

ويُحتمل أن يكون للمُهلَكين، فـ{يَمْشُونَ} في موضع الحال، أي: أُهْلِكوا وهم ماشون في مساكنهم[٤].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ٣٩٧).

(٢) «معاني القرآن» (٢/ ١٩٥).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ٣٦٢).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٦٥). ويُنظر «تفسير القُرطبيّ» (١٤/ ١١٠).

وقال أبو حيَّان: والضَّمير في (يمشون) عائدٌ على ما عاد عليه (لهم)، وهم الكُفَّار الموبَّخُون، يُريد قريشًا، والعرب يتقلَّبون في بلاد عادٍ وثمود والطَّوائف الَّتي كانت قريشٌ تمرُّ عليها إلى الشَّام وغيره، ويُعاينون آثار هلاكهم.

و(يمشون في مساكنهم) جملةٌ في موضع الحال من ضمير (لهم) والعامل (يهد) أي: ألم نُبيِّن للمشركين في حال مشيهم في مساكن من أُهلِك من الكُفَّار.

وقيل: حالٌ من مفعول (أهلكنا) أي: أهلكناهم غارِّين آمنين متصرِّفين في مساكنهم لم يمنعهم عن التَّمتُّع والتَّصرُّف مانعٌ من مرضٍ ولا غيره، فجاءهم الإهلاك بغتةً على حين غفلةٍ منهم به[1].

وقال ابن جُزَيٍّ: الضَّمير في (يمشون) لأهل مكَّة: أي: يمشون في مساكن القوم المُهلَكين: كقوله {وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ مِنْ مَساكِنِهِمْ} [العنكبوت: ٣٨]

وقيل: الضَّمير للمُهلَكين، أي: أهلكناهم وهم يمشون في مساكنهم.

والأوَّل أحسن؛ لأنَّ فيه حُجَّةً على أهل مكَّة[2].

(١) «البحر المحيط» (٧/ ٣٩٧).

(٢) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ١٤٣) . يُنظر أيضًا «فتح القدير» (٤/ ٢٩٧)..

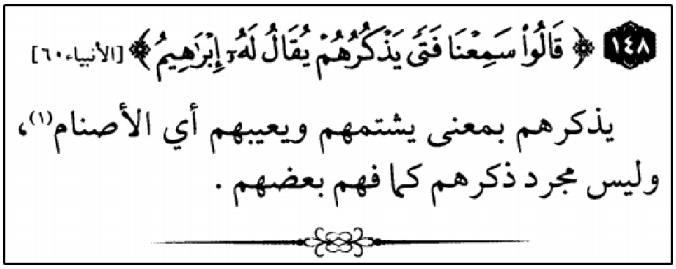

١٤٨ {وَإِذَا رَآكَ الَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ} [الأنبياء: ٣٦]

{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ} [الأنبياء: ٦٠]

قال ابن قُتيبة: {قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ} أي: يَعيبُهم. وهذا كما يُقال: لئن ذكرتني لَتندمنَّ، يريد: بسُوءٍ[1].

قال الواحديُّ: الذِّكْر في كلام العرب على ضَرْبين: ذكرٌ هو خلاف النِّسيان، وذكرٌ هو قولٌ:

فممَّا هو خلاف النِّسيان قوله: {وَمَا أَنْسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ} [الكهف: ٦٣]

والذِّكر الَّذي هو قولٌ يُستعمل على ضربين:

قولٌ لا ثلبَ فيه للمذكور، كقوله: {فَاذْكُرُوا اللهَ كَذِكْرِكُمْ آبَاءَكُمْ} [البقرة: ٢٠٠] {وَاذْكُرُوا اللهَ فِي أَيَّامٍ مَعْدُودَاتٍ} [البقرة: ٢٠٣]، وهو كثيرٌ.

والآخر: يُراد به ثَلْب المذكور، كقوله: {سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ} [الأنبياء: ٦٠][2].

قال الزَّمخشريُّ: الذِّكْر يكون بخيرٍ وبخلافه، فإذا دلَّت الحال على أحدهما أُطلِق ولم يُقيَّد، كقولك للرَّجُل: سمعتُ فلانًا يذكرك، فإن كان الذَّاكر صديقًا فهو ثناءٌ، وإن كان عدوًّا فذمٌّ، ومنه قوله تعالى {سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ}، وقوله {أَهذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ}[3].

---

(١) «غريب القرآن» (ص: ٢٨٦).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٤/ ٥٠).

(٣) «الكشَّاف» (٣/ ١١٦). ويُنظر أيضًا «البحر المحيط» (٧/ ٤٣٠).

قال الطِّيبيُّ مُعلِّقًا على قول الزَّمخشريِّ: قوله: (أُطلقَ ولم يُقيَّدْ)، وفيه لطيفةٌ، يعني: أنَّ (الذِّكْرَ) من الألفاظ المُطلَقةِ، كالمُشتَرك يُحتاجُ في تقييده بمُتعيِّنٍ إلى قرينةٍ، فإذا حصلت القرينةُ ينبغي أن لا يُقيَّدَ، أي: لا يُذكر معهُ الخيرُ أو الشَّرُّ؛ لكون القرينة تكفي في التَّقييد.

فقولهم: {أَهَذَا الَّذِي يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ} مُتضمِّنٌ لتحقير شأن الآلهة، فالذِّكرُ مُتعيِّنٌ للذَّمِّ[1].

وقال ابن عاشورٍ: وَمَعْنَى {يَذْكُرُ آلِهَتَكُمْ} يذكُرهم بسُوءٍ، بقرينة المقام؛ لأنَّهم يعلمون ما يذكر به آلهتهم ممَّا يسوؤهم، فإنَّ الذِّكر يكون بخيرٍ وبشرٍّ فإذا لم يُصرَّح بمُتعلِّقه يُصار إلى القرينة كما هنا، وكما في قوله تعالى: {قالُوا سَمِعْنا فَتًى يَذْكُرُهُمْ}[2].

(١) «فتوح الغيب» (١٠/ ٣٤٤).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١٧/ ٦٦).

١٤٩ ﴿وَعَلَّمْنَٰهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ لَّكُمْ لِتُحْصِنَكُم مِّنۢ بَأْسِكُمْ﴾ [الأنبياء ٨٠]

يظن بعض الناس أن لبوس بمعنى عموم اللباس، والصواب: أن اللبوس في اللغة تعني السلاح ومنه الدرع والسيف والرمح[٢]، وقيل الدروع فقط[٣].

١٤٩ * صحيحٌ أنَّ اللَّبُوس يُطلق في اللُّغة على السِّلاح، لكنَّه يُطلق في اللُّغة أيضًا على عموم ما يُلبس.

أمَّا المراد باللَّبُوس في الآية فالجمهور على أنَّه الدُّرُوع، وذكر بعضهم أنَّه السِّلاح كلُّه.

قال ابن دُرَيْدٍ: **اللَّبُوس من كلِّ شيءٍ: مَا لبسته من ثوبٍ أو غيره**. واللَّبُوس: ما تحصَّنت به من درعٍ أو غيرها، وكذلك فُسِّر في التَّنزيل: {وعلَّمناه صَنْعَة لَبُوسٍ لكم}. والله أعلم[١].

وقال الجوهري: **واللَّبُوس: ما يُلبَس**، وأنشد ابن السِّكِّيت:

الْبَسْ لكلِّ حالةٍ لَبوسَها .:. إمَّا نَعيمَها وإمَّا بوسَها

وقوله تعالى: {وعَلَّمناهُ صَنْعَةَ لَبوسٍ لَكُمْ} يعني: الدُّروع[٢].

وقال ابن سِيدَه: **اللَّبُوس: اسْمٌ عامٌّ لِلِّباسِ** والسِّلاح أيضًا من دِرْعٍ إلى رُمْحٍ وما أشبههما[٣].

وقال الواحديُّ: اللَّبُوس: الدِّرْع. **فكلُّ شيءٍ لبسته فهو لَبُوس**، قال الشَّاعر:

الْبَسْ لكلِّ حالة لَبُوسَها

هذا أصله، وهو فَعُول بمعنى: مفعول، كالرَّكُوب والحَلُوب، ثُمَّ جُعلت اسمًا للدِّرْع؛ لأنَّها تُلْبَس[٤].

---

(١) «جمهرة اللغة» (١/ ٣٤١).

(٢) «الصِّحاح» (لبس).

(٣) «المخصص» (٥/ ١٤٤).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٤٢).

وقال البغويُّ: المُراد باللَّبُوس هنا الدُّرُوع لأنَّها تُلبَس، **وهو في اللُّغة اسمٌ لكلِّ ما يُلْبَس**، ويُستعمل في الأسلحة كلِّها، وهو بمعنى المَلْبُوس كالجَلُوس والرَّكُوب[1].

وقال السَّمعانيُّ: اللَّبُوس هاهنا هو الدِّرْع، وفي اللُّغة: اللَّبُوس ما يُلْبَس[2].

وقال ابن عاشورٍ: اللَّبُوس بفتح اللَّام: أصله اسمٌ لكلِّ ما يُلبَس، فهو فَعولٌ بمعنى مفعول، مثل: رَسول، وغلب إطلاقه على ما يُلبَس من لَأْمَة الحرب من الحديد، وهو الدِّرع، فلا يُطلق على الدِّرْع لِبَاسٌ، ويُطلَق عليها لَبُوسٌ، كما يُطلَقُ لَبُوسٌ على الثِّياب[3].

* قال قتادة: أوَّل من صنع الدُّروع داود، وإنَّما كانت صفائح، فهو أوَّل من سَرَدَها وحلَّقها[4].

(١) «تفسير البغويّ» (٥/ ٣٣٥).

(٢) «تفسير السَّمعانيّ» (٣/ ٣٩٦).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٧/ ١٢١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٤٢).

﴿١٥٠﴾ ﴿فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ﴾ [الأنبياء: ٨٧]

نَقْدِر: أي فظن أن لن «نضيق» عليه من التقدير، وليس المراد أن لن «نستطيع» عليه من القدرة؛ قال القرطبي: «وهذا قول مردود مرغوب عنه؛ لأنه كفر»[٤].

﴿١٥٠﴾ ذكر المفسِّرون في الفعل (نقدر) في هذه الآية ثلاثة أوجهٍ:

١- (نقدر) من (قَدَر) بمعنى: ضَيَّق:

قال ابن قُتيبة: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} أي: لن نُضيِّق عليه، وأنَّا نُخلِّيه ونهمله. والعرب تقول: فلانٌ مُقدَّرٌ عليه في الرِّزق ومُقتَّرٌ عليه، بمعنًى واحدٍ، أي: مُضيَّقٌ عليه. ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا إِذا مَا ابْتَلاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر: ١٦]، وقدر-بالتَّخفيف والتَّثقيل- قال أبو عمرو بن العلاء: قتَر وقتَّر، وقدَر وقدَّر، بمعنًى واحدٍ، أي: ضيَّق[١].

وعن ابن عبَّاسٍ: أنَّه دخل على معاوية فقال [يعني: معاوية]: لقد ضربتني أمواج القرآن البارحة فغرقت فيها، فلم أجد لنفسي خلاصًا إلَّا بك. قال: وما هي يا معاوية، فقرأ هذه الآية، وقال: أو يظنُّ نبيُّ الله أن لا يُقدَر عليه؟ قال: هذا من القَدْر لا من القُدْرَة[٢].

٢- (نقدر) من (القَدَر) الَّذي هو القضاء والحُكْم:

أي: ظنَّ أن لن نقضي عليه العقوبة، وهذا قول مجاهدٍ، وقتادة، والضَّحَّاك، والكلبيِّ، ورواية عطيَّة عن ابن عبَّاسٍ[٣].

قال الواحديُّ: قال الزَّجاج: ونَقْدِر بمعنى: نُقَدِّر.

ويُقال: قدَّر الله الشَّيء وقَدَرَهُ، أي: قضاه. والقَدْر يكون بمعنى التَّقدير... ويدلُّ على صحَّة هذا قراءة عمر بن عبد العزيز والزُّهريِّ: (فظنَّ أن لن نُقَدِّر عليه) بالتَّشديد، وقرأ عبيد بن عميرٍ وقتادة: (فظنَّ أن لن يُقَدَّر عليه)[٤].

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٣٣).

(٢) «الكشَّاف» (٣/ ١٣٢).

(٣) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٢).

ورُوي عن أبي العبَّاس أحمد بن يحيى ثعلبٍ، أنَّه قال في قول الله عزَّ وجلَّ: {فظنَّ أن لن نقدر عليه} هو من التَّقدير ليس من القُدْرة، يُقال منه: قَدَر الله لك الخير يَقْدِره قَدْرًا، بمعنى: قَدَّر الله لك الخير. وأنشد ثعلب:

فَلَيْسَتْ عَشِيَّاتُ اللِّوَى بِرَوَاجِعٍ .:. لَنَا أَبَدًا مَا أَوْرَقَ السَّلَمُ النَّضْرُ

وَلَا عَائِدٌ ذَاكَ الزَّمَانُ الَّذِي مَضَى .:. تَبَارَكْتَ مَا تَقْدِرْ يَقَعْ وَلَكَ الشُّكْرُ

يعني: ما تُقدِّرُه وتقضي به يقع[1].

٣- (نقدر) من القُدْرة بمعنى الاستطاعة، وفيها ستَّة أوجهٍ:

أ- ظنَّ أنَّه يُعجِز ربَّه فلا يقدر عليه:

روى عوفٌ عن الحسن، أنَّه قال: معناه: فظنَّ أنَّه يُعجِز ربَّه فلا نقدر عليه[2].

ورُوي مثل ذلك عن سعيد بن جُبيرٍ، حكاه عنه المهدويُّ[3].

ورُوي عن الحسن وسعيد بن جُبيرٍ أنَّه من التَّضييق.

قال القُرطبيُّ: وهذا الأشبه بقول سعيدٍ والحسن[4].

وقد ذهب الأخفش إلى مثل ما رُوي عن الحسن، فقال: فظنَّ أن يفوتنا.

فقال أبو حاتمٍ: لم يدر الأخفش ما معنى (نقدر)، وذهب إلى القُدْرة، ولو علم أنَّ معنى (نقدر) نُضيِّق لم يخبط هذا الخبط، ولم يكن عالمًا بكلام العرب، وكان عالمًا بقياس النَّحو[5].

* وهذا القول اتَّفق جمهور المفسِّرين على ضعفه وردِّه:

---

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١١/ ٣٣١).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٤).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (١١/ ٣٣١).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (١١/ ٣٣١).

(٥) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٤).

قال أبو الهيثم: من اعتقد أنَّ يونس ظنَّ أن لن يقدر الله عليه فهو كافرٌ؛ لأنَّ يونس رسولٌ، لا يجوز ذلك الظَّنُّ عليه.

وقال الأزهريُّ: لا يجوز أن يكون من القُدْرة؛ لأنَّ من ظنَّ هذا فقد كفر، والظَّنُّ شكٌّ، والشَّكُّ في قدرة الله كفرٌ، وقد عصم الله أنبياءه عن مثل ما ذهب إليه هذا المُتأوِّل، ولا يتأوَّل مثلَه إلَّا جاهلٌ بكلام العرب ولغاتها[1].

وقال الطَّبريُّ: وأولى هذه الأقوال في تأويل ذلك عندي بالصَّواب، قول من قال: عَنَى به: فظنَّ يونس أن لن نحبسه ونضيِّق عليه، عقوبةً له على مغاضبته ربَّه.

وإنَّما قلنا ذلك أولى بتأويل الكلمة؛ لأنَّه لا يجوز أن يُنسب إلى الكفر وقد اختاره لنبوَّته، ووَصْفُه بأن ظنَّ أنَّ ربَّه يعجز عمَّا أراد به ولا يقدر عليه وصفٌ له بأنَّه جَهِل قُدرة الله، وذلك وصفٌ له بالكفر، وغير جائزٍ لأحدٍ وصفُه بذلك[2].

وقال الواحديُّ: وهذا التَّأويل بعيدٌ، ولا يجوز مثله على الأنبياء[3].

وقال ابن عطيَّة: قالت فرقةٌ استزلَّه إبليس ووقع في ظنِّه إمكان أن لا يقدر الله عليه بمعاقبةٍ، وهذا قولٌ مردودٌ[4].

ب- أن يكون على الاستفهام، وحُذِفت همزته:

رُوي عن ابن زيدٍ أنَّه قال: هذا إستيفاه. أي: استفهامٌ على معنى: أفظنَّ[5].

وحكى منذر بن سعيدٍ أن بعضهم قرأ (أفظنَّ) بالألف[6].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٤).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٤).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ٥١٦).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٩٧).

(٥) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٦).

(٦) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٩٧).

قال ابن الجوزيِّ: فعلى هذا الوجه يكون استفهامًا قد حُذفت ألفه، وهذا الوجه يدلُّ على أنَّه من القُدْرة، ولا يُتصوَّر إلَّا مع تقدير الاستفهام، ولا أعلم له وجهًا إلَّا أن يكون استفهام إنكارٍ تقديره: ما ظنَّ عجزنا فأين يهرب منا؟![1]

قال الطَّبريُّ: وأمَّا ما قاله ابن زيدٍ، فإنَّه قولٌ -لو كان في الكلام دليلٌ على أنَّه استفهامٌ- حسنٌ، ولكنَّه لا دلالة فيه على أنَّ ذلك كذلك، والعرب لا تحذف من الكلام شيئًا لهم إليه حاجةٌ إلَّا وقد أبقت دليلًا على أنَّه مرادٌ في الكلام، فإذا لم يكن في قوله: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} دلالةٌ على أنَّ المراد به الاستفهام كما قال ابن زيدٍ، كان معلومًا أنَّه ليس به[2].

وقال الواحديُّ: وهذا الوجه بعيدٌ أيضًا؛ لأنَّه لا يُحذف حرف الاستفهام إلَّا في ضرورة الشِّعر سيِّما إذا لم يتبعه ما يدلُّ عليه[3].

ج- أن يكون مجازًا عن إعمال القُدْرة:

قال الزَّمخشريُّ: والمخفَّف يصحُّ أن يُفسَّر بالقُدْرة، على معنى: أن لن نُعمِل فيه قُدْرَتنا[4].

قال الخفاجيُّ: وهو مجازٌ من ذكر السَّبب وهو القُدْرة وإرادة المُسبَّب وهو إعمالها وإظهارها[5].

قال الرَّازيُّ: أي: فظنَّ أن لن نفعل؛ لأنَّ بين القُدْرة والفعل مناسبةً، فلا يبعد جعل أحدهما مجازًا عن الآخر[6].

د- أن يكون من باب التَّمثيل:

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢١٠).

(٢) «تفسير الطَّبريِّ» (١٨/ ٥١٦).

(٣) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٦٦).

(٤) «الكشَّاف» (٣/ ١٣٢)، «أنوار التَّنزيل» (٤/ ٥٩).

(٥) «حاشية الشِّهاب» (٦/ ٢٦٨).

(٦) «مفاتيح الغيب» (٢٢/ ١٨٠).

قال الزَّمخشريُّ: والمخفَّف يصحُّ أن يُفسَّر بالقُدْرة، على معنى: أن لن نعمل فيه قُدْرَتنا، وأن يكون من باب التَّمثيل، بمعنى: فكانت حاله ممثَّلةً بحال من ظنَّ أن لن نقدر عليه في مراغمته قومَه، من غير انتظارٍ لأمر الله[1].

قال الطِّيبيُّ: قلتُ: مرجعُ كلامه أنَّه من الاستعارة التَّبعيَّة الَّتي وقعت على سبيل الاستعارة التَّمثيليَّة، يدلُّ عليه قوله: (فكانت حالُه ممثَّلةً بحال من يظُنُّ أن لن نقدر عليه)، فاستعير الفعلُ هاهنا كما استعير (لعلَّ) في قوله تعالى: {لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ}[البقرة: ٢١]، كما قرَّرهُ صاحب «المفتاح».

وقال صاحبُ «الفرائد»: لَمَّا أمكن حملُه على الحقيقة، وهو أنهَّ من القَدْر لقوله تعالى: {فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر: ١٦] أي: ضيَّق، فأيُّ ضرورةٍ في أن يُحمَل على ما ذُكِر من المجاز[2].

وما ذكره صاحب «الفرائد» ينطبق أيضًا على الوجه السَّابق.

هـ- أن يكون هذا الظَّنُّ ممَّا سبق إليه وهمُه بوسوسة الشَّيطان، ثمَّ رَدَعَه وردَّه:

قال الزَّمخشريُّ: يجوز أن يسبق ذلك إلى وهمه بوسوسة الشَّيطان، ثمَّ يردعه ويردُّه بالبرهان، كما يفعل المؤمن المحقِّق بنزغات الشَّيطان وما يوسوس إليه في كلِّ وقتٍ، ومنه قوله تعالى: {وَتَظُنُّونَ بِاللهِ الظُّنُونَا} والخطاب للمؤمنين[3].

وقال البيضاويُّ: خطرةٌ شيطانيَّةٌ سبقت إلى وهمه فسُميِّت ظنًّا للمبالغة[4].

قال صاحب «الفرائد»: وأمَّا الوهم الَّذي ذُكِر فمردودٌ من أوجهٍ:

---

(١) «الكشَّاف» (٣/ ١٣٢)، «أنوار التَّنزيل» (٤/ ٥٩).

(٢) «فتوح الغيب» (١٠/ ٣٩١).

(٣) «الكشَّاف» (٣/ ١٣٢).

(٤) «أنوار التَّنزيل» (٤/ ٥٩).

أحدها: أنَّ مثل هذا الخاطر والظَّنِّ من المؤمن بعيدٌ، فكيف من النَّبيِّ المعصوم؟ لأنَّ ذلك كُفرٌ، وقوله تعالى: {وَتَظُنُّونَ بِاللَّهِ الظُّنُونَا} [الأحزاب: ١٠] ليس من الظَّنِّ الَّذي يكونُ كُفرًا.

وثانيها: أنَّ ما هجس بالخاطر ولم يستقرَّ ولم يُلتفت إليه لم يكن من باب الظَّنِّ.

وثالثها: مثل هذا الخاطر لم يكن أحدٌ معاتبًا به.

ورابعها: لَمَّا كان هذا الظنُّ حاملًا له على الخروج من بين القوم من الغضب عُلِمَ أنَّه لم يكن ممَّا ظهر بالوسوسة ولم يُلتفت إليه ولم يكن مُخلًّا بالاعتقاد(١).

و- أنَّ هذا الظَّنَّ كان قبل الرِّسالة:

فقد نقل الرَّازيُّ قولًا عن بعض المفسِّرين أنَّ هذه الواقعة كانت قبل رسالة يونس، فيكون هذا الظُّنُّ حاصلًا قبل الرِّسالة(٢).

ولا يخفى ما فيه من ضعفٍ.

* فيظهر ممَّا سبق أنَّ كلَّ الأوجه المذكورة في كون الفعل (نقدر) من القُدْرة لا تخلو من نظرٍ، وجمهور المفسِّرين على القولين الآخرين.

---

(١) «فتوح الغيب» (١٠/ ٣٩١).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٢/ ١٨١).

١٥١ ﴿إِنَّ هَٰذِهِۦٓ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً﴾ [الأنبياء، ٩٢]

يظن بعض الناس أن معنى «أمتكم» في هذه الآية أي جماعتكم، والصواب: أي دينكم وملتكم ملة واحدة[١].

١٥١ {إِنَّ هَـٰذِهِ أُمَّـتُكُمْ أُمَّـةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ} [الأنبياء: ٩٢]

{وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاتَّقُونِ} [المؤمنون: ٥٢]

قال ابن قُتيبة في معاني الأُمَّة: الأُمَّة: الدِّين، قال تعالى: {إِنَّا وَجَدْنا آباءَنا عَلى أُمَّةٍ} [الزخرف: ٢٢، ٢٣] أي: على دينٍ، قال النَّابغة:

حلفتُ فلم أترُكْ لنفسِكَ رِيبَةً .:. وهلْ يَأْثَمَنْ ذُو أُمَّةٍ وهْو طائعُ؟

أي: ذو دينٍ.

والأصل أنَّه يُقال للقوم يجتمعون على دينٍ واحدٍ: أُمَّةٌ، فتُقام الأُمَّة مقام الدِّين، ولهذا قيل للمسلمين: أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم؛ لأنَّهم على أمرٍ واحدٍ، قال تعالى: {وَإِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً} [المؤمنون: ٥٢] مجتمعةً على دينٍ وشريعةٍ، وقال الله عز وجل: {وَلَوْ شاءَ اللَّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً واحِدَةً} [النحل: ٩٣] ، أي: مجتمعةً على الإسلام[١].

وقال صاحب «المُطلِع»: الأُمَّة: أصلُها القومُ يجتمعون على دينٍ واحدٍ، ثمَّ اتُّسِعَ فيها حتَّى قيل للدِّين: أُمَّةٌ، واشتقاقها من أَمَّ: قَصَدَ، وهي الملَّة المقصودة، قال تعالى: {إِنَّا وَجَدْنَا آبَاءَنَا عَلَى أُمَّةٍ} [الزخرف: ٢٣] أي: دينٍ وملَّةٍ[٢].

{إِنَّ هذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً} قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: دينَكم. وهو قول الحسن، ومجاهدٍ، والجميع[٣].

---

(١) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٤٩).

(٢) «فتوح الغيب» (١٠/ ٣٩٨).

(٣) «التَّفسير الوسيط» (٣/ ٢٥١).

وقال البغويُّ: {أُمَّةً وَاحِدَةً} أي: دينًا واحدًا وهو الإسلام، فأبطل ما سوى الإسلام من الأديان، وأصل الأُمَّة: الجماعة الَّتي هي على مَقصِدٍ واحدٍ، فجُعِلت الشَّريعة أُمَّةً واحدةً لاجتماع أهلها على مَقصِدٍ واحدٍ[1].

وقال الزَّمخشريُّ: الأُمَّة: المِلَّة، وهذه إشارةٌ إلى ملَّة الإسلام، أى: إنَّ ملَّة الإسلام هي ملتُّكم الَّتي يجب أن تكونوا عليها لا تنحرفون عنها، يُشار إليها ملَّةً واحدةً غير مختلِفةٍ[2].

* وذكر بعض المفسِّرين معنى الجماعة وجهًا في تفسير الأُمَّة في آية سورة المؤمنون:

قال الماورديُّ: قوله: {وإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدةً} فيه ثلاثة أوجهٍ:

أحدها: دينكم دينٌ واحدٌ، قاله الحسن...

الثَّاني: جماعتكم جماعةٌ واحدةٌ، حكاه ابن عيسى.

الثَّالث: خَلْقُكم خَلْقٌ واحدٌ[3].

وقال البيضاويُّ: {أُمَّتُكُمْ أُمَّةً واحِدَةً} ملَّتكم ملَّةً واحدةً، أي: متَّحدةً في الاعتقاد وأصول الشَّرائع، أو جماعتُكم جماعةً واحدةً متَّفقةً على الإيمان والتَّوحيد في العبادة[4].

وقال أبو السُّعود: {أُمَّتُكُمْ} أي: ملَّتُكم وشريعتُكم أيُّها الرُّسُل {أُمَّةً وَاحِدَةً} أي: مِلَّةً وشريعةً متَّحدةً في أصولِ الشَّرائعِ الَّتي لا تتبدلُ بتبدل الأعصارِ.

وقيل: {هذه} إشارةٌ إلى الأممِ المؤمنةِ للرُّسُلِ، والمعنى: إنَّ هذه جماعتُكم جماعةً واحدةً متَّفقةً على الإيمانِ والتَّوحيدِ في العبادةِ[5].

وقال الألوسيُّ: وقيل: إنَّ {هذِهِ} إشارةٌ إلى جماعة الأنبياء المذكورين عليهم السَّلام، والأُمَّة بمعنى: الجماعة، أي: إنَّ هؤلاء جماعتكم الَّتي يلزمكم الاقتداء بهم مجتمعين على الحقِّ غير

---

(١) «تفسير البغويّ» (٥/ ٣٥٣).

(٢) «الكشَّاف» (٣/ ١٣٤).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٥٧).

(٤) «أنوار التَّنزيل» (٤/ ٨٩).

(٥) «تفسير أبي السُّعود» (٦/ ١٣٨).

مختلفين، **وفيه جهة حُسنٍ كما لا يخفى، والأوَّل أحسن، وعليه جمهور المفسِّرين، وهو المرويُّ عن ابن عبَّاسٍ ومجاهدٍ وقتادة**[1].

وقال الشَّيخ محمَّد رشيد رضا: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ} أي: هذا الجمع من الأنبياء والمرسلين أُمَّتكم، أي: جماعتكم حال أنَّها أُمَّةٌ واحدةٌ...

وإن شئت قلت كما قالوا: إنَّ الأُمَّة بمعنى: المِلَّة في الآيتين[2].

وقال الشَّيخ السَّعديُّ: {وَإِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً} أي: جماعتكم -يا معشر الرُّسل- جماعةً {وَاحِدَةً} متَّفقةً على دينٍ واحدٍ، وربُّكم واحدٌ[3].

وقال في آية سورة الأنبياء: {إِنَّ هَذِهِ أُمَّتُكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً} أي: هؤلاء الرُّسل المذكورون هم أُمَّتُكم وأئمَّتُكم الَّذين بهم تأتمُّون وبهديهم تقتدون، كلُّهم على دينٍ واحدٍ وصراطٍ واحدٍ، والرَّبُّ أيضًا واحدٌ[4].

(١) «روح المعاني» (٩/ ٨٥).

(٢) «تفسير المنار» (٢/ ٢٢٣).

(٣) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٥٥٣).

(٤) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٥٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٥٢﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُم مِّن كُلِّ حَدَبٍ يَنسِلُونَ﴾ [الأنبياء: ٩٦]

ينسلون أي: يسرعون[٢]، وليس يتكاثرون ويتوالدون كما توهم بعضهم.

﴿١٥٢﴾ {حَتَّى إِذَا فُتِحَتْ يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ يَنْسِلُونَ} [الأنبياء: ٩٦]

{وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ} [يس: ٥١]

(نسل) النُّون والسِّين واللَّام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على سَلِّ شيءٍ وانسلاله. **والنَّسْل: الولد؛ لأنَّه يُنْسَل من والدته. وتَنَاسَلوا: وُلِد بعضُهم من بعضٍ. ومنه النَّسلان: مِشيَةُ الذِّئب إذا أَعْنَق وأسرع. والماشي يَنْسِل: إذا أسرع**[١].

قال ابن قُتيبة: {يَنْسِلُونَ} من النَّسَلان، وهو: مُقارَبَة الخَطْو مع الإسراع، كمشي الذِّئب إذا بادر، والعَسَلان مثلُه[٢].

وقال الواحديُّ: {يَنْسِلُونَ} النَّسَلان: مشية الذِّئب إذا أسرع. والماشي يَنْسِل: إذا أسرع. يُقال: نَسَل في العَدْو يَنْسِلُ ويَنْسُلُ -بالكسر والضَّمِّ- نُسُولًا ونَسَلانًا. ذكر ذلك الكِسائيُّ وغيره[٣].

وقال ابن عطيَّة: نَسَل ينسِلُ: إذا خرج متُتابعًا، ومنه نِسال الطَّائر: ما تتابع سقوطه من ريشه[٤].

وقال ابن عاشور: و(يَنْسِلُونَ) يمشون النَّسَلان-بِفَتْحَتَيْنِ- وفعله من باب ضَرَبَ، وأصله: مشي الذِّئب، والمراد: المشيُ السَّريع.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (نسل).

(٢) «غريب القرآن» (ص: ٢٨٨).

(٣) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ١٩٩).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٢٨٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وإيثار التَّعبير به هنا من نُكَت القرآن الغيبيَّة؛ لأنَّ يأجُوج ومأجُوج لمَّا انتشرُوا في الأرض انتشروا كالذِّئاب جياعًا مفسدين[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٧/ ١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٥٣﴾ ﴿يَوْمَ نَطْوِي ٱلسَّمَآءَ كَطَيِّ ٱلسِّجِلِّ لِلْكُتُبِ﴾ [الأنبياء: ١٠٤]

للكتب أي للمكتوب في السجل والسجل هو الصحيفة فيكون المعنى: يوم نطوي السماء كطي السجل على ما كتب فيه[٣]، وليس الكتب هنا جمع كتاب.

﴿١٥٣﴾ قال الماورديُّ: قوله عزَّ وجلَّ: {يَومَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: أنَّ السِّجِلَّ الصَّحيفة تُطوى على ما فيها من الكتابة، وهذا قول مجاهدٍ، وقتادة.

الثَّاني: أنَّه المَلَك[١].

الثَّالث: أنَّه كاتبٌ يكتب بين يدي رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، وهذا قول ابن عبَّاسٍ[٢].

قال الطَّبريُّ: وأولى الأقوال في ذلك عندنا بالصَّواب قول من قال: السِّجِلُّ في هذا الموضع الصَّحيفة؛ لأنَّ ذلك هو المعروف في كلام العرب، ولا يُعرف لنبيِّنا صلَّى الله عليه وسلَّم كاتبٌ كان اسمه السِّجِلَّ، ولا في الملائكة ملكٌ ذلك اسمه.

فإن قال قائلٌ: وكيف نطوي الصَّحيفة بالكتاب إن كان السِّجلُّ صحيفةً؟

قيل: ليس المعنى كذلك، وإنَّما معناه: يوم نطوي السَّماء كطَيِّ السِّجِلِّ على ما فيه من الكتاب، ثمَّ جعل نطوي مصدرًا، فقيل: (كطَيِّ السِّجلِّ للكتاب)، واللَّام في قوله (للكتاب) بمعنى (على)[٣].

وعلى هذا القول (الكُتُب) يُراد بها المكتوب، ولَمَّا كان المكتوب ينطوي بانطواء الصَّحيفة جُعِل السِّجِلُّ كأنَّه يطوي الكتاب[٤].

---

(١) قاله ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ، وهو قول السُّدِّيِّ، ويُروى أيضًا عن ابن عمر. يُنظر «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٢١٨).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٣/ ٤٧٤).

(٣) «تفسير الطَّبريِّ» (١٨/ ٥٤٤).

(٤) «التَّفسير الوسيط» (٣/ ٢٥٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٥٤ ﴿ ثَانِيَ عِطْفِهِۦ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ﴾ [الحج: ٩]

ثَانِيَ : ليس المراد به العدد، وإنما المعنى أنه يثني ويلوي ويميل عطفه، والعِطف الجنب أو الرأس وهذا وصف يوصف به المتكبر عن قبول الحق [١].

١٥٤ قولـه: {ثَانِيَ عِطْفِـهِ}

يُقال: ثَنَيْت الشَّيءَ، إذا حَنَيْته وعَطَفْته.

والعِطْفُ: الجانب، وعِطْفَا الرَّجُل: ناحيتاه عن يمينٍ وشمالٍ، ومَنْكِب الرَّجُل: عِطْفُه وإبطُه.

قال ابن الإعرابيّ: عِطْف كلِّ إنسانٍ ودابَّةٍ: شِقَّاه من لدن رأسه إلى وَرِكَيْه.

وأصله من العَطْف، وهو: اللَّيُّ، والعِطْف: الموضع الَّذي يعطفه الإنسان، أي: يلويه ويُميله عند الإعراض والانحراف عن الشَّيء.

* واختلفت عبارة المفسِّرين في تفسير قوله {ثَانِيَ عِطْفِهِ}:

قال ابن عبَّاسٍ: مستكبرًا في نفسه.

وقال الضَّحَّاك: شامخًا بأنفه.

وقال مجاهدٌ وقتادة: لاويًا عنقه.

وقال ابن زيدٍ والعوفيُّ: مُعرِضًا عمَّا يُدعى إليه كبرًا. ونحوه قال ابن جريجٍ.

وقال السُّدِّيُّ: مُعرِضًا من العظمة يُنظر في جانبٍ واحدٍ.

وهذه الألفاظ تعود إلى معنًى واحدٍ، وهو الإعراض والتَّكبُّر [١].

وقال الطَّبريُّ: واختلف أهل التَّأويل في المعنى الَّذي من أجله وُصِف بأنَّه يثني عطفه، وما المراد من وصفه إيَّاه بذلك:

فقال بعضهم: وصفه بذلك لتكبُّره وتبختره، وذكر عن العرب أنَّها تقول: جاءني فلانٌ ثاني عطفه: إذا جاء مُتبخترًا من الكبر.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: لاوٍ رقبته.

وقال آخرون: معنى ذلك أنَّه يُعرض عما يُدعَى إليه فلا يسمع له.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٢٧٨).

قال أبو جعفرٍ: وهذه الأقوال الثَّلاثة متقاربات المعنى، وذلك أنَّ من كان ذا استكبارٍ فمن شأنه الإعراض عمَّا هو مستكبِرٌ عنه ولِّي عنقه عنه والإعراض.

والصَّواب من القول في ذلك أن يُقال: إنَّ الله وصف هذا المخاصِم في الله بغير علمٍ أنَّه من كبره إذا دُعي إلى الله، أعرض عن داعيه، ولوى عنقه عنه ولم يسمع ما يُقال له استكبارًا[1].

* ولا أدري كيف يُمكن تصوُّر ما أورده المعدُّ من أن يكون (ثاني) هنا مرادًا به العدد!

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ٥٧٣).

﴿١٥٥﴾ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ [الحج ١٥]

يفهم بعض الناس أن الضمير في ينصره يعود إلى الظانّ، والصواب أن الضمير يعود إلى النبي محمد ﷺ، إذ المعنى من كان يظن أن الله لن ينصر محمدا ﷺ فليختنق غيظا حتى يموت[٢].

(٢) تفسير البغوي ٥/ ٣٧٠

﴿١٥٥﴾ قال الواحديُّ: **أكثر أهل التَّفسير على أنَّ الهاء في (ينصره) كنايةٌ عن محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم.**

قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: أن لن ينصر اللهُ محمَّدًا. وهو قول قتادة، والسُّدِّيِّ، والكلبيِّ، وابن زيدٍ، واختيار الفرَّاء والزَّجَّاج...

ومذهب مجاهدٍ والضَّحَّاك: أنَّ الهاء كنايةٌ عن (مَن) في قوله {مَنْ كَانَ}.

قال مجاهدٌ: {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللهُ} أن لن يرزقه الله.

وهذا القول هو اختيار أبي عُبيدة...

قال ابن قُتيبة -على هذا القول-: كأنَّه يُريد: من كان قانطًا من رزق الله ورحمته فليفعل ذلك الَّذي ذكره من الاختناق، ولينظر هل يُذهب كيدُه -أي: حيلته- غيظَه؛ لتأخُّر الرِّزق عنه؟[١]

وقال ابن الجوزيِّ: في هاء {ينصره} قولان:

أحدهما: **أنَّها ترجع على (مَن)، والنَّصر: بمعنى** الرِّزق، هذا معنى قول ابن عبَّاسٍ في رواية عطاءٍ، وبه قال مجاهدٌ.

قال أبو عُبيدة: وقف علينا سائلٌ من بني بكرٍ، فقال: مَنْ ينصرني نصره الله، أي: مَن يُعطيني أعطاه الله، ويُقال: نصر المطرُ أرضَ كذا، أي: جادها، وأحياها، قال الرَّاعي:

وانْصُري أرضَ عامرِ

والثَّاني: أنَّها ترجع إلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم، فالمعنى: من كان يظنُّ أن لن ينصر الله محمَّدًا، رواه التَّميميُّ عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال عطاءٌ، وقتادة.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣٠٧).

قال ابن قُتيبة: وهذه كنايةٌ عن غير مذكورٍ، وكان قومٌ من المسلمين لشدَّة حَنَقِهم على المشركين يستبطئون ما وعد الله رسولَه من النَّصر، وآخرون من المشركين يُريدون اتِّباعه ويخشَوْن أن لا يتمَّ أمرُه، فقال هذه الآية للفريقين[1].

* ومن العجيب أن يُحيل المعدُّ الفائدة إلى تفسير البغويّ، ويتغافل عن الوجه الآخر الَّذي أورده، وفيه يعود الضَّمير في {ينصره} -بمعنى: يرزقه- على (مَن)، يقول البغويُّ:

وقال مجاهدٌ: (النَّصْر) بمعنى: الرِّزق، والهاء راجعةٌ إلى {مَن} ومعناه: من كان يظنُّ أن لن يرزقه الله في الدُّنيا والآخرة.

نزلت فيمن أساء الظَّنَّ بالله عزَّ وجلَّ وخاف ألَّا يرزقَه الله، {فليمدد بسببٍ إلى السَّماء} أي: إلى سماء البيت، فلينظر هل يُذهبنَّ فعله ذلك ما يغيظ، وهو خيفة ألَّا يُرزَق.

وقد يأتي النَّصْر بمعنى: الرِّزق، تقول العرب: من ينصرني نصره الله، أي: من يُعطني أعطاه الله، قال أبو عُبيدة: تقول العرب: أرضٌ منصورةٌ، أي: ممطورةٌ[2].

❀ ❀ ❀

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٢٦).

(٢) «تفسير البغويّ» (٥/ ٣٧١).

﴿١٥٦﴾ ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ﴾ [الحج ١٥]

أغلب المفسرين على أن معنى السماء في الآية هو: سقف الغرفة، وليس السماء المعروفة . والمعنى : من كان يظن أن الله لن ينصر نبيه فليشدد حبلا في سقف بيته، فليختنق به ثم ليقطع الحبل ليموت مختنقا [1].

﴿١٥٦﴾ {فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ} أي: بحبلٍ {إِلَى السَّمَاءِ} يعني: سقف البيت، وكلُّ شيءٍ علاك وأظلَّك فهو سماءٌ، والسَّحاب: سماءٌ، يقول الله: {وَنَزَّلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً مُبَارَكًا} [ق: ٩]، وقال سلامة بن جندلٍ يذكر قتل كسرى النُّعمانَ:

هُوَ الْمُدْخِلُ النُّعمانَ بيتًا سماؤه .:. نُحورُ الفُيولِ بعدَ بَيْتِ مُسَرْدَقِ

يعني: سقفه، وذلك أنَّه أدخله بيتًا فيه فيلةٌ فتوطَّأته حتَّى قتلته[1].

* وجمهور المفسِّرين -مَن فسَّر منهم النَّصر بالتَّأييد والمعونة أو مَن فسَّره منهم بالرِّزق- على أنَّ المراد بالسَّماء في الآية السَّقف، وذهب عبد الرَّحمن بن زيد بن أسلم إلى أنَّها السَّماء المعروفة:

فقد أخرج ابن أبي حاتمٍ عن ابن زيدٍ ﷺ قال: من كان يظنُّ أن لن ينصر الله نبيَّه، ويكابد هذا الأمر ليقطعه عنه، فليقطع ذلك من أصله من حيث يأتيه، فإنَّ أصله في السَّماء، {ثمَّ ليقطع} أي: عن النَّبيِّ الوحيَ الَّذي يأتيه من الله إنْ قَدَر[2].

قال ابن الجوزيِّ: في المراد بالسَّماء قولان:

أحدهما: سقف بيته. والمعنى: فليشدد حبلًا في سقف بيته، فليختنق به، {ثُمَّ لْيَقْطَعْ} الحبل ليموت مختنقًا، هذا قول الأكثرين.

ومعنى الآية: ليصوِّر هذا الأمر في نفسه لا أنَّه يفعله؛ لأنَّه إذا اختنق لا يمكنه النَّظر والعلم.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣١٠).

(٢) «الدُّرُّ المنثور» (٦/ ١٦).

والثَّاني: أنَّها السَّماء المعروفة.

والمعنى: فليقطع الوحي عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إن قدر. قاله ابن زيدٍ[١].

* وضعَّف هذا القولَ الواحديُّ، فقال:

وهذا التَّفسير لا يوافق معنى قوله {مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ}؛ لأنَّ من ظنَّ ذلك لا يُقال له: إن كنت تظنُّ أنَّه غير منصورٍ فاقطع النَّصر عنه. ولو كان أوَّل الكلام: مَن يغيظه أن ينصره الله، أو ما أشبه هذا؛ حجَّ تفسير ابن زيدٍ، وليس في أوائل الآية: من أراد أن يُكايده، أو يقطع النَّصر عنه، أو شيءٌ من هذا المعنى الَّذي بني ابن زيدٍ تفسير باقي الآية عليه[٢].

* وقد اعتمد الشَّيخ السَّعديُّ قول ابن زيدٍ فلم يذكر غيره في تفسير الآية، فقال:

من كان يظنُّ أنَّ الله لا ينصر رسوله، وأنَّ دينه سيضمحلُّ، فإنَّ النَّصر من الله ينزل من السَّماء، {فَلْيَمْدُدْ} ذلك الظَّانُّ {بِسَبَبٍ} أي: حبلٍ {إِلَى السَّمَاءِ} وليرقى إليها، {ثُمَّ لِيَقْطَعْ} النَّصر النَّازل عليه من السَّماء[٣].

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٢٧).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣١٠).

(٣) «تيسير الكريم الرَّحمن» (ص: ٥٣٥).

﴿١٥٧﴾ ﴿وَمَن يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُّذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ﴾ [الحج ٢٥]

يظن بعض الناس أن معنى الإلحاد في الآية هو إنكار وجود الله كما في المفهوم السائد، والصواب أن الإلحاد في الآية أن يهُمّ الإنسان بفعل شيء فضيع من المعاصي الكبار(٢).

﴿١٥٧﴾ أصل الإلحاد في اللُّغة: الميل عن القَصْد، ومنه سُمِّي اللَّحْد، ولو كان مستويًا لقيل: ضريحٌ، ومنه قوله سبحانه: {وذروا الَّذين يُلحدون في أسمائه}، يُقال: **لَحَدَ وأَلْحَدَ بمعنًى واحدٍ، هذا قول أهل اللُّغة** إلَّا الأحمر، فإنَّه حكى أنَّه يُقال: أَلْحَدَ: إذا جادل، ولَحَدَ: إذا عدل ومال(١).

* وقال بعض المُفسِّرين من أهل العربيَّة: الباء هاهنا زائدةٌ، كقوله: {تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ} [المؤمنون: ٢٠] أي: تنبت الدُّهنَ، وكذا قوله: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ} تقديره: إلحادًا... والأجود أنَّه ضَمَّن الفعل هاهنا معنى (يَهُمُّ)، ولهذا عدَّاه بالباء فقال: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} أي: يَهُمُّ فيه بأمرٍ فظيعٍ من المعاصي الكبار(٢).

* قال ابن الجوزيّ: وفي المراد بهذا الإلحاد خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الظُّلم، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: هو عمل سيِّئةٍ.

فعلى هذا تدخل فيه جميع المعاصي، وقد رُوي عن عمر بن الخطَّاب أنَّه قال: لا تحتكروا الطَّعام بمكَّة، فإنَّ احتكار الطَّعام بمكَّة إلحادٌ بظُلمٍ.

والثَّاني: أنَّه الشِّرك، رواه ابن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ، وبه قال الحسن، وقتادة.

والثَّالث: الشِّرك والقتل، قاله عطاءٌ.

والرَّابع: أنَّه استحلال محظورات الإحرام، وهذا المعنى مَحكيٌّ عن عطاءٍ أيضًا.

---

(١) «معاني القرآن للنَّحَّاس» (٤/ ٣٩٤).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤١٠).

والخامس: استحلال الحرام تَعمُّدًا، قاله ابن جُريجٍ[١].

* قال الطَّبريُّ: وأولى الأقوال الَّتي ذكرناها في تأويل ذلك بالصَّواب القول الَّذي ذكرناه عن ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ، من أنَّه **معنيٌّ بالظُّلم في هذا الموضع كلُّ معصيةٍ لله**، وذلك أنَّ الله عمَّ بقوله {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} ولم يُخصِّص به ظلمٌ دون ظُلمٍ في خبرٍ ولا عقلٍ، فهو على عمومه[٢].

وقال النَّحَّاس: وأبين ما قيل فيه أنَّ معنى بإلحادٍ بظُلمٍ لكلِّ معصيةٍ؛ لأنَّ الاية عامَّةٌ[٣].

وقال ابن عطيَّة: الإلحاد: الميل، وهذا الإلحاد والظُّلم **يجمع جميع المعاصي من الكفر إلى الصَّغائر**، فلعظم حرمة المكان توعَّد الله تعالى على نيَّة السَّيِّئة فيه، ومن نوى سيِّئةً ولم يعملها لم يُحاسب بذلك إلَّا في مكَّة، هذا قول ابن مسعودٍ وجماعةٍ من الصَّحابة وغيرهم[٤].

وقال الشِّنقيطيُّ: الَّذي يظهر في هذه المسألة أنَّ كلَّ مُخالفةٍ بترك واجبٍ أو فعل محرَّمٍ تدخل في الظُّلم المذكور، وأمَّا الجائزات كعتاب الرَّجُل امرأتَه أو عبدَه، فليس من الإلحاد ولا من الظُّلم[٥].

* فما ذكره المعدُّ نقلًا عن ابن كثيرٍ من أنَّ الإلحاد بظُلمٍ المراد به الفظيع من المعاصي والمنكرات، ليس هو ما عليه الجمهور من عموم الآية لكلِّ ظُلمٍ، ويشهد لذلك أنَّ ابن كثيرٍ نفسَه بعد أن أورد أقوال السَّلف في المراد بالظُّلم -ومنها ما لا يُعدُّ من الفظائع كقول سعيد بن جبيرٍ: شتم الخادم ظلمٌ- قال:

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٣١).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ٦٠٢).

(٣) «معاني القرآن» (٤/ ٣٩٤).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ١١٦).

(٥) «أضواء البيان» (٤/ ٢٩٤).

وهذه الآثار وإن دلَّت على أنَّ هذه الأشياء من الإلحاد، ولكن هو أعمُّ من ذلك، بل فيها تنبيهٌ على ما هو أغلظ منها[1].

(١) «تفسير ابن كثير» (٥/ ٤١٢).

﴿١٥٨﴾ ﴿وَٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِ ٱلَّذِي جَعَلۡنَٰهُ لِلنَّاسِ سَوَآءً ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحج: ٢٥]

العاكف ليس المعتكف بالحرم، بل معناه المقيم بمكة[٣]

(٣) زاد المسير ٣/ ٢٣٠

﴿١٥٩﴾ ﴿ٱلۡعَٰكِفُ فِيهِ وَٱلۡبَادِۚ﴾ [الحج: ٢٥]

الباد لا يقصد به أهل البادية وإنما المراد من يأتي مكة من غير أهلها[١]؛ سواء من البادية أو الحاضرة.

﴿١٥٨﴾ ﴿١٥٩﴾ العُكُوف: الإقبال على الشَّيء وملازمته على سبيل التَّعظيم له، والاعْتِكَاف في الشَّرع: هو الاحتباس في المسجد على سبيل القُرْبة، ويُقال: عَكَفْتُهُ على كذا، أي: حبسته عليه[١].

ومعنى البادي: النَّازع إليه من غُربةٍ، من قولهم: قد بَدَا القوم: إذا خرجوا من الحَضَر إلى الصَّحْراء، والمسافر بادٍ، وهو خلاف الحاضر[٢].

فالمُراد به الطَّارئ عليه من غير فرقٍ بين كونه من أهل البادية أو من غيرهم[٣].

قال ابن عبَّاسٍ: العاكف: يُريد: الحاضر، والبادي: الَّذي يأتيه من البلاد، هم فيه سواءٌ.

وقال سفيان: العاكف فيه: المقيم، والبادي: الَّذي ينتابه.

وقال قتادة: العاكف: أهله، والبادي: غيرهم.

وقال السُّدِّيُّ: العاكف: المقيم فيه من أهل البلد، والبادي: الَّذي ينتابه من غير أهله.

وقال عطاءٌ: العاكف: أهل مكَّة، والبادي: من أتاه من أرض غُربةٍ[٤].

* وفي عزو المعدِّ لابن الجوزيِّ ما يُوهم أنَّه القائل بأنَّ العاكف ليس المعتكف بالحرم، وهذا نصُّ كلامه رحمه الله: في {المسجد الحرام} قولان:

---

(١) «المفردات» (ص: ٥٧٩).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣٤٤).

(٣) «فتح القدير» (٣/ ٥٢٨).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣٤٣).

أحدهما: جميع الحَرَم، روى سعيد بن جُبيرٍ عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: كانوا يرون الحَرَم كلَّه مسجدًا.

والثَّاني: نفس المسجد، حكاه الماورديُّ.

قوله تعالى: {الَّذِي جَعَلْناهُ لِلنَّاسِ} هذا وقف التَّمام. وفي معناه قولان:

أحدهما: جعلناه للنَّاس كلِّهم، لم نخصَّ به بعضهم دون بعضٍ، هذا على أنَّه جميع الحَرَم.

والثَّاني: جعلناه قبلةً لصلاتهم، ومَنْسكًا لحجِّهم، وهذا على أنَّه نفس المسجد.

وقرأ ابراهيم النَّخَعيُّ، وابن أبي عبلة، وحفصٌ عن عاصمٍ: «سواءً» بالنَّصب، فيتوجَّه الوقف على «سواء»، وقد وقف بعض القُرَّاء كذلك...

فأمَّا العاكف: فهو المقيم، والبادي: الَّذي يأتيه من غير أهله، وهذا من قولهم: بَدَا القوم: إذا خرجوا من الحَضَر إلى الصَّحْراء...

ثمَّ في معنى الكلام قولان:

أحدهما: أنَّ العاكف والبادي يستويان في سُكْنى مكَّة والنُّزول بها، فليس أحدهما أحقَّ بالمنزل من الآخر، غير أنَّه لا يُخرَج أحدٌ من بيته، هذا قول ابن عبَّاسٍ، وسعيد بن جُبيرٍ، وقتادة، وإلى نحو هذا ذهب أبو حنيفة وأحمد، ومذهب هؤلاء أن كِرَاء دور مكَّة وبيعها حرامٌ، هذا على أنَّ المسجد: الحَرَم كلُّه.

والثَّاني: أنَّه يستويان في تفضيله وحرمته وإقامة المناسك به، هذا قول الحسن، ومجاهدٍ، ومنهم من أجاز بيع دور مكَّة، وإليه يذهب الشَّافعيُّ، **وعلى هذا يجوز أن يُراد بالمسجد الحَرَم، ويجوز أن يُراد نفس المسجد**[1].

* فمَن ذهب إلى أنَّ المراد بالمسجد الحرام المسجدُ نفسُه، فيصحُّ أن يكون المراد بالعاكف فيه الملازم له أو المعتكف:

يقول الرَّازيُّ: اختلفوا في أنَّهما في أيِّ شيءٍ يستويان [يعني: العاكف والباد]:

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٢٩).

قال ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما في بعض الرِّوايات: إنَّهما يستويان في سُكْنى مكَّة والنُّزول بها، فليس أحدهما أحقَّ بالمنزل الَّذي يكون فيه من الآخر، إلَّا أن يكون واحدٌ سبق إلى المنزل، وهو قول قتادة وسعيد بن جُبيرٍ.

ومِن مذهب هؤلاء أنَّ كِرَاء دور مكَّة وبيعها حرامٌ، واحتجُّوا عليه بالآية، والخبر:

أمَّا الآية: فهي هذه، قالوا: إنَّ أرض مكَّة لا تُملك، فإنَّها لو مُلكت لم يستو العاكف فيها والبادي، فلمَّا استويا ثبت أنَّ سبيله سبيل المساجد.

وأمَّا الخبر: فقوله عليه السَّلام: «مكَّة مباحٌ لمن سبق إليها».

وهذا مذهب ابن عمر، وعمر بن عبد العزيز، ومذهب أبي حنيفة، وإسحاق الحنظليِّ رضي الله عنهم.

وعلى هذا المراد بالمسجد الحرام الحَرَم كلُّه؛ لأنَّ إطلاق لفظ المسجد الحرام والمراد منه البلد جائزٌ، بدليل قوله تعالى: {سُبْحانَ الَّذِي أَسْرى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرامِ} [الإسراء: ١]، وهاهنا قد دلَّ الدَّليل وهو قوله: {العاكف}؛ **لأنَّ المراد منه المقيم إقامةً، وإقامته لا تكون في المسجد بل في المنازل، فيجب أن يُقال: ذَكَر المسجد وأراد مكَّة.**

القول الثَّاني: المراد جعل الله النَّاس في العبادة في المسجد سواءً، ليس للمقيم أن يمنع البادي وبالعكس، قال عليه السَّلام: «يا بني عبد مناف من ولي منكم من أمور النَّاس شيئًا فلا يمنعنَّ أحدًا طاف بهذا البيت أو صلَّى أيَّة ساعةٍ من ليلٍ أو نهارٍ».

وهذا قول الحسن ومجاهدٍ، وقول مَن أجاز بيع دور مكَّة.

أمَّا الَّذي قالوه من حمل لفظ المسجد على مكَّة بقرينة قوله: {العاكف} فضعيفٌ؛ لأنَّ العاكف قد يُراد به الملازم للمسجد المعتكف فيه على الدَّوام، أو في الأكثر، فلا يلزم ما ذكروه، ويُحتمَل أن يُراد بالعاكف المجاور للمسجد المتمكِّن في كلِّ وقتٍ من التَّعبُّد فيه، فلا وجه لصرف الكلام عن ظاهره مع هذه الاحتمالات[1].

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٣/ ٢١٧). ويُنظر أيضًا «فتوح الغيب» (١٠/ ٤٦٨).

﴿١٦٠﴾ ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ﴾ [الحج: ٢٧]

رجالًا: أي على أقدامهم ؛ والمعنى يأتوك مشاة وركبانا[٢]، وليس المراد بالرجال الذكور.

﴿١٦٠﴾ أخرج ابن جريرٍ عن ابن عَبَّاسٍ {يأتوك رجَالًا} قال: مُشَاةً، {وعَلى كلِّ ضامرٍ} قال: الإبِل، {يَأْتِين من كلِّ فجٍّ عميقٍ} قال: بعيدٍ[١].

وعن ابن عبَّاسٍ: {يأتوك رِجَالًا} قال: على أرجلهم[٢].

وقال ابن عبَّاسٍ: ما آسى على شيءٍ فاتني إلَّا ألَّا أكون حججتُ ماشيًا، سمعتُ الله يقول: {يَأْتُوكَ رجالًا}[٣].

وبُدئ بذكرهم تشريفًا لهم لزيادة تعبهم[٤].

قال الطَّبريُّ: {يأتوك رجَالًا} يقول: فإنَّ النَّاس يأتون البيت الَّذي تأمرهم بحجِّه مُشاةً على أرجلهم، {وَعَلى كُلِّ ضَامِرٍ} يقول: وركبانًا على كلِّ ضامرٍ، وهي الإبل المهازيل[٥].

وقال البغويُّ: {يَأْتُوكَ رِجَالًا} مُشاةً على أرجلهم، جمع راجلٍ، مثل: قائمٍ وقيامٍ، وصائمٍ وصيامٍ[٦].

(١) «الدُّرُّ المنثور» (٦/ ٣٥).

(٢) «تفسير الطَّبريِّ» (١٨/ ٦٠٨).

(٣) «تفسير الطَّبريِّ» (١٨/ ٦٠٨).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣٥٩).

(٥) «تفسير الطَّبريِّ» (١٨/ ٦٠٥).

(٦) «تفسير البغويِّ» (٥/ ٣٧٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٦١) ﴿وَأَذِّن فِي ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾ [الحج ٢٧]

وَأَذِّن : أي نادِ في الناس ليحجوا وأعلمهم بالحج وادعهم إليه[٣]، وليس المعنى أن يؤذن للصلاة في أيام الحج كما فهم بعضهم .

(١٦١) معنى التَّأذين: النِّداء والتَّصويت للإعلام[١].

والمُؤَذِّن: كلُّ من يُعلِم بشيءٍ نداءً[٢].

قال الطَّبريُّ: {وأذِّنْ} أَعْلِم وناد في النَّاس أن حُجُّوا أيُّها النَّاس بيتَ الله الحرام[٣].

والمأمور بهذا الأذان إبراهيم في قول الجمهور، إلَّا ما رُوي عن الحسن أنَّه قال: المأمور به محمَّدٌ صلَّى الله عليه وسلَّم.

والنَّاس هاهنا: اسمٌ يعمُّ جميع بني آدم عند الجمهور، إلَّا ما روى العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: عنى بالنَّاس: أهل القبلة[٤].

قال المفسِّرون: لمَّا فرغ إبراهيم من بناء البيت أمره الله تعالى أن يُؤذِّن في النَّاس بالحجِّ، فقال إبراهيم: يا ربِّ وما يبلغ صوتي؟ قال: أذِّن وعليَّ البلاغ، فعلا على جبل أبي قُبيسٍ، وقال: يا أيُّها النَّاس إنَّ ربَّكم قد بنى بيتًا فحُجُّوه. فأسمع مَن في أصلاب الرِّجال وأرحام النِّساء ممَّن سبق في علم الله أن يحجَّ، فأجابوه: لبيك اللَّهمَّ لبيك[٥].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٣٥٧).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٠).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ٦٠٥).

(٤) «زاد المسير» (٣/ ٢٣٢).

(٥) «زاد المسير» (٣/ ٢٣٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٦٢﴾ ﴿لَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَآ إِلَى ٱلْبَيْتِ ٱلْعَتِيقِ﴾ [الحج: ٣٣]

مِحلها بكسر الحاء أي حيث يحِل نحرها[1]، وليس المعنى مكانها بفتح الحاء.

﴿١٦٢﴾ يُشتقُّ اسم الزَّمان أو المكان من الفعل الثُّلاثيِّ الصَّحيح على وزن (مَفْعَل) إذا كان مضارعه على وزن (يَفْعَل) أو (يَفْعُل)، فنقول:

لعب = يلعَب = مَلْعَب / خرج = يخرُج = مَخْرَج

ويُشتقُّ اسم الزَّمان أو المكان من الفعل الثُّلاثيِّ الصَّحيح على وزن (مَفْعِل) إذا كان مضارعه على وزن (يَفْعِل)، فنقول: نزل = ينزِل = مَنْزِل

* والفعل (حَلَّ) -بمعنى: نزل أو استقرَّ بالمكان- مضارعه (يحُلُّ) فاسم الزَّمان أو المكان منه (محَلّ) بفتح الحاء.

وذكرت بعض المعاجم أنَّه يصحُّ أن يكون مضارعه (يحِلّ)، يقول الزَّبيديُّ:

حَلَّ المكان: حَلَّ به يَحُلّ ويَحِلّ، مِن حَدَّيْ نَصَرَ وضَرَبَ، وهو ممَّا جاء بالوجهين، كما ذكره الشَّيخ ابن مالكٍ أيضًا[1].

فعلى صحَّة مجيء مضارعه (يحِلّ) فاسم الزَّمان أو المكان منه (مِحلّ) بكسر الحاء أيضًا.

*** أمَّا {مَحِلُّها} في الآية الكريمة:**

- فذكر أكثر المفسِّرين أنَّها من (حَلَّ يحِلُّ) من حِلِّ الذَّبْح، والضَّمير في (محِلِّها) المراد به البُدْن:

قال الواحديُّ: ومعنى {حَتَّى يَبْلُغَ الْهَدْيُ مَحِلَّهُ} أي: حيث يَحِلُّ ذبحُه ونَحْرُه، يُقال: حَلَّ الشَّيء يَحِلُّ حَلَالًا وحِلًّا، وهذا أوان مِحِلِّه، أي: حينَ حَلَّ، كقوله صلَّى الله عليه وسلَّم في اللَّحْم

(١) «تاج العروس» (حلل).

الَّذي تُصدِّق على بريرة: «قرِّبوه فقد بَلَغ مَحِلَّه» أي: حلَّ لنا بالهديَّة إلينا، بعد أن كان صدقةً على بَريرَة[1].

- وذكر بعضهم أنَّها من (حلَّ يحِلُّ) من حلول الدَّين، يعني: وجوبه، والضَّمير في (محلِّها) المراد به البُدْن، ووجوب البُدْن هو وجوب نحرها:

قال الألوسيُّ: {ثُمَّ مَحِلُّها} أي: وجوب نحرها، على أن يكون (مَحِل) مصدرًا ميميًّا بمعنى الوجوب، من حلَّ الدَّين: إذا وجب، أو وقت نحرها على أن يكون اسم زمان[2].

- وذكر بعضهم أنَّها من (حَلَّ يحِلُّ) من إحلال المُحرِم، والضَّمير في (محلِّها) المراد به شعائر الحجّ:

قال القُرطبيُّ: قوله تعالى: {ثُمَّ مَحِلُّها إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} يُريد: أنَّها تنتهي إلى البيت، وهو الطَّواف، فقوله: {محلُّها} مأخوذٌ من إحلال المُحرِم. والمعنى: أنَّ شعائر الحجِّ كلَّها من الوقوف بعرفة ورمي الجمار والسَّعي ينتهي إلى طواف الإفاضة بالبيت العتيق[3].

- وذكر ابن عاشورٍ أنَّها من (حَلَّ يحِلّ) من الحلول بالمكان والاستقرار به، والضَّمير في (محلِّها) المراد به البُدْن، فقال:

المَحِلُّ بفتح الميم وكسر الحاء: مصدرٌ ميميٌّ من (حَلَّ يَحِلُّ) إذا بلغ المكان واستقرَّ فِيهِ، وهو كنايةٌ عن نهاية أمرها، كما يُقال: بلغ الغاية، ونهاية أمرها النَّحر أو الذَّبح[4].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٤/ ١٦).

(٢) «روح المعاني» (٩/ ١٤٦).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٥٧).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (١٧/ ٢٥٨). وجعله من حلِّ الذَّبح في قوله تعالى {وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ مَحِلَّهُ}، فقال: والمَحِلُّ بكسر الحاء: مَحَلُّ الحِلِّ، مُشتقٌّ من فعل حَلَّ ضدُّ حَرُم، أي: المكان الَّذي يحِلُّ فيه نحر الهدي، وهو الَّذي لا يُجزئ غيره. «التَّحرير والتَّنوير» (٢٦/ ١٨٨).

* ويظهر -والله أعلم- أنَّ كلَّ من جعل الضَّمير في (محِلّها) مرادًا به البُدن، فالمَحِلُّ عندَه هو النَّحْر، سواءٌ فَسَّر ذلك بوقت حِلِّ نحرها، أو وقت وجوبه، أو وقت نزولها وبلوغها الغاية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٦٣﴾ ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ﴾ [الحج:٣٦]

يظن بعض الناس أن لفظ «البُدْن» يطلق على البعير فقط، والقول الصحيح أنه يطلق على البعير وعلى البقر(٢).

﴿١٦٣﴾ قال الزَّجَّاج: البُدْن بتسكين الدَّال وضمِّها، بَدَنَةٌ وبُدْنٌ وبُدُنٌ، مثل قولك: ثَمَرَةٌ وثُمْر وثُمُرٌ، قال: وإنَّما سُمِّيت بدنةً؛ لأنَّها تَبْدُن، أي: تسمن.

وقال ابن الأنباريُّ: يجوز أن يكون سُمِّيت بدَنَةً لعظمها وضخامتها، ويجوز أن يكون سُمِّيت لسنِّها، رجلٌ بَدَنٌ إذا كان كبير السِّنِّ، وبَدَنَت أي: أسنَّت، وبَدَنَت أي: سمنت وضخمت(١).

* واختلف العلماء في البُدْن هل تُطلق على غير الإبل من البقر أم لا؟

فقال ابن مسعودٍ وعطاءٌ والشَّافعيُّ: لا.

وقال مالكٌ وأبو حنيفة: نعم.

وفائدة الخلاف: فيمن نَذَرَ بدنةً فلم يجد البدنة أو لم يقدر عليها وقدر على البقرة، فهل تُجزئه أم لا؟

فعلى مذهب الشَّافعيّ وعطاءٍ لا تُجزئه.

وعلى مذهب مالكٍ تُجزئه(٢).

* فهذه المسألة مختلَفٌ فيها بين الفقهاء، ولكلِّ مذهبٍ أدلَّةٌ قويَّةٌ، والأولى أن يُنسب تصويب القول في مثل هذا الخلاف إلى من قال به من العلماء، فنقول: قال ابن كثيرٍ: الصَّواب صحَّة إطلاق البدنة على البقر. أو قال القُرطبيُّ: الصَّحيح أنَّ البدنة مختصَّةٌ بالإبل. أو الصَّحيح عند الحنفيَّة كذا، أو الصَّحيح عند الشَّافعيَّة كذا.

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٤٠٧).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٦١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٦٤ ﴿فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا﴾ [الحج ٣٦]

وجبت أي سقطت جنوبها بعد نحرها[٣] «أي الإبل» وليس الوجوب الذي بمعنى الإلزام.

١٦٤ (وجب) الواو والجيم والباء: أصلٌ واحدٌ يدلُّ على سقوط الشَّيء ووقوعه[١].

وقوله تعالى: {فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا مِنْهَا}

قال أبو عُبيدة والزَّجَّاج وجميع أهل اللُّغة: سقطت إلى الأرض.

يُقال: وَجَبَ الحائط يَجِب وَجْبَةً: إذا سقط، وسَمِعتُ له وجْبَةً، أي: وقعةً، ووَجَبَتِ الشَّمس: إذا وقعت للغروب في المغيب، **ووَجَبَ الشَّيء: إذا وقع لازمًا**، ووَجَبَ القلبُ وَجِيبًا: إذا وقع وتحرَّك باضطرابٍ...

وقال ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ والضَّحَّاك: خرَّت لجنوبها[٢].

فكَنَّى عن الموت بِالسُّقُوط على الجنب، كما كَنَّى عن النَّحر والذَّبح بقوله تعالى: {فَاذْكُرُوا اسْمَ اللهِ عَلَيْهَا}، والكنايات في أكثر المواضع أبلغ من التَّصريح[٣].

وظاهر ذلك يقتضي أنَّها تُذبح وهي قائمةٌ، وأُيِّد به كون البُدْن من الإبل دون البقر؛ لأنَّه لم تجر عادةٌ بذبحها قائمةً، وإنَّما تُذبح مضطجعةً، وقلَّما شُوهد نحر الإبل وهي مضطجعةٌ[٤].

* ولا أدري كيف يكون المعنى على فهم من ظنَّ أنَّ الوجوب بمعنى الإلزام على ما ذكره المعدُّ؟!

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (وجب).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٤١٢).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٦٣).

(٤) «روح المعاني» (٩/ ١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٦٥ ﴿إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلۡقَى ٱلشَّيۡطَٰنُ فِيٓ أُمۡنِيَّتِهِۦ﴾ [الحج: ٥٢]

إذا تمنى: أي إذا قرأ القرآن ألقى الشيطان الوساوس في قراءته[1]، وليس التمني هنا بمعنى طلب حصول شيء بعيد الوقوع.

١٦٥ (مني) الميم والنُّون والحرف المعتلُّ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على تقدير شيءٍ ونفاذ القضاء به.

منه قولهم: مَنَى له الماني، أي: قدَّر المُقدِّر.

وماء الإنسان: مَنِيٌّ، أي: يُقَدَّر منه خلقته.

والمَنِيَّة: الموت؛ لأنَّها مُقدَّرةٌ على كلٍّ.

وتمنِّي الإنسان كذا قياسه: أملٌ يُقدِّرُه.

وقولنا: تمنَّى الكتاب: قرأه، قال الله تعالى: {إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} [الحج: ٥٢]، أي: إذا قرأ، وهو ذلك المعنى؛ لأنَّ القراءة تقديرٌ ووضع كلِّ آيةٍ موضعَها[1].

قال أبو مسلمٍ: التَّمنِّي: نهاية التَّقدير، ومنه المنيَّة: وفاة الإنسان للوقت الَّذي قدَّره الله، ومَنَى الله لك، أي: قدَّر. وقال رُواة اللُّغة: الأُمْنِيَة: القراءة، وذلك راجعٌ إلى الأصل الَّذي ذُكِر؛ فإنَّ التَّالي مُقَدِّرٌ للحروف فيذكرها شيئًا فشيئًا[2].

وقيل: إنَّما قيل للقارئ مُتَمَنِّيًا، وللقراءة تَمَنِّيًا؛ لأنَّه إذا مرَّ بآية رحمةٍ تمنَّى دخولها، وبآية عذابٍ تمنَّى دفعَه[3].

* قال الماورديُّ: {إِلَّا إِذَا تَمَنَّى أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ} فيه تأويلان:

أحدهما: يعني أنَّه إذا حدَّث نفسَه ألقى الشَّيطان في نفسه، قاله الكلبيُّ.

الثَّاني: إذا قرأ ألقى الشَّيطان في قراءته، قاله قتادة ومجاهدٌ[4].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (مني).

(٢) «البحر المحيط» (٧/ ٥٢٧).

(٣) «عمدة الحفَّاظ» (٤/ ١١٩).

(٤) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن الجوزيّ: وفي معنى (تمنَّى) قولان:

أحدهما: تلا، قاله الأكثرون، وأنشدوا:

تمنَّى كتابَ اللهِ أوَّل ليلهِ .:. وآخرَه لاقى حِمامَ المقادِرِ

وقال آخر:

تمنَّى كتابَ الله آخرَ ليلِه .:. تمنِّيَ داودَ الزَّبورَ على رِسْلِ

والثَّاني: أنَّه من الأُمْنِيَة، وذلك أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم تمنَّى يومًا ألَّا يأتيَه من الله شيءٌ ينفر عنه به قومُه، فألقى الشَّيطان على لسانه لِما كان قد تمنَّاه، قاله محمَّد بن كعبٍ القُرظيُّ[1].

* قال الطَّبريُّ: واختلف أهل التَّأويل في معنى قوله {تمنَّى} في هذا الموضع، وقد ذكرتُ قول جماعةٍ ممَّن قال: ذلك التَّمنِّي من النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ما حدَّثته نفسُه من محبَّته مقاربة قومه في ذكر آلهتهم ببعض ما يُحبُّون.

ومن قال: ذلك محبَّةٌ منه في بعض الأحوال ألَّا تُذكر بسوءٍ.

وقال آخرون: بل معنى ذلك: إذا قرأ وتلا أو حدَّث.

وهذا القول أشبه بتأويل الكلام، بدلالة قوله: {فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللهُ آيَاتِهِ} على ذلك؛ لأنَّ الآيات الَّتي أخبر الله جلَّ ثناؤه أنَّه يُحكِمها، لا شكَّ أنَّها آيات تنزيله، فمعلومٌ أنَّ الَّذي ألقى فيه الشَّيطان هو ما أخبر الله تعالى ذكره أنَّه نسخ ذلك منه وأبطله، ثمَّ أحكمه بنسخه ذلك منه.

فتأويل الكلام إذن: وما أرسلنا من قبلك من رسولٍ ولا نبيٍّ إلَّا إذا تلا كتاب الله، وقرأ، أو حدَّث وتكلَّم، ألقى الشَّيطان في كتاب الله الَّذي تلاه وقرأه، أو في حديثه الَّذي حدَّث

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٤٥).

وتكلَّم، {فَيَنْسَخُ اللهُ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ} يقول تعالى: فيُذهب الله ما يُلقي الشَّيطان من ذلك على لسان نبيِّه ويبطله[1].

* فالتَّمنِّي بمعنى: حديث النَّفْس بتقدير أملٍ، هو وجهٌ محتمَلٌ في تفسير الآية ذهب إليه بعض المفسِّرين.

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٨/ ٦٦٧).

﴿ وَلَقَدْ خَلَقْنَا ٱلْإِنسَٰنَ مِن سُلَٰلَةٍ مِّن طِينٍ ﴾

[المؤمنون: ١٢]

سلالةٌ لأنه استُل وأخذ من الطين، من جميع الأرض، وجاء بنوه على قدر الأرض منهم الطيب والخبيث [٢]، وليست السلالة أي النوع أو الفصيل كما هو دارج.

(١٦٦) السُّلَالة: (فُعَالة) من السَّلِّ، وهو استخراج الشَّيء من الشَّيء، يُقال: سَلَلَت الشَّعر من العجين فانْسَلَّ، وسَلَلت السَّيف من غِمْدِه فانْسَلَّ، ومن هذا يُقال للنُّطْفة: سُلَالة، وللولد: سَلِيل وسُلَالَة.

قالت بنت النُّعمان بن بشيرٍ لزوجها رَوْح بن زِنْباعٍ:

وهل كنتُ إلَّا مُهْرَةً عربيَّةً .:. سَلِيلَةُ أفْراسٍ تَحَلَّلَها بَغْلُ[١]

* وقوله تعالى: {وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسانَ مِنْ سُلَالَةٍ مِن طِينٍ} فيه قولان:

أحدهما: أنَّه آدم عليه السَّلام. وإنَّما قيل: {مِنْ سُلالةٍ} لأنَّه اسْتُلَّ من كلِّ الأرض، هذا مذهب سلمان الفارسيِّ، وابن عبَّاسٍ في روايةٍ، وقتادة.

والثَّاني: أنَّه ابن آدم، والسُّلالة: النُّطفة استُلَّت من الطِّين، والطِّين: آدم عليه السَّلام، قاله أبو صالحٍ عن ابن عبَّاسٍ.

قال الزَّجَّاج: والسُّلالة: فُعَالة، وهي القليل ممَّا ينسلُّ، وكلُّ مبنيٍّ على (فُعَالة) يُراد به القليل، من ذلك: الفُضَالة، والنُّخَالة، والقُلَامة[٢].

ويدلُّ على أنَّ المراد بالإنسان ابن آدم قوله: {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً فِي قَرَارٍ مَكِينٍ} يعني: ابن آدم؛ لأنَّ آدم لم يكن نطفةً في رحمٍ.

وعلى القول الأوَّل عادت الكناية [يعني: الضَّمير في {ثُمَّ جَعَلْنَاهُ نُطْفَةً}] إلى ابن آدم لا إلى الإنسان المذكور في الآية الأولى، وجاز ذلك لأنَّه لما ذكر الإنسان -والمراد به آدم- دلَّ ذلك على إنسانٍ مثله، وعُرف ذلك بفحوى الكلام فكُنِّي عنه. وهذا قول صاحب النَّظم[١].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٥٣٣).

(٢) «زاد المسير» (٣/ ٢٥٧).

* أمَّا إطلاق السُّلالة على الفصيلة أو النَّوع من الكائنات الحيَّة المتَّفقة في الصِّفات فهو اصطلاحٌ حادثٌ أقرَّه المجمع اللُّغويُّ[٢].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٥٣٧).

(٢) يُنظر «المعجم الوسيط» (سلل).

﴿ تَنۢبُتُ بِٱلدُّهۡنِ وَصِبۡغٖ لِّلۡأٓكِلِينَ ﴾ [المؤمنون: ٢٠]

الصبغ للآكل أي الائتدام، أي جعله إدامًا يلون الخبز إذا غمس فيه وينصبغ[١]، وليس المراد بالصبغ هنا الطلاء.

١٦٧ (صبغ) الصَّاد والباء والغين أصلٌ واحدٌ، وهو تلوين الشَّيء بلونٍ ما[١].

قال اللَّيث: الصِّبْغ والصِّباغ: ما يُصطَبغ به من الأَدَم.

وقال غيره: **الأصل في الصِّبْغ والصِّبَاغ: هو ما يلوَّن به الثِّياب، فشُبِّه به ما يُصطبَغ به.** وذلك أنَّ الخبز يُلوَّن بالصِّبْغ إذا غُمِر فيه، والاصطباغ بالزَّيت الغَمْس فيه للائتدام به[٢].

* فالإدام: كلُّ ما يُؤكل مع الخبز، سواءٌ ينصبغُ به الخبز أو لا ينصبغ.

والصِّبْغ والصِّباغ: الإدام الَّذي يُلوِّن الخبزَ إذا غُمِس فيه[٣].

(١) «مقاييس اللُّغة» (صبغ).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٥/ ٥٥٨).

(٣) «تفسير البغويّ» (٥/ ٤١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٦٨﴾ ﴿وَقُل رَّبِّ أَنزِلْنِي مُنزَلًا مُّبَارَكًا وَأَنتَ خَيْرُ الْمُنزِلِينَ﴾
[المؤمنون:٢٩]

مُنزلا بضم الميم يفهمها بعضهم: بيتاً، والصواب: أي إنزالا[٢] سواء في بيت أو برية أو غيره.

﴿١٦٨﴾ قرأ الجمهور {مُنْزَلًا} بضمِّ الميم وفتح الزَّاي، وهو **اسم مفعول من (أَنْزَلَه)** على حذف المجرور، أي: مُنْزَلًا فيه. **ويجوز أن يكون مصدرًا**، أي: إنْزَالًا مباركًا. والمعنيان متلازمان.

وقرأه أبو بكرٍ عن عاصمٍ بفتح الميم وكسر الزَّاي {مَنْزِلًا}، وهو **اسمٌ لمكان النُّزول**[١].

* فالمَنزِل بفتح الميم: اسمٌ لكلِّ ما نزلتَ به.

والمُنْزَل بضمِّها: المصدر: بمعنى الإنزال، تقول: أنزلتُه إنزالًا ومُنْزَلًا[٢].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٨/ ٤٨).

(٢) «زاد المسير» (٣/ ٢٦١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٦٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَواْ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون:٦٠]

وَجَلُهُم هنا من فعل الطاعة ألا تقبل منهم وليس من فعل المعصية، قالت عائشة رضي الله عنها للمصطفى ﷺ: أهم الذين يشربون الخمر ويسرقون؟ قال: «لا يا بنت الصديق ولكنهم الذين يصومون ويصلون ويتصدقون وهم يخافون ألا يقبل منهم أولئك الذين يسارعون في الخيرات وهم لها سابقون» أخرجه الترمذي بسند صحيح [1]، وقال الحسن: «لقد أدركنا أقوامًا كانوا من حسناتهم أن ترد عليهم أشفق منكم على سيئاتكم أن تعذبوا عليها» [2].

﴿١٦٩﴾ قال ابن عطيَّة: {وَالَّذِينَ يُؤْتُونَ مَا آتَوْا} على قراءة الجمهور: يُعطُون ما أَعْطَوا.

وقال الطَّبريُّ: يريد الزَّكاة المفروضة وسائر الصَّدقة، ورُوي نحوُه عن ابن عمر ومجاهدٍ.

قال ابن عطيَّة: وإنَّما ضمَّهم إلى هذا التَّخصيص أنَّ العطاء مستعملٌ في المال على الأغلب.

قال ابن عبَّاسٍ وابن جُبيرٍ: **هو عامٌّ في جميع أعمال البِرِّ**.

وهذا أحسن، كأنَّه قال: والَّذين يُعطُون من أنفسهم في طاعة الله ما بلغه جهدهم.

* وقرأت عائشة أمُّ المؤمنين وابن عبَّاسٍ وقتادة والأعمش: {يَأْتُون ما أَتَوْا} ومعناه: يفعلون ما فعلوا، ورُويت هذه القراءة عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم.

وذهبت فرقةٌ إلى أنَّ معناه من المعاصي، وذهبت فرقةٌ إلى أنَّ ذلك في جميع الأعمال طاعتها ومعصيتها، **وهذا أمدح**.

وأسند الطَّبريُّ عن عائشة أنَّها قالت: يا رسول الله قوله تعالى: {يَأْتُونَ ما أَتَوْا} هي في الَّذي يزني ويسرق؟ قال: «لا يا بنت أبي بكرٍ، بل هي في الرَّجل يصوم ويتصدَّق وقلبه وجلٌ يخاف أن لا يُتقبَّل منه».

قال القاضي أبو محمَّدٍ: **ولا نظر مع الحديث**[1].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ١٤٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٧٠﴾ ﴿يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ﴾ [النور: ٢٥]

فهم بعض الناس معنى كلمة «دينهم» أي عبادتهم، والصواب: أن الدين هنا بمعنى الجزاء والحساب، ودينهم الحق أي جزاءهم الواجب العدل[٣]، كقوله تعالى: ﴿مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ﴾ أي يوم الجزاء والحساب.

﴿١٧٠﴾ (الدِّين) في هذه الآية الجزاء، ومنه قول الشَّاعر:

ولَمْ يَبْقَ سِوى العُدوا .:. نِ دِنَّاهُمْ

كما دَانُوا

أي: جازيناهم كما فعلوا، مِثْل المَثَل: (كما تَدِين تُدَان)[١].

قال ابن عبَّاسٍ وغيره: يُريد: يوم القيامة يجازيهم الله جزاءهم الحقَّ. أي: جزاءهم الواجب.

وقال مقاتلٌ: يعني: حسابهم العدل[٢].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ١٧٤).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ١٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٧١﴾ ﴿لَّيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٩]

المتاع أي الانتفاع والتمتع والمصلحة[٤] وليس المراد بها الأغراض أو«العفش»، وذلك كدور الضيافة وغرف الطرقات.

﴿١٧١﴾ (متع) الميم والتّاء والعين أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على منفعةٍ وامتداد مدَّةٍ في خيرٍ.

منه: استمتعتُ بالشَّيء.

والمُتْعَة والمَتَاع: المنفعة في قوله تعالى: {بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ لَكُمْ} [النور: ٢٩].

ومُتِّعَت المُطلَّقةُ بالشَّيء؛ لأنَّها تنتفع به[١].

* وقوله تعالى: {أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ} فيها خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها الخانات والبيوت المبنيَّة للسَّابلة ليأووا إليها، ويُؤوا أمتعتهم، قاله قتادة.

والثَّاني: أنَّها البيوت الخربة، والمتاع: قضاء الحاجة فيها من الغائط والبول، قاله عطاءٌ.

والثَّالث: أنَّها بيوت مكَّة، قاله محمَّد بن الحنفيَّة.

والرَّابع: حوانيت التُّجَّار الَّتي بالأسواق، قاله ابن زيدٍ.

والخامس: أنَّها جميع البيوت الَّتي لا ساكن لها؛ لأنَّ الاستئذان إنَّما جُعل لأجل السَّاكن، قاله ابن جريجٍ.

فيُخرَّج في معنى (المتاع) ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: الأمتعة الَّتي تُباع وتُشترى.

والثَّاني: إلقاء الأذى من الغائط والبول.

والثَّالث: الانتفاع بالبيوت لاتِّقاء الحرِّ والبرد[٢].

قال ابن عطيَّة: رُوي أنَّ بعض النَّاس لَمَّا نزلت آية الاستئذان تعمَّق في الأمر، فكان لا يأتي موضعًا خَرِبًا ولا مسكونًا إلَّا سلَّم واستأذن، فنزلت هذه الآية، أباح الله فيها رفع الاستئذان

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (متع).

(٢) «زاد المسير» (٣/ ٢٨٩).

في كلِّ بيتٍ لا يسكنه أحدٌ؛ لأنَّ العلَّة إنَّما هي في الاستئذان خوف الكشفة على الحرمات، فإذا زالت العلَّة زال الحكم.

ومَثَّل أهل التَّأويل من هذه البيوت أمثلةً:

فقال محمَّد بن الحنفيَّة وقتادة ومجاهدٌ: هي الفنادق الَّتي في طرق المسافرين، قال مجاهدٌ: لا يسكنها أحدٌ، بل هي موقوفةٌ ليأوي إليها كلُّ ابن سبيلٍ، وفِيها مَتاعٌ لهم، أي: استمتاعٌ بمنفعتها.

ومثَّل عطاءٌ في بيوت غير مسكونة بالخِرَب الَّتي يدخلها الإنسان للبول والغائط، ففي هذا أيضًا متاعٌ.

وقال ابن زيدٍ والشَّعبي: هي حوانيت القيساريَّات والسُّوق، وقال الشَّعبيُّ: لأنَّهم جاؤوا ببيوعهم فجعلوها فيها وقالوا للنَّاس: هَلُمّ.

قال ابن عطيَّة: **هذا قولٌ غَلَّطَ قائلَه لفظُ المتاع**، وذلك أنَّ بيوت القيساريَّة محظورةٌ بأموال النَّاس غير مباحةٍ لكلِّ من أراد دخولها بإجماعٍ، ولا يدخلها إلَّا من أُذن له بها، بل أربابها موكَّلون بدفع النَّاس عنها.

وقال محمَّد بن الحنفيَّة أيضًا: أراد تعالى دور مكَّة، وهذا على القول بأنَّها غير متملَّكةٍ، وأنَّ النَّاس شركاء فيها، وأنَّ مكَّة أُخذت عنوةً، وهذا هو في هذه المسألة القول الضَّعيف(١).

وقال جابر بن زيدٍ: **ليس يعني بالمتاع الجَهَاز**، ولكن ما سواه من الحاجة، إمَّا منزلٌ ينزله قومٌ من ليلٍ أو نهارٍ، أو خَرِبةٌ يدخلها لقضاء حاجةٍ، أو دارٌ ينظر إليها فهذا متاعٌ، وكلُّ منافع الدُّنيا متاعٌ.

قال أبو جعفرٍ النَّحَّاس: وهذا شرحٌ حسنٌ من قول إمامٍ من أئمَّة المسلمين، وهو موافقٌ للُّغة، **والمتاع في كلام العرب: المنفعة**، ومنه: أمتع الله بك(٢).

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ١٧٧).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٢٢١).

﴿١٧٢﴾ ﴿وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَىٰ جُيُوبِهِنَّ﴾ [النور: ٣١]

جُيُوبهنَّ أي صدورهن[١]، فينسدل الخمار من الوجه إلى أن يغطي الصدر، وليس الجيب بمعنى خبنة الثوب التي يخبأ فيه المال وما شابه كما هو شائع، وهذا من أقوى أدلة وجوب تغطية الوجه للمرأة إذ أمرَها الله أن تسدل الخمار على وجهها حتى يضرب صدرها.

﴿١٧٢﴾ الخُمُر: جمع الخِمَار، وهو ما تُغطِّي به المرأة رأسها، وقد تخمَّرت المرأة واختمرت، وهي حسنةُ الخِمْرَة والخُمْرة.

والجيوب: جمع الجَيْب، وهو موضع القَطْع من الدِّرْع والقميص، والجَوْب: القَطْع؟

ويُقال: أَجْبَبْت القميص: إذا أخرجت رأسك من جيبه، هذا هو الأصل، ثمَّ صار الاجتباب اسمًا للُّبْس، يُقال: اجتاب الشَّيء: إذا لبسه وإن اشتمل به[١].

وقال مقاتلٌ: {عَلى جُيُوبِهِنَّ} أي: على صدورهنَّ، يعني: على مواضع جُيُوبهنَّ[٢].

وإطلاق الجيب على ما ذُكِر هو المعروف لغةً، وأمَّا إطلاقه على ما يكون في الجنب لوضع الدَّراهم ونحوها، كما هو التَّفسير الشَّائع بيننا اليوم، فليس من كلام العرب، كما ذكره ابن تيميَّة[٣].[٤]

(١) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٢٠٦).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٢٣٠).

(٣) «روح المعاني» (٩/ ٣٣٦)..

(٤) ويُنظر معنى الجيب أيضًا في قوله تعالى: {جابُوا الصَّخْرَ بالواد} رقم (٢٩١).

﴿١٧٣﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ يَبْتَغُونَ ٱلْكِتَٰبَ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُمْ فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا﴾ [النور: ٣٣]

ليس المراد بالكتاب هنا القرآن أو غيره مما يُكتب، بل المراد بالكتاب هنا أن يشتري العبد نفسه من سيده بمال يؤديه إليه دفعة أو مقسطا[٢].

﴿١٧٣﴾ المُكاتَبَة في الشَّرع: هو أن يُكاتِب الرَّجُل عبدَه على مالٍ يُؤدِّيه مُنجَّمًا عليه، فإذا أدَّاه فهو حرٌّ[١].

والكتاب والمُكاتَبة سواءٌ، (مُفاعَلَة) ممَّا لا تكون إلَّا بين اثنين؛ لأنَّها مُعاقدةٌ بين السَّيِّد وعبدِه، يُقال: كاتب يُكاتِب كِتَابًا ومُكاتَبَةً، كما يُقال: قاتل قِتالًا ومُقاتَلةً. فالكِتاب في الآية مصدرٌ كالقِتال والجِلاد والدِّفاع.

وقيل: الكتاب هاهنا هو الكتاب المعروف الَّذي يُكتب فيه الشَّيء، وذلك أنَّهم كانوا إذا كاتبوا العبد كتبوا عليه وعلى أنفسهم بذلك كتابًا. فالمعنى: يطلبون العِتْق الَّذي يُكتب به الكتاب فيُدفَع إليهم[٢].

* ونقل الخفاجيُّ عن الدُّميريّ أنَّه قال: الكتابة لفظةٌ إسلاميَّةٌ، وأوَّل من كاتبه المسلمون عبدٌ لعمر رضي الله تعالى عنه يُسمَّى أبا أُميَّة، وصرَّح ابن حَجَرٍ أيضًا بأنَّها لفظةٌ إسلاميَّةٌ لا تعرفها الجاهليَّة، والله تعالى أعلم[٣].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٢٤٤).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٢٤٤).

(٣) «روح المعاني» (٩/ ٣٤٦).

١٧٤ ﴿ ٱللَّهُ نُورُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ مَثَلُ نُورِهِۦ كَمِشْكَوٰةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ ﴾ [النور: ٣٥]

المِشْكَاة : كُوة، أي شباك صغير مسدود غير نافذ، كالذي يوجد في البيوت القديمة وغرف التراث توضع عليه السرج وغيره، وهي أجمع للضوء وقيل هي موضع الفتيلة من القنديل[١]، وقبل أن أضع هذه الكلمة هنا سألت ثمانية من الأخوة عن المشكاة فظنوا أنها سراج أو زجاجة أو ما شابه.

١٧٤ (المشكاة) فيها ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها في موضع الفتيلة من القنديل الَّذي هو كالأُنبوب، والمصباح: الضَّوء، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: **أنَّها القِنْديل**، والمصباح: الفتيلة، قاله مجاهدٌ.

والثَّالث: أنَّها الكُوَّة الَّتي لا منفذ لها، والمصباح: السِّراج، قاله كعبٌ[١].

* وأصل المِشْكاة: الوِعَاء يُجعل فيه الشَّيء، والمِشكَاة: وِعَاءٌ من أَدَمٍ كالدَّلو يُبرَّدُ فيها الماء[٢].

والقول الأوَّل قال عنه ابن كثير أنَّه المشهور[٣].

والقول الثَّالث نسبه الواحديُّ لجميع المفسِّرين[٤]، ونسبه القُرطبيُّ للجمهور[٥]، وقال ابن عطيَّة: هو أصحُّ هذه الأقوال[٦].

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٢٩٥).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٢٥٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٨).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٢٦١).

(٥) «تفسير القُرطبيّ» (١٢/ ٢٥٧).

(٦) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ١٨٤).

وقال ابن عاشور: المِشْكاة: المعروف من كلام أهل اللُّغة أنَّها فُرجةٌ في الجدار مثل الكُوَّة، لكنَّها غير نافذةٍ، فإن كانت نافذةً فهي الكُوَّة، **ولا يُوجد في كلام الموثوق عنهم من أهل العربيَّة غير هذا المعنى**، واقتصر عليه الرَّاغب وصاحب «القاموس» و«الكشَّاف»، واتَّفقوا على أنَّها كلمةٌ حبشيَّةٌ أدخلها العرب في كلامهم فعُدَّت في الألفاظ الواقعة في القرآن بغير لغة العرب.

ووقع ذلك في «صحيح البُخاريّ» فيما فسَّره من مفردات سورة النُّور[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٨/ ٢٣٥).

﴿١٧٥﴾ ﴿لَّا تَجۡعَلُواْ دُعَآءَ ٱلرَّسُولِ بَيۡنَكُمۡ كَدُعَآءِ بَعۡضِكُم بَعۡضٗاۚ﴾ [النور: ٦٣]

أي لا تجعلوا نداءكم له كمناداة بعضكم بعضا: يا محمد و يا أبا القاسم؛ بل قولوا يا رسول الله، وكذلك مناداته لكم إذا ناداكم أجيبوه وجوبًا [٢]، وليس المراد بالدعاء هنا الطلب بل النداء.

﴿١٧٥﴾ يمكن أن نُلخِّص الأوجه الَّتي ذكرها المفسِّرون في معنى الدُّعاء في الآية في أربعة أوجهٍ:

الوجه الأوَّل: الدُّعاء بمعنى: دعاء الله تعالى، وذكروا فيه قولين:

القول الأوَّل: اتَّقوا دعاء الرَّسول عليكم إن مضيتم بغير أمره فتهلكوا، ولا تجعلوا دعاءه عليكم كدعاء بعضكم على بعضٍ، فإنَّ دعاءه مُجابٌ[١].

رُوي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: نهى الله المؤمنين أن يتعرَّضوا لدعاء الرَّسول عليهم، يقول: دعوة الرَّسول عليكم موجِبةٌ فاحذروها.

وهذا قول الحسن، قال في هذه الآية: لا تجعلوا دعاء الرَّسول عليكم كدعاء بعضهم على بعضٍ[٢].

* وتَعقَّب هذا القول ابن عطيَّة بأنَّ لفظ الآية يدفع هذا المعنى، وكأنَّه أراد أنَّ الظَّاهر عليه (على بعضٍ)[٣].

القول الثَّاني: لا تجعلوا دعاء الرَّسول ربَّه مثل ما يدعو صغيرُكم كبيرَكم وفقيرُكم غنيَّكم، يسأله حاجةً فرُبَّما أجابه ورُبَّما ردَّه، فإنَّ دعوات رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم مسموعةٌ مُستجابةٌ[٤].

---

(١) «الهداية الى بلوغ النَّهاية» (٨/ ٥١٦٥).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٣٨٨).

(٣) «روح المعاني» (٩/ ٤١٤).

(٤) «الكشَّاف» (٣/ ٢٦٠).

الوجه الثَّاني: الدُّعاء بمعنى نداء الشَّخص:

لا تجعلوا تسميته وندءه بينكم كما يُسمِّي بعضكم بعضًا وينديه باسمه الَّذي سمَّاه به أبواه، ولا تقولوا: يا محمَّد، ولكن: يا نبيَّ الله، ويا رسول الله، مع التَّوقير والتَّعظيم والصَّوت المخفوض والتَّواضع[1].

قال مجاهدٌ: أمرهم أن يدعوا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم في لينٍ وتواضعٍ، ولا يقولوا: يا محمَّد في تَجَهُّمٍ.

وقال سعيد بن جُبيرٍ: لا تقولوا يا محمَّد، قولوا: يا رسول الله.

وقال قتادة: أمرهم أن يُفخِّموه ويشرِّفوه.

وهذا قول أكثر المفسِّرين[2].

الوجه الثَّالث: الدُّعاء بمعنى الدَّعوة للاجتماع (طلب الحضور):

لا تجعلوا دعوة الرَّسول إيَّاكم للحضور لديه مُخيَّرين في استجابتها كما تَتَخيَّرون في استجابة دعوة بعضكم بعضًا[3].

وقال الزَّمخشريُّ: إذا احتاج رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إلى اجتماعكم عنده لأمرٍ فدعاكم فلا تَفرَّقوا عنه إلَّا بإذنه، ولا تقيسوا دعاءه إيَّاكم على دعاء بعضكم بعضًا، ورجوعكم عن المَجْمَع بغير إذن الدَّاعي[4].

الوجه الرَّابع: الدُّعاء بمعنى الأمر والطَّلب عمومًا:

---

(١) «الكشَّاف» (٣/ ٢٦٠).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٣٨٨).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٨/ ٣٠٨).

(٤) «الكشَّاف» (٣/ ٢٦٠).

لا تجعلوا أمره إيَّاكم ودعاءه لكم كما يكون من بعضكم لبعضٍ، إذ كان أمره فرضًا لازمًا.

قاله المبرِّد، وقال: ومثله قوله: {اسْتَجِيبُوا لِلهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ} [الأنفال: ٢٤].

قال الواحديُّ: وعلى هذا المصدر يكون مضافًا إلى الفاعل، والدُّعاء يكون من الرَّسول، وهو أليق بما بعده من التَّهديد لمن تأخَّر عن الرَّسول وخالف أمره، وهو قوله {قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا}[(١)].

ورأى الرَّازيُّ وأبو حيَّان أنَّ هذا الوجه أقرب إلى نَظْم الآية[(٢)].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٣٩١).

(٢) «مفاتيح الغيب» (٢٤/ ٤٢٥)، «البحر المحيط» (٨/ ٧٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(١٧٦) المشهور عند النُّحاة على أنَّ (قد) إذا دخلت على الفعل الماضي أفادت التَّحقيق، وإذا دخلت على الفعل المضارع أفادت التَّوقُّع[١].

قال الشَّيخ أبو حيَّان: والَّذي تلقَّنَّاه من أفواه الشُّيوخ بالأندلس أنَّها حرف تحقيقٍ إذا دخلت على الماضي، وحرف تَوقُّعٍ إذا دخلت على المستقبل[٢].

(١٧٦) ﴿قَدْ يَعْلَمُ مَآ أَنتُمْ عَلَيْهِ﴾ [النور: ٦٤]

قَدْ يَعْلَمُ: أي هو عالمٌ بما أنتم عليه مشاهدٌ له لا يعزب عنه مثقال ذرة، و«قد» هنا للتحقيق، كقوله: ﴿قَدْ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِ﴾، وقوله: ﴿قَدْ نَعْلَمُ إِنَّهُۥ لَيَحْزُنُكَ ٱلَّذِى يَقُولُونَ﴾ فكل هذه الآيات فيها تحقيق الفعل بقد[١].

* واستثنى بعض النُّحاة من ذلك أفعال الله تعالى:

قال السَّمين الحلبيُّ في قوله تعالى { قَدْ يَعْلَمُ اللهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا}: (قد) تَدُلُّ على التَّقليل مع المضارع إلَّا في أفعال الله تعالى، فتدلُّ على التَّحقيق كهذه الآية[٣].

* وذهب بعض النُّحاة إلى أنَّ (قد) تُفيد التَّحقيق أيضًا إذا دخلت على المضارع، لكنَّه قليلٌ:

قال ابن مالكٍ: (قد) تكون حرف تحقيقٍ، فتدخل على كلٍّ من بناء المضارع والماضي لتقرير معناه، ونفي الشَّكِّ عنه.

فدخولها على الماضي كثيرٌ، كقوله تعالى: {قد سمع الله قول الَّتي تُجادلك في زوجها}، وقوله تعالى: {ولقد نادانا نوحٌ}، {ولقد عهدنا إلى آدم}.

---

(١) يُنظر «الأثر العقدي في تعدد التوجيه الإعرابي لآيات القرآن» (ص ١٤١٣).

(٢) «الجنى الدَّاني» (ص: ٢٥٥).

(٣) «الدُّرُّ المصون» (٨/ ٤٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ومن دخولها على المضارع قوله تعالى: {قد نرى تقلُّب وجهك في السَّماء}، {قد يعلم الله المُعَوِّقين منكم} وقول الشَّاعر:

قد أترك القِرْن مُصْفَرًّا أنامِلُه .:. كأنَّ أثوابَه مُجَّتْ بفِرْصادِ

وهو في علم البيان من التَّقليل على طريق التَّهكُّم[1].

* يقول الشِّنقيطيُّ: ولفظة (قد) في قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {قد يعلم ما أنتم عليه} للتَّحقيق، وإتيان (قد) للتَّحقيق مع المضارع كثيرٌ جدًّا في القرآن العظيم؛ كقوله تعالى: {قد يعلم الله الَّذين يتسلَّلون منكم لواذًا}، وقوله تعالى: {قد يعلم الله المعوِّقين منكم} الآية، وقوله تعالى: {قد نعلم إنَّه ليحزنك الَّذي يقولون} الآية، وقوله تعالى: {قد نرى تقلُّب وجهك في السَّماء} الآية[2].

(١) «شرح التَّسهيل» (٤/ ١٠٨).

(٢) «أضواء البيان» (٥/ ٥٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٧٧﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَوۡلَا نُزِّلَ عَلَيۡهِ ٱلۡقُرۡءَانُ جُمۡلَةٗ وَٰحِدَةٗۚ﴾ [الفرقان: ٣٢]

جُمْلَةً: أي دفعة واحدة، وليس معناها عِبارة واحدة.

﴿١٧٧﴾ (جمل) الجيم والميم واللَّام أصلان: أحدهما: تجمُّع وعِظَم الخَلْق، والآخر: حُسْنٌ.

فالأوَّل: قولك: أَجْمَلْت الشَّيء، وهذه جملة الشَّيء. وأَجْمَلْته: حصَّلته. وقال الله تعالى: {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً} [الفرقان: ٣٢] .

ويجوز أن يكون الجَمَل من هذا؛ لعِظَم خلقه.

والجُمَّل: حبلٌ غليظٌ، وهو من هذا أيضًا.

والأصل الآخر الجَمَال، وهو ضدُّ القُبْح[١].

* قال الكلبيُّ: كانت كفَّار قريشٍ يأتون رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم فيتعنَّتونه ويسألونه، ويقولون: تزعم أنَّك رسولٌ من عند الله أفلا أتيتنا بالقرآن جُمْلةً واحدةً كما أُنزلت التَّوراة والإنجيل والزَّبور، فأنزل الله هذه الآية.

والمعنى: هلَّا نزل عليه القرآن في وقتٍ واحدٍ[٢].

أي: مجتمعًا لا كما أُنزل نُجومًا مُفترقةً[٣].

قال الزَّمخشريُّ: قالوا: هلَّا أُنزل عليه دُفعةً واحدةً في وقتٍ واحدٍ، كما أُنزلت الكتب الثَّلاثة، وماله أُنزل على التَّفاريق.

والقائلون: قريشٌ، وقيل: اليهود.

وهذا فضولٌ من القول ومماراةٌ بما لا طائل تحته؛ لأنَّ أمر الإعجاز والاحتجاج به لا يختلف بنزوله جُملةً واحدةً أو مُفرَّقًا[١].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (جمل).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٤٨٨).

(٣) «المفردات» (ص: ٢٠٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* أمَّا إطلاق لفظ (الجُمْلة) على الكلام المُركَّب من مسندٍ ومسنَدٍ إليه -ولعلَّه هو مراد المعدِّ بقوله (عبارة واحدة)- فهو وإن صحَّ لغةً لكونه جمعًا لأكثر من كلمةٍ في تركيبٍ واحدٍ، فهو اصطلاحٌ نحويٌّ خاصٌّ، كما أنَّه اصطلاحٌ متأخِّر الظُّهور.

يقول الدُّكتور علي أبو المكارم: إنَّ لفظ (الجملة) لم يُستخدم في النَّحو إلَّا في عصرٍ مُتأخِّرٍ نسبيًّا؛ إذ كان أوَّل من استعمله مصطلحًا مُحدَّدَ الدَّلالة محمَّد بن يزيد المبرِّد في كتابه «المقتضب»[٢].

(١) «الكشَّاف» (٣/ ٢٧٨).

(٢) «مقوِّمات الجملة العربيَّة» (ص٢٠) نقلته من مقالٍ بعنوان: (تعريف الجملة لغةً واصطلاحًا) لمحمود حسن عمر بموقع الألوكة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٧٨﴾ ﴿وَأَصْحَٰبَ ٱلرَّسِّ﴾ [الفرقان: ٣٨]

الرَّسُّ: أي البئر وهم قوم نُسبوا إلى البئر، قيل أنهم أصحاب الأخدود وقيل قوم ثمود وقيل غيرهم[٢]، وليس الرس البلدة المعروفة والتي هي أحد مدن القصيم في نجد.

﴿١٧٨﴾ قال ابن الجوزيّ: في (الرَّسِّ) ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّها بئرٌ كانت تُسمَّى الرَّسَّ، قاله ابن عبَّاسٍ في رواية العوفيّ.

وقال في رواية عكرمة: هي بئرٌ بأذربيجان.

وزعم ابن السَّائب أنَّها بئرٌ دون اليمامة.

وقال السُّدِّيُّ: بئرٌ بأنطاكية.

والثَّاني: أنَّ الرَّسَّ قريةٌ من قُرى اليمامة، قاله قتادة.

والثَّالث: أنَّها المَعْدِن، قاله أبو عُبيدة، وابن قُتيبة.

وفي تسميتها بالرَّسِّ قولان:

أحدهما: أنَّهم رَسُّوا نبيَّهم في البئر، قاله عكرمة. قال الزَّجَّاج: رَسُّوه، أي: دَسُّوه فيها.

والثَّاني: أنَّ كلَّ رَكِيَّةٍ لم تُطْوَ فهي رَسٌّ[١]، قاله ابن قُتيبة.

واختلفوا في أصحاب الرَّسِّ على خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم قومٌ كانوا يعبدون شجرةً، فبعث الله إليهم نبيًّا من ولد يهوذا بن يعقوب، فحفروا له بئرًا وألقَوه فيها فهلكوا، قاله عليُّ بن أبي طالبٍ.

والثَّاني: أنَّهم قومٌ كان لهم نبيٌّ يُقال له: حنظلة بن صفوان، فقتلوا نبيَّهم فأهلكهم الله، قاله سعيد بن جُبيرٍ.

والثَّالث: أنَّهم كانوا أهل بئرٍ ينزلون عليها، وكانت لهم مواشٍ، وكانوا يعبدون الأصنام، فبعث الله إليهم شُعيبًا، فتمادَوا في طغيانهم، فانهارت البئر، فخُسِف بهم وبمنازلهم، قاله وهب بن مُنَبِّهٍ.

---

(١) طَوَى الرَّكِيَّةَ طَيًّا: عرشَها بالحجارة والآجُرِّ، ويُسمَّى ذلك البئر طَوِيًّا وطَيًّا. «تاج العروس» (طوي).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والرَّابع: أنَّهم الَّذين قتلوا حبيبًا النَّجَّار، قتلوه في بئرٍ لهم، وهو الَّذي قال: {يا قَوْمِ اتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ}، قاله السُّدِّيُّ.

والخامس: أنَّهم قومٌ قتلوا نبيَّهم وأكلوه، وأوَّل من عمل السِّحْر نساؤهم، قاله ابن السَّائب[1].

* وذهب بعض المعاصرين إلى احتمال أن يكون موضع أصحاب الرَّسِّ هو مدينة الرَّسِّ بالقصيم:

يقول محمَّد المكِّيُّ النَّاصريُّ: ورجَّح ابن جريرٍ الطَّبريُّ أنَّهم هم أصحاب الأخدود الَّذين ورد ذكرهم في سورة البروج في قوله تعالى: {قُتِلَ أَصْحَابُ الْأُخْدُودِ * النَّارِ ذَاتِ الْوَقُودِ * إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ * وَهُمْ عَلَى مَا يَفْعَلُونَ بِالْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ}. ولعلَّه استند في ترجيحه إلى ما بين كلمة الرَّسِّ وكلمة الأخدود من تناسُبٍ في المعنى، إذ الأخدود هو الحفرة المستطيلة.

ويذكر ياقوتٌ الحَمَويُّ في معجمه أنَّ "الرَّسَّ" كانت آبارًا لبني أسدٍ، وأنَّها تقع في أعالي القصيم، وأكَّدت بعض الأبحاث الحديثة أنَّ القصيم توجد فيه عدَّة مدنٍ، من بينها "مدينة الرَّسِّ" الَّتي فيها معالم تاريخيَّةٌ مشهورةٌ قائمةٌ حتَّى الآن، على رأسها "وادي عاقل" الَّذي كانت تقطن فيه قبيلة بني أسدٍ، وترعى في رياضه أغنامها وإبلها، وتوجد بجوار "مدينة الرَّسِّ" عدَّة قصورٍ ومزارعٍ، وبذلك يُصبح المكان الَّذي يُنسب إليه "أصحاب الرَّسِّ" معروفًا من النَّاحية الجغرافيَّة، وأنَّه واقعٌ في الجزيرة العربيَّة المترامية الأطراف[2].

وقال سعيد حوَّى: {وَأَصْحابُ الرَّسِّ} قال النَّسفيُّ: (هو بئرٌ لم تُطْوَ، وهم قومٌ باليمامة ...) أي: بنجدٍ، وفي القصيم من نجدٍ بلدةٌ اسمها الرَّسُّ، فقد تكون هي[3].

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٣٢١).

(٢) «التَّيسير في أحاديث التَّفسير» (٤/ ٣٢٠).

(٣) «الأساس في التَّفسير» (٩/ ٥٤٥٦).

﴿١٧٩﴾ ﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا﴾ [الفرقان: ٦٨]

ليس معنى «أَثاماً» أي ذنوب وسيئات كما فهم بعض الناس، بل معناها : عقابا[1].

﴿١٧٩﴾ تفسير (الأَثام) بالعقاب مرويٌّ عن قتادة وابن زيدٍ، ونقله أبو حيَّان عن أهل اللُّغة، وأنشد قوله:

جزى الله ابنَ عُروةَ حيثُ أمسى .:. عُقوقًا، والعُقوقُ له أَثَامُ

وأخرج ابن الأنباريّ عن ابن عبَّاسٍ أنَّه فسَّره لنافع بن الأزرق بالجزاء، وأنشد قول عامر بن الطُّفيل:

ورَوَّينا الأَسِنَّةَ من صُداءٍ .:. ولاقتْ حِمْيرٌ منَّا أثامَا

والفرق يسيرٌ.

وقال أبو مسلمٍ: الأثام: الإثم، والكلام عليه على تقدير مُضافٍ، أي: جزاء أثامٍ.

أو هو مجازٌ من ذكر السَّبب وإرادة المُسبَّب.

وقال الحسن: هو اسمٌ من أسماء جهنَّم، وقيل: اسم بئرٍ فيها، وقيل: اسم جبلٍ.

وروى جماعةٌ عن عبد الله بن عمر ومجاهدٍ أنَّه وادٍ في جهنَّم، وقال مجاهدٌ: فيه قيحٌ ودمٌ.

وأخرج ابن المبارك في الزُّهد عن شفيٍّ الأصبحيّ أنَّ فيه حيَّاتٍ وعقارب، في فقار إحداهنَّ مقدار سبعين قُلَّةً من سمٍّ، والعقرب منهنَّ مثل البغلة الموكَفَة.

وعن عكرمة: اسمٌ لأوديةٍ في جهنَّم فيها الزُّناة[1].

قال أبو جعفرٍ النَّحَّاس: وأصحُّ ما قيل في هذا -وهو قول الخليل وسيبويه- أنَّ المعنى: يلق جزاء الأثام، كما قال سبحانه {واسأل القرية}[2].

(١) «روح المعاني» (١٠/ ٤٨).

(٢) «معاني القرآن» (٥/ ٥٠).

﴿١٨٠﴾ {قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَأَرْسِلْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الأعراف: ١١١]

{قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ وَابْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ} [الشعراء: ٣٦]

﴿١٨٠﴾ ﴿وَٱبۡعَثۡ فِي ٱلۡمَدَآئِنِ حَٰشِرِينَ﴾ [الشعراء: ٣٦]

المَدَائِنِ: المقصود بها مدائن مصر، جمع مدينة والتي كانت تحت سطوة فرعون وملكه[٢]، وليس المراد منطقة المدائن المعروفة.

{المدائن} أي: البلاد، جمع مدينةٍ، وهي من (مَدَنَ بالمكان) كنَصَر: إذا أقام به، ولكون الياء زائدةً -كما قال غير واحدٍ- تقلب همزةً في الجمع[١].

* قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: [ابعث] في مدائن صعيد مصر رجالًا يحشروا إليك ما في الصَّعيد من السَّحرة.

وقال الكلبيُّ: وكانت له مدائن فيها السَّحرة عُدَّةً للأشياء؛ إذا حَزَبَه أمرٌ أرسل إليهم.

وقال ابن عبَّاسٍ: وكان رُؤساء السَّحرة بأقصى مدائن الصَّعيد[٢].

* والتَّعريف في المدائن للاستغراق، أي: في مدائن القُطْر المصريّ، وهو استغراقٌ عُرفيٌّ، أي: المدائن الَّتي لحكم فرعون، أو المظنون وقوعها قُرب طريقهم[٣].

(١) «روح المعاني» (٥/ ٢٤).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٢٧٣).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (١٩/ ١٢٩).

(١٨١) {إِنَّمَا جَزَاءُ الَّذِينَ يُحَارِبُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَسْعَوْنَ فِي الْأَرْضِ فَسَادًا أَنْ يُقَتَّلُوا أَوْ يُصَلَّبُوا أَوْ تُقَطَّعَ أَيْدِيهِمْ وَأَرْجُلُهُمْ مِنْ خِلَافٍ أَوْ يُنْفَوْا مِنَ الْأَرْضِ} [المائدة: ٣٣]

(١٨١) ﴿لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ﴾ [الشعراء: ٤٩]

مِنْ خِلَافٍ: أي لأقطعن اليد اليمنى للواحد منكم ورجله اليسرى أو العكس[١]، وليس المقصود قطع يديه ورجليه من ورائه.

{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ ثُمَّ لَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} [الأعراف: ١٢٤]

{فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِي جُذُوعِ النَّخْلِ } [طه: ٧١]

{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ أَجْمَعِينَ} [الشعراء: ٤٩]

قال الطَّبريُّ: وأمَّا قوله: {أو تُقطَّع أيديهم وأرجلهم من خلافٍ}، فإنَّه يعني به جلَّ ثناؤه: أنَّه تُقطَّع أيديهم مُخالِفًا في قطعها قَطْع أرجلهم، وذلك أن تُقطع أيْمُن أيديهم، وأشْمُلُ أرجلهم، فذلك الخِلَاف بينهما في القطع[١].

أي: من كلِّ جانبٍ عضوًا مُغايرًا للآخر، كاليد من جانب، والرِّجْل من آخر.

والجارُّ [يعني: {من خلافٍ}] في موضع الحال أي: مختلِفةً.

* **والقول بأنَّ (مِن) تعليليَّةٌ مُتعلِّقةٌ بالفعل –أي: لأجل خلافكم– بعيدٌ**[٢].

* أمَّا ما ذكره المعدُّ من توهُّم البعض أنَّ القطع من وراء ظهر المقطوع، فيقتضي أن يكون التَّعبير (من خَلْفٍ) لا من (خِلافٍ).

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٠/ ٢٦٨).

(٢) «روح المعاني» (٥/ ٢٨).

١٨٢ ﴿وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمْ تَخْلُدُونَ﴾ [الشعراء: ١٢٩]

المصَانِع: أي ما صُنع وأُتقن في بنائه[٢] كالقصور والحصون، وليست المصانع التي تنتج الأجهزة والآلات والمنافع وغيرها المعروفة الآن.

١٨٢ قال اللَّيث: المَصْنَعة: شبه صِهْرِيجٍ عميقٍ يُتَّخَذ للماء، والجمع: المصانع. والمصانع: الَّتي يتَّخذها النَّاس من الأبنية والآبار، قال لَبِيدٌ:

بَلِينَا وما تَبْلى النُّجومُ الطوالعُ .:.
وتَبَلَى الدِّيارُ بعدَنا والمصانعُ

وقال أبو عُبيدة: كلُّ بناءٍ مَصْنَعة.

قال الأزهريُّ: وقال بعضهم: هي أحباسٌ تُتَّخذ للماء، كالزِّلَف، واحدها: مَصْنَعة ومَصْنَع، يحتفرها النَّاس فيملؤها ماء السَّماء فيشربونها. ويُقال للقصور أيضًا: مصانع.

قال ابن عبَّاسٍ: هي الأبنية.

وقال مجاهدٌ: قصورًا مُشيَّدةً، وبنيانًا مُخلَّدًا.

وقال الكلبيُّ: مصانع: منازل.

وقال مقاتلٌ: يعني: القُصور.

وذكر قتادة القولين؛ أحدهما: القصور، والحصون. والثاني: مآخذ للماء.

وقال سفيان: المصانع: الَّتي يكون فيها الماء[١].

قال السَّمين الحلبيُّ: والكلُّ مُرادٌ، فإنَّ القوم فعلوا كلَّ ذلك[٢].

* أمَّا المصانع بمعناها المعاصر فلا يُحمَل عليها نصُّ القرآن، لأنَّ العرب لم تعرفها، وعادٌ لم تتَّخذها.

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٩٤).

(٢) «عمدة الحُفَّاظ» (٢/ ٣٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٨٣﴾ ﴿وَالشُّعَرَاءُ يَتَّبِعُهُمُ الْغَاوُونَ ﴿٢٢٤﴾ أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ وَادٍ يَهِيمُونَ ﴿٢٢٥﴾﴾ [الشعراء: ٢٢٤، ٢٢٥]

في كُلِّ وادٍ: أي في كل لغوٍ يخوضون، قال ابن عباس: في كل فن من الكلام، قال الحسن البصري: «قد والله رأينا أوديتهم التي يهيمون فيها مرة في شتمة فلان ومرة في مدحة فلان»[1]، وليس المراد بها الأودية المعروفة.

﴿١٨٣﴾ قال ابن عبَّاسٍ: في كلِّ فنٍّ من الكذب يتكلَّمون.

وقال مجاهدٌ: في كلِّ فنٍّ يفتَنُّون.

وقال مقاتلٌ: في كلِّ فنٍّ يأخذون.

وعن ابن عبَّاسٍ أيضًا: في كلِّ لَغْوٍ يخوضون.

وقال قتادة: يمدحون بباطلٍ، ويشتمون بباطلٍ[1].

قال أبو جعفرٍ النَّحَّاس: والتَّقدير في اللُّغة: في كلِّ وادٍ من القول يهيمون[2].

* وقال ابن الأعرابيّ: قال بعضهم: **هو وادي الصَّحْراء يَخْلُو فيه العاشق والشَّاعر**[3].

قال الزَّجَّاج: **ليس يُعنَى به أودية الأرض**، إنَّما هو مثلٌ لقولهم وشعرهم، كما تقول في الكلام: أنا لك في وادٍ وَأَنْتَ لي في وادٍ، وليس يُريد أنَّك في وادٍ من الأرْضِ، إنَّما يُريد أنا لك في وادٍ من النَّفع كبيرٍ وأنت لي في صِنْفٍ[4].

قال أبو السُّعود: ألم تَرَ أنَّ الشُّعراءَ في كلِّ وادٍ من أودية القيل والقال، وفي كلِّ شِعْبٍ من شِعابِ الوهم والخيال، وفي كلِّ مسَلكٍ من مسالك الغَيِّ والضَّلال، يهيمونَ على وجوهِهم لا يهتدون إلى سبيلٍ مُعيَّنٍ من السُّبل، بل يتحيرَّون في فيافي الغَوايةِ والسَّفاهة، ويتيهُون في تيه المجُون

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ١٤٩).

(٢) «معاني القرآن» (٥/ ١٠٨).

(٣) «تهذيب اللُّغة» (٦/ ٢٥٢)، «التَّفسير البسيط» (١٧/ ١٤٩).

(٤) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ١٠٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والوقاحِة، دينُهم تمزيقُ الأعراضِ المحميَّة، والقَدْح في الأنسابِ الطَّاهرةِ السَّنيَّة، والنَّسيب بالحرام والغَزل، والابتهار والتَّردُّد بين طرفي الإفراط والتَّفريطِ في المدح والهجاء[1].

(١) «تفسير أبي السُّعود» (٦/ ٢٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨٤ ﴿فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ﴾ [النمل: ١٠]

الجَانّ: نوع من الحيات سريع الحركة[٢]، وليس من الجن قسيم الإنس.

١٨٤ {وَأَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ } [النمل: ١٠]

{وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَانٌّ وَلَّى مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ} [القصص: ٣١]

{فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ تَسْعَى } [طه: ٢٠]

فآية طه تُفسِّر آيتي النَّمل والقصص.

* قال اللَّيث: الجانُّ: حيَّةٌ بيضاء.

وقال ابن شُمَيْل: الجانُّ: حيَّةٌ أبيض دقيق أملس لا يضرُّ أحدًا، وجمع الجانِّ: جِنَّان.

وفي الحديث: «نهى عن قتل جِنَّان البيوت»؛ وهي حيَّاتٌ بيضٌ تكون في البيوت، لا تضرُّ ولا تُؤذي[١].

وقال أبو عُبيدة: {كَأَنَّهَا جَانٌّ}: وهي جنسٌ من الحيَّات[٢].

وقال الفَرَّاء الجانُّ: الحيَّة الَّتي ليست بالعظيمة ولا الصَّغيرة[٣].

* قال الماورديُّ: {فَلَمَا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ} فيه وجهان:

أحدهما: أنَّ الجانَّ الحيَّة الصُّغيرة، سُمِّيت بذلك لاجتنانها واستتارها.

والثَّاني: **أنَّه أراد بالجانِّ الشَّيطان من الجنِّ؛ لأنَّهم يُشبِّهون كلَّ ما استهولوه بالشَّيطان،** كما قال تعالى: {طَلْعُهَا كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ} [الصافات: ٦٥].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ١٧٠).

(٢) «مجاز القرآن» (٢/ ٩٢).

(٣) «معاني القرآن» (٢/ ٢٨٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقد كان انقلاب العصا إلى أعظم الحيَّات لا إلى أصغرها، كما قال تعالى: {فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ} [الأعراف: ١٠٧][(١)].

قال ابن الجوزيّ: فإن قيل: إنَّما كانت العصا واحدةً، وكان إلقاؤها مَرَّةً، فما وجه اختلاف الإخبار عنها، فإنَّه يقول في الأعراف: {فَإِذا هِيَ ثُعْبانٌ مُبِينٌ}، وهاهنا: (حيَّةٌ)، وفي مكانٍ آخر: {كَأَنَّها جَانٌّ} ليست بالعظيمة، والثُّعبان أعظم الحيَّات؟

فالجواب: أنَّ صفتها بالجانِّ عبارةٌ عن ابتداء حالها، وبالثُّعبان إخبارٌ عن انتهاء حالها، والحيَّة اسمٌ يقع على الصَّغير والكبير، والذَّكر والأنثى.

وقال الزَّجَّاج: خَلْقُها خَلْق الثُّعبان العظيم، واهتزازها وحركتها وخِفَّتها كاهتزاز الجانِّ وخِفَّته[(٢)].

* فالقول بأنَّ الجانَّ هنا الحيَّة هو قول جمهور المفسِّرين، ويشهد له نصُّ آية طه، كما أنَّ إطلاق الجانِّ على الحيَّة حقيقةٌ لغويَّةٌ أيضًا، فحمل معنى الآية عليها أقرب، خاصَّةً أنَّ ما ذكره الماورديُّ من توجيهٍ لحمل المعنى على التَّشبيه بالشَّيطان لا حاجة إليه بعد ما أورده ابن الجوزيّ من وجوهٍ للجمع بين اختلاف الإخبار عن إلقاء العصا.

(١) «النُّكَت والعيون» (٤/ ١٩٦).

(٢) «زاد المسير» (٣/ ١٥٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨٥ ﴿وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ﴾ [النمل: ١٢]

الجَيْب: هنا هو فتحة الثوب من الأعلى مما يلي العنق[٣]، وليس المخباة.

١٨٥ الجَيْب: مدخل الرَّأس من القميص لا ما يُوضع فيه الدَّراهم كما هو معروفٌ الآن؛ لأنَّه مُولَّدٌ[١] [٢].

* قال أهل التَّفسير: كانت عليه مِدْرَعَةٌ من صُوفٍ لا كُمَّ لها ولا أزرار، فأدخل يده في جيبه وأخرجها، فإذا هي تبرُق مثل البَرْق[٣].

(١) «حاشية الشِّهاب» (٧/ ٣٥).

(٢) وسبق بيان معنى الجيب في رقم (١٧٢)

(٣) «تفسير البغويّ» (٦/ ١٤٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

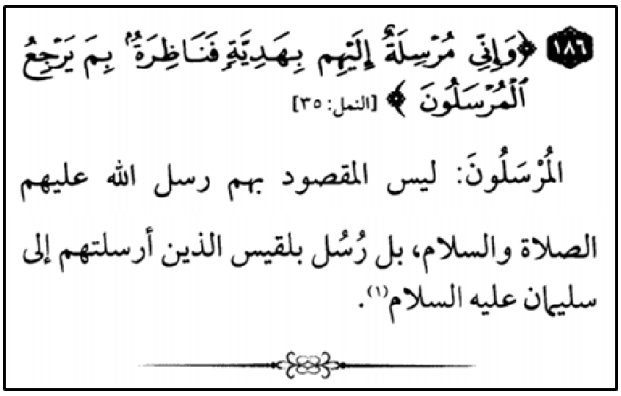

١٨٦ قال المفسِّرون: دعت بلقيسُ رجُلًا من أشراف قومها يُقال له: المُنْذِر بن عمرٍو، وضمَّت إليه رجالًا أصحاب رأيٍ وعقلٍ، وبعثتهم وفدًا إلى سليمان مع الهديَّة، وهم المرسلون في قوله: {بِمَ يَرْجِعُ الْمُرْسَلُونَ}(١).

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٢٣٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٨٧﴾ ﴿صَرْحٌ مُّمَرَّدٌ مِّن قَوَارِيرَ﴾ [النمل: ٤٤]

ليس معنى القوارير هنا جمع قارورة أي القنينة أو آنية الزجاج التي توضع فيه السوائل بل معنى من قوارير: أي من زجاج، وذلك أن سليمان عليه السلام أمر الشياطين فبنوا لها قصرًا عظيمًا من قوارير أي من زجاج وأجرى تحته الماء فالذي لا يعرف أمره يحسب أنه ماء ولكن الزجاج يحول بين الماشي وبينه[٢].

﴿١٨٧﴾ القَوَارِير: جمع قَارُورَة، وهي اسمٌ لإناءٍ من الزُّجاج كانوا يجعلونه للخَمْر ليَظْهر للرَّائي ما قَرَّ في قعر الإناء من تَفَثِ الخمر، فيظهر المقدار الصَّافي منها، فسُمِّي ذلك الإناء قارُورةً لأنَّه يَظهر منه ما يقرُّ في قعره، وجُمعت على قوارير، ثمَّ أُطلق هذا الجمع على الطِّين الَّذي تُتَّخذ منه القارورة، وهو الزُّجاج، فالقوارير من أسماء الزُّجاج، قال بشَّارٌ:

ارْفُقْ بِعَمْرٍو إِذَا حَرَّكْتَ نِسْبَتَهُ .:. فَإِنَّهُ عَرَبِيٌّ مِنْ قَوَارِيرَ

يُريد: أنَّ نسبته في العرب ضعيفةٌ إذا حُرِّكتْ تكسَّرت[١].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (١٩/ ٢٧٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

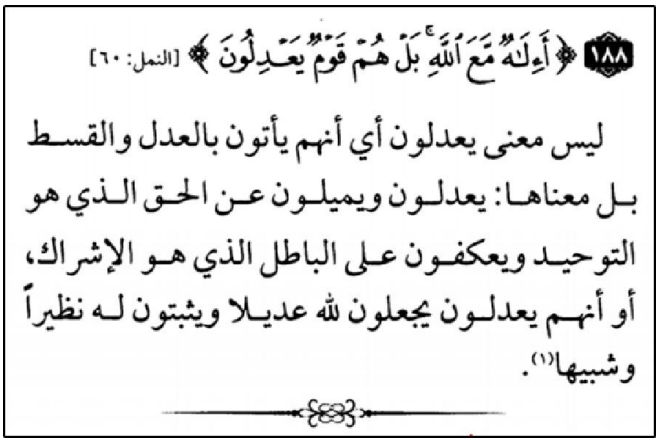

١٨٨ {بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ} فيه وجهان:

أحدهما: أي: يعدلون عن الحقِّ.

الثَّاني: يُشركون بالله فيجعلون له عِدْلًا، أي: مِثْلًا، قاله قُطْرُب ومقاتلٌ[1].

فيكون (يعدلون) من (عَدَلَ) الَّذي يتعدَّى بالباء، أو (يعدلون) عن الحقِّ من (عَدَلَ) الَّذي يُعدَّى بـ(عن)[2].

والعُدول عن الحقِّ بمعنى: الانحراف، أي: بل هم قومٌ عادتهم العدول عن طريق الحقِّ بالكُلِّيَّة والانحراف عن الاستقامة في كلِّ أمرٍ من الأمور، فلذلك يفعلون ما يفعلون من العدول عن الحقِّ الواضح الَّذي هو التَّوحيد[3].

(١) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٢٢١).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٠/ ١٢).

(٣) «روح المعاني» (١٠/ ٢١٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٨٩ ﴿فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]

عَن جُنُبٍ: أي رأت أخاها من بعيد فلم تدنُ منه لئلا يشعروا بها[٢]، وليس الجُنُب أي الجانب، ومثله قوله تعالى: ﴿وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا وَبِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينِ وَٱلْجَارِ ذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْجَارِ ٱلْجُنُبِ﴾ الجار الجنب: أي الجار البعيد الذي ليس بيننا وبينه قرابة[٣]، وكذلك من يصدق عليه مسمى الجوار مع كون داره بعيدة[٤].

١٨٩ (جنب) الجيم والنُّون والباء أصلان متقاربان: أحدهما: النَّاحية، والآخر: البُعْد.

فأمَّا النَّاحية: فالجَنَاب. يُقال: هذا من ذلك الجَنَاب، أي: النَّاحية. وقعد فلانٌ جَنْبَةً: إذا اعتزل النَّاس.

ومن الباب: الجَنْب للإنسان وغيره.

وأمَّا البُعْد: فالجَنَابة، قال الشاعر:

فَلَا تَحْرِمَنِّي نَائِلًا عَنْ جَنَابَةٍ .:. فَإِنِّي امْرُؤٌ وَسْطَ الْقِبَابِ غَرِيبُ

ويُقال: إنَّ الجُنُب الَّذي يُجامع أهلَه مُشتقٌّ من هذا؛ لأنَّه يَبعُدُ عمَّا يَقْرُب منه غيرُه، من الصَّلاة والمسجد وغير ذلك[١].

* **قال ابن عبَّاسٍ في رواية سعيد بن جُبيرٍ {عَنْ جُنُبٍ} قال: عن جانبٍ.**

وقال مجاهدٌ: عن بُعدٍ.

وقال عكرمة وقتادة: بَصُرت به وهي مجانبةٌ لم تأته.

وقال مقاتلٌ: {عَنْ جُنُبٍ} كأنَّها مُجانبةٌ له ترقبه، وعينها إلى التَّابوت وهي معرضةٌ عنه بوجهها[٢].

قال الماورديُّ: {فَبَصُرَتْ بِهِ عَن جُنُبٍ} فيه ثلاثة أقاويل:

أحدها: عن جانبٍ، قاله ابن عبَّاسٍ.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (جنب).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٣٤٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

الثَّاني: عن بُعدٍ، قاله مجاهدٌ، ومنه الأجنبيُّ...

الثَّالث: عن شوقٍ، حكاه أبو عمرو بن العلاء، وذكر أنَّها لغة جذامٍ، يقولون: جنبت إليك، أي: اشتقت[1].

وقال الألوسيُّ: {عَنْ جُنُبٍ} أي: عن بُعدٍ.

وقيل: أي: عن شوقٍ إليه حكاه أبو عمرو بن العلاء...

وقال الكرمانيُّ: جُنُبٍ صفةٌ لموصوفٍ محذوفٍ، أي: عن مكانٍ جُنُبٍ، أي: بعيدٍ. وكأنَّه من الأضداد، فإنَّه يكون بمعنى القريب أيضًا كالجار الجُنُب.

وقيل: أي: عن جانبٍ؛ لأنَّها كانت تمشي على الشَّطِّ.

وقيل: النَّظر عن جُنُبٍ أن تنظر إلى الشَّيء كأنَّك لا تُريده.

وقرأ قتادة والحسن وزيد بن عليٍّ رضي الله تعالى عنه والأعرج (عن جَنْبٍ) بفتح الجيم وسكون النُّون.

وعن قتادة أنَّه قرأ بفتحهما أيضًا [(عن جَنَبٍ)].

وعن الحسن أنَّه قرأ بضمِّ الجيم وإسكان النُّون [(عن جُنْبٍ)].

وقرأ النُّعمان بن سالمٍ (عن جانبٍ).

والكلُّ على ما قيل: بمعنًى واحدٍ.

وفي البحر: الجَنْب، والجانب، والجَنَابة، والجَنَاب بمعنًى[2].

* قال الواحديُّ: لم يذكر الفرَّاء ما ذكره غيره من أنَّها تجتنب أن يفطنوا بها؛ واقتصر من تفسير قوله: {عَنْ جُنُبٍ} على البُعدِ فقط، وليس المعنى في قوله: {عَنْ جُنُبٍ} بُعد المسافة كما توهَّمه؛ وإنَّما هو: التَّباعد والمجانبة أن يعلموا بحالها وأنَّها ترقبه، كما ذكره المفسِّرون وأهل المعاني، ولا تُستعمَل الجُنُب والجنابة في بُعد المسافة، ألا ترى إلى قول علقمة بن عَبْدَة:

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٢٣٨).

(٢) «روح المعاني» (١٠/ ٢٦٠).

فلا تَحْرِمَنِّي نائلًا عن جَنَابةٍ .:. فإنِّي امرؤٌ وَسْطَ القِبابِ غريبُ

أراد بُعدَ النَّسب لا بُعد المسافة[1].

* فتفسير الجُنُب بالجانب في هذه الآية يُنسب لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، وهو قول مُحتمَلٌ، وليس خطأً كما ذهب إليه معدُّ الكتاب.

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٣٤٥).

١٩٠ ﴿وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ ۖ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [القصص: ١١]

قُصِّيهِ: أي قصي أثره وتتبعيه[١]، وليس اذكري قصته كما توهم بعضهم.

١٩٠ (قصَّ) القاف والصَّاد أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على تتبُّع الشَّيء.

من ذلك قولهم: اقتصصت الأثر: إذا تتبعته.

ومن ذلك اشتقاق القِصاص في الجِرَاح، وذلك أنَّه يُفعَل به مثلُ فعله بالأوَّل، فكأنَّه اقتصَّ أثرَه.

ومن الباب القِصَّة والقَصَص، كلُّ ذلك يُتتبَّع فيُذكَر[١].

قال الواحديُّ: قوله: {وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ} لأخت موسى {قُصِّيهِ}: اتَّبعي أثرَه. يُقال: قَصَصْت الشَّيء -إذا تَتبَّعت أثره شيئًا بعد شيءٍ- قَصًّا وقَصَصًا.

قال المبرِّد: فلانٌ يقصُّ أثر الجيش، أي: يتَّبعه مُتعرِّفًا.

قال ابن عبَّاسٍ: تُريد: اطلبي أثره، وانظُري أين وقع، وإلى مَن صار.

وقال مجاهدٌ: اتَّبعي أثرَه كيف يُصنع به.

وقال مقاتلٌ: قُصِّي أثرَه حتَّى تعلمي علمَه مَن يأخذُه.

وقال ابن إسحاقٍ: انظري ماذا يفعلون به.

هذا قول المفسِّرين، ودلَّ كلامهم على أنَّ القَصَّ: تتبُّع الأثر مع التَّعرُّف؛ كما قال المبرِّد[٢].

وقال السَّمعانيُّ: وقوله: {قُصِّيهِ} أي: اتَّبعي أثرَه، ومنه القَصَص؛ لأنَّها رِوايةٌ يتبع بعضها بعضًا[٣].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (قصص).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٣٤٣).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٤/ ١٢٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٩١﴾ ﴿وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ [القصص:٥١]

وَصَّلْنَا: أي أن القرآن نزل متواصلًا متتابعًا وليس دفعة واحدة من الوصل[٣]، وقيل أي مفصلاً، وليس المراد بهذه الآية أنه أوصله إليهم من الإيصال.

﴿١٩١﴾ قال الألوسيُّ: {وَلَقَدْ وَصَّلْنَا لَهُمُ الْقَوْلَ} الضَّمير لأهل مكَّة، وأصل التَّوصيل ضمُّ قطع الحبال بعضها ببعضٍ قال الشَّاعر:

فقُلْ لبني مروانَ ما نالَ ذمَّتي .:. بحبلٍ ضعيفٍ لا يزالُ يُوصَّلُ

والمعنى: ولقد أنزلنا القرآن عليهم مُتواصلًا بعضُه إثر بعضٍ حسبما تقتضيه الحكمة، أو مُتتابعًا وعدًا ووعيدًا، وقصصًا وعِبرًا، ومواعظ ونصائح.

وقيل: جعلناه أَوْصالًا، أي: أنواعًا مختلفةً: وعدًا ووعيدًا... إلخ.

وقيل: المعنى: وصَّلْنا لهم خبر الآخرة بخبر الدُّنيا حتَّى كأنَّهم عاينوا الآخرة.

وعن الأخفش: أتممنا لهم القول.

وقرأ الحسن (وَصَلْنا) بتخفيف الصَّاد، والتَّضعيف في قراءة الجمهور للتَّكثير، ومن هنا قال الرَّاغب في تفسير ما في الآية عليها: أي: أكثرنا لهم القول موصولًا بعضه ببعضٍ[١].

وقال ابن عاشورٍ: التَّوصيل: مبالغةٌ في الوَصْل، وهو ضمُّ بعض الشَّيء إلى بعضٍ، يُقال: وَصَلَ الحبل إذا ضمَّ قِطَعَه بعضها إلى بعضٍ فصار حبلًا.

و(القول) مرادٌ به القرآن، قال تعالى: {إِنَّهُ لَقَوْلٌ فَصْلٌ} [الطارق: ١٣]، وقال: {إِنَّهُ لَقَوْلُ رَسُولٍ كَرِيمٍ} [الحاقة: ٤٠]، فالتَّعريف للعهد، أي: القول المعهود.

وللتَّوصيل أحوالٌ كثيرةٌ: فهو باعتبار ألفاظه وصل بعضُه ببعضٍ ولم ينزل جملةً واحدةً.

وباعتبار معانيه وصل أصنافًا من الكلام: وعدًا ووعيدًا، وترغيبًا وترهيبًا، وقَصَصًا ومواعظ وعِبرًا، ونصائح يعقب بعضها بعضًا، وينتقل من فنٍّ إلى فنٍّ، وفي كلِّ ذلك عونٌ على نشاط الذِّهن للتَّذكُّر والتَّدبُّر[٢].

(١) «روح المعاني» (١٠/ ٣٠٠).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٠/ ١٤٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿١٩٢﴾ ﴿لَا تَفْرَحْ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ﴾ [القصص: ٧٦]

قال في ظلال القرآن: «لا تفرح فرح الزهو المنبعث من الاعتزاز بالمال، والاحتفال بالثراء، والتعلق بالكنوز والابتهاج بالملك والاستحواذ، لا تفرح فرح البطر الذي ينسي المنعم بالمال وينسي نعمته، وما يجب لها من الحمد والشكران، لا تفرح فرح الذي يستخفه المال، فيشغل به قلبه، ويطير له لبه، ويتطاول به على العباد»[1]، ويتعلق بالدنيا وينسى معه الآخرة، وليس الفرح المذموم مجرد السرور المقرون بشكر المنعم والقيام بحق النعم.

﴿١٩٢﴾ قال ابن قُتيبة: {لا تَفْرَحْ}: لا تَأْشَرْ، ولا تَبْطَرْ، قال الشَّاعر:

ولستُ بِمِفْرَاحٍ إذا الدَّهْرُ سَرَّنِي .:.
ولا جازعٍ من صَرْفِهِ المُتَحَوِّلِ

أي: لستُ بأَشِرٍ، فأمَّا السُّرورُ فليس بمكروهٍ[1].

ويقول ابن عاشورٍ: الفرح: يُطلق على السُّرور كما في قوله تعالى: {وَفَرِحُوا بِهَا}، ويُطلق على البَطَر والازدهاء، وهو الفرح المُفرِط المذموم، وتقدَّم في قوله تعالى: {وَفَرِحُوا بِالْحَيَاةِ الدُّنْيَا}، وهو التَّمحُّض للفرح.

والفرح المنهيُّ عنه هو المُفرِط منه، أي: الَّذي تمحَّض للتَّعلُّق بمتاع الدُّنيا ولذَّات النَّفس به؛ لأنَّ الانكباب على ذلك يُميت من النَّفس الاهتمام بالأعمال الصَّالحة والمنافسة لاكتسابها، فينحدر به التَّوغُّل في الإقبال على اللَّذَّات إلى حضيض الإعراض عن الكمال النَّفسانيّ والاهتمام بالآداب الدِّينيَّة.

فحذف المتعلِّق بالفعل لدلالة المقام على أنَّ المعنى {لا تفرح} بلذَّات الدُّنيا مُعرِضًا عن الدِّين والعمل للآخرة، كما أفصح عنه قوله: {وَابْتَغِ فِيمَا آتَاكَ اللَّهُ الدَّارَ الْآخِرَةَ}.

وأحسب أنَّ الفرح إذا لم يُعلَّق به شيءٌ دلَّ على أنَّه صار سجيَّة الموصوف، فصار مرادًا به العُجب والبَطَر[2].

---

(١) «غريب القرآن» (ص: ٣٣٥).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٠/ ١٧٨).

* قال ابن عطيَّة: **الفَرَح إذا ورد مُقيَّدًا في خيرٍ فليس بمذمومٍ، وإذا ورد مُقيَّدًا في شرٍّ أو مُطلقًا لحقه ذمٌّ**؛ إذ ليس من أفعال الآخرة، بل ينبغي أن يغلب على الإنسان حزنه على ذنبه، وخوفه لربِّه[1].

وقال ابن القيِّم: قد جاء الفرح في القرآن على نوعين: مُطلقٍ، ومُقيَّدٍ:

فالمُطلَق: جاء في الذَّمِّ، كقوله تعالى: {لا تفرح إنَّ الله لا يُحبُّ الفرحين} [القصص: ٧٦] . وقوله: {إنَّه لفرحٌ فخورٌ} [هود: ١٠] .

والمُقيَّد: نوعان أيضًا:

مُقيَّدٌ بالدُّنيا، يُنسي صاحبه فضل الله ومنَّتَه، فهو مذمومٌ، كقوله: {حتَّى إذا فرحوا بما أُوتوا أخذناهم بغتةً فإذا هم مُبلِسون} [الأنعام: ٤٤] .

والثَّاني: مُقيَّدٌ بفضل الله وبرحمته، وهو نوعان أيضًا: فضلٌ ورحمةٌ بالسَّبب، وفضلٌ بالمُسبِّب.

فالأوَّل: كقوله: {قل بفضل الله وبرحمته فبذلك فليفرحوا هو خيرٌ ممَّا يجمعون} [يونس: ٥٨]

والثَّاني: كقوله: {فرحين بما آتاهم الله من فضله} [آل عمران: ١٧٠][2].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ١٢٦).

(٢) «مدارج السَّالكين» (٣/ ١٤٩).

﴿١٩٣﴾ ﴿يَٰلَيۡتَ لَنَا مِثۡلَ مَآ أُوتِيَ قَٰرُونُ إِنَّهُۥ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٖ﴾ [القصص: ٧٩]

الحظ هنا بمعنى النصيب أي إنه لذو نصيب وافر من الدنيا[٢]، وليس الحظ بمعنى البخت.

﴿١٩٣﴾ قال الطَّبريُّ: {إِنَّهُ لَذُو حَظٍّ عَظِيمٍ} يقول: إنَّ قارون لذو نصيبٍ من الدُّنيا[١].

وأصل الحَظِّ: القَسْم الَّذي يُعطاه المَقسُوم له عند العطاء، وأُريد به هنا ما قُسِم له من نعيم الدُّنيا[٢].

* ولا أدري وجه تفريق المُعدِّ بين الحظِّ والبَخْت، وقد ذكرتهما عددٌ من المعاجم اللُّغويَّة بمعنًى واحدٍ!

ففي «النِّهاية» لابن الأثير: الحَظُّ: الجَدُّ والبَخْت.

وفي «المصباح المنير»: البَخْت: الحَظُّ وزنًا ومعنًى، وهو عجميٌّ.

* وممَّن فسَّر الحظَّ في الآية بالبَخْت:

الزَّمخشريُّ، فقال: والحظُّ: الجَدُّ، وهو البَخْت والدَّوْلَة، وصفوه بأنَّه رجلٌ مَجْدُودٌ مَبْخُوتٌ، يُقال: فلانٌ ذو حظٍّ، وحَظِيظٌ، ومَحْظُوظٌ، وما الدُّنيا إلَّا أحاظٍ وجُدودٌ[٣].

وأبو حيَّان، فقال: {إنَّه لذو حظٍّ عظيمٍ} أي: درجةٍ عظيمةٍ، قاله الضَّحَّاك. وقيل: نصيبٌ كثيرٌ من الدُّنيا، والحظُّ: البَخْت والسَّعْد، يُقال: فلانٌ ذو حظٍّ، وحظيظٌ، ومحظوظٌ[٤].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٩/ ٦٢٩).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٠/ ١٨٣).

(٣) «الكشَّاف» (٣/ ٤٣٢).

(٤) «البحر المحيط» (٨/ ٣٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿١٩٤﴾ ﴿وَكَأَيِّن مِّن دَآبَّةٍ لَّا تَحْمِلُ رِزْقَهَا اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ﴾ [العنكبوت ٦٠]

ليس معنى حمل الرزق أي رفْعه فحسب كما يفهمها بعض الناس، بل معناه ادخاره وتخزينه[٣].

﴿١٩٤﴾ قوله تعالى: {لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا}

قال ابن عبَّاسٍ: لا تقدر على رزقها.

وقال مقاتلٌ: لا ترفع رزقها معها.

وقال سفيان وعليُّ بن الأقمر: لا تدَّخر شيئًا لغدٍ[١].

* والحَمْل بمعنى: رفع الطَّعام فحسْب معنًى صحيحٌ أيضًا، ذكروه المفسِّرون وجهًا مُحتملًا في تفسير الآية:

يقول الزَّمخشريُّ: لا تُطيق أن تحمله لضعفها عن حمله... وعن الحسن: {لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا}: لا تدَّخره، إنَّما تصبح فيرزقها الله[٢].

ويقول الرَّازيُّ: قيل: لا تحملُ لضعفها، وقيل: هي كالقمل والبُرْغُوث والدُّود وغيرها، وقيل: لا تدَّخر[٣].

ويقول ابن عاشور: الحَمْل في قوله: {لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا} يجوز أن يكون مستعمَلًا في حقيقته، أي: تسير غير حاملةٍ رزقها، لا كما تسير دوابُّ القوافل حاملةً رزقها، وهو علفها فوق ظهورها، بل تسير تأكل من نبات الأرض.

ويجوز أن يُستعمل مجازًا في التَّكلُّف له، مثل قول جرير:

حُمِّلتَ أمرًا عظيمًا فاصطبرتَ له

أي: لا تتكلَّف لرزقها، وهذا حال مُعظم الدَّوابِّ عدا النَّملة والفارة، قيل: وبعض الطَّير كالعَقْعَق[٤].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٥٥٣).

(٢) «الكشَّاف» (٣/ ٤٦٢).

(٣) «مفاتيح الغيب» (٢٥/ ٧٢).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٢١/ ٢٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٩٥ ﴿وَلَا تَمۡشِ فِي ٱلۡأَرۡضِ مَرَحًاۖ﴾ [لقمان: ١٨]

أي لا تمش مختالًا متكبرًا[١]، وقيل هو المشي في غير شغل ولغير حاجة[٢]، وليس المرح أي السرور والفرح على قول أكثر المفسرين.

١٩٥ سبق بيان معنى المَرَح في قوله تعالى {وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا} [الإسراء: ٣٧] يُنظر رقم (١٢٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩٦ ﴿ وَٱقۡصِدۡ فِي مَشۡيِكَ ﴾ [لقمان: ١٩]

القَصْد: أي التوسط، أي ليكن مشيك وسطًا بين البطء الشديد والإسراع الشديد[٣]، وليس القصد بمعنى: النية أو التمهل أو تحديد الوجهة .

١٩٦ قال القرطبيُّ: القَصْد: ما بين الإسراع والبُطْء، أي: لا تدبَّ دبيب المتماوتين، ولا تَثِب وَثْب الشُّطَّار[١].

وقال ابن كثيرٍ: {وَاقْصِدْ فِي مَشْيِكَ} أي: امشِ مَشْيًا مُقتَصِدًا ليس بالبطيء المُتَثَبِّط، ولا بالسَّريع المُفْرِط، بل عَدْلًا وسَطًا بينَ بينَ[٢].

وقال ابن عاشورٍ: القَصْد: الوسَط العَدْل بين طرفين، فالقَصْد في المشي هو أن يكون بين طرف التَّبخْتُر وطرف الدَّبيب، فمعنى {اقْصِدْ فِي مَشْيِكَ}: ارتكب القَصْد[٣].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١٤/ ٧١).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٣٩).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢١/ ١٦٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

١٩٧ ﴿أَءِذَا ضَلَلْنَا فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [السجدة: ١٠]

ضَلَلْنَا: أي متنا وصرنا ترابا واختلطنا في الأرض[٤] - في سياق إنكارهم للبعث - وليس المراد إذا تهنا في الأرض وأضعنا الطريق.

١٩٧ (ضلَّ) الضَّاد واللَّام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على معنًى واحدٍ، وهو ضياع الشَّيء وذَهابه في غير حقِّه.

يُقال: ضلَّ يضِلُّ ويضَلُّ، لغتان. وكلُّ جائرٍ عن القصد ضالٌّ. والضَّلال والضَّلالة بمعنًى.

ومِمَّا يدلُّ على أنَّ أصل الضَّلال ما ذكرناه قولهم: (أُضِلَّ الميِّتُ): إذا دُفن، وذاك كأنَّه شيءٌ قد ضاع[١].

* **قوله تعالى: {وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ}**

قال ابن عبَّاس: يريد: أئذا صرنا ترابًا ورفاتًا.

وقال مجاهدٌ ومقاتلٌ: هلكنا في الأرض وصرنا ترابًا.

وقال السُّدِّيُّ: بَلِيَت أجسادُنا في التُّراب[٢].

قال الطَّبريُّ: وإنَّما عنى هؤلاء المشركون بقولهم: {أَئِذَا ضَلَلْنا فِي الأَرْضِ} أي: إذا هلكت أجسادنا في الأرض؛ لأنَّ **كلَّ شيءٍ غلب عليه غيره حتَّى خفي فيما غلب، فإنَّه قد ضلَّ فيه**، تقول العرب: قد ضلَّ الماءُ في اللَّبن: إذا غلب عليه حتَّى لا يتبيَّن فيه، ومنه قول الأخطل لجريرٍ:

كُنْتَ القَذَى في مَوْجِ أكْدَرَ مُزْبِدٍ .:. قَذَفَ الأَتِيُّ بِه فَضَلَّ ضَلالَا[٣]

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (ضلل).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ١٤٢).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ١٧٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩٨ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾ [السجدة ٢٣]

يفهم بعضهم أن المراد بلقائه : لقاء الله، والصواب أنه لقاء نبينا محمد لموسى عليهما الصلاة والسلام ليلة المعراج[1].

١٩٨ قال السَّمين الحلبيُّ:

{مِنْ لقائِه} في الهاءِ أقوالٌ:

أحدُها: أنَّها عائدةٌ على موسى، والمصدر مضافٌ لمفعولِه، أي: مِنْ لقائِك موسى ليلةَ الإسراء، وامتحن المبرِّدُ الزَّجَّاج في هذه المسألةِ فأجابه بما ذُكِر.

الثَّاني: أنَّ الضَّميرَ يعودُ على الكتاب، وحينئذٍ يجوزُ أن تكونَ الإضافةُ للفاعلِ، أي: من لقاءِ الكتاب لموسى، أو المفعول، أي: مِنْ لقاءِ موسى الكتاب؛ لأنَّ اللقاءَ تَصِحُّ نسبتُه إلى كلٍّ منهما.

الثَّالث: أنَّه يعودُ على الكتاب، على حَذْفِ مضافٍ، أي: من لقاءِ مثل كتابِ موسى.

الرَّابع: أنَّه عائدٌ على مَلَكَ الموتِ؛ لتقدُّم ذِكْره.

الخامس: عَوْدُه على الرَّجوعِ المفهومِ مِن الرُّجوع في قوله: {إِلَى رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ} أي: لا تَكُ في مِرْيةٍ مِنْ لقاءِ الرُّجوع.

السَّادس: أنَّه يعودُ على ما يُفهَمُ مِنْ سياقِ الكلام ممَّا ابْتُلِي به موسى مِن البلاء والامتحان. قاله الحسن، أي: لا بُدَّ أنَ تَلْقَى ما لَقِيَ موسى من قومه.

وهذه أقوالٌ بعيدةٌ ذكرْتُها للتَّنبيه على ضَعْفها.

وأظهرُها: أنَّ الضميرَ: إمَّا لموسى، وإمَّا للكتاب، أي: لا تَرْتَبْ في أنَّ موسى لقي الكتابَ وأُنْزِلَ عليه[1].

* والقول الأوَّل –أنَّ الضَّمير يعود على موسى عليه السَّلام– هو قول ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٍ، وأبي العالية الرِّياحيّ، وقتادة، وجماعةٍ من السَّلف[2].

---

(١) «الدُّرُّ المصون» (٩/ ٨٩).

(٢) يُنظر: «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٦٤)، «روح المعاني» (١١/ ١٣٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* قال الواحديُّ: وروى أسباط **عن السُّدِّيِّ {فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ لِقَائِهِ}: من لقاء ربِّك**.

وعلى هذا القول قال صاحب «النَّظم»: هو كلامٌ اعتُرض مِن بين قوله: {وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ} وقوله: {وَجَعَلْنَاهُ هُدًى}، والخطاب للنَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، والمراد به غيره ممَّن يُنكر البعث، وهم الَّذين ذُكروا في قوله: {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}، والمعنى: فلا تكن في مريةٍ من البعث[1].

فالضَّمير على هذا القول عائدٌ على (ربّ) في الآية العاشرة {بَلْ هُمْ بِلِقَاءِ رَبِّهِمْ كَافِرُونَ}، ففُصِل بين الضَّمير والعائد عليه بأكثر من عشر آيات! وهو يشبه في هذا الفصل الطَّويل القول الرَّابع، وقد ضعَّفه السَّلمين الحلبيُّ كما سبق، وضعَّفه قبله ابن عطيَّة[2]، وأبو حيَّان[3].

وقال الألوسيُّ: ينبغي أن يُجلَّ كلام الله تعالى عن مثل هذا التَّخريج[4].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ١٥٧).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٦٤).

(٣) «البحر المحيط» (٨/ ٤٤٠).

(٤) «روح المعاني» (١١/ ١٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

١٩٩ ﴿يَوَدُّوا۟ لَوْ أَنَّهُم بَادُونَ فِى ٱلْأَعْرَابِ﴾ [الاحزاب:٢٠]

بَادُونَ: أي يتمنون أنهم في بادية الأعراب[٢]، بَادُونَ من البداوة وليس من البداية.

١٩٩ قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: يتمنَّى المنافقون لو كانوا في البادية.

وقال الكلبيُّ: يقول: خارجون في الأعراب من الرَّهْبَة.

والبادون خلاف الحاضرين، ويُقال: بَدَا يَبْدُو إذا خرج إلى البادية، وهي البَداوة والبِداوة، ويُقال للقوم البادين: بادِيَةٌ، وللموضع الَّذي بَدَوْا إليه: باديةٌ، وأصل هذا من البَدْو الَّذي هو الظُّهور والبُرُوز.

ومعنى الآية: ودُّوا أنَّهم خارجون إلى البَدْو في جملة الأعراب خوفًا من الأحزاب[١].

* تقول: قد بدا فلانٌ: إذا صار في البَدْو، فهو يَبْدُو، وهو بادٍ.

وأمَّا الأعراب: فإنَّهم جمع أعرابيٍّ، وواحد العرب: عربيٌّ، وإنَّما قيل: أعرابيٌّ لأهل البَدْو؛ فرقًا بين أهل البوادي والأمصار، فجُعل الأعراب لأهل البادية، والعرب لأهل المِصْر[٢].[٣]

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٢١١).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ٢٣٤).

(٣) يُنظر أيضًا قوله تعالى: {سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ} رقم (١٥٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٠٠﴾ ﴿فَمِنْهُم مَّن قَضَىٰ نَحْبَهُۥ وَمِنْهُم مَّن يَنتَظِرُ﴾

[الأحزاب:٢٣]

يفهم بعض الناس أن معنى يَنتَظِرُ: أي ينتظر الموت، والصواب أنه ينتظر ما وعد الله به من النصر والشهادة على ما مضى عليه أصحابه[1]، وليس الشهادة فقط.

(١) زاد المسير ٣/ ٤٥٧

﴿٢٠٠﴾ هذا نصُّ كلام ابن الجوزيِّ الَّذي عزا إليه المعدُّ الفائدة، وقد جعل القول الَّذي نفاه المعدُّ أوَّلَ الوجه في تفسير الآية ونسبه لابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما!

قوله تعالى: {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} فيه ثلاثة أقوال:

أحدها: فمنهم من مات، ومنهم من ينتظر الموت، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: فمنهم من قضى عهدَه قُتل أو عاش، ومنهم من ينتظر أن يقضيَه بقتالٍ أو صدق لقاءٍ، قاله مجاهدٌ.

والثَّالث: فمنهم من قضى نَذْره الَّذي كان نَذَر، قاله أبو عُبيدة.

فيكون النَّحْب على القول الأول: الأَجَل، وعلى الثَّاني: العَهْد، وعلى الثَّالث: النَّذْر.

وقال ابن قُتيبة: {قضى نحبه} أي: قُتل، **وأصل النَّحْب: النَّذْر**، كأنَّ قومًا نذروا أنَّهم إن لَقُوا العدوَّ قاتَلوا حتَّى يُقتَلوا أو يَفتَح اللهُ عليهم، فقُتِلوا، فقيل: فلانٌ قضى نَحْبَه، أي: قُتِل، فاستُعير النَّحْب مكان الأَجَل؛ لأنَّ الأَجَل وقع بالنَّحْب، وكان النَّحْبُ سببًا له، ومنه قيل: للعطيَّة: (مَنٌّ)؛ لأنَّ من أعطى فقد مَنَّ.

قال ابن عبَّاسٍ: ممَّن قضى نَحْبه: حمزة بن عبد المطلب، وأنس بن النَّضْر وأصحابه.

وقال ابن إسحاق: {فمنهم من قضى نحبه} من استُشهد يوم بدرٍ وأُحُدٍ، {ومنهم من ينتظرُ} **ما وعد الله من نصره أو الشَّهادة على ما مضى عليه أصحابه**[1].

وقال الزَّمخشريُّ: قوله {فَمِنْهُمْ مَنْ قَضى نَحْبَهُ} يحتمل موته شهيدًا، ويحتمل وفاءه بنذره من الثَّبات مع رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم[1].

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٤٥٧).

* وذهب بعض المفسِّرين إلى أنَّ المراد بالنَّحْب في الآية النَّذر أو العَهْد وليس الموت، واستدلُّوا على ذلك بما رواه التِّرمذيُّ أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال في طلحة بن عُبيد الله: «هذا ممَّن قضى نَحْبَه»:

قال ابن عاشورٍ: وقد حمل بعض المفسِّرين {قضى نحبه} في هذه الآية على معنى الموت في الجهاد على طريقة الاستعارة، بتشبيه الموت بالنَّذر في لزوم الوقوع، وربَّما ارتقى ببعض المفسِّرين ذلك إلى جعل النَّحْب من أسماء الموت، ويمنع منه ما ورد في حديث التِّرمذيِّ أنَّ النَّبيء صلَّى الله عليه وسلَّم قال في طلحة بن عُبيد الله: «إنَّه ممَّن قضى نحبه»، وهو لم يمت في حياة رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم(٢).

والأقرب -والله أعلم- أنَّ هذا الحديث لا يمنع أن يكون المراد بقضاء النَّحْب الموت أيضًا:

قال الحافظ ابن حَجَرٍ: ويُمكن أن يُجمَع بحمل حديث عائشة [يعني: الحديث السَّابق] على المجاز، وقضى بمعنى: يقضي(٣).

وقال المناويُّ: وكما يُقال النَّحب للنَّذر يُقال للموت أيضًا، ويُمكن إرادته هنا [أي: في هذا الحديث]، فيُقال في توجيهه: إنَّه بذل نفسه في سبيل الله وخاطر بها حتَّى لم يبق بينه وبين الهلك شيءٌ، فهو كمن قُتِل وذاق الموت في سبيل الله، وإن كان حيًّا يمشي على وجه الأرض(٤).

* **وقوله تعالى: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ}**

قال مجاهدٌ: ينتظر يومًا في جهادٍ فيقضى عهدَه فيُقتل.

---

(١) «الكشَّاف» (٣/ ٥٣٢).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢١/ ٣٠٨).

(٣) «فتح الباري» (٨/ ٥١٨).

(٤) «فيض القدير» (٤/ ٢٧١).

وقال مقاتلٌ: من المؤمنين من ينتظر أجلَه بالوفاء بالعهد[١].

وعن قتادة {وَمِنْهُم من ينْتَظر} من نفسه الصِّدق والوفاء[٢].

وقال الحسن: {فمنهم من قضى نحبه} يعني: موته على الصِّدق والوفاء، {ومنهم من ينتظر} الموت على مثل ذلك[٣].

* قال أبو حيان: **إذا فُسِّر قضاء النَّحب بالشَّهادة، كان التَّقدير: ومنهم من ينتظر الشَّهادة.**

وإذا فُسِّر بالوفاء لعُهود الإسلام، كان التَّقدير: ومنهم من ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصَّلاح[٤].

وقال ابن جُزَيٍّ: {وَمِنْهُمْ مَنْ يَنْتَظِرُ} المفعول محذوفٌ، أي: ينتظر أن يقضي نحبه، أو ينتظر الشَّهادة في سبيل الله على قول ابن عبَّاسٍ، أو ينتظر الحصول في أعلى مراتب الإيمان والصَّلاح على القول الآخر[٥].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٢٢٠).

(٢) «الدُّرُّ المنثور» (٦/ ٥٨٩).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٩٥).

(٤) « البحر المحيط» (٨/ ٤٦٨).

(٥) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ١٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٠١﴾ ﴿إِن كُنتُنَّ تُرِدْنَ ٱلْحَيَوٰةَ ٱلدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ وَأُسَرِّحْكُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا﴾ [الأحزاب:٢٨]

المراد بالمتعة هنا متعة الطلاق[٢] وليس متعة الجماع كما فهم بعض الناس، ومتعة الطلاق : مالٌ يدفعه الرجل لمطلقته التي فارقها .

﴿٢٠١﴾ قال المفسِّرون: إنَّ أزواج النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم سألنه شيئًا من عرض الدُّنيا، وطلبن منه زيادةً في النَّفقة، وآذينه بغيرةِ بعضهم على بعضٍ، فآلى رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم منهنَّ شهرًا، وأنزل الله آية التَّخيير، وهو قوله: {قُلْ لِأَزْوَاجِكَ} وكنَّ يومئذٍ تسعًا[١].

والتَّمتيع: أن يُعطي الزَّوج امرأته حين يُطلِّقها عطيَّةً جبرًا لخاطرها لما يعرض لها من الانكسار[٢].

{وأُمَتِّعْكُنَّ} معناه: أُعطيكنَّ المتاع الَّذي ندب الله تعالى له في قوله: {وَمَتِّعُوهُنَّ على الْمُوسِعِ قَدَرُهُ وَعَلَى الْمُقْتِرِ قَدَرُهُ مَتَاعًا بِالْمَعْرُوفِ حَقًّا عَلَى الْمُحْسِنِينَ} [البقرة: ٢٣٦].

وأكثر النَّاس على أنَّها من المندوب إليه، وقالت فرقةٌ: هي واجبةٌ[٣].

* ولا شكَّ أن فهم المتعة على أنَّها الجماع هنا فهمٌ عجيبٌ؛ إذ لا علاقة لهذه المتعة بالتَّسريح!

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٢٢٥).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢١/ ٣١٦).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٠٢﴾ {ناظِرِينَ} معناه: منتظرين[١]. [٢]

قال مُجاهِدٌ وقتادة وغيرهما: أي: غير مُتحَيِّنين نُضجَه واستواءه[٣].

* تقول: أَنَى الطَّعام يَأْنِي إِنًى، كقَلَى يَقْلِي قِلًى: إذا نضج وبلغ، قاله الزَّجَّاج.

وقال مكِّيٌّ: إناه: ظرف زمانٍ مقلوب (آن) الَّتي بمعنى الحين، فقُلبت النُّون قبل الألف وغُيِّرت الهمزة إلى الكسرة، أي: غير ناظرين آنَه، أي: حينه، والمراد: حين إدراكه ونضجه، أو حين أكله[٤].

وقال الزَّمخشريُّ: وإِنَى الطَّعام: إدراكه.

يُقال: أَنَى الطعام إِنًى، كقولك: قَلَاه قِلًى، ومنه قوله {بَيْنَ حَمِيمٍ آنٍ} بالغٌ إِنَاه.

وقيل: إِناهُ: وقتُه، أي: غير ناظرين وقت الطَّعام وساعة أكله[٥].

﴿٢٠٢﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَدۡخُلُواْ بُيُوتَ ٱلنَّبِيِّ إِلَّآ أَن يُؤۡذَنَ لَكُمۡ إِلَىٰ طَعَامٍ غَيۡرَ نَٰظِرِينَ إِنَىٰهُ﴾

[الأحزاب: ٥٣]

غير ناظرين أي غير منتظرين، وإناه أي نضجه، والمعنى لا تتحينوا نضج طعام النبي ﷺ فتتطفلون عليه[٣]، أو معناها لا تمكثوا عند النبي ﷺ منتظرين نضج الطعام واستواءه فتحرجوا رسول الله ﷺ بمكثكم عنده[١]، وليس المعنى غير مبصرين الوعاء الذي يؤكل فيه .

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٩٥).

(٢) سبق بيان ذلك في رقم (١٢٠).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٤٥٤).

(٤) «روح المعاني» (١١/ ٢٤٤).

(٥) «الكشَّاف» (٣/ ٥٥٤).

٢٠٣ {وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَى رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} [سبأ: ٧]

فآخر الآية قاطع الدَّلالة على أنَّ المراد بالتَّمزُّق تقطُّع الأجساد وتفسُّخها بالموت، وإلَّا فما علاقة التَّشتُّت في الأرض بالبعث!!

٢٠٣ ﴿هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ يُنَبِّئُكُمْ إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ: ٧]

أي يخبركم ماذا سيكون مصيركم إذا تمزقت أعضاؤكم وتحللت أجسادكم وتفرقت في الأرض بعد الموت وصرتم ترابًا فإن هذا الرجل أي محمداً ﷺ ينبئكم أنكم ستعودون أحياء ترزقون[٢]، وليس معناها أنه ينبئكم إذا تفرقتم وتشتتم في الأرض أو حال تمزقكم .

* قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: إذا متُّم وبَلِيتم.

وقال مقاتلٌ: إذا تفرَّقتم في الأرض، وذهبت الجلود والعظام، وكنتم ترابًا[١].

وقال الطَّبريُّ: {إِذَا مُزِّقْتُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} إذا أكلتكم الأرض وصرتم رُفاتًا وعظامًا وقطَّعتكم السِّباع والطَّير، {إِنَّكُمْ لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ} ستحيون وتبعثون[٢].

وقال ابن عطيَّة: {ومُزِّقْتُمْ} معناه: بالبلى وتقطُّع الأوصال في القبور وغيرها[٣].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٣١٦).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ٣٥٣).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٠٦).

﴿٢٠٤﴾ {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ} [سبأ: ١٨]

﴿٢٠٤﴾ ﴿وَقَدَّرْنَا فِيهَا ٱلسَّيْرَ﴾ [سبأ: ١٨]

أي جعلنا السير فيها مقدرًا بمسافة من منزل إلى منزل، ومن قرية إلى قرية، لا ينزلون إلا في قرية[1]، ولا يغدون إلا في قرية، وليس المراد بقدرنا أي كتبنا وقضينا.

{وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ} أي: جعلنا نسبةَ بعضها إلى بعضٍ على مقدارٍ مُعيَّنٍ من السَّير، قيل: من سار من قريةٍ صباحًا وصل إلى أُخرى وقت الظَّهيرة والقيلولة، ومن سار بعد الظُّهر وصل إلى أُخرى عند الغروب، فلا يحتاج لحمل زادٍ ولا مبيتٍ في أرضٍ خاليةٍ، ولا يخاف من عدوٍّ ونحوه[1].

* والآية في مقام الامتنان على أهل سبأٍ، وظاهرٌ أنَّه لا وجه للامتنان في كون المراد أنَّ السَّير في القُرى الظَّاهرة مُقدَّرٌ ومكتوبٌ عليهم.

(١) «روح المعاني» (١١/ ٣٠٤).

٢٠٥ ﴿وَمَزَّقْنَٰهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ﴾ [سبأ:١٩]

أي فرقناهم في البلاد بعد أن كانت بلادهم متقاربة، فتفرقوا بعد أن أغرق الله بلادهم[٢]، وليس المراد أنه أهلكهم وقطع أجسادهم.

٢٠٥ {وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ (١٨) فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا وَظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِكُلِّ صَبَّارٍ شَكُورٍ} [سبأ: ١٨، ١٩]

{وَمَزَّقْنَاهُمْ كُلَّ مُمَزَّقٍ} فيه قولان:

أحدهما: أنَّهم فُرِّقوا بالهلاك حتَّى صاروا تُرابًا تذروه الرِّياح، قاله يحيى بن سلام.

الثَّاني: أنَّهم مُزِّقوا بالتَّفريق والتَّباعد، قاله قتادة[١].

قال الألوسيُّ: وفي التَّعبير بالتَّمزيق الخاصِّ بتفريق المُتَّصل وخرقه من تهويل الأمر والدَّلالة على شدَّة التَّأثير والإيلام ما لا يخفى، أي: مزَّقناهم تمزيقًا لا غايةَ وراءه، بحيث يُضرب مثلًا في كلِّ فرقةٍ ليس بعدها وصالٌ.

وعن ابن سلامٍ أنَّ المراد جعلناهم ترابًا تذروه الرِّياح، وهو أوفق بالتَّمزيق، إلَّا أنَّ **جميع أجلَّة المفسِّرين على خلافه**، وأنَّ المراد بتمزيقهم تفريقهم بالتَّباعد[٢].

(١) «النُّكَت والعيون» (٤/ ٤٤٦).

(٢) «روح المعاني» (١١/ ٣٠٥).

﴿٢٠٦﴾ ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ﴾ [سبأ: ٢٣]

ليس معنى «فُزّع» أي أصيبوا بالفزع والخوف، بل بالعكس، فُزع : أي كُشف الفزع وأخرج عن قلوبهم، فالتفزيع إزالة الفزع كالتمريض إزالة المرض[٣].

﴿٢٠٦﴾ يُقال: فَزِعَ يَفْزَعُ فَزَعًا: إذا ذُعِرَ.

فأمَّا فَزَّعْتُ عنه فمعناه: كشفت عنه الفَزَع[١].

وحَرِج فلانٌ: إذا وقع في الحَرَج، وتَحَرَّج: إذا تباعد عن الحرج.

وكذلك أثِم وتأثَّم.

وهجَد: إذا نام، وتهجَّد: إذا سهر.

وفزِع فلانٌ: إذا أتاه الفَزَع، وفُزِّع عنه: إذا نُحِّي عنه الفَزَع[٢].

* قال ابن عبَّاسٍ، وابن عُمر، وأبو عبد الرَّحمن السُّلَميُّ، والشَّعبيُّ، وإبراهيم النَّخَعيُّ، والضَّحَّاك، والحسن، وقتادة في قوله تعالى: {حَتَّى إِذَا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِم} يقول: جُلِّي عن قلوبهم[٣].

* وتظاهرت الأحاديث عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّ هذه الآية –أعني: قوله {حَتَّى إِذا فُزِّعَ عَنْ قُلُوبِهِمْ}– إنَّما هي الملائكة إذا سمعت الوحي إلى جبريل وبالأمر يُأمَر به، سمعت كجرِّ سلسلة الحديد على صفوانٍ، فتفزع عند ذلك تعظيمًا وهيبةً، وقيل: خوف أن تقوم السَّاعة، فإذا فُزِّع ذلك عن قلوبهم، أي: أُطير الفَزَع عنها وكُشف، فيقول بعضهم لبعضٍ ولجبريل: ماذا قال ربُّكم؟ فيقول المسؤولون: قال الحقَّ وهو العليُّ الكبير[٤].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (فزع).

(٢) «فقه اللُّغة وسر العربيَّة» (ص: ٢٦١).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥١٤).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤١٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٠٧﴾ ﴿وَأَنَّىٰ لَهُمُ ٱلتَّنَاوُشُ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ [سبأ: ٥٢]

التَّنَاوُشُ أي التناول والمعنى: كيف لهم تناول الإيمان وهم في الآخرة[1]، وليس التناوش من المناوشة أي الاشتباك والاقتتال.

﴿٢٠٧﴾ (نـوش) النُّـون والـواو والشِّـين أصـلٌ صـحيحٌ يـدلُّ علـى تنـاول الشَّيء.

ونُشْتُه نَوْشًا، وَتَنَاوَشْتُ: تَنَاوَلْتُ، قَـالَ اللَّهُ تَعَـالَى: {وَأَنَّى لَهُـمُ التَّنَـاوُشُ مِـنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ} [سبأ: ٥٢][1].

قال ابن السِّكِّيت: **يُقال للرَّجل إذا تناول رَجُلًا ليأخذ برأسه ولحيته: ناشَه يَنُوشُه نَوْشًا**، وأنشد:

فَهِيَ تَنُوشُ الْحَوْضَ نَوْشًا مِنْ عَلَا
نَوْشًا بِهِ تَقْطَعُ أَجْوَازَ الْفَلَا

أي: تتناول ماء الحوض من فوق، وتشرب شربًا كثيرًا، وتقطع بذلك الشُّرب فلواتٍ فلا تحتاج إلى ماءٍ آخر.

قال: **ومنه المُناوَشَة في القتال، وذلك إذا تدانى الفريقان**[2].

* قال مجاهدٌ: {وَأَنَّى لَهُمُ التَّنَاوُشُ} قال: التَّناول لذلك.

وقال الزُّهريُّ: التَّناوش: تناولهم الإيمان وهم في الآخرة، وقد انقطعت عنهم الدُّنيا.

وقال الحسن البصريُّ: أمَا إنَّهم طلبوا الأمر من حيث لا يُنال، تعاطوا الإيمان من مكان بعيدٍ.

وقال ابن عبَّاسٍ: طلبوا الرَّجعة إلى الدُّنيا والتَّوبة ممَّا هم فيه، وليس بحين رجعةٍ ولا توبةٍ. وكذا قال محمَّد بن كعبٍ القُرظيُّ رحمه الله[3].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (نوش).

(٢) «الصِّحاح» (نوش).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٥٢٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الزَّمخشريُّ: التَّناوش والتَّناول: أخوان، إلَّا أنَّ التَّناوش تناولٌ سهلٌ لشيءٍ قريبٍ، يُقال: ناشَهُ ينُوشُه، وتَناوَشَه القُوم. **ويُقال: تَنَاوَشُوا في الحرب: ناشَ بعضُهم بعضًا**[1].

وقال ابن عطيَّة: قرأ ابن كثيرٍ، ونافعٌ، وابن عامرٍ، وعاصمٌ، وعامَّة القُرَّاء: {التَّناوش} بضمِّ الواو دون همزٍ.

وقرأ أبو عمرٍو وحمزة والكِسائيُّ وعاصمٌ أيضًا: {التَّنَاؤُش} بالهمز.

والأولى معناها: التَّناول، من قولهم: ناش يَنُوش: إذا تناول، **تناوش القوم في الحرب إذا تناول بعضُهم بعضًا بالسِّلاح**... فكأنَّه قال: وأنَّى لهم تناول مرادهم وقد بعدوا عن مكان إمكان ذلك.

وأمَّا (التَّناؤش) بالهمز:

فيحتمل أن يكون من التَّناوش الَّذي تقدَّم تفسيره، وهُمزت الواو لَمَّا كانت مضمومةً وكانت ضمَّتها لازمةً، كما قالوا (أُقِّتَت) وغير ذلك.

ويحتمل أن يكون من الطَّلَب، تقول: تَنَاءَشْتُ الشَّيء: إذا طلبته من بُعدٍ[2].

* وقال الزَّمخشريُّ: وهذا تمثيلٌ لطلبهم ما لا يكون، وهو أن ينفعهم إيمانهم في ذلك الوقت، كما ينفع المؤمنين إيمانهم في الدُّنيا، مُثِّلت حالهم بحال من يريد أن يتناول الشَّيء من غَلْوةٍ[3] كما يتناوله الآخر من قيس ذراعٍ تناولًا سهلًا لا تعب فيه[4].

---

(١) «الكشَّاف» (٣/ ٥٩٣).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٢٦).

(٣) الغَلْوة: مِقدار رميةٍ. «فتوح الغيب» (١٢/ ٥٨٨).

(٤) «الكشَّاف» (٣/ ٥٩٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٠٨﴾ ﴿وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ﴾ [فاطر: ٢٧]

جُددٌ: أي طُرق تكون في الجبل جمع جادة و جُدة[٢]، وليس جدَد جمع جديدة أي حديثة .

﴿٢٠٨﴾ (ثيابٌ جُدُد) العامَّة تقولها بفتح الدَّال، وهو خطأٌ؛ لأنَّ (الجُدُد) هاهُنا جمع جديدٍ، فلا يكون إلَّا مضموم الثَّاني، مثل: رَغِيف ورُغُف، وعَقِير وعُقُر.

وأمَّا فتح الثَّاني على (جُدَد)؛ فإنَّما ذلك في جمع (الجُدَّة)؛ وهي الطَّريقة من طرائق الجبل على غير لون سائره، وكالخُطَّة السَّوداء على ظهر الحمار، ومنه قول الله تعالى: {ومِنَ الجِبَالِ جُدَدٌ بِيضٌ}.

واللَّفظان يَؤُولان إلى معنًى واحدٍ؛ لأنَّ الجدَّ: القَطْع؛ فإنَّما الجديد من الثِّياب: المقطوع من النِّساجة، وكذلك الطَّريقة في الجبل وغيره: ما انقطع من سائره[١].

وقال الأخفش: (الجُدَد) واحدتها (جُدَّة)، و(الجُدَد): هي ألوان الطَّرائق الَّتي فيها، مثل (الغُدَّة) وجماعتها (الغُدَد). ولو كانت جماعة (الجَديدِ) لكانت (الجُدُد)[٢].

* وحكى أبو عُبيدة في بعض كتبه أنَّه يُقال: (جُدَدٌ) في جمع جديدٍ.

قال ابن عطيَّة مُعلِّقًا على ذلك: **ولا مدخل لمعنى الجديد في هذه الآية**[٣].

وقال صاحب «اللَّوامح»: جُدَد جمع جديدٍ، بمعنى: آثارٍ جديدةٍ واضحة الألوان[٤].

قال الألوسيُّ معلِّقًا على قول صاحب «اللَّوامح»: ولعلَّ من يقول بتجدُّد حُدوث الجبال وتكوُّنها من مياهٍ تنبع من الأرض وتتحجَّر أوَّلًا فأوَّلًا ثمَّ تنبع من موضعٍ قريبٍ ممَّا تحجَّر فتتحجَّر أيضًا وهكذا حتَّى يحصل جبلٌ لا يأبى حمل الآية على هذه القراءة على ما ذكر.

---

(١) «تصحيح الفصيح وشرحه» (ص: ٣٤١).

(٢) «معاني القرآن» (٢/ ٤٨٦).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٣٧).

(٤) «البحر المحيط» (٩/ ٢٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والظَّاهر من الآيات والأخبار أنَّ الجبال أحدثها الله تعالى بُعيد خلق الأرض؛ لئلَّا تميد بسُكَّانها[1].

* فعلى قول اللُّغويِّين جمع جديدٍ (جُدُد) بضمِّ الدَّال الأولى، وليس بفتحها، وعدَّ بعضهم فتح هذه الدَّال لحنًا كما سبق.

ولو قيل بصحَّة فتح الثَّاني على ما يُنسب لأبي عُبيدة، فحمل الآية على أنَّها بمعنى: ومن الجبال آثارٌ جديدةٌ قولٌ بعيدٌ أيضًا.

(١) «روح المعاني» (١١/ ٣٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٠٩ {وَآيَةٌ لَهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ * وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ مَا يَرْكَبُونَ * وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنْقَذُونَ} [يس: ٤١ - ٤٣]

{أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ} يعني: ذُرِّيَّة أهل مكَّة في أصلاب آبائهم، وعلى هذا المراد بالذُّرِّيَّة: الأولاد وأولادهم كانوا في أصلاب من حُمل مع نوحٍ في السَّفينة.

وقال آخرون: المراد بالذُّرِّيَّة هاهنا الآباء والأجداد، والمعنى: حملنا آبائهم الَّذين هؤلاء من نسلهم في الفُلْك المشحون.

قال ثعلبٌ: الذُّرِّيَّة تقع على الآباء، واحتجَّ بهذه الآية[1].

٢٠٩ ﴿وَءَايَةٌ لَّهُمْ أَنَّا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ فِى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ﴾ [يس:٤١]

أكثر المفسرين على أن «ذُرِّيَّتَهُمْ» ليس معناها أبناءهم بل معناها آباءهم، فجعل الآباء ذرية الأبناء، وإنما جاز ذلك لأن الذرية مأخوذة من قوله: ذرأ الله الخلق، فسمي الولد للوالد ذرية، لأنه ذُرئ منه، وكذلك يجوز أن يقال للأب: ذرية للابن، لأن ابنه ذرئ منه، فالفعل يتصل به من الوجهين ومثله: يحبونهم كحب الله، فأضاف الحب إلى الله، والمعنى: كحب المؤمن لله، ومثله ويطعمون الطعام على حبه، فأضاف الحب إلى الطعام[1].

* قال ابن عطيَّة: والضَّمير المتَّصل بالذُّرِّيَّات هو ضمير الجنس، كأنَّه قال: ذُرِّيَّات جنسهم أو نوعهم. **هذا أصحَّ ما اتَّجه في هذا.**

وخلط بعض النَّاس في هذا حتَّى قالوا: الذُّرِّيَّة تقع على الآباء، وهذا لا يُعرف لُغةً.

وأمَّا معنى الآية فيحتمل تأويلين:

أحدهما: قاله ابن عبَّاسٍ وجماعةٌ: وهو أن يُريد بالذُّرِّيَّات المحمولين أصحاب نوحٍ في السَّفينة، ويريد بقوله {مِنْ مِثْلِهِ} السُّفُن الموجودة في جنس بني آدم إلى يوم القيامة، وإيَّاها أراد الله تعالى بقوله: {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ}.

والتَّأويل الثَّاني: قاله مجاهدٌ والسُّدِّيُّ ورُوي عن ابن عبَّاسٍ أيضًا: هو أن يُريد بقوله: {أَنَّا حَمَلْنا ذُرِّيَّتَهُمْ فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ} السُّفن الموجودة في بني آدم إلى يوم القيامة، ويُريد بقوله:

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٤٨٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

{وَخَلَقْنا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ ما يَرْكَبُونَ} الإبل وسائر ما يُركب، فتكون المماثلة في أنَّه مركوبٌ مُبلِغٌ إلى الأقطار فقط، ويعود قوله {وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ} على السُّفن الموجودة في النَّاس[1].

* وقال الزَّمخشريُّ: ومعنى حَمْل الله ذرِّيَّاتِهم فيها: **أنَّه حمل فيها آباءهم الأقدمين، وفي أصلابهم هم وذُرِّيَّاتهم**، وإنَّما ذكر ذُرِّيَّاتهم دونهم؛ لأنَّه أبلغ في الامتنان عليهم، وأدخل في التَّعجيب من قدرته، في حمل أعقابهم إلى يوم القيامة في سفينة نوحٍ[2].

* وقيل: الذُّرِّيَّة: النُّطَف، والفُلْك المشحون: بطون النِّساء، ذكره الماورديُّ، ونُسب إلى عليِّ بن أبي طالبٍ، وهذا لا يصحُّ؛ لأنَّه من نوع تفسير الباطنيَّة وغلاة المتصوِّفة الَّذين يُفسِّرون كتاب الله على شيءٍ لا يدلُّ عليه اللَّفظ بجهةٍ من جهات الدَّلالة، يُحرِّفون الكلم عن مواضعه[3].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٥٥).

(٢) «الكشَّاف» (٤/ ١٨).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٦٩).

www.alukah.net

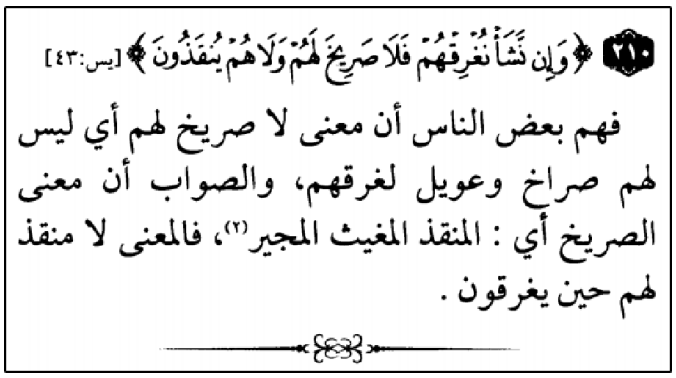
﴿٢١٠﴾ ﴿وَإِن نَّشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا صَرِيخَ لَهُمْ وَلَا هُمْ يُنقَذُونَ﴾ [يس:٤٣]

فهم بعض الناس أن معنى لا صريخ لهم أي ليس لهم صراخ وعويل لغرقهم، والصواب أن معنى الصريخ أي : المنقذ المغيث المجير[٢]، فالمعنى لا منقذ لهم حين يغرقون .

﴿٢١٠﴾ قال ابن عبَّاسٍ: لا مغيث لهم. وهو قول الجميع.

والصَّريخ هاهنا بمعنى: المُصرِخ[١].

وسبق بيان معنى (المُصرِخ) في قوله تعالى: {مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ} [إبراهيم: ٢٢] رقم (١١٦).

(١) «التَّفسير البسيط» (١٨/ ٤٩٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٢﴾ ﴿ٱحْشُرُوا۟ ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا۟ وَأَزْوَٰجَهُمْ وَمَا كَانُوا۟ يَعْبُدُونَ﴾

[الصافات: ٢٢]

ليس المراد بأزواجهم نساءهم، بل المراد أمثالهم وأشباههم يجيء أصحاب الزنا مع أصحاب الزنا وأصحاب الربا مع أصحاب الربا، وأصحاب الخمر مع أصحاب الخمر[1]، وقيل قرناءهم من الشياطين[2].

(٢١١) في {أزواجهم} أربعة أقوالٍ:

أحدها: أمثالهم وأشباههم، وهو قول عمر، وابن عبَّاسٍ، والنُّعمان بن بشيرٍ، ومجاهدٍ في آخرين.

ورُوي عن عمر قال: يُحْشَر صاحبُ الرِّبا مع صاحب الرِّبا، وصاحبُ الزِّنا مع صاحب الزِّنا، وصاحب الخمر مع صاحب الخمر.

والثَّاني: أنَّ أزواجَهم: المشركات، قاله الحسن.

والثَّالث: أشياعهم، قاله قتادة.

والرَّابع: قُرَناؤهم من الشَّياطين الَّذين أضلُّوهم، قاله مقاتلٌ[1].

قال الواحديُّ: **أكثر المفسِّرين على أنَّ المراد بالأزواج هاهنا الأمثال والأشباه والضُّرباء**... وعلى هذا يجب أن يكون المراد بالَّذين ظلموا الرُّؤساء والقادة؛ لأنَّك إذا جعلت الَّذين ظلموا عامًّا في كلِّ من أشرك لم يكن للأزواج معنًى[2].

* وضعَّف بعض المفسِّرين قول الحسن رحمه الله:

يقول الشِّنقيطيُّ: قوله تعالى: {وأزواجهم} جمهور أهل العلم -منهم عمر وابن عبَّاسٍ- على أنَّ المراد به أشباههم ونظراؤهم، فعابد الوَثَن مع عابد الوَثَن، والسَّارق مع السَّارق، والزَّاني مع الزَّاني، واليهوديُّ مع اليهوديِّ، والنَّصرانيُّ مع النَّصرانيِّ، وهكذا، وإطلاق الأزواج على الأصناف مشهورٌ في القرآن وفي كلام العرب؛ كقوله تعالى: {والَّذي خلق الأزواج كلَّها} الآية،

---

(١) «زاد المسير» (٣/ ٥٣٨).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٩/ ٣٢).

وقوله تعالى: {سبحان الَّذي خلق الأزواج كلَّها ممَّا تُنبت الأرض ومن أنفسهم وممَّا لا يعلمون}، وقوله تعالى: {فأخرجنا به أزواجًا من نباتٍ شتَّى} الآية، وقوله تعالى: {ولا تمدنَّ عينيك إلى ما متَّعنا به أزواجًا منهم}، إلى غير ذلك من الآيات.

فقوله تعالى: {احشروا الَّذين ظلموا وأزواجهم} أي: اجمعوا الظَّالمين وأشباههم ونظراءهم، فاهدوهم إلى النَّار ليدخلها جميعهم، **وبذلك تعلم أنَّ قول من قال: المراد بأزواجهم نساؤهم اللَّاتي على دينهم، خلاف الصَّواب**[(١)].

* ورجَّح بعض المفسِّرين قول الحسن رحمه الله:

قال ابن عطيَّة: وقال الحسن: المعنى: وأزواجهم المشركات من النِّساء، ورُوي ذلك عن ابن عبَّاسٍ، **ورجَّحه الرُّمَّانيُّ**[(٢)].

وقال ابن عاشورٍ: **الأزواج: ظاهره أنَّ المراد به حلائلهم**، وهو تفسير مجاهدٍ والحسن، ورُوي عن النُّعمان بن بشيرٍ يرويه عن عمر بن الخطَّاب، وتأويله: أنَّهنَّ الأزواج الموافقات لهم في الإشراك، أمَّا من آمنَّ فهنَّ ناجياتٌ من تبعات أزواجهنَّ، **وهذا كذكر أزواج المؤمنين في قوله تعالى: {هُمْ وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ}** [يس: ٥٦]، فإنَّ المراد أزواجهم المؤمنات، فأطلق حملًا على المقيَّد في قوله: {وَمَنْ صَلَحَ مِنْ آبائِهِمْ وَأَزْواجِهِمْ وَذُرِّيَّاتِهِمْ} [الرعد: ٢٣].

وذكر الأزواج إبلاغٌ في الوعيد والإنذار؛ لئلَّا يحسبوا أنَّ النِّساء المشركات لا تبعة عليهنَّ، وذلك مثل تخصيصهنَّ بالذِّكْر في قوله تعالى: {الْحُرُّ بِالْحُرِّ وَالْعَبْدُ بِالْعَبْدِ وَالْأُنْثى بِالْأُنْثى} في سورة البقرة[(٣)].

---

(١) «أضواء البيان» (٦/ ٣٠٩).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٦٩).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٣/ ١٠١).

* والأقرب –والله أعلم– أنَّ قول الحسن رحمه الله قولٌ مُحتمَلٌ في تفسير الآية، وما ذكره الشِّنقيطيُّ رحمه الله لا يعدو أن يكون توجيهًا لصحَّة قول الجمهور من إطلاق الأزواج على الأشباه والنُّظراء، وليس فيه ما يُضعِّف قول الحسن رحمه الله.

ولا مانع –والله أعلم– من أن يُحشر الظَّالمون مع أشباههم ونظرائهم، ويُحشر كذلك مع كلِّ ظالمٍ زوجته المشاركة له في ظلمه وشركه، فتكون الآية جامعةً للقولين.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢١٢﴾ {لَكِنِ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ لَهُمْ جَنَّاتٌ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا نُزُلًا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ لِلْأَبْرَارِ} [آل عمران: ١٩٨]

{أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٢]

{إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ نُزُلًا} [الكهف: ١٠٧]

{ أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ} [السجدة: ١٩]

{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ} [الصافات: ٦٢]

{وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشْتَهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَّعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَحِيمٍ} [فصلت: ٣١، ٣٢]

﴿٢١٣﴾ ﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ﴾ [الصافات: ٦٢]

يظن بعض الناس أن معنى النُّزُل أي المنزل والصواب أن النزل هو : ما يقدم للضيف النازل من الطعام[٣] .

ذكر المفسِّرون في معنى النُّزُل في هذه الآيات أوجهًا، وهي:

١- النُّزُل: ما يُعدَّ للضَّيف أوَّل نزوله من طعامٍ وشرابٍ وصِلَةٍ:

قال ابن قُتيبة: النُّزُل ما يُقدَّم للضَّيف، ولأهل العَسْكر[١].

وقال ابن فارسٍ: النُّزُل: ما يُهيَّأ للنَّزيل[٢].

٢- النُّزُل: الفَضْل والرِّيْع[٣] في الطَّعام:

(١) «غريب القرآن» (ص: ٢٧١).

(٢) «مقاييس اللُّغة» (نزل).

(٣) الرِّيْع بالفَتْح: فَضْل كلِّ شيءٍ. «تاج العروس» (ريع).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال الطَّبريُّ: عُنِي بالنُّزُل: الفَضْل، وفيه لغتان: نُزُل ونُزْل؛ يُقال للطَّعام الَّذي له رَيْعٌ: هو طعام له نُزُلٌ ونُزْل[1].

وقال الزَّمخشريُّ: أصل النُّزُل: الفَضْل والرَّيْع في الطَّعام، يقال: طعامٌ كثير النُّزل، فاستُعير للحاصل من الشَّيء، وحاصل الرِّزْق المعلوم: اللَّذَّة والسُّرور، وحاصل شجرة الزَّقُّوم: الألم والغمُّ[2].

وقال الماورديُّ: النُّزل: العطاء الوافر، ومنه إقامة الإنزال[3].

٣- النُّزُل: مصدرٌ بمعنى: النُّزول:

قال ابن عطيَّة في آية فُصِّلت: نُزُلًا: نُصِب على المصدر[4].

وقال الألوسيُّ في أوجه إعراب آية آل عمران: وإمَّا على أنَّه مفعولٌ مطلقٌ لفعلٍ محذوفٍ إن كان مصدرًا، وهو حينئذٍ بمعنى: النُّزول[5]، أي: نزلوها نُزُلًا[6].

٤- النُّزُل: مصدرٌ بمعنى المفعول، أي: مَنْزُولَة:

قال الألوسيُّ في أوجه إعراب آية آل عمران: وجُوِّز على تقدير مصدريَّته أن يكون بمعنى المفعول، فيكون حالًا من الضَّمير المجرور في (فِيها) أي: منزولة[7].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢١/ ٥٢).

(٢) «الكشَّاف» (٤/ ٤٦).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٥٠).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ١٥).

(٥) قال الألوسيُّ: المحفوظ أنَّ مصدر نَزَلَ نُزُولٌ، لا نُزُل، وجعله بعضهم مصدرًا لأنزل. «روح المعاني» (١٢/ ٣٧٣).

(٦) «روح المعاني» (٢/ ٣٨٢).

(٧) «روح المعاني» (٢/ ٣٨٢).

وقال الواحديُّ في تفسير الآية الأولى من سورة الكهف: قال أبو إسحاق [يعني: الزَّجَّاج]: هو بمعنى: مَنْزِلًا. وهو معنى قول ابن عبَّاسٍ: يُريد: هي مثواهم ومصيرهم. والنُّزُل على هذا التَّفسير المَنْزِل[1].

٥- النُّزُل: جمع نازلٍ، كشُرُف وشَارِف:

قال الواحديُّ في الآية الثَّانية من سورة الكهف: قوله: {نُزُلًا} أي: مَنْزِلًا. قال أبو عليٍّ: ... ويجوز أن يكون النُّزُل جمع نَازِلٍ، ويكون حالًا والعامل فيه معنى الفعل في (لهم)[2].

وقال الألوسيُّ في آية فُصِّلت: وقيل: هو جمع نازلٍ، كشارفٍ وشُرُفٍ، فينتصب على الحال أيضًا، أي: نازلين[3].

* أمَّا بخصوص قوله تعالى: **{أَذَلِكَ خَيْرٌ نُزُلًا أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ}** [الصافات: ٦٢]

فذهب أكثر المفسِّرين إلى تفسير النُّزُل هنا بما يُقام ويُعدُّ للنَّازل بالمكان من الرِّزق[4]،وساعد على هذا التَّفسير كون الزَّقُّوم طعامًا مُعدًّا لأهل النَّار.

* وذهب ابن عاشورٍ إلى جواز أن يكون النُّزُل بمعنى المنزل هنا أيضًا، فقال:

النُّزُل بضمَّتين، ويُقال: نُزْل بضمٍّ وسكونٍ، هو في أصل اللُّغة: المكان الَّذي ينزل فيه النَّازل، قاله الزَّجَّاج، وجرى عليه صاحب «اللِّسان» وصاحب «القاموس»، وأُطلق إطلاقًا شائعًا كثيرًا على الطَّعام المهيَّأ للضَّيف؛ لأنَّه أُعدَّ له لنزوله، تسميةً باسم مكانه، نظير ما أطلقوا اسم

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٤/ ١٦٣).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٤/ ١٧١).

(٣) «روح المعاني» (١٢/ ٣٧٣).

(٤) «مدارك التَّنزيل» (٣/ ١٢٥).

السّكْن بسكون الكاف على الطَّعام المُعدِّ للسَّاكن الدَّار، إذ المسكن يُقال فيه: سكْنٌ أيضًا، واقتصر عليه أكثر المفسِّرين ولم يذكر الرَّاغب غيره.

ويجوز أن يكون المراد من النُّزُل هنا طعام الضِّيافة في الجنَّة.

ويجوز أن يُراد به مكان النُّزول على تقدير مضافٍ في قوله: {أم شجرة الزَّقُّوم} بتقدير: أم مكان شجرة الزَّقُّوم[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٣/ ١٢١).

٢١٣ (شوب) الشِّين والواو والباء أصلٌ واحدٌ، وهو الخَلْط. يُقال: شُبْتُ الشَّيءَ أَشُوبُه شَوْبًا[١].

وتقول العرب: كلُّ شيءٍ خلطته بغيره فهو مَشُوبٌ[٢].

٢١٣ ﴿ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا لَشَوْبًا مِنْ حَمِيمٍ﴾ [الصافات ٦٧]

ليس معنى شوباً أي حرارة كما في المعنى الشائع، بل معنى الشوب أي المزج والخلط[٤]، أي يخلط لهم الزقوم بالحميم فيأكلون الزقوم ثم يشربون عليه الماء المحموم الحار.

فالشَّوْب في الأصل: الخَلْط، ومنه شاب اللَّبنَ بالماء، أي: خَلَط. قال الشَّاعر:

تِلْكَ الْمَكَارِمُ لَا قَعْبَانِ مِنْ لَبَنٍ .:. شِيبَا بِمَاءٍ فَعَادَا بَعْدُ أَبْوَالَا

فمعنى الآية الكريمة: ثمَّ إنَّ لهم عليها لخلطًا ومزجًا من حميمٍ وأيِّ حميمٍ؟![٣]

قال المفسِّرون: إذا أكلوا الزَّقُّوم ثمَّ شربوا عليه الحميم، شابَ الحميمُ الزَّقُّوم في بطونهم فصار شَوْبًا له[٤].

فيُمْزَج لهم الزَّقُّومُ بالحَمِيم؛ ليُجمَع لهم بين مرارة الزَّقُّوم وحرارة الحَمِيم، تغليظًا لعذابهم وتجديدًا لبلائهم[٥].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (شوب).

(٢) «مجاز القرآن» (٢/ ١٧٠).

(٣) «عمدة الحفَّاظ» (٢/ ٣٠٢).

(٤) «زاد المسير» (٣/ ٥٤٣).

(٥) «تفسير القُرطبيّ» (١٥/ ٨٧).

٢١٤ ﴿ فَأَقْبَلُوٓاْ إِلَيْهِ يَزِفُّونَ ﴾ [الصافات: ٩٤]

يَزِفُّوَن من الزف وهو الإسراع في المشي، أي أسرعوا حينما علموا بما صنع إبراهيم ﷺ بأصنامهم، وليس يزفون أي يمشون بتمهل كزفة العروس على الصحيح، ذكر ذلك ابن عطية ثم قال: (وزف بمعنى أسرع هو المعروف) [١].

٢١٤ (زَفَّ) الزَّاء والفاء أصلٌ يدلُّ على خفَّةٍ في كلِّ شيءٍ.

يُقال: زَفَّ الظَّليم زَفِيفًا: إذا أسرع.

ومنه: زُفَّت العروسُ إلى زوجها.

وزَفَّ القوم في سيرهم: أسرعوا[١].

وأصل الزَّفِيفِ في هبوب الرِّيح وسرعة النَّعام الَّتي تخلط الطَّيران بالمشي، وزَفْزَفَ النَّعام: أسرع، **ومنه استُعير: زَفُّ العروس، واستعارة ما يقتضي السُّرعة، لا لأجل مشيتها، ولكن للذَّهاب بها على خفَّةٍ من السُّرور**[٢].

وتقول العرب للنَّعامة: تَزِفُّ: وهو أوَّل عَدْوِها وآخر مشيها، وجاءنى الرَّجل يَزِفُّ زفيف النَّعامة، أي: من سرعته[٣].

فمعنى {يَزِفُّون} في قول أهل اللُّغة: يُسرعون، وهو لفظ ابن زيدٍ من المفسِّرين.

قال ابن عبَّاسٍ: يمشون إليه متعمِّدين.

وقال مقاتلٌ: يمشون إلى إبراهيم ليأخذوه بأيديهم.

وقال الكلبيُّ: يمشون إليه جميعًا يريدونه. ونحو هذا قال السُّدِّيُّ.

والإسراع تفسير أهل اللُّغة، والمشي تفسير المفسِّرين[٤].

* وقرأ جمهور النَّاس {يَزِفُّون} بفتح الياء من زَفَّ: إذا أسرع، وزَفَّت الإبل إذا أسرعت...

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (زفف).

(٢) «المفردات» (ص: ٣٨٠).

(٣) «مجاز القرآن» (٢/ ١٧١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (١٩/ ٧٦).

وقرأ حمزة وحدَه {يُزِفُّزن} بضمِّ الياء من أَزَفَّ: إذا دخل في الزَّفيف، وليست بهمزة تعديةٍ، هذا قولٌ.

وقال أبو عليٍّ: معناه يحملون غيرهم على الزَّفيف، وحكاه عن الأصمعيِّ.

وهي قراءة مجاهدٍ وابن وثَّابٍ والأعمش.

وقرأ مجاهدٌ وعبد الله بن زيدٍ {يَزِفُّزن} بفتح الياء وتخفيف الفاء من وَزَفَ، وهي لغةٌ مُنكرةٌ، قال الكِسائيُّ والفَرَّاء: لا نعرفها بمعنى زَفَّ.

وقال مجاهد: الزَّفيف النَّسلان.

وذهبت فرقةٌ إلى أنَّ {يَزِفُّونَ} معناه: يتمهَّلون في مشيهم كزِفاف العروس، والمعنى: أنَّهم كانوا على طمأنينةٍ من أن ينال أحدٌ آلهتهم بسُوءٍ لعزَّتهم، فكانوا لذلك متمهِّلين.

قال القاضي أبو محمَّدٍ: وزَفَّ بمعنى أسرع هو المعروف[1].

وقال السَّمين الحلبيُّ: قرأ حمزةُ {يُزِفُّون} بضمِّ الياء، مِنْ أَزَفَّ وله معنيان:

أحدهما: أنَّه مِنْ أَزَفَّ يُزِفُّ أي: دخل في الزَّفيفِ وهو الإسراعُ، أو زِفافِ العَروسِ وهو المَشْيُ على هيئتِه؛ لأنَّ القومَ كانوا في طمأنينةٍ مِنْ أَمْرِهم، **كذا قيل هذا الثَّاني، وليس بشيءٍ**؛ إذ المعنى: أنَّهم لَمَّا سمعوا بذلك بادروا مُسْرِعين، فالهمزة على هذا ليسَتْ للتَّعديةِ.

والثَّاني: أنَّه مِنْ أَزَفَّ بعيرَه أي: حَمَله على الزَّفْيفِ وهو الإسراعُ أو على الزِّفافِ[2].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٧٩).

(٢) «الدُّرُّ المصون» (٩/ ٣٢٠).

﴿٢١٥﴾ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ﴾ [الصافات: ١٠٢]

بلغ معه السَّعْيَ أي كبر وترعرع وصار يذهب مع أبيه ويمشي معه[٢]، وليس السعي بين الصفا والمروة.

﴿٢١٥﴾ قوله تعالى: {فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ} فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّ المراد بالسَّعي هاهنا: العمل، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه المشي، والمعنى: مشى مع أبيه، قاله قتادة.

قال ابن قُتيبة: بلغ أن ينصرف معه ويُعِينَه.

قال ابن السَّائب: كان ابن ثلاثَ عشرةَ سنةً.

والثَّالث: أنَّ المراد بالسَّعي: العبادة، قاله ابن زيدٍ، فعلى هذا يكون قد بلغ[١].

(١) «زاد المسير» (٣/ ٥٤٦).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢١٦﴾ ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ﴾ [الصافات: ١٠٣]

أَسْلَمَا: أي استسلما وخضعا لأمر الله بذبح إسماعيل، وتله: أي طرحه وصرعه أرضًا على جنبه تهيئة للذبح[١]، وليس معنى تله أي جذبه مع أثوابه كما هو شائع.

﴿٢١٦﴾ أصل التَّلِّ: المكان المرتفع، والتَّلِيل: العُنُق، {وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ} [الصافات: ١٠٣] ، أسقطه على التَّلِّ، كقولك: تَرَّبَه: أسقطه على التُّراب، وقيل: أسقطه على تليلِه [أي: عنقه][١].

ثمَّ عُبِّر به عن السُّقوط مُطلقًا، وإن لم يكن على تلٍّ ولا تليلٍ[٢].

فأصل التَّلِّ الرَّمي على التَّلِّ، وهو التُّراب المجتمع، ثُمَّ عُمِّم في كلِّ صَرَعٍ[٣].

وأمَّا قوله صلَّى الله عليه وسلَّم في حديث الشُّرب: «فَتَلَّهُ فِي يَدِهِ» أَي: القدح، فذلك على تشبيه شدَّة التَّمكين كأنَّه ألقاه في يده[٤].

* وقوله تعالى: {وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ} أي: صَرَعه على جَبِينه، فصار أحد جبينَيْه على الأرض. وهما جبينان والجبهةُ بينهما، وهي: ما أصاب الأرضَ في السُّجود[٥].

والنَّاس لا يكادون يُفرِّقون بين الجبين والجبهة، فالجبهة: مسجد الرَّجل الَّذي يُصيبه نَدَبُ السُّجود، والجبينان: يكتنفانها، من كلِّ جانبٍ جبينٌ[٦].

* ولم أقف على التَّلِّ بالمعنى الَّذي ذكره المعدُّ، فلعلَّه استخدامٌ عاميٌّ مأخوذٌ من التَّلِّ بمعنى: الإسقاط على التَّليلة، أي: العنق.

(١) «المفردات» (ص: ١٦٧).

(٢) «عمدة الحفَّاظ» (١/ ٢٦٦).

(٣) «روح المعاني» (١٢/ ١٢٤).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٣/ ١٥٣).

(٥) «غريب القرآن لابن قتيبة» (ص: ٣٧٣).

(٦) «زاد المسير» (٣/ ٥٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢١٧ ﴿فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ﴾ [الصافات: ١٤١]

سَاهَمَ أي اقترع فوقعت القرعة عليه[٢] - أي يونس عليه السلام- ، وليست من المساهمة أي المشاركة.

٢١٧ قال المفسِّرون:

{فَسَاهَمَ}: فقارع.

قال المبُرِّد: وإنَّما أُخِذ من السِّهام التي تُحال للقُرْعة[١].

وأصلُه مُشتقٌّ من اسم السَّهم؛ لأنَّهم كانوا يقترعون بالسِّهام، وهي أعواد النِّبال، وتُسمَّى الأزلام[٢].

فقارعهم مرَّةً أو ثلاثًا بالسِّهام، والمُساهَمَة: إلقاء السِّهام على جهة القُرْعة[٣].

* وهذا المعنى الَّذي ذكره المفسِّرون لا خلاف عليه لُغةً، أمَّا المُساهَمة بمعنى: المشاركة، فقد اختلف اللُّغويون المعاصرون حول صحَّته، وسواءٌ قلنا بصحَّته أو عدمها، فالظَّاهر أنَّه استعمالٌ معاصرٌ لم تذكره المعاجم القديمة.

يقول الدُّكتور أحمد مختار عمر: شاع استعمال الفعلين: (أسهم) و(ساهم) بمعنى: شارك في لغة العصر الحديث، وعلى الرَّغم من الخلاف حول صحَّة الفعل (ساهم) فقد صحَّحه مَجمَع اللُّغة المصريّ لوروده في مقدِّمة معجم «لسان العرب» بالإضافة إلى وروده في شعرٍ لزُهَيْرٍ، وقد ورد في المعاجم الحديثة، كـ«الوسيط»، و«المنجد»، و«الأساسيّ»[٤].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٩/ ١٠٥).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٣/ ١٧٣).

(٣) «مدارك التَّنزيل» (٣/ ١٣٦).

(٤) «معجم الصَّواب اللُّغويّ» (١/ ٤٣٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢١٨﴾ ﴿وَٱنطَلَقَ ٱلْمَلَأُ مِنْهُمْ أَنِ ٱمْشُوا۟ وَٱصْبِرُوا۟ عَلَىٰٓ ءَالِهَتِكُمْ﴾ [ص:٦]

الْمَلَأُ في اللغة الجماعة، ولكن معناها في هذه الآية: أشرافهم وكبراؤهم(٣).

﴿٢١٨﴾ قال ابن السِّكِّيت: تَمالَؤُوا على الأمر: اجتمعوا عليه، والمَلأ: الجماعة(١).

والمَلَأ، مهموزٌ مقصورٌ: أشراف النَّاس ووُجوههم؛ قال الله عزَّ وجلَّ: {أَلَمْ تَرَ إِلَى الْمَلَإِ} [الْبَقَرَة: ٢٤٦]، و{قَالَ الْمَلَأُ مِن قَوْمِهِ} [الْأَعْرَاف: ٥٩]، ورُوي عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه سمع رجلًا من الأنصار مَرجِعَه من غزوة بدرٍ يقول: ما قتلنا إلَّا عجائزَ صُلعًا. فقال النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم: أولئك المَلأ من قريشٍ، لو حضرت فعالهم لاحتقرت فعلك.

وقال أبو إسحاقٍ: رجُلٌ مَلِيءٌ -مهموزٌ-: بَيِّنُ المَلاء، والمَلأ: الرُّؤساء، سُمُّوا بذلك لأنَّهم مِلَاءٌ بما يُحتاج إليه(٢).

وقال الرَّاغب الأصفهانيُّ: المَلَأ: جماعةٌ يجتمعون على رأيٍ، فيملؤون العيون رُواءً ومنظرًا، والنُّفوس بهاءً وجلالًا... يُقال: فلانٌ مِلْءُ العيونِ، أي: مُعظَّمٌ عند من رآه، كأنَّه مَلَأ عينه من رؤيته(٣).

فالمَلَأ هو اسمٌ لشيئين: اسم الجماعة، واسم الأَجِلَّة والأشراف(٤).

وقال أبو حيَّان: المَلَأ: الأشراف من النَّاس، وهو اسم جمعٍ، ويُجمع على أَمْلاءٍ، قال الشَّاعر:

وَقَالَ لَهَا الْأَمْلَاءُ مِنْ كُلِّ مَعْشَرٍ .:. وَخَيْرُ أَقَاوِيلِ الرِّجَالِ سَدِيدُهَا

وسُمُّوا بذلك؛ لأنَّهم يملؤون العيون هيبةً، أو المكان إذا حضروه، أو لأنَّهم مَلِيؤُون بما يُحتاج إليه.

---

(١) «الصِّحاح» (ملأ).

(٢) «تهذيب اللُّغة» (ملأ).

(٣) «المفردات» (ص: ٧٧٦).

(٤) «تأويلات أهل السُّنَّة» (٦/ ١٧٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الفَرَّاء: المَلَأ: الرِّجال في كلِّ القرآن لا تكون فيهم امرأةٌ، وكذلك: القوم، والنَّفر، والرَّهْط.

وقال الزَّجَّاج: المَلَأ: هم الوجوه وذُوو الرَّأي[1].

وقال أبو السُّعود: المَلَأ: أي: الأشراف، مِن قولهم: فلانٌ مَلِيءٌ بكذا، أي: مُطيقٌ له، لأنَّهم مُلِئوا بكفايات الأمور، أو لأنَّهم ملؤوا القلوبَ هيبةً والمجالسَ أُبَّهةً، أو لأنَّهم مُلئوا بالأحلام والآراءِ الصَّائبةِ[2].

* فإطلاق لفظ الملأ على السَّادة والأشراف هو إطلاقٌ لغويٌّ، كما أنَّ إطلاقه على الجماعة من النَّاس أيضًا إطلاقٌ لغويٌّ، وأقوال المفسِّرين في ذلك موافقةٌ لأقوال اللُّغويِّين، فليس تفسير المفسِّرين للمَلَأ في الآية بالأشراف من تخصيص العامِّ لُغةً، كما يُوهِمُه قول المُعدِّ.

(١) «البحر المحيط» (٢/ ٥٥٩).

(٢) «تفسير أبي السُّعود» (٤/ ٢٠٠).

٢١٩ لا أدري كيف يُمكن توهُّم أن يكون معنى السُّوق موضع البيع والشِّراء مع عطفه على الأعناق!

٢١٩ ﴿فَطَفِقَ مَسْحًا بِالسُّوقِ وَالْأَعْنَاقِ﴾ [ص: ٣٣]
بالسُّوقِ: أي سيقان الخيل وليس المراد به السوق موضع البيع والشراء[٤].

السُّوق: جمعُ ساقٍ.

وقرأه الجمهور بواوٍ ساكنةٍ وبوزن (فُعْلٍ) مثلَ: دَارَ ودُورٍ، ووزن (فُعْلٍ) في جمع مثله قليلٌ.

وقرأه قُنْبُلٌ عن ابن كثيرٍ وأبو جعفرٍ {السُّؤْقِ} بهمزةٍ ساكنةٍ بعد السِّين: جمع سَأْقٍ بهمزةٍ بعد السِّين، وهي لُغةٌ في ساق.

والأعناق: جمع عُنُقٍ، وهو الرَّقبة[١].

* قال ابن الجوزيّ: وفي المراد بالمسح هاهنا ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه ضربها بالسَّيف.

روى أُبَيُّ بن كعبٍ عن رسول الله صلَّى الله عليه وسلّم في قوله: {فطَفِقَ مَسْحًا بالسُّوق والأعناق} قال: «بالسَّيف».

وروى مجاهدٌ عن ابن عبَّاسٍ قال: مسح أعناقها وسوقها بالسَّيف.

وقال الحسن، وقتادة، وابن السَّائب: قطع أعناقها وسُوقها.

وهذا اختيار السُّدِّيّ، ومقاتلٍ، والفَرَّاء، وأبي عُبيدة، والزَّجَّاج، وابن قُتيبة، وأبي سليمان الدِّمشقيّ، والجمهور.

والثَّاني: أنَّه جعل يمسح أعراف الخيل وعراقيبها حُبًّا لها، رواه عليُّ بن أبي طلحة عن ابن عبَّاسٍ.

وقال مجاهدٌ: مسحها بيده.

وهذا اختيار ابن جريرٍ، والقاضي أبو يَعْلَى.

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٣/ ٢٥٧).

والثَّالث: أنَّه كَوَى سُوقها وأعناقها وحبسها في سبيل الله تعالى، حكاه الثَّعلبيُّ.

والمفسِّرون على القول الأوَّل، وقد اعترضوا على القول الثَّاني، وقالوا: أيُّ مناسبةٍ بين شغْلِها إيَّاه عن الصَّلاة وبين مَسْح أعرافها حُبًّا لها؟!

ولا أعلم قوله: (حُبًّا لها) يثبت عن ابن عبَّاسٍ.

وحملوا قول مجاهدٍ: (مَسَحها بيده) أي: تولَّى ضَرْب أعناقها.

فإن قيل: فالقول الأوَّل يفسُد بأنَّه لا ذَنْب للحيوان، فكيف وجَّه العقوبة إليه وقَصَدَ التَّشفِّي بقتله، وهذا يُشبه فعل الجبَّارين، لا فعل الأنبياء؟

فالجواب: أنَّه لم يكن ليفعل ذلك إلَّا وقد أُبيح له، وجائزٌ أن يُباح له ما يُمنَع منه في شرعنا، على أنَّه إذا ذبحها كانت قربانًا، وأكلُ لحمها جائزٌ، فما وقع تفريطٌ.

قال وهب بن مُنبِّهٍ: لَمَّا ضرب سوقها وأعناقها، شكر اللهُ تعالى له ذلك، فسخَّر له الرِّيح مكانها، وهي أحسن في المنظر، وأسرع في السَّيْر، وأعجب في الأُحْدُوثة[1].

(١) «زاد المسير» (٣/ ٥٧٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٢٠ ﴿ارْكُضْ بِرِجْلِكَ هَذَا مُغْتَسَلٌ بَارِدٌ وَشَرَابٌ﴾ [ص:٤٢]

ليس معنى الرّكض هنا الجري وإنما معناه أن يضرب الأرض برجله، ففعل فنبَعَت الأرض من تحت رجله[١].

٢٢٠ (ركض) الرَّاء والكاف والضَّاد أصلٌ واحدٌ يدلُّ على حركةٍ إلى قُدُمٍ أو تحريكٍ.

يُقال: رَكَضَ الرَّجُلُ دابَّتَه: وذلك ضَرْبُه إيَّاها برجليه لتتقدَّم، **وكثُر حتَّى قيل: رَكَضَ الفرسُ، وليس بالأصل.**

وارْتِكاض الصَّبيِّ: اضطرابه في بطن أمِّه...

وفي بعض الحديث في ذكر دم الاستحاضة: «هُوَ رَكْضَةٌ مِنَ الشَّيْطَانِ»، يُريد: الدَّفْعَة[١].

فأصل الرَّكْض: تحريك الرِّجلين؛ تقول: رَكَضْتُ الفرس: إذا أَعْدَيْتَه بتحريك رجليك فعَدَا[٢].

ولهذا قال الأصمعيُّ: يُقال: رَكَضْت الدَّابَّة، ولا يُقال: رَكَضَتْ هي؛ لأنَّ الرَّكْض إنَّما هو تحريك راكبها رجلَيْه، ولا فعل لها في ذلك.

وحكى سيبويه: رَكَضْتُ الدَّابَّةَ فَرَكَضَتْ، مثل: جَبَرْتُ العظمَ فجَبَرَ، وَحَزَنْتَهُ فَحَزِنَ[٣].

وقال الرَّاغب: الرَّكْض: الضَّرب بالرِّجْل، فمتى نُسِب إلى الرَّاكب فهو إعداء مَرْكُوبٍ، نحو: رَكَضْتُ الفرسَ، ومتى نُسب إلى الماشي فوَطْء الأرض، نحو قوله تعالى: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ}[٤].

* قال ابن عبَّاسٍ: اضرب الأرض برجلك، فرَكَضَ فنبعت بركضته عين ماءٍ[٥].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (ركض).

(٢) «غريب القرآن لابن قتيبة» (ص: ٢٣٤).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (١٥/ ٢١١).

(٤) «المفردات» (ص: ٣٦٤).

(٥) «التَّفسير الوسيط» (٣/ ٥٥٧).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال الزَّجَّاج: {ارْكُضْ بِرِجْلِكَ}: معناه دُسِ الأرض برجلك، فداس الأرْض دَوْسَةً خفيفةً فنبعت له عَيْنٌ، فاغتسل منها فذهب الدَّاء من ظاهر بدنه، ثمَّ داس دَوْسةً ثانيةً فنبع ماءٌ، فشرب منه فغسلت الدَّاء من باطن بدنه[1].

(١) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٣٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٢١﴾ ﴿قَالُوا بَلْ أَنتُمْ لَا مَرْحَبًا بِكُمْ أَنتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ الْقَرَارُ﴾ [ص:٦٠]

معنى القرار: أي المستقر الذي يستقر فيه أهل النار[٢]، وليس المراد بالقرار الرأي الذي يُتخذ.

﴿٢٢١﴾ قَرَّ في مكانه يَقِرُّ قَرَارًا: إذا ثبت ثبوتًا جامدًا، وأصله من القُرِّ، وهو البَرْد، وهو يقتضي السُّكون، والحَرُّ يقتضي الحركة... قال تعالى: {جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ قَرَارًا} [غافر: ٦٤] ، {أَمَّنْ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا} [النمل: ٦١] ، أي: مُستَقَرًّا[١].

{الْقَرَارُ} أي: المَقَرُّ، وهو مصدرٌ سُمِّي به[٢].

قال الطَّبريُّ: {فَبِئْسَ الْقَرَارُ} يقول: فبئس المكان يُسْتَقَرُّ فيه جهنَّم[٣].

وقال أبو السُّعود: {وَبِئْسَ القرار} على حذف المخصوصِ بالذَّمِّ، أي: بئس المَقَرُّ جهنمُ، أو بئس القَرارُ قرارُهم فيها[٤].

(١) «المفردات» (ص: ٦٦٢).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٢/ ٤٧٥).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢١/ ٢٣١).

(٤) «تفسير أبي السُّعود» (٥/ ٤٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿لَهُمْ غُرَفٌ مِّن فَوْقِهَا غُرَفٌ مَّبْنِيَّةٌ﴾ [الزمر: ٢٠]

الغُرَف: هي المنازل والقصور الشاهقة[٣]، وفوقها قصور مثلها، وليس معناها الغرف المعروفة ذات الحيطان الأربع، وسميت المنازل غرفا لعلوها وارتفاعها[١] فالغرف: ما كان من المساكن مرتفعا عن الأرض[٢].

٢٢٢ قال اللَّيث: الغُرفة: العِلِّيَّة[١].

وقال الجوهريُّ: الغُرْفة: العِلِّيَّة، والجمع: غُرْفاتٌ، وغُرُفاتٌ، وغُرَفٌ[٢].

فالغُرَف: ما كان من المساكن مرتفعًا عن الأرض.

وفي الحديث: «إِنَّ أَهْلَ الجَنَّةِ يَتَرَاءَوْنَ أَهْلَ الغُرَفِ مِنْ فَوْقِهِمْ، كَمَا يَتَرَاءَوْنَ الكَوْكَبَ الدُّرِّيَّ الغَابِرَ فِي الأُفُقِ» [متفق عليه][٣].

فالغُرفة: البيت المُعتَلِي يُصعَد إليه بدَرَجٍ، وهو أعزُّ مَنزِلًا من البيت الأرضيِّ[٤].

قال الرَّاغب: الغَرْف: **رفع الشَّيء وتناوله**، يُقال: غَرَفْتُ الماء والمَرَق، والغُرْفة: ما يُغْتَرَف، والغَرْفَة للمَرَّة، والمِغْرَفَة: لما يُتناول به...

والغُرْفة: عِلِّيَّة من البناء، وسَمَّى منازل الجنَّة غُرَفًا، قال تعالى: {أُوْلَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِما صَبَرُوا} [الفرقان: ٧٥]، وقال: {لَنُبَوِّئَنَّهُمْ مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفا} [العنكبوت: ٥٨]، {وَهُمْ فِي الْغُرُفاتِ آمِنُونَ} [سبأ: ٣٧][٥].

وقال الواحديُّ: الغُرْفَة معناها في اللُّغة: العِلِّيَّة، وكلُّ بناءٍ عالٍ مرتفعٍ فهو غُرْفةٌ، ويُقال للسَّماء السَّابعة غُرْفَة، وهو في شعر لَبِيدٍ، **ويُحتمَل أن يكون أصلها من الغَرْف، بمعنى: القَطْع**

---

(١) «تهذيب اللُّغة» (غرف).

(٢) «الصِّحاح» (غرف).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٥٢٦).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (١٩/ ٨٤).

(٥) «المفردات» (ص: ٦٠٥).

والفَصْل، يُقال: غَرَفْتُ ناصيتَه، أي: قطعتها... فسُمِّي البيت العالي: غُرْفةً، بمعنى: المغروف، أي: المقطوع من غيره بعلوِّه وارتفاعه[1].

* فإن كانت الحُجْرة -ذات أربعة حيطانٍ أو أقلَّ أو أكثر- مُرتفعةً فهي غُرفةٌ لُغةً، أمَّا إطلاق الغُرفة على كلِّ حُجرةٍ أو قاعةٍ وإن كانت غير مرتفعةٍ، فهو إطلاقٌ عاميٌّ حادثٌ لم تذكره المعاجم اللُّغويَّة القديمة.

(١) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٦١٦).

﴿ قُلْ يَٰقَوْمِ ٱعْمَلُوا۟ عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ ﴾ [الزمر:٩٣]

مَكَانَتِكُمْ: أي على حالكم وطريقتكم وهي للتهديد[٣]، وليس المراد بالمكانة القدر.

﴿٢٢٣﴾ قال النَّحَّاس: وقوله {على مكانتكم} فيه قولان:

أحدهما: أنَّ المعنى على تمكُّنكم.

والقول الآخر: أنَّه كما تقول: اثبت مكانك، أي: اثبت على ما أنت عليه[١].

وقال الزَّمخشري: {اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ} يحتمل:

اعملوا على تمكُّنكم من أمركم، وأقصى استطاعتكم وإمكانكم.

أو اعملوا على جهتكم وحالكم الَّتي أنتم عليها، يُقال للرَّجل إذا أُمِر أن يثبت على حاله: على مكانتك يا فلان، أى: اثبت على ما أنت عليه لا تنحرف عنه[٢].

وقال أيضًا: {عَلى مَكانَتِكُمْ} لا تخلو المكانة من أن تكون بمعنى المكان، يُقال: مكانٌ ومكانةٌ، ومقامٌ ومقامةٌ. **أو تكون مصدرًا من مَكُنَ مكانةً فهو مَكِينٌ.**

والمعنى: اعملوا قارّين على جهتكم الَّتي أنتم عليها من الشِّرك والشنآن لي، أو اعملوا متمكِّنين من عداوتي مطيقين لها[٣].

وقال الألوسيُّ: {اعْمَلُوا عَلى مَكانَتِكُمْ} أي: **على غاية تمكُّنكم واستطاعتكم**، على أنَّ المكانة مصدر مَكُن: إذا تَمكَّن أبلغ التَّمكُّن.

وجوّز أن يكون ظرفًا بمعنى المكان، كالمقام والمقامة، ومن هنا فسَّره ابن عبَّاسٍ رضي الله تعالى عنهما كما رواه ابن المنذر عنه بالنَّاحية، وتجوَّز به عن ذلك مَن فسَّره بالحالة، أي: اعملوا على حالتكم الَّتي أنتم عليها[٤].

---

(١) «معاني القرآن» (٢/ ٤٩٣).

(٢) «الكشَّاف» (٢/ ٦٧).

(٣) «الكشَّاف» (٢/ ٤٢٤).

(٤) «روح المعاني» (٤/ ٢٧٤).

وقال أيضًا: المكانة نُقلت من المكان المحسوس إلى الحالة الَّتي عليها الشَّخص واستُعيرت لها استعارةَ محسوسٍ لمعقول[1].

وقال ابن عطيَّة: {عَلى مَكانَتِكُمْ} معناه: **على حالاتكم، وهذا كما تقول: مكانة فلانٍ في العلم فوق مكانة فلانٍ**، يُستعار من البقاع إلى المعاني[2].

*وسواءٌ كانت المكانة هنا مصدرًا بمعنى التَّمكُّن، أم كانت ظرفًا واستُعيرت لحالة قرارهم على ما هم فيه من الشِّرك، فمعنى القَدْر والمنزلة ليس بعيدًا ولا خطأً:

قال الماتريديُّ: **المكانة هي: المنزلة والقَدْر**، يقول: **اعملوا أنتم على مكانتكم ومنزلتكم الَّتي لكم عند أتباعكم**، كأنَّه يُخاطب به الأشراف منهم والرُّؤساء، {إِنَّا عَامِلُونَ} **على المكانة والمنزلة الَّتي لنا عند الله**، فننظر أيُّنا أرجح؟ نحن أو أنتم؟ وأيُّنا أخسر؟ نحن أو أنتم؟[3]

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: المكانة في اللُّغة: **المنزلة والتَّمكُّن، كأنَّه: اعملوا على قدر منزلتكم وتمكُّنكم** في دُنياكم فإنَّكم لن تضرُّونا بذلك شيئًا[4].

* قال أهل المعاني: هذا تهديدٌ بصيغة الأمر، يقول: اعملوا على ما أنتم عليه، إنِّي عاملٌ على ما أنا عليه من طاعة الله، **وسترون منزلتكم من منزلتي**، وهذا معنى قوله: {سَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ}[5].

---

(١) «روح المعاني» (١٢/ ٢٦٢).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٣/ ٢٠٣).

(٣) «تأويلات أهل السُّنَّة» (٦/ ٢٠٢).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٨/ ٤٥١).

(٥) «التَّفسير البسيط» (١١/ ٥٣٨).

﴿٢٢٤﴾ ﴿يَٰقَوۡمِ لَكُمُ ٱلۡمُلۡكُ ٱلۡيَوۡمَ ظَٰهِرِينَ فِي ٱلۡأَرۡضِ﴾ [غافر:٢٩]

ليس معنى «ظَاهِرِينَ» بارزين واضحين كما فهم بعضهم، بل معنى ظاهرين غالبين عالين[٤].

(ظهر) الظَّاء والهاء والرَّاء أصلٌ صحيحٌ واحدٌ يدلُّ على قوَّةٍ وبُرُوزٍ.

مـن ذلـك: ظَهَـرَ الشَّـيءُ يَظْهَـرُ ظُهُورًا فهو ظاهرٌ: إذا انكشف وبرز.

ولـــذلك سُمِّـــي وقـــت الظُّهـــر والظَّهيرة، وهو أظهر أوقات النَّهار وأضوؤها.

والأصل فيه كلِّه ظَهْرُ الإنسان، وهو خلاف بطنه، وهو يجمع البروز والقوَّة.

ويُقال للرَّكاب: الظَّهْر؛ لأنَّ الَّذي يَحْمِل منها الشَّيءَ ظُهورُها.

والظُّهور: الغلبة، قال الله تعالى: {فَأَصْبَحُوا ظَاهِرِينَ} [الصف: ١٤][١].

فالظَّاهر: هو الغالب، يُقال: ظَهَرَ عليه، أي: غلبه، وظَهَرَ به، أي: غلب بسببه، أي: بإعانته، وأصل فعله مُشتَقٌّ من الاسم الجامد، وهو الظَّهْر، الَّذي هو العمود الوسط من جسد الإنسان والدَّوابِّ؛ لأنَّ بالظَّهر قُوَّةَ الحيوان[٢].

* وقوله: {لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ ظَاهِرِينَ فِي الْأَرْضِ} [غافر: ٢٩] قال السُّدِّيُّ: غالبين على أرض مصر قاهرين لأهلها[٣].[٤]

(١) «مقاييس اللُّغة» (ظهر).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٨/ ٢٠٣).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٥/ ١٥٤).

(٤) يُنظر أيضًا قوله تعالى: {فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ يَظْهَرُوهُ} رقم (١٤٠).

﴿٢٢٥﴾ ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ فِي ٱلنَّارِ لِخَزَنَةِ جَهَنَّمَ ٱدْعُواْ رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا مِّنَ ٱلْعَذَابِ﴾ [غافر:٤٩]

يفهم بعض الناس من هذه الآية أن في الآخرة أياما ولياليَ، والصواب أنه ليس في الآخرة إلا يوم واحد لا ليل فيه، ويكون معنى الآية: أي خفف عنا بقدر يوم من أيام الدنيا(١).

﴿٢٢٥﴾ قال الطَّبريُّ رحمه الله: {يُخَفِّفْ عَنَّا يَوْمًا} واحدًا، يعني: قدر يومٍ واحدٍ من أيَّام الدُّنيا {مِنَ الْعَذَابِ} الَّذي نحن فيه.

وإنَّما قلنا: معنى ذلك: قدر يومٍ من أيَّام الدُّنيا؛ لأنَّ الآخرة يومٌ لا ليل فيه، فيُقال: خفِّف عنهم يومًا واحدًا(١).

ويقول الطَّبريُّ أيضًا: اليوم عند العرب إنَّما سُمِّي يومًا بليلته الَّتي قبله، فإذا لم يتقدَّم النَّهارَ ليلٌ لم يسمَّ يومًا، فيوم القيامة يومٌ لا ليلَ بعدَه، سوى اللَّيلة الَّتي قامت في صبيحتها القيامة، فذلك اليوم هو آخر الأيَّام، ولذلك سمَّاه الله جلَّ ثناؤه (اليوم الآخِر)، ونعتَه بالعَقِيم، ووصفه بأنَّه يومٌ عَقيمٌ؛ لأنَّه لا ليلَ بعدَه(٢). (٣)

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢١/ ٣٩٩).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (١/ ٢٧٢).

(٣) يُنظر قوله تعالى: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} رقم (١٤٣).

﴿٢٢٦﴾ ﴿وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِٱلْعَشِيِّ وَٱلْإِبْكَٰرِ﴾ [غافر:٥٥]

العشيّ هو العصر[٢]، وقيل مابين الزوال والغروب أي الظهر والعصر، وليس المراد به وقت صلاة العشاء، ومثله قوله تعالى: ﴿وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا﴾.

﴿٢٢٦﴾ قال الأزهريُّ: **صلاتا العَشِيِّ هما الظُّهْر والعصر**، وحدَّثنا السَّعديُّ عن عمر بن شَبَّة عن عبد الوهَّاب عن أيُّوب عن محمَّدٍ عن أبي هريرة قال: صلَّى بنا رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم إحدى صلاتي العَشِيِّ، وأكبر ظنِّي أنَّها الظُّهْر، ثمَّ ذكر الحديث.

قلتُ: **ويقع العِشِيُّ على ما بين زوال الشَّمس إلى وقت غروبها، كلُّ ذلك عِشيٌّ، فإذا غابت الشَّمس فهو العِشاء**[١].

وقال الجوهريُّ: **العَشِيُّ والعَشِيَّة: من صلاة المغرب إلى العَتَمة**... والعِشاء بالكسر والمد: مثل العَشِيِّ. والعِشاءان: المغرب والعَتَمَة.

وزعم قومٌ أنَّ العِشاء من زوال الشَّمس إلى طلوع الفجر، وأنشدوا:

غَدَوْنا غدوةً سَحَرًا بليلٍ .:. عِشاءً بعدما انتصفَ النَّهارُ[٢].

وقال الرَّاغب: العَشِيُّ: من زوال الشَّمس إلى الصَّباح. والعِشَاء: من صلاة المغرب إلى العَتَمة، والعِشَاءان: المغرب والعَتَمَة... والعَشَاء: طعامُ العِشَاء، وبالكسر صلاة العِشَاءِ[٣].

* والَّذي عليه جمهور المفسِّرين هو ما ذكره الأزهريُّ من أنَّ العَشِيَّ: من حين تزُول الشَّمس إلى أن تغيب[٤]، فيدخل في ذلك صلاتي الظُّهر والعصر.

---

(١) «تهذيب اللُّغة» (عشو).

(٢) «الصِّحاح» (عشو).

(٣) «المفردات» (ص: ٥٦٧).

(٤) «تفسير الطَّبريّ» (٦/ ٣٩١)، «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٢)، «النُّكَت والعيون» (١/ ٣٩١)، «الكشَّاف» (١/ ٣٦١).

قال الحسن البصريُّ: {بِالْعَشِيِّ} يريد: صلاة العصر، {وَالْإِبْكَارِ}: يريد به: صلاة الصُّبح[1].

وقال القاسم بن محمَّدٍ: ما أدركت النَّاس إلَّا وهم يُصلُّون الظُّهر بعَشِيٍّ[2].

* أمَّا إطلاق العشيِّ على وقت صلاة العِشاء فيصحُّ على ما ذكره بعض اللُّغويِّين من أنَّ العَشِيَّ من الزَّوال إلى الصَّباح، وقد ذهب بعض المفسِّرين إلى تفسير العشيِّ بالعِشاء:

فعن عمرو بن شُعَيبٍ في قول الله: {يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} قال: العَشِيُّ: صلاة العشاء[3].

وقال الماتريديُّ: (الْإِبْكَارِ) كنايةٌ عن صلاة الغَداة، و(بِالْعَشِيِّ) كنايةٌ عن صلاة العِشاء على ما ذكره بعض النَّاس، والله أعلم[4].

وفي الجلالين: {إِنَّا سَخَّرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحْنَ} بتسبيحه {بِالْعَشِيِّ} وقت صلاة العشاء، {وَالْإِشْرَاقِ} وقت صلاة الضُّحى[5].

* أمَّا ما مثَّل به المعدُّ من قوله تعالى: {وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا بُكْرَةً وَعَشِيًّا} [مريم: ٦٢] فهو في أهل الجنَّة، والجنَّة ليس فيها شمسٌ ولا زمهريرٌ ولا ليلٌ، ولكن تُعرف الأوقات فيها بأنوارٍ أُخر، قد رُوي أنَّه تظهر من تحت العرش، فالزَّمان هنالك مقدار الحركة الَّتي بها تظهر بها تلك الأنوار[6].

وقد سبق للمعدِّ بيان ذلك في رقم (١٤٣).

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٥٦٥).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٤٣٢).

(٣) «تفسير ابن أبي حاتم» (٤/ ١٢٩٩).

(٤) «تأويلات أهل السُّنَّة» (٩/ ٤١).

(٥) «تفسير الجلالين» (ص: ٦٠٠).

(٦) يُنظر «الفتاوى الكبرى» (٥/ ٦٧).

ويُنظر أيضًا للفائدة قوله تعالى: {وَاصْبِرْ نَفْسَكَ مَعَ الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ بِالْغَدَاةِ وَالْعَشِيِّ} [الكهف: ٢٨] رقم (١٣٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٢٧﴾ {وَحُشِرَ لِسُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [النمل: ١٧]

{وَيَوْمَ نَحْشُرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا مِمَّنْ يُكَذِّبُ بِآيَاتِنَا فَهُمْ يُوزَعُونَ} [النمل: ٨٣]

{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ} [فصلت: ١٩]

﴿٢٢٧﴾ ﴿وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَآءُ ٱللَّهِ إِلَى ٱلنَّارِ فَهُمْ يُوزَعُونَ﴾ [فصلت:١٩]

يظن بعض الناس أن معنى يُوزَعُونَ: أي يُفرقون وهذا فهم خاطئ، والصواب العكس ؛ فمعناها يجمعون، يُحبس أولهم على آخرهم(١) ويساقون إلى النار .

* معنى التَّفريق يُأخذ من الفعل (وزَّع) فيُقال (يُوزَّعون)، يعني: يُفرَّقُون، وليس من الفعل (وَزَعَ).

* قال ابن الجوزيّ: قال شيخنا عَليُّ بن عُبيد الله: الأصل في (الوَزْع) الجمع المانع من التَّفَرُّق(١).

وقال الزَّجَّاج: جاء في التَّفسير يُحبَس أوَّلُهم على آخرهم، وأصله من وزعْتُهُ: إذا كففته، وقال الحسن البَصْرِيُّ حين ولي القضاء: لا بُدَّ للنَّاس من وَزَعةٍ. أي: لا بُدَّ لهم من أعوانٍ يَكُفُّون النَّاس عن التَّعدِّي(٢).

وفي بعض الكلام: ما يَزَع السُّلطان أكثرُ ممَّا يَزَعُ القرآن. أي: إنَّ النَّاس للسُّلطان أخوف(٣).

وقال الواحديُّ: معنى الوَزْع في اللُّغة: الكَفُّ، وزَعْتُه أَزَعُه وَزْعًا، أي: كففته. والشَّيب وازعٌ، أي: مانع. وتقول العرب: لأَزَعَنَّكم عن الظُّلم.

---

(١) «نزهة الأعين النَّواظر» (ص: ٦٠٦).

(٢) «معاني القرآن وإعرابه» (٤/ ٣٨٣).

(٣) «مقاييس اللُّغة» (وزع).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال اللَّيث: والوازع في الحرب: المُوكَّل بالصُّفوف يَزَع مَن تقدَّم بغير أمره، وقال الله عزَّ وجل: {فَهُمْ يُوزَعُونَ} أي: يُكَفُّون.

قال الكلبيُّ وأكثر أهل التَّفسير: يُحبَس أوَّلُهم على آخرهم.

وقال قتادة: يُرَدُّ أولُهم على آخرهم: يعني ليجتمعوا ويتلاحقوا.

وقال السُّدِّي: يُوقفون.

وقال الوالبيُّ عن ابن عبَّاسٍ: {يُوزَعُونَ} يُدفَعُون.

وقال ابن زيدٍ ومقاتلٌ: يُساقون.

والدَّفْع والسَّوْق ضدُّ: الوَقْف والكَفِّ، وقد ذكر المبرِّد وجه هذا؛ فقال: تأويل ذلك أنَّه يُدفع آخرهم على أوَّلهم، وقولهم: وَزَعْتُه بمعنى: كففته، كلمةٌ عامَّةٌ؛ تقول: وَزَعْتُه أي: كففته عن الإبطاء، بمعنى: دفعته وسقته، وتكون بمعنى كففته عن الإسراع، أي: حبسته ووقفته، فمن قال في تفسير: {يُوزَعُونَ} يُدفعون ويساقون، أراد: أنَّ الآخِرين يُمنعون عن الإبطاء والتَّوقُّف.

وذكر أبو عُبيدة الوجهين فقال: يُدفع أُخراهم ويُحبس أُولاهم. يعني: إذا تقدَّم الأوَّلون وسرعانهم وُزِعُوا، وإذا توقَّف المتأخِّرون دُفِعوا ووُزِعُوا عن الإبطاء. وهكذا يفعل الشُّرَط والوَزَعَة للعساكر[1].

(١) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ١٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٢٨﴾ ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُلۡحِدُونَ فِيٓ ءَايَٰتِنَا لَا يَخۡفَوۡنَ عَلَيۡنَآۗ﴾ [فصلت:٤٠]

يظن بعض الناس أن معنى الإلحاد في الآية أي إنكار الدين أو إنكار وجود الله كما في المعنى السائد للإلحاد، والصواب أن الإلحاد بالآيات: الميل بها عن الصواب بأي وجه كان؛ إما بإنكارها وجحودها وتكذيب ما جاء بها، وإما بتحريفها وتصريفها عن معناها الحقيقي وإثبات معان لها ما أرادها الله منها[٢].

﴿٢٢٨﴾ قال أهل اللُّغة: معنى الإلحاد في اللُّغة: الميل عن القَصْد.

وقال ابن السِّكِّيت: المُلْحِد: العادل عن الحقِّ المُدخِل فيه ما ليس فيه، قال: قد أَلْحَدَ في الدِّين ولَحَدَ.

وقال غيره من أهل اللُّغة: الإلحاد: العَدْل عن الاستقامة والانحراف عنها، ومنه اللَّحْد الَّذي يُحفر جانب القبر، خلاف الضَّريح الَّذي يحفر في وسطه[١].[٢]

* وفي المراد بالإلحاد هاهنا خمسة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه وَضْع الكلام على غير موضعه، رواه العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه المُكاء والصَّفير عند تلاوة القرآن، قاله مجاهدٌ.

والثَّالث: أنَّه التَّكذيب بالآيات، قاله قتادة.

والرَّابع: أنَّه المُعانَدة، قاله السُّدِّيُّ.

والخامس: أنَّه المَيْل عن الإيمان بالآيات، قاله مقاتلٌ[٣].

وقال ابن عطيَّة: اختلف المفسِّرون في الإلحاد الَّذي أُشير إليه ما هو؟

فقال قتادة وغيره: الإلحاد بالتَّكذيب.

وقال مجاهدٌ وغيره: الإلحاد بالمُكَاء والصَّفير واللَّغْو الَّذي ذهبوا إليه.

وقال ابن عبَّاسٍ: إلحادهم هو أن يوضع الكلام غير موضعه.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٩/ ٤٨١).

(٢) يُنظر قوله تعالى: {وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ} رقم (١٥٧).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٥٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ولفظة الإلحاد تعمُّ هذا كلَّه[1].

وقال الألوسيُّ: ...وعن أبي مالكٍ تفسير الآيات بالأدلَّة، فالإلحاد في شأنها الطَّعن في دلالتها والإعراض عنها، وهذا أوفق بقوله تعالى: {وَمِنْ آياتِهِ اللَّيْلُ وَالنَّهارُ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ} {وَمِنْ آياتِهِ أَنَّكَ تَرَى الْأَرْضَ خاشِعَةً} إلخ.

وما تقدَّم [يعني: من قول ابن عبَّاسٍ وقتادة ومجاهدٍ] أوفق بقوله سبحانه: {وَقالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لا تَسْمَعُوا لِهذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ} [فصلت: ٢٦] وبما بعدُ.

والآية على تفسير مجاهدٍ أوفق وأوفق[2].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ١٨).

(٢) «روح المعاني» (١٢/ ٣٧٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٢٩﴾ {يَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ إِنَاثًا وَيَهَبُ لِمَنْ يَشَاءُ الذُّكُورَ (٤٩) أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا وَيَجْعَلُ مَنْ يَشَاءُ عَقِيمًا إِنَّهُ عَلِيمٌ قَدِيرٌ} [الشورى: ٤٩، ٥٠]

﴿٢٢٩﴾ ﴿أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا﴾ [الشورى: ٥٠]

أي يهب من يشاء أولادًا مخلطين إناثًا وذكورًا[٣]، وليس معناه يُنكحهم.

قال الفَرَّاء: {أو يُزوِّجهم} يقول: يجعل بعضهم بنين ويجعل بعضهم بناتٍ، ذلك التَّزويج في هذا الموضع[١].

وقال ابن قُتيبة: تقول العرب: زوَّجت إبلي: إذا قرنت بعضها ببعض. وزوَّجت الصِّغار بالكبار: إذا قرنت كبيرًا بصغيرٍ[٢].

فالتَّزويج قَرْن الشَّيء بشيءٍ آخر فيصيران زَوْجًا. ومن مجازه إطلاقه على إنكاح الرَّجُل امرأةً لأنَّهما يصيران كالزَّوْج، والمراد هنا: جعلهم زَوْجًا في الهِبَة، أي: يجمع لمن يشاء فيَهَب له ذُكرانًا مشفعين بإناثٍ[٣].

فجعل النَّاس أربعة أقسامٍ:

منهم من يعطيه البنات.

ومنهم من يعطيه البنين.

ومنهم من يعطيه من النَّوعين ذُكُورًا وإناثًا.

ومنهم من يمنعه هذا وهذا، فيجعله عقيمًا لا نَسْل له ولا يُولد له[٤].

---

(١) «معاني القرآن» (٣/ ٢٦).

(٢) «غريب القرآن» (ص: ٣٩٤).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٥/ ١٣٨).

(٤) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢١٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٣٠﴾ ﴿وَتَقُولُوا سُبْحَانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ﴾ [الزخرف ١٣]

ظن بعض الناس أن معنى مُقْرِنِينَ أي مشركين بأن يَقرن بالله غيره، والصواب أن معناه : مطيقين، فيكون معنى الآية : لولا تسخيره لنا ما سخر من الفلك والأنعام ما كنا مطيقين لذلك وقادرين عليه[1].

قال ابن قُتيبة: يُقال: أنا مُقْرِنٌ لك، أي: مُطيقٌ لك. ويُقال: هو من قولهم: أنا قِرْنٌ لفلانٍ؛ إذا كنت مثله في الشِّدَّة. وإن فتحت -فقُلت: أنا قَرْنٌ لفلانٍ- أردتَ: أنا مثله في السِّنِّ[1].

قال ابن عبَّاسٍ: يريدُ: ولا طاقة لنا بالإبل ولا بالفُلْك ولا بالبحر لولا أنَّ الله سخَّره لنا.

ومعنى المُقرِن: المطيق في قول المفسِّرين.

قال أبو عُبيدة: فلانٌ مُقْرِنٌ لفلانٍ، أي: ضابطٌ له، وأنشد:

ولَسْتُم للصِّعَابِ بمُقرِنِينَا

وقال اللَّيث: أَقْرَنْت لهذا البِرْذَوْن والبعير، أي: قد أطقته، وكأن اشتقاقه من قولك: صرت له قِرْنًا مُطيقًا[2].

وحاصل المعنى أنَّه ليس لنا من القُوَّة ما نضبط به الدَّابَّة والفُلْك، وإنَّما الله تعالى هو الَّذي سخَّر ذلك وضبطه لنا[3].

* حكى سليمان بن يسارٍ أنَّ قومًا كانوا في سفرٍ فكانوا إذا ركبوا قالوا: {سبحان الَّذي سخَّر لنا هذا وما كنا له مُقرِنين} وكان فيهم رجلٌ على ناقةٍ له رَازِمٍ -وهي الَّتي لا تتحرَّك هُزالًا- فقال: أمَّا أنا فإنِّي لهذه لمُقْرِن، قال: فقَمَصَت به فدُقَّت عنقُه.

---

(١) «غريب القرآن» (ص: ٣٩٥).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ١٧).

(٣) «روح المعاني» (١٣/ ٦٩).

ورُوي أنَّ أعرابيًا ركب قَعُودًا له وقال: إنِّي لَمُقْرِنٌ له، فرَكَضَت به القَعُود حتَّى صرعته، فاندقَّت عنقُه.

ذكر الأوَّل الماورديُّ، والثَّاني ابن العربيِّ[1].

(١) «تفسير القُرطبيِّ» (١٦/ ٦٧).

﴿٢٣١﴾ ﴿وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا﴾ [الزخرف: ٣٢]

سُخْرِياً - بضم السين - من التسخير أي ليكون بعضهم مسخرًا لبعض في المعاش، به تقوم حياته وتستقيم شؤونه[٢]، وليس بكسر السين من السخرية والهُزء كما في قوله تعالى: ﴿فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّىٰ أَنسَوْكُمْ ذِكْرِي﴾.

﴿٢٣١﴾ {إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ (١٠٩) فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} [المؤمنون: ١٠٩، ١١٠]

{وَقَالُوا مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ مِنَ الْأَشْرَارِ (٦٢) أَتَّخَذْنَاهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زَاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصَارُ} [ص: ٦٢، ٦٣]

{نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُمْ مَعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} [الزخرف: ٣٢]

قال النَّحَّاس: وفرَّق أبو عمرٍو بينهما، فجعل المكسورة من جهة التَّهزُّؤ، والمضمومة من جهة السُّخْرة، ولا يَعرف هذا التَّفريق الخليل ولا سيبويه ولا الكِسائيُّ ولا الفَرَّاء.

قال الكِسائيُّ: هما لغتان بمعنًى واحدٍ، كما يُقال: عِصِيٌّ وعُصِيٌّ، ولُجِّيٌّ ولِجِيٌّ.

وحكى الثَّعلبيُّ عن الكِسائيِّ والفَرَّاء الفرق الَّذي ذكره أبو عمرٍو، وأنَّ الكسر بمعنى الاستهزاء والسُّخرية بالقول، والضَّمَّ بمعنى التَّسخير والاستعباد بالفعل.

وقال المبرِّد: إنَّما يُؤخذ التَّفريق بين المعاني عن العرب، وأمَّا التَّأويل فلا يكون. والكسر في سِخْريٍّ في المعنيين جميعًا؛ لأنَّ الضَّمَّة تُستثقَل في مثل هذا[١].

وقال الألوسيُّ في آية (المؤمنون): قرأ نافعٌ وحمزة والكِسائيُّ {سُخريًّا} بضم السِّين وباقي السَّبعة بكسرها، والمعنى عليهما واحدٌ، وهو الهُزْء عند الخليل وأبي زيدٍ الأنصاريِّ وسيبويه.

وقال أبو عُبيدة والكسائيُّ والفَرَّاء: مضموم السِّين بمعنى الاستخدام من غير أُجرةٍ، ومكسورها بمعنى الاستهزاء.

---

(١) «تفسير القُرطبيِّ» (١٢/ ١٥٤).

وقال يونس: إذا أُريد الاستخدام ضُمَّ السِّين لا غير، وإذا أُريد الهُزْء جاز الضَّمُّ والكسر[1].

* فما ذكره المعدُّ من التَّفريق في المعنى بين (سُخريًّا) و(سِخريًّا) بالضَّمِّ والكسر هو قولٌ لبعض اللُّغويِّين خالفهم فيه آخرون، ولعلَّ القول بأنَّهما بمعنًى واحدٍ أصحُّ، ويشهد له اختلاف القُرَّاء في القراءة بالضَّمِّ والكسر في آيتي (المؤمنون) و(ص).

قال ابن عاشورٍ: وهما وجهان ومعناهما واحدٌ عند المُحقِّقين من أئمَّة اللُّغة لا فرق بينهما، خلافًا لأبي عُبيدة والكِسائيِّ والفرَّاء الَّذين جعلوا المكسور مأخوذًا من (سَخِرَ) بمعنى: هَزَأَ، والمضموم مأخوذًا من (السُّخْرَة) بضمِّ السِّين، وهي الاستخدام بلا أجرٍ[2].

وقال الشِّنقيطيُّ: وممَّن قال بأنَّ معناهما واحدٌ: الخليل وسيبويه، وهو الحقُّ إن شاء الله تعالى[3].

* **أمَّا بخصوص آية سورة (الزُّخرف)**، فأجمع القُرَّاء[4] على ضمِّ السِّين من {سُخريًّا}[5]، وجمهور المفسِّرين على أنَّ معنى {سُخريًّا} من التَّسخير.

قال الواحديُّ: {لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا سُخْرِيًّا} أي: يستخدم بعضهم بعضًا، فيُسخِّر الأغنياء بأموالهم الفقراء، هذا قول السُّدِّيِّ وابن زيدٍ.

قال الضَّحَّاك وقتادة: ليملك بعضهم بمالهم بعضًا فيتخذونهم عبيدًا ومماليك، وهذا معنى قول مقاتلٍ والكلبيِّ.

---

(١) «روح المعاني» (٩/ ٢٦٨).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١٨/ ١٢٩).

(٣) «أضواء البيان» (٥/ ٣٦٠).

(٤) يعني: السَّبعة، لأنَّ هناك من قرأ بالكسر في الشَّواذِّ، كما سيأتي.

(٥) «التَّفسير البسيط» (١٦/ ٧٦).

وقال ابن عبَّاسٍ: يُسخِّر هذا لهذا وهذا لهذا. وهذا القول يحتمل القولين؛ لأنَّ التَّسخير يكون بالأجر ويكون بالملك[1].

قال الألوسيُّ: **وزعم بعضهم أنَّه هنا من السُّخْر بمعنى: الهُزْء، أي: ليهزأ الغنيُّ بالفقير، واستبعده أبو حيَّان، وقال السَّمين: إنَّه غير مناسبٍ للمقام.**

وقرأ عمرو بن ميمونٍ وابن مُحَيْصِنٍ وابن أبي ليلى وأبو رجاءٍ والوليد بن مسلمٍ {سِخريًّا} بكسر السِّين، والمراد به ما ذكرنا أيضًا [أي: من معنى التَّسخير][2].

* وذهب ابن عاشورٍ إلى جواز كون {سُخريًا} في (الزُّخرف) من التَّسخير ومن الاستهزاء أيضًا، فقال:

(السُّخريُّ) بضمِّ السِّين وبكسرها، وهما لغتان -ولم يُقرأ في القراءات المشهورة إلَّا بضمِّ السِّين، وقرأ ابن مُحَيْصنٍ في الشَّاذِّ بكسر السين- اسمٌ للشَّيء المُسخَّر، أي: المجبور على عملٍ بدون اختياره، واسمٌ لمن يُسخَر به، أي: يُستهزأ به كما في «مفردات» الرَّاغب و«الأساس» و«القاموس».

وقد فُسِّر هنا بالمعنيين كما قال القُرطبيُّ.

وقال ابن عُطيَّة: هما لُغتان في معنى التَّسخير ولا تدخُّل لمعنى الهُزْء في هذه الآية. ولم يقل ذلك غيره، وكلام الرَّاغب مُحتمَلٌ، واقتصر الطَّبريّ على معنى التَّسخير.

فالوجه في ذلك: أنَّ المعنيين معتبران في هذه الآية، وإيثار لفظ (سُخريًّا) في الآية دون غيره؛ لتحمُّله للمعنيين، **وهو اختيارٌ من وجوه الإعجاز.**

فيجوز أن يكون المعنى: ليتعمَّل بعضهم بعضًا في شؤون حياتهم، فإنَّ الإنسان مدنيٌّ، أي: محتاجٌ إلى إعانة بعضه بعضًا، وعليه فسَّر الزَّمخشريُّ وابن عطيَّة، وقاله السُّدِّيُّ وقتادة والضَّحَّاك وابن زيدٍ، فلام {ليتَّخذ} لام التَّعليل، تعليلًا لفعل {قسمنا}، أي: قسمنا بينهم

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٣٥).

(٢) «روح المعاني» (١٣/ ٧٨).

معيشتهم، أي: أسباب معيشتهم؛ ليستعين بعضهم ببعضٍ، فيتعارفوا ويتجمَّعوا لأجل حاجة بعضهم إلى بعضٍ، فتتكوَّن من ذلك القبائل والمدن.

وعلى هذا يكون قوله: {بعضهم بعضًا} عامًّا في كلِّ بعضٍ من النَّاس، إذ ما من أحدٍ إلَّا وهو مستعمِلٌ لغيره، وهو مُستعمَلٌ لغيرٍ آخر.

ويجوز أن تكون اسمًا من السُّخرية، وهي الاستهزاء، وحكاه القُرطبيُّ ولم يُعيِّن قائله، وبذلك تكون اللَّام للعاقبة، مثل {فَالْتَقَطَهُ آلُ فِرْعَوْنَ لِيَكُونَ لَهُمْ عَدُوًّا وَحَزَنًا} [القصص: ٨]

وهو على هذا تعريضٌ بالمشركين الَّذين استهزؤوا بالمؤمنين، كقوله تعالى: {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا} في سورة قد أفلح المؤمنون.

وقد جاء لفظُ السُّخْرِيِّ بمعنى الاستهزاء في آياتٍ أُخرى، كقوله تعالى: {فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سِخْرِيًّا حَتَّى أَنْسَوْكُمْ ذِكْرِي وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ} [المؤمنون: ١١٠] وقوله: {أَتَّخَذْناهُمْ سِخْرِيًّا أَمْ زاغَتْ عَنْهُمُ الْأَبْصارُ} [ص: ٦٣] .

ولعلَّ الَّذي عدل ببعض المفسِّرين عن تفسير آية سورة الزُّخرف بهذا المعنى: استنكارهم أن يكون اتِّخاذ بعضهم لبعضٍ مسخرةً علَّةً لفعل الله تعالى في رفعه بعضَهم فوق بعضٍ درجاتٍ، ولكنَّ تأويل اللَّفظ واسعٌ في نظائره وأشباهه[1].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٥/ ٢٠١).

٢٣٢ ﴿ وَإِنَّهُۥ لَذِكۡرٞ لَّكَ وَلِقَوۡمِكَۖ وَسَوۡفَ تُسۡـَٔلُونَ ﴾ [الزخرف:٤٤]

فهم بعض الناس أن معنى «ذِكرٌ» في هذا الموضع أنه يذكّرهم بما ينفعهم في الدنيا والآخرة، والصواب أن معنى ذكر هنا أي شرف فيكون المعنى: وإنه لشرف لك ولقومك[1].

٢٣٢ قالَ ابن قُتيبة: من الاستعارة: اللِّسان يُوضَع موضع القول؛ لأنَّ القول يكون بها، قال الله عزَّ وجلَّ حكايةً عن إبراهيم عليه السَّلام: {وَاجْعَلْ لِي لِسانَ صِدْقٍ فِي الْآخِرِينَ} [الشعراء: ٨٤] أي: ذكرًا حسنًا، وقال الشَّاعر:

إنِّي أَتَتْنِي لِسَانٌ لا أُسَرُّ بها .:. مِن عَلْو[1] لا عَجَبٌ منها ولا سَخَرُ

أي: أتاني خبرٌ لا أُسرُّ به.

ومنه الذِّكر يُوضَع موضع الشَّرف؛ لأنَّ الشَّريف يُذْكر، قال الله تعالى: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} [الزخرف: ٤٤] يُريد: أنَّ القرآن شرفٌ لكم[2].

وقال الواحديُّ: أصل الذِّكْر في اللُّغة: التَّنبيه على الشَّيء، ومن ذكَّرك شيئًا فقد نَبَّهك عليه، وإذا ذَكَرْتَه فقد تَنَبَّهْت عليه، والذَّكَرُ أَنْبَهُ من الأُنْثى.

وقوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ} [الزخرف: ٤٤] أي: شرفٌ لك، من النَّبَاهَة[3].

* وجمهور المفسِّرين على أنَّ الذِّكر هنا بمعنى: الشَّرف، وما نفاه المعدُّ من كونه بمعنى: التَّذكير النَّافع لهم، هو قولٌ مُحتمَلٌ أشار إليه بعض المفسِّرين، ولم أقف على مَن خطَّأه:

قال الماورديُّ: قوله عزَّ وجلَّ: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} يعني: القرآن ذكرٌ لك ولقومك. وفي {لَذِكْرٌ} قولان:

أحدهما: الشَّرف، أي: شرفٌ لك ولقومك، قاله ابن عبَّاسٍ.

الثَّاني: أنَّه لذكرٌ لك ولقومك، تذكرون به أمر الدِّين وتعملون به، حكاه ابن عيسى[1].

---

(١) علوة: اسم امرأةٍ

(٢) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٩٥).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٣/ ٤١٩).

وقال ابن عطيَّة: قوله: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ} يحتمل أن يُريد: وإنَّه لشرفٌ وحمدٌ في الدُّنيا. و(القوم): على هذا قريشٌ ثمَّ العرب، وهذا قول ابن عبَّاسٍ وقتادة ومجاهد والسُّدِّيُّ وابن زيدٍ...

ويحتمل أن يُريد: وإنَّه لتذكرةٌ وموعظةٌ، فـ(القوم) على هذا: أُمَّةٌ بأجمعها[٢].

وقال القرطبي: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} يعني: القرآن شرفٌ لك ولقومك من قريشٍ؛ إذ نزل بلغتهم وعلى رجلٍ منهم...

وقيل: بيانٌ لك ولأُمَّتك فيما بكم إليه حاجةٌ.

وقيل: تذكرةٌ تذكرون به أمرَ الدِّين وتعملون به[٣].

وقال القاسمي: {وَإِنَّهُ لَذِكْرٌ لَكَ وَلِقَوْمِكَ} أي: وإنَّ الَّذي أُوحي إليك لشرفٌ لك ولقومك من قريشٍ؛ لما خصَّهم به من نزوله بلسانهم، أو المراد بقومه: أتباعه، أي: تنويهٌ بقدرك وبقدر أُمَّتك؛ لما أعطاه لهم بسببه من العلوم والمزايا والخصائص والشَّرائع الملائمة لسائر الأحوال والأزمان.

وجُوِّز أن يُراد بالذِّكر: الموعظة[٤].

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٢٢٧).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٥٧).

(٣) « تفسير القُرطبيّ» (١٦/ ٩٣).

(٤) «محاسن التَّأويل» (٨/ ٣٩٢).

﴿٢٣٢﴾ ﴿وَقَالُواْ يَـٰٓأَيُّهَ ٱلسَّاحِرُ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ بِمَا عَهِدَ عِندَكَ﴾ [الزخرف: ٤٩]

يظن بعض الناس أن هذا النداء يحوي ذما وسبّاً لموسى عليه السلام، والصواب: أن الساحر كان عندهم معناه: العالم، ولم يكن السحر عندهم ذما، ودعاؤهم له بهذا الاسم بمثابة: يا أيها العالم[٢].

﴿٢٣٢﴾ قال الماورديُّ: قوله عزَّ وجلَّ: {وَقَالُواْ يَأَيُّهَ السَّاحِرُ} فيه أربعة أوجهٍ:

أحدها: أنَّهم قالوه على وجه الاستهزاء، قاله الحسن.

الثَّاني: أنَّه يجري على ألسنتهم ما ألفوه من اسمه، قاله الزَّجَّاج.

الثَّالث: أنَّهم أرادوا بالسَّاحر غالب السَّحَرة، وهو معنى قول ابن بحرٍ.

الرَّابع: أنَّ السَّاحر عندهم هو العالم، فعظَّموه بذلك، ولم تكن صفة ذمٍّ، حكاه ابن عيسى، وقاله الكلبيُّ[١].

وقال ابن عطيَّة: قوله تعالى: {وَقالُوا يا أَيُّهَا السَّاحِرُ} جائزٌ أن يكون قائل ذلك من أعلمهم بكفر السِّحر، فيكون قوله استهزاءً، وهو يعلم قدر السِّحر وانحطاط منزلته، ويكون قوله: {عِنْدَكَ} بمعنى: في زعمك وعلى قولك.

ويُحتمَل أن يكون القائل ليس من المتمرِّدين الحُذَّاق، ويُطلِق لفظة السَّاحر لأحد وجهين:

إمَّا لأنَّ السِّحْر كان عند عامَّتهم علم الوقت، فكأنَّه قال: يا أيُّها العالم.

وإمَّا لأنَّ هذه الاسميَّة قد كانت انطلقت عندهم على موسى لأوَّل ظهورها، فاستصحبها هذا القائل في مخاطبةِ قلَّةِ تحريرٍ وغباوةٍ.

ويكون القول على هذا التَّأويل جدًّا من القائل، ويكون قوله: {إِنَّنا لَمُهْتَدُونَ} بمعنى: إن نفعتنا دعوتك.

وهذا التَّأويل أرجح، أعني: أنَّ كلام هذا القائل مُقترِنٌ بالجِدِّ[٢].

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٢٢٩).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٥٨).

وقال القُرطبيُّ: لَمَّا عاينوا العذاب قالوا: {يا أيُّها السَّاحر}، نادَوْه بما كانوا ينادونه به من قبل ذلك على حسب عادتهم.

وقيل: كانوا يُسمُّون العلماء سحرةً، فنادَوْه بذلك على سبيل التَّعظيم، قال ابن عبَّاسٍ: {يا أيُّها السَّاحر}: يا أيُّها العالم. وكان السَّاحر فيهم عظيمًا يُوقِّرُونه، ولم يكن السِّحر صفة ذَمٍّ.

وقيل: يا أيُّها الَّذي غلبنا بسحره، يُقال: سَاحَرْتُه فسَحَرْتُه، أي: غلبته بالسِّحر، كقول العرب: خَاصَمْتُه فخَصَمْتُه، أي: غلبته بالخصومة، وفَاضَلْتُه ففَضَلْتُه، ونحوها.

ويُحتمل أن يكون أرادوا به السَّاحر على الحقيقة على معنى الاستفهام[1]، فلم يَلُمهم على ذلك رجاء أن يؤمنوا[2].

وقال الألوسيُّ: قال الجمهور: وهو خطاب تعظيمٍ، فقد كانوا يقولون للعالم الماهر: ساحرٌ؛ لاستعظامهم علم السِّحر، وحكاه في «مجمع البيان» عن الكلبيِّ والجُبَّائيِّ.

وقيل: المعنى: يا غالب السَّحرة، مِن: سَاحَرَه فسَحَرَه، كخَاصَمَه فخَصَمَه، فهو خطاب تعظيمٍ أيضًا.

وقيل: السَّاحر على المعنى المعروف فيه، وقد تعوَّدوا عليه السَّلامَ بذلك قبلُ، ومُقتضَى مقام طلب الدُّعاء منه عليه السَّلام أن لا يدعوه به؛ إلَّا أنَّهم لفرط حسرتهم سبق لسانهم إلى ما تعوَّدوا به.

وقيل: هو خطاب استهزاءٍ وانتقاصٍ دعاهم إليه شدَّة شكيمتهم ومزيد حماقتهم، ورُوي ذلك عن الحسن[3].

* فما ذكره المعدُّ هو قول الجمهور، ولا يعني هذا خطأ غيره من الأقول، وقد ذكرها عددٌ من المفسِّرين على أنَّها احتمالاتٌ مقبولةٌ في تفسير الآية.

---

(١) كذا! ولعلَّها: الاستهزاء.

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٦/ ٩٧).

(٣) «روح المعاني» (١٣/ ٨٧).

﴿٢٣٤﴾ ﴿فَلَمَّآ ءَاسَفُونَا ٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْ﴾ [الزخرف: ٥٥]

يظن بعض الناس أن معنى الأسف هنا بمعنى الحزن أو الندم والصواب أن معنى الأسف هنا أي الغضب ؛ والمعنى : فلما أغضبونا[1].

﴿٢٣٤﴾ قال ابن فارسٍ في كتاب «الأفراد»: كلُّ ما في القرآن من ذِكْر الأَسَف فمعناه الحُزْن إلَّا {فلمَّا آسفونا} فمعناه: أغضبونا[1].

وقال الرَّاغب: الأَسَف: الحزن والغضب معًا، وقد يُقال لكلِّ واحدٍ منهما على الانفراد، وحقيقته: ثوران دمِ القلب شهوةَ الانتقام، فمتى كان ذلك على من دونه انتشر فصار غضبًا، ومتى كان على من فوقه انقبض فصار حُزنًا.

ولذلك سُئل ابن عبَّاسٍ عن الحزن والغضب فقال: مخرجهما واحدٌ واللَّفظ مُختلِفٌ، فمن نازع من يقوى عليه أظهره غيظًا وغضبًا، ومن نازع من لا يقوى عليه أظهره حُزنًا وجزعًا[2].

* قال عليُّ بن أبي طلحة، عن ابن عبَّاسٍ: {آسَفُونَا}: أسخطونا.

وقال الضَّحَّاك عنه: أغضبونا.

وهكذا قال ابن عبَّاسٍ أيضًا، ومجاهدٌ، وعكرمةُ، وسعيد بن جُبَيْرٍ، ومحمَّد بن كعبٍ القُرَظيُّ، وقَتادةُ، والسُّدِّيُّ، وغيرهم من المفسِّرين[3].

قال ابن عطيَّة: {آسَفُونا} معناه: أغضبونا، بلا خلافٍ[4].

---

(١) «الإتقان في علوم القرآن» (٢/ ١٥٦).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٥).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٣٢).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٦٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٣٥ ﴿وَلَمَّا ضُرِبَ ابْنُ مَرْيَمَ مَثَلًا إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ يَصِدُّونَ﴾ [الزخرف: ٥٧]

يَصِدّونَ: بكسر الصاد أي يضحكون ويضجون لما ظنوه تناقضًا[٢]، وليس بضمها من الصدود كما في قراءة أخرى.

٢٣٥ * قال الزَّمخشريُّ: لَمَّا قرأ رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم على قريشٍ: {إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ} امتعضوا من ذلك امتعاضًا شديدًا، فقال عبد الله بن الزِّبَعْرَى: يا محمَّد، أخاصَّةٌ لنا ولآلهتنا أم لجميع الأُمم؟ فقال عليه السَّلام: هو لكم ولآلهتكم ولجميع الأمم، فقال: خصمتك وربِّ الكعبة، ألست تزعم أنَّ عيسى ابن مريم نبيٌّ وتُثني عليه خيرًا وعلى أُمِّه، وقد علمت أنَّ النَّصارى يعبدونهما، وعزيرٌ يُعبد، والملائكة يُعبدون، فإن كان هؤلاء في النَّار فقد رضينا أن نكون نحن وآلهتنا معهم، ففرحوا وضحكوا، وسكت النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فأنزل الله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا الْحُسْنَى} ونزلت هذه الآية.

والمعنى: ولَمَّا ضرب عبد الله بن الزِّبَعْرَى عيسى ابن مريم مثلًا، وجادل رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بعبادة النَّصارى إيَّاه {إِذا قَوْمُكَ} قريشٌ من هذا المثل {يَصِدُّونَ} ترتفع لهم جلبةٌ وضجيجٌ فرحًا وجزلًا وضحكًا بما سمعوا منه من إسكات رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم بجدله، كما يرتفع لَغَط القوم ولَجَبُهم إذا تَعيَّوْا بحُجَّةٍ ثمَّ فتُحت عليهم[١].

* وفي: {يَصِدُّونَ} قراءتان: ضمُّ الصَّاد وكسرها.

قال الأخفش والكِسائيُّ: هما لغتان قريبتان لا تختلفان في المعنى. ونحو ذلك ذَكَر الفَرَّاء.

قال الزَّجاج: ومعناهما جميعًا: يَضِجُّون. قال: ويجوز أن يكون معنى المضمومة يُعرِضون.

قال الأزهريُّ: وإذا كان بمعنى يضجُّون، فالوجه الكسر في (يصِدُّون)، وبه قرأ ابن عبَّاسٍ وفسَّره يضجّون. واختاره أبو عُبيدة[٢].

---

(١) «الكشَّاف» (٤/ ٢٥٩).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٦٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* فـ(يَصُدُّون) و(يَصِدُّون) بالضَّمِّ والكسر بمعنًى واحدٍ، وهو يضجُّون عند بعض اللُّغويِّين، وليس التَّفريق بينهما من المتَّفق عليه بينهم.

ورجَّح الطَّبريُّ أيضًا أنَّهما لغتان بمعنًى واحدٍ[1].

وقال السَّمين الحلبيُّ: وهو الصَّحيح، يُقال: صَدَّ يَصِدُّ ويَصُدُّ، كعَكَفَ يَعْكِفُ ويَعْكُفُ، ويَعْرُشُ ويَعْرِشُ[2].

وقد قرأ نافعٌ وابن عامرٍ والكِسائيُّ (يصُدُّون)، وقرأ الباقون بالكسر (يصِدُّون)، فالقراءتان بمعنًى واحدٍ -وهو يضجُّون- على قول من قال: إنَّ الضَّمَّ والكسر بمعنًى واحدٍ.

وأمَّا من فرَّق بين الضَّمِّ والكسر، فقراءة (يصِدُّون) بمعنى: يضجّون، وقراءة (يصُدُّون) بمعنى: يُعرِضون.

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢١/ ٦٢٦).

(٢) «الدُّرُّ المصون» (٩/ ٦٠٠).

يُنظر قوله تعالى: {قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ} [الحجر: ٣٦] رقم (١٢٠).

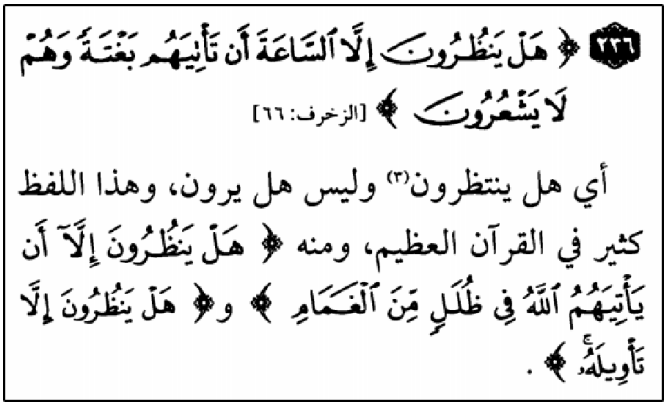

﴿٢٣٦﴾ ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا ٱلسَّاعَةَ أَن تَأْتِيَهُم بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ﴾ [الزخرف: ٦٦]

أي هل ينتظرون[٣] وليس هل يرون، وهذا اللفظ كثير في القرآن العظيم، ومنه ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّآ أَن يَأْتِيَهُمُ ٱللَّهُ فِي ظُلَلٍ مِّنَ ٱلْغَمَامِ﴾ و﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥ﴾.

﴿٣٣٧﴾ ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ﴾ [الزخرف: ٨٤]

أي أنه سبحانه إله من في السماء وإله من في الأرض يعبده أهلها وكلهم خاضعون له[1]، وإلا فهو سبحانه فوق سمواته مستو على عرشه بائن من خلقه جل في علاه.

﴿٣٣٧﴾ قال مجاهدٌ وقَتادة: يُعْبَد في السَّماء ويُعْبَد في الأرض[1].

وقال مقاتلٌ: يُوحَّد في السَّماء ويُوحَّد في الأرض[2].

* قال ابن قُتيبة: وأمَّا قوله تعالى: {وهو الَّذي في السَّماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ} فليس في ذلك ما يدلُّ على الحلول بهما، وإنَّما أراد أنَّه إله السَّماء ومن فيها، وإله الأرض ومن فيها. ومثل هذا من الكلام قولك: هو بخراسان أميرٌ وبمصر أميرٌ؛ فالإمارة تجتمع له فيهما وهو حالٌّ بأحدهما أو بغيرهما، هذا واضحٌ لا يخفى[3].

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: قوله تعالى {وهو الَّذي في السَّماء إلهٌ وفي الأرض إلهٌ} أي: هو إله من في السَّموات، وإلهٌ من في الأرض، كما قال الله تعالى: {وله المثل الأعلى في السَّماوات والأرض وهو العزيز الحكيم}، وكذلك قوله تعالى: {وهو الله في السَّماوات وفي الأرض}، كما فسَّره أئمَّة العلم كالإمام أحمد وغيره: أنَّه المعبود في السَّموات والأرض.

وأجمع سلف الأُمَّة وأئمَّتها على أنَّ الرَّبَّ تعالى بائنٌ من مخلوقاته، يُوصف بما وصف به نفسه وبما وصفه به رسوله صلَّى الله عليه وسلَّم، من غير تحريفٍ، ولا تعطيلٍ، ومن غير تكييفٍ، ولا تمثيلٍ، يُوصَف بصفات الكمال دون صفات النَّقص، ويُعلَم أنَّه ليس كمثله شيءٌ في صفات الكمال[4].

---

(١) «زاد المسير» (٤/ ٨٥).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٨٣).

(٣) «مجموع الفتاوى» (٥/ ٤٠٦).

(٤) «مجموع الفتاوى» (١١/ ٢٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٣٨﴾ ﴿إِنْ هُوَ إِلَّا عَبْدٌ أَنْعَمْنَا عَلَيْهِ وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ﴾ [الزخرف: ٥٩]

مَثَلاً: أي آية وعبرة لبني إسرائيل وليس معناها مثالاً لهم يحتذوا به كما فهم البعض[٢].

﴿٢٣٨﴾ (مثل) الميم والثَّاء واللَّام أصلٌ صحيحٌ يدلُّ على مُناظرة الشَّيء للشَّيء. وهذا مِثْلُ هذا، أي: نظيره، والمِثْل والمِثَال في معنًى واحدٍ. وربَّما قالوا: مَثِيلٌ كشَبِيهٍ...

والْمَثَل: المِثْل أيضًا، كشَبَهٍ وشِبْهٍ.

والمَثَل المضروب مأخوذٌ من هذا، لأنَّه يُذكَر مُورَّى به عن مِثْلِه في المعنى[١].

* وقوله تعالى: {وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}

قال الكلبيُّ: مُعتبَرًا.

وقال مقاتلٌ: يعني: أنَّه وغيره لِيعتبروا حين وَلَّدَه من غير أبٍ.

وقال قتادة: آيةً لبني إسرائيل.

والمعنى: أنَّهم يعرفون به قُدرة الله، فيعلمون أنَّ من قَدَر على خلق ولدٍ من غير أبٍ قادرٌ على ما يشاء، **فهو مَثَلٌ لهم يُشبِّهون به ما يَرَوْن من أعاجيب صنع الله تعالى**[٢].

وقال الزَّمخشريُّ: جعلناه آيةً: بأن خلقناه من غير سببٍ، كما خلقنا آدم، وشرَّفناه بالنُّبوَّة وصيَّرناه عبرةً عجيبةً، كالمَثَل السَّائر لبنى إسرائيل[٣].

وقال الألوسيُّ: {وَجَعَلْنَاهُ مَثَلًا} أي: أمرًا عجيبًا حقيقًا بأن يسير ذكره كالأمثال السَّائرة لبني إسرائيل، حيث خلقناه من غير أبٍ وجعلنا له من إحياء الموتى وإبراء الأكمه والأبرص ونحو ذلك ما لم نجعل لغيره في زمانه[٤].

(١) «مقاييس اللُّغة» (مثل).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٦٩).

(٣) «الكشَّاف» (٤/ ٢٦١).

(٤) «روح المعاني» (١٣/ ٩٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٣٩﴾ ﴿أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبَادَ اللَّهِ﴾ [الدخان: ١٨]

أَدُّوا: أي سلّم إليّ يا فرعون عباد الله من بني إسرائيل كي يذهبوا معي[٣]، وليس معناها أعطوني يا عباد الله.

﴿٢٣٩﴾ قوله تعالى: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ} فيه قولان:

أحدهما: أدُّوا إليَّ ما أدعوكم إليه من الحقِّ باتِّباعي، روى هذا المعنى العوفيُّ عن ابن عبَّاسٍ. فعلى هذا ينتصب {عبادَ الله} بالنِّداء.

قال الزَّجَّاج: ويكون المعنى: أن أدُّوا إليَّ ما آمُركم به يا عبادَ الله.

والثَّاني: أرسلوا معي بني إسرائيل، قاله مجاهدٌ وقتادة. والمعنى: أطلِقوهم من تسخيركم، وسلِّموهم إليَّ[١].

وقال الطَّبريُّ: ومعنى {أدُّوا}: ادفعوا إليَّ، فأرسِلُوا معي واتَّبِعون، وهو نحو قوله: {أَنْ أَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ}، فإنَّ في قوله: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ} نصبٌ، و{عبادَ الله} نصبٌ بقوله {أَدُّوا}.

وقد تأوَّله قومٌ: أن أدُّوا إليَّ يا عبادَ الله، فعلى هذا التَّأويل {عباد الله} نصبٌ على النِّداء[٢].

وذكر الأزهريُّ وجهًا آخر، وهو: أن يكون: {أَدُّوا إِلَيَّ} بمعنى: استمعوا إليَّ، كأنَّه يقول: أدوُّا إليَّ سمعكم أبلِّغكم رسالةَ ربِّكم[٣].

ورجَّح ابن عطيَّة رحمه الله أنَّ قوله {عباد الله} مفعولٌ به، والمراد به بنو إسرائيل، فقال:

والظَّاهر من شرع موسى عليه السَّلام أنَّه بُعث إلى دعاء فرعون إلى الإيمان، وأن يُرسل بني إسرائيل، فلمَّا أبى أن يُؤمن ثبتت المكافحة في أن يُرسل بني إسرائيل، وفي إرسالهم هو قوله: {أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ عِبادَ اللَّهِ} أي: بني إسرائيل، ويُقوِّي ذلك قوله بعد: {وَإِنْ لَمْ تُؤْمِنُوا لِي فَاعْتَزِلُونِ}

---

(١) «زاد المسير» (٤/ ٩٠).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٢٢/ ٢٤).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ١٠٤). ويُنظر الأوجه السَّابقة أيضًا في «تفسير القُرطبيّ» (١٦/ ١٣٤).

[الدخان: ٢١]، وهذا قريب نصٍّ في أنَّه إنَّما يطلب بني إسرائيل فقط، ويُؤيِّد ذلك أيضًا قوله تعالى: {فَأَسْرِ بِعِبادِي}، فيظهر أنَّه إيَّاهم أراد موسى بقوله: {عِبادَ اللهِ}(١).

* ويُمكن أن يُقال: إنَّ موسى عليه السَّلام كما أُرسل إلى فرعون بالإيمان، فقد أُرسل إلى ملئه أيضًا بذلك، قال تعالى{ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ * إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا عَالِينَ}، قال ابن عاشورٍ: وملأ فرعون: أهل مجلسه وعلماء دينه، وهم السَّحرة.

وإنَّما جُعل الإرسال إليهم دون بقيَّة أُمَّة القِبْط؛ لأنَّ دعوة موسى وأخيه إنَّما كانت خطابًا لفرعون وأهل دولته الَّذين بيدهم تصريف أمور الأُمَّة لتحرير بني إسرائيل من استعبادهم إيَّاهم، قال تعالى: {فَأْتِياهُ فَقُولا إِنَّا رَسُولا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنا بَنِي إِسْرائِيلَ وَلا تُعَذِّبْهُمْ} [طه: ٤٧]، ولم يُرسلا بشريعةٍ إلى القِبْط. وأمَّا الدَّعوة إلى التَّوحيد فمُقدَّمةٌ لإثبات الرِّسالة لهم(٢).

فيُمكن أن يكون فرعون وملؤه المخاطبين بقول موسى عليه السَّلام: يا عباد الله، وفي ندائهم بذلك تذكيرٌ لهم بحقيقة عبوديَّتهم لله، وأنَّهم مطالبون بامتثال أمره وطاعته.

كما أنَّ القول بأنَّ الأداء إنَّما هو للإيمان أكثر مناسبةً لختام الآية: {إِنِّي لكم رسولٌ أمينٌ}، قال الزَّمخشريُّ: ويجوز أن يكون نداءً لهم على: أدُّوا إليَّ يا عباد الله ما هو واجبٌ لي عليكم من الإيمان لي وقبول دعوتي واتِّباع سبيلي، وعلَّل ذلك بأنَّه {رَسُولٌ أَمِينٌ} غير ظنينٍ قد ائتمنه الله على وحيه ورسالته(٣).

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٧٠).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١٨/ ٦٣).

(٣) «الكشَّاف» (٤/ ٢٧٤).

* فما ذكره المعدُّ من أنَّ الآية ليس معناها: أعطوني يا عباد الله، يُمكن توجيهه على قول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما، أي: أعطوني الطَّاعة فيما أمركم الله به يا عباد الله، أو على قول الأزهريِّ، أي: أعطوني أسماعَكم لأبلِّغكم رسالة الله.

وإن كان ابن عطيَّة رحمه الله رجَّح أن يكون قوله {عباد الله} مفعولًا به، إلَّا أن قول ابن عبَّاسٍ رضي الله عنهما يبقى وجهًا مُحتمَلًا في تفسير الآية.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٤٠﴾ ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْكِتَٰبَ وَٱلْحُكْمَ وَٱلنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ﴾

[الجاثية ١٦]

فهم بعض الناس أن معنى الْعَالَمِين أي كل البشر على مر الأزمان، والصواب أن الله فضلهم على عالمي زمانهم فقط، قال ابن عباس: لم يكن أحد من العالمين في زمانهم أكرم على الله ولا أحب إليه منهم[1].

﴿٤٠﴾ {يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ٤٧]

{يَابَنِي إِسْرَائِيلَ اذْكُرُوا نِعْمَتِيَ الَّتِي أَنْعَمْتُ عَلَيْكُمْ وَأَنِّي فَضَّلْتُكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [البقرة: ١٢٢]

{قَالَ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الأعراف: ١٤٠]

{وَلَقَدِ اخْتَرْنَاهُمْ عَلَى عِلْمٍ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الدخان: ٣٢]

{وَلَقَدْ آتَيْنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ الْكِتَابَ وَالْحُكْمَ وَالنُّبُوَّةَ وَرَزَقْنَاهُمْ مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى الْعَالَمِينَ} [الجاثية: ١٦]

* في قوله: {عَلَى الْعَالَمِينَ} قولان:

أحدهما: على عالَمِي زمانهم؛ لأنَّ لكلِّ زمانٍ عالَمًا، قاله قتادة.

الثَّاني: على كلِّ العالمين بما جعل فيهم من الأنبياء. وهذا خاصَّةٌ لهم وليس لغيرهم، حكاه ابن عيسى[1].

وقال ابن عطيَّة: وإن قدَّرْنا فضيلة بني إسرائيل مخصوصةً في كثرة الأنبياء وغير ذلك، فالعالمون عمومٌ مُطلَقٌ.

وإن قَدَّرْنا تفضيلهم على الإطلاق، فالعالمون عالَمُو زمانهم؛ لأنَّ أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلم أفضل منهم بالنَّصِّ[2].

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٢٥٤)، «تفسير القُرطبيّ» (١/ ٣٧٦).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (١/ ٢٠٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

*وجمهور المفسِّرين على أنَّ المراد: عالَمِي زمانهم:

فالتَّفضيل الوارد في بني إسرائيل ذُكر فيهم حال عدم وجود أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، والمعدوم في حال عدمه ليس بشيءٍ حتَّى يُفَضَّل أو يُفَضَّل عليه... وكلُّ ما جاء في القرآن من تفضيل بني إسرائيل إنَّما يُراد به ذكر أحوالٍ سابقةٍ؛ لأنَّهم في وقت نزول القرآن كفروا به وكذَّبوا، ومعلومٌ أنَّ الله لم يذكر لهم في القرآن فضلًا إلَّا ما يُراد به أنَّه كان في زمنهم السَّابق، لا في وقت نزول القرآن[1].

فـ(العالمين) عمومه هنا عُرفيٌّ يختصُّ بأُمم زمانهم كما يختصُّ نحو: جمع الأمير الصَّاغة بصاغة مكانه، أي: بلده، ويختصُّ أيضًا بالأمم المعروفة كما يختصُّ: جَمَع الأمير الصَّاغة بالصَّاغة المُتَّخِذين الصِّياغةَ صناعةً دون كلِّ من يعرف الصِّياغة، وذلك كقولك: هو أشهر العلماء وأنجب التَّلامذة، فالآية تُشير إلى تفضيل بني إسرائيل المخاطبين أو سلفهم على أمم عصرهم[2].

وذلك التَّفضيل وإن كان في حقِّ الآباء، لكن يحصُل به الشَّرف للأبناء[3].

* والقول الثَّاني الَّذي جعل العموم مطلقًا لا يلزم عليه أيضًا تفضيل بني إسرئيل على أُمَّة محمَّدٍ صلَّى الله عليهم وسلَّم:

يقول أبو حيَّان: {على العالمين}: أي عالَمِي زمانهم، قاله الحسن ومجاهدٌ وقتادة وابن جريجٍ وابن زيدٍ وغيرهم.

أو على كلِّ العالمين، بما جعل فيهم من الأنبياء وجعلهم ملوكًا وآتاهم ما لم يؤت أحدًا من العالمين، وذلك خاصَّةً لهم دون غيرهم، **فيكون عامًّا والنِّعمة مخصوصةً**. قالوا: ويدفع هذا القول: {كنتم خير أُمَّةٍ}.

أو على الجمِّ الغفير من النَّاس، يُقال: رأيت عالمًا من النَّاس، يُراد به الكثرة.

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ١٩٨).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (١/ ٤٨٣).

(٣) «تفسير البغويّ» (١/ ٩٠).

وعلى كلِّ قولٍ من هذه الأقوال الثَّلاثة لا يلزم منه التَّفضيل على هذه الأُمَّة؛ **لأنَّ من قال بالعموم خصَّ النِّعمة، ولا يلزم التَّفضيل على كلِّ عالمٍ بشيءٍ خاصٍّ، التَّفضيل من جميع الوجوه**، ومن قال بالخصوص فوجه عدم التَّفضيل مُطلقًا ظاهرٌ[1].

(١) «البحر المحيط» (١/ ٣٠٦).

(٢٤١) {قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [فاطر: ٤٠]

{قُلْ أَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَرُونِي مَاذَا خَلَقُوا مِنَ الْأَرْضِ أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّمَاوَاتِ} [الأحقاف: ٤]

(٢٤١) ﴿أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ﴾ [الأحقاف: ٤]

أم لهم شِرْكٌ: أي أم لهم نصيب في خلق السموات، فالشرك هنا بمعنى الحصة والنصيب[٢]، وليس بمعنى عبادة غير الله معه، وأخبرني بعض الأخوة من أهل اليمن أنهم لا زالوا يستعملون هذه الكلمة، ومثَّل بقولهم: «لي شرك في هذه التركة» أي لي نصيب.

قال السَّمعانيُّ: {أم لَهُم شركٌ فِي السَّمَوَات} أي: شَرِكَة[١].

وقال البيضاويُّ: {أَمْ لَهُمْ شِرْكٌ فِي السَّماواتِ} أم لهم شَرِكَةٌ مع الله في خلق السَّماوات فاستحقُّوا بذلك شَرِكَةً في الألوهيَّة ذاتيَّةً[٢].

* والمعنى ظاهرٌ في أنَّ المراد بالشِّرْك: الشَّرِكَة والمشاركة في خلق السَّماوات أو ملكها، فالاستفهام التَّوبيخيُّ موجَّهٌ إلى من يُشرِكون بالله تعالى غيرَه: ماذا خلق من الأرض هؤلاء الَّذين زعمتموهم شركاءَ لي في الألوهيَّة، أم لهم مشاركةٌ في خلق السَّموات وملكها؟!

ولا يُتصوَّر أن يكون المعنى: ماذا خلق هؤلاء الَّذين زعمتموهم شركاء لي في الألوهيَّة من الأرض، أم لهؤلاء الشُّركاءِ شركاءُ لي آخرين يعبدونهم في السَّماوات؟!

قال القُرطبيُّ: أخبروني عن شركائكم الَّذي تدعون من دون الله، أعبدتموهم لأنَّ لهم شَرِكَةً في خلق السَّماوات، أم خلقوا من الأرض شيئًا![٣]

---

(١) «تفسير السَّمعانيّ» (٤/ ٣٦٢).

(٢) «أنوار التَّنزيل» (٤/ ٢٦١).

(٣) «تفسير القُرطبيّ» (١٤/ ٣٥٥).

وقال الإيجي: أي: أخبروني عمَّا تدعون من دون الله وتجعلون له شريكًا، أخبروني: أيَّ جُزءٍ من أجزاء الأرض استبدُّوا بخلقه دون الله تعالى؟! أم لهم مع الله تعالى شَرِكةً في خلق السَّماوات؟[1]

(١) «جامع البيان» (٤/ ١٢١).

﴿٢٤٢﴾ قال الرَّازيُّ: في تفسير الآية وجهان: أحدهما: أن يُحمَل ذلك على أحوال الدُّنيا، والثَّاني: أن يُحمَل على أحوال الآخرة.

أمَّا الأوَّل: ففيه وجوهٌ:

الأوَّل: لا أدري ما يصير إليه أمري وأمركم، ومن الغالب منَّا والمغلوب.

والثَّاني: قال ابن عبَّاسٍ في رواية الكلبيّ: لمَّا اشتدَّ البلاء بأصحاب النَّبيّ صلَّى الله عليه وسلَّم بمكَّة رأى في المنام أنَّه يُهاجر إلى أرضٍ ذاتِ نخلٍ وشجرٍ وماءٍ، فقصَّها على أصحابه فاستبشروا بذلك، ورأَوْا أنَّ ذلك فرجٌ ممَّا هم فيه من أذى المشركين، ثمَّ إنَّهم مكثوا بُرهةً من الدَّهر لا يرون أثر ذلك، فقالوا: يا رسول الله ما رأينا الَّذي قلتَ! ومتى نهاجر إلى الأرض الَّتي رأيتها في المنام؟ فسكت النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فأنزل الله تعالى: {ما أدري ما يُفعل بي ولا بكم} وهو شيءٌ رأيته في المنام، وأنا لا أتَّبع إلَّا ما أوحاه الله إليَّ.

الثَّالث: قال الضَّحَّاك: لا أدري ما تُؤمرون به ولا ما أُؤمر به في باب التَّكاليف والشَّرائع والجهاد، ولا في الابتلاء والامتحان، وإنَّما أُنذركم بما أعلمني الله به من أحوال الآخرة في الثَّواب والعقاب.

والرَّابع: المراد أنَّه يقول: لا أدري ما يُفعل بي في الدُّنيا، أأموت أم أُقتل كما قُتل الأنبياء قبلي، ولا أدري ما يُفعل بكم أيُّها المكذِّبون، أترمون بالحجارة من السَّماء، أم يُخسَف بكم، أم يُفعل بكم ما فُعل بسائر الأمم.

أمَّا الَّذين حملوا هذه الآية على أحوال الآخرة، فرُوي عن ابن عبَّاسٍ أنَّه قال: لما نزلت هذه الآية فرح المشركون والمنافقون واليهود، وقالوا: كيف نتَّبع نبيًّا لا يدري ما يُفعل به وبنا؟ فأنزل الله تعالى: {إنَّا فتحنا لك فتحًا مبينًا ليغفر لك الله ما تقدَّم من ذنبك} إلى قوله {وكان

﴿٢٤٢﴾ ﴿وَمَآ أَدۡرِي مَا يُفۡعَلُ بِي وَلَا بِكُمۡ﴾ [الأحقاف:٩]

أي في أمور الدنيا، أما في أمور الآخرة فقد عَلم النبي ﷺ أنه في الجنة، قال ابن كثير: «ولا شك أن هذا هو اللائق به صلوات الله وسلامه عليه، فإنه بالنسبة إلى الآخرة جازم أنه يصير إلى الجنة هو ومن اتبعه، وأما في الدنيا فلم يدر ما كان يؤول إليه أمره وأمر مشركي قريش إلى ماذا، أيؤمنون أم يكفرون فيعذبون فيستأصلون بكفرهم»[1].

ذلك عند الله فوزًا عظيمًا} [الفتح: ١- ٥] فبيَّن تعالى ما يُفعل به وبمن اتَّبعه، ونُسِخت هذه الآية، وأرغم الله أنف المنافقين والمشركين.

وأكثر المحقِّقين استبعدوا هذا القول واحتجُّوا عليه بوجوهٍ:

الأوَّل: أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم لا بُدَّ وأن يعلم من نفسه كونه نبيًّا، ومتى علم كونه نبيًّا علم أنَّه لا تصدر عنه الكبائر وأنَّه مغفورٌ له، وإذا كان كذلك امتنع كونه شاكًّا في أنَّه هل هو مغفورٌ له أم لا.

الثَّاني: لا شكَّ أنَّ الأنبياء أرفع حالًا من الأولياء، فلمَّا قال في هذا: {إنَّ الَّذين قالوا ربُّنا الله ثمَّ استقاموا فلا خوفٌ عليهم ولا هم يحزنون} [الأحقاف: ١٣] فكيف يُعقَل أن يبقى الرَّسول الَّذي هو رئيس الأتقياء وقدوة الأنبياء والأولياء شاكًّا في أنَّه هل هو من المغفورين أو من المعذَّبين؟

الثَّالث: أنَّه تعالى قال: {الله أعلم حيث يجعل رسالته} [الأنعام: ١٢٤] والمراد منه كمال حاله ونهاية قربه من حضرة الله تعالى، ومَن هذا حاله كيف يليق به أن يبقى شاكًّا في أنَّه من المُعذَّبين أو من المغفورين؟ **فثبت أنَّ هذا القول ضعيفٌ**(١).

وقال شيخ الإسلام ابن تيميَّة: قوله تعالى: {وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم} [الأحقاف: ٩] **نفيٌ لعلمه بجميع ما يُفعل به وبهم**، وهذا لا يعلمه إلَّا الله تبارك وتعالى، وهذا لا ينفي أن يكون عالمًا بأنَّه سعيدٌ من أهل الجنَّة، وإن **لم يدر تفاصيل ما يجري له في الدُّنيا من المحن والأعمال، وما يتجدَّد له من الشَّرائع، وما يُكرَّم به في الآخرة من أصناف النَّعيم**، فإنَّه قد ثبت في الصَّحيح عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم أنَّه قال: يقول الله تعالى: «أعددتُ لعبادي الصَّالحين ما لا عينٌ رأتْ، ولا أُذنٌ سمعتْ، ولا خَطَر على قلب بشرٍ».

(١) «مفاتيح الغيب» (٢٨/ ٩).

وأيضًا هذا مأثورٌ عن غيره من الأنبياء عليهم السَّلام، ولا مِن شرط النَّبيِّ أن يعلم حال المُخاطَبين؛ مَن يُؤمن به، ومن يكفر، وتفصيل ما يصيرون إليه، هذا إن قيل: إنَّه لم يعلم بعد هذه الآية ما نُفِي فيها.

وإن قيل: إنَّه أُعلِم بذلك، فمعلومٌ أنَّ الله لم يُعلِمه بكلِّ شيءٍ جُملةً، بل أعلمه بالأمور شيئًا بعد شيءٍ[1].

وقال الألوسيُّ: والَّذي أختاره أنَّ المعنى على **نفي الدِّراية من غير جهة الوحي، سواءٌ كانت الدِّراية تفصيليَّةً أو إجماليَّةً، وسواءٌ كان ذلك في الأمور الدُّنيويَّة أو الأُخرويَّة**، وأعتقد أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم لم ينتقل من الدُّنيا حتَّى أُوتي من العلم بالله تعالى وصفاته وشُؤونه والعلم بأشياء يُعدُّ العلم بها كمالًا ما لم يُؤته أحدٌ غيره من العالمين، ولا أعتقد فوات كمالٍ بعدم العلم بحوادث دُنيويَّةٍ جُزئيَّةٍ، كعدم العلم بما يصنع زيدٌ مثلًا في بيته، وما يجري عليه في يومه أو غده[2].

* فالقول بأنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم لا يعلم إن كان من أهل الجنَّة في الآخرة أم لا؛ قولٌ غير صحيحٍ.

وقوله تعالى: {وما أدري ما يُفعل بي ولا بكم} يُمكن حمله على أمور الآخرة أيضًا على معنى:

لا أدري تفصيل ما يُفعل بي، وإن كان دراه صلَّى الله عليه وسلَّم إجمالًا.

أو لا أدري ما يُفعل بي فيها ممَّا لم يأتني به الوحي، ولا شكَّ أنَّه قد جاءه الوحي بدخوله والمؤمنين الجنَّة.

(١) «الجواب الصَّحيح» (٣/ ١٥٩).

(٢) «روح المعاني» (١٣/ ١٦٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٤٣﴾ {وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَآمَنُوا بِمَا نُزِّلَ عَلَى مُحَمَّدٍ وَهُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ كَفَّرَ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} [مُحَمَّد: ٢]

﴿٢٤٣﴾ ﴿سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ﴾ [محمد: ٥]

أي يصلح شأنهم وحالهم[٢] وليس البال أي المزاج والذهن كما هو شائع لدينا، وهو يشمله.

{ وَالَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ فَلَنْ يُضِلَّ أَعْمَالَهُمْ (٤) سَيَهْدِيهِمْ وَيُصْلِحُ بَالَهُمْ} [مُحَمَّد: ٤، ٥]

قال الماورديُّ: {وَأَصْلَحَ بَالَهُمْ} فيه أربعة أوجهٍ:

أحدها: أصلح شأنهم، قاله مجاهدٌ.

الثَّاني: أصلح حالَهم، قاله قتادة.

الثَّالث: أصلح أمرَهم، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّلاثة متقاربةٌ، وهي مُتأوَّلةٌ على إصلاح ما تعلَّق بدُنياهم.

الرَّابع: أصلح نيَّاتهم. حكاه النَّقَّاش.

وهو على هذا التَّأويل محمولٌ على إصلاح دينهم[١].

قال الرَّاغب: البَال: الحال الَّتي يُكتَرَث بها، ولذلك يُقال: ما بَالَيْتُ بكذا بَالَةً، أي: ما اكترثت به... **ويُعبَّر بالبال عن الحال الَّذي ينطوي عليه الإنسان، فيقال: خطر كذا ببالي**[٢].

وقال الألوسيُّ: وتفسير البال بالحال مرويٌّ عن قتادة، وعنه تفسيره بالشَّأن، وهو الحال أيضًا أو ما له خَطَرٌ، وعليه قول الرَّاغب: البال الحال الَّتي يُكترَث بها... ومنه قوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ»... الحديث.

ويكون بمعنى الخاطر القلبيّ، ويُتجوَّز به عن القلب، كما قال الشِّهاب[١].

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٢٩١).

(٢) «المفردات» (ص: ١٥٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن عطيَّة: تحرير التَّفسير في اللَّفظة أنَّها بمعنى: الفِكْر، والموضعِ الَّذي فيه نظر الإنسان، وهو القلب، فإذا صلح ذلك صلحت حاله.

فكأنَّ اللَّفظة مشيرةٌ إلى صلاح عقيدتهم، وغير ذلك من الحال تابعٌ[٢].

وقال ابن عاشورٍ: **البَال: يُطلَق على القلب، أي: العقل وما يخطر للمرء من التَّفكير،** وهو أكثر إطلاقه، ولعلَّه حقيقةٌ فيه... ويُطلق البال على الحال والقَدْر، وفي الحديث «كلُّ أمرٍ ذي بالٍ لا يُبدأ فيه بحمد الله فهو أَبْتَر»...

وإصلاح البال يجمع إصلاح الأمور كلِّها؛ لأنَّ تصرفات الإنسان تأتي على حسب رأيه، فالتَّوحيد أصل صلاح بال المؤمن، ومنه تنبعث القوى المقاومة للأخطاء والأوهام الَّتي تَلَبَّس بها أهل الشِّرك وحكاها عنهم القرآن في مواضع كثيرةٍ.

والمعنى: أقام أنظارهم وعقولهم فلا يفكِّرون إلَّا صالحًا ولا يتدبَّرون إلَّا ناجحًا[٣].

---

(١) «روح المعاني» (١٣/ ١٩٥).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ١٠٩).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٦/ ٧٥).

(٢٤٤) سبق بيان معنى (المَحِلّ) في قوله تعالى: {لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ مَحِلُّهَا إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ} [الحج: ٣٣] رقم (١٦٢).

(٢٤٤) ﴿هُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَصَدُّوكُمْ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَٱلْهَدْىَ مَعْكُوفًا أَن يَبْلُغَ مَحِلَّهُۥ﴾ [الفتح:٢٥]

محله أي منحره وحيث يحل نحره وليس المراد مكانه كما يفهم بعضهم ، والمعنى : أنهم صدوا الهدي وهي الإبل معكوفة أي محبوسة عن بلوغ الحَرَم حيث يحل نحرها[1].

﴿٢٤٥﴾ ﴿يَوْمَ تَشَقَّقُ ٱلْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَٰلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرٌ﴾ [ق:٤٤]

وصف السرعة ليس لتشقق الأرض كما فهم بعضهم، بل لخروجهم من قبورهم[٢].

﴿٢٤٥﴾ {سِرَاعًا} جمع سَرِيعٍ[١].

فكيف يمكن تصوُّرها حالًا للأرض!

فـ{سراعًا} حالٌ من الضَّمير المجرور في قوله: {عنهم}، أي: تشقَّق الأرضُ عنهم في حال كونهم مُسرعين إلى الدَّاعي[٢].

وقال بعضهم التَّقدير: يوم تَشَقَّق الأرضُ عنهم يخرجون سِراعًا، فالحال من الضَّمير في: (يخرجون)، والعامل (يخرج)[٣].

(١) «تفسير البغويّ» (٧/ ٣٦٧).

(٢) «أضواء البيان» (٧/ ٤٣٢).

(٣) يُنظر: «المحرَّر الوجيز» (٥/ ١٧٠)، «البحر المحيط» (٩/ ٥٤٣)، «روح المعاني» (١٣/ ٣٤٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٤٦ ﴿ وَإِنَّ ٱلدِّينَ لَوَٰقِعٌ ﴾ [الذاريات: ٦]

الدِّينَ: أي يوم الجزاء والحساب، أي إنه لكائن حقيقة وواقع لا محالة [٣]، وليس الدين هنا بمعنى الإسلام و أنه واقع أي منتشر كما فهم بعضهم .

٢٤٦ عن مجاهدٍ قوله {وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ} قال: الحساب[١].

قال قتادة: إنَّ الجزاء لواقعٌ.

قال لَبِيدٌ شِعْرًا:

قومٌ يَدينُون بالنَّوعين مثلَهُمَا .:. بالسُّوء سُوءًا وبالإحسانِ إحسانَا

يعني: يُجازُون[٢].

وقال الطَّبريُّ: {وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ} يقول: وإنَّ الحساب والثَّواب والعقاب لواجبٌ، والله مُجازٍ عبادَه بأعمالهم[٣].[٤]

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢٢/ ٣٩٤).

(٢) «تفسير السَّمعانيّ» (٥/ ٢٥١).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢٢/ ٣٩٤).

(٤) ويُنظر قوله تعالى: {يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ دِينَهُمُ الْحَقَّ} رقم (١٧٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٤٧ ﴿ فَأَقْبَلَتِ ٱمْرَأَتُهُۥ فِى صَرَّةٍ فَصَكَّتْ وَجْهَهَا ﴾ [الذاريات:٢٩]

في صَرّةٍ أي في صوت وضجة[١]، قيل أنها صاحت حينما بُشرت بالولد وهي عجوز فقالت: ﴿ يَٰوَيْلَتَىٰٓ ءَأَلِدُ وَأَنَا۠ عَجُوزٌ وَهَٰذَا بَعْلِى شَيْخًا ﴾ ولطمت وجهها، وليس المراد صُرة بضم الصاد وهي كيس المتاع أو النقود.

٢٤٧ * لا أدري كيف يُمكن تصوُّر إقبالها في صُرَّةٍ (كيس النُّقود)؟!

* قال الجوهريُّ: الصَّرَّة: الضَّجَّة والصَّيْحَة.

والصُّرَّةُ: الجماعة.

والصَّرَّةُ: الشِّدَّة من كَرْبٍ وغيره.

والصُّرَّة للدَّراهم. وصَرَرْتُ الصُّرَّة: شدَدْتُها[١].

* قال الماورديُّ: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ} فيها ثلاثة أقاويل:

أحدها: الرَّنَّة والتَّأَوُّه، قاله قتادة.

الثَّاني: أنَّها الصَّيحة، قاله ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ.

ومنه أُخِذ صَرِير الباب.

الثَّالث: أنَّها الجماعة، قاله ابن بحرٍ.

ومنه المُصَرَّاة من الغنم لجمع اللَّبن في ضرعها.

وسُمِّيت صُرَّة الدَّراهم فيها[٢].

وقال الرَّاغب: والصَّرَّةُ: الجماعة المُنضَمُّ بعضهم إلى بعضٍ، كأنَّهم صُرُّوا، أي: جُمِعُوا في وعاءٍ، قال تعالى: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي صَرَّةٍ} [الذاريات: ٢٩] ، وقيل: الصَّرَّةُ الصَّيحةُ[٣].

---

(١) «الصِّحاح» (صرر).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٣٧١) بتصرُّف.

(٣) «المفردات» (ص: ٤٨٢).

وقال ابن عطيَّة: {فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ}: يحتمل أن يكون قَرُبت إليهم من ناحيةٍ من نواحي المنزل، ويحتمل أن يكون هذا الإقبال كما تقول: أقبل فلانٌ يشتمني أو يفعل كذا: إذا جَدَّ في ذلك وتلبَّسَ به.

والصَّرَّة: الصَّيحة، كذا فسَّره ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ وسُفيان والضَّحَّاك، والمُصْطَرُّ: الَّذي يصيح.

وقال قتادة: معناه: في رَنَّةٍ.

وقال الطَّبريُّ: قال بعضهم: (أَوَّهْ) بصياحٍ وتعجُّبٍ.

قال النَّحَّاس: وقيل: فِي صَرَّةٍ: في جماعة نسوةٍ يتبادرن نظرًا إلى الملائكة[1].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ١٧٨).

﴿٢٤٨﴾ ﴿وَٱلسَّمَآءَ بَنَيۡنَٰهَا بِأَيۡيْدٖ وَإِنَّا لَمُوسِعُونَ﴾ [الذاريات: ٤٧]

بِأَيـيْدٍ: أي بقوة، مصدر الفعل آد يئيد أيدًا أي: اشتد وقوي[٢]، وهو قول عامة المفسرين[٣]، وليس جمع يد.

﴿٢٤٨﴾ قال ابن الجوزيّ: {بنيناها بِأَيْدٍ} أي: بقُوَّةٍ، وكذلك قال ابن عبَّاسٍ، ومجاهدٌ، وقتادة، وسائر المفسّرين واللُّغويّين: {بأَيْدٍ} أي: بقُوَّةٍ[١].

وقال الشِّنقيطيُّ: قوله تعالى في هذه الآية الكريمة: {بنيناها بأيدٍ} ليس من آيات الصِّفات المعروفة بهذا الاسم؛ لأنَّ قوله: {بأَيْدٍ} ليس جمع يَدٍ، وإنَّما الأَيْد: القُوَّة، فوزن قوله هنا بـ(أَيْد) (فَعْل)، ووزن الـ(أَيْدِي) (أَفْعُل)، فالهمزة في قوله: بـ(أَيْد) في مكان الفاء، والياء في مكان العين، والدَّال في مكان اللَّام، ولو كان قوله تعالى: {بأيدٍ} جمع يدٍ لكان وزنه (أَفْعُلًا)، فتكون الهمزة زائدةً، والياء في مكان الفاء، والدَّال في مكان العين، والياء المحذوفة لكونه منقوصًا هي اللَّام.

والأَيْد والآد في لغة العرب بمعنى: القُوَّة، ورجلٌ أَيْدٌ: قويٌّ، ومنه قوله تعالى: {وأيَّدناه بروح القُدُس}، أي: قَوَّيْناه به.

فمن ظنَّ أنَّها جمع يَدٍ في هذه الآية فقد غلط غلطًا فاحشًا.

والمعنى: والسَّماء بنيناها بقُوَّةٍ[٢].

(١) «زاد المسير» (٤/ ١٧٢)، «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٢٤).

(٢) «أضواء البيان» (٧/ ٤٤٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٤٩ ﴿فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِّثْلَ ذَنُوبِ أَصْحَابِهِمْ فَلَا يَسْتَعْجِلُونِ﴾ [الذاريات: ٥٩]

ذَنُوباً - بفتح الذال - أي نصيبا من العذاب[٤]، وليس معناها ذُنوبًا وآثامًا كما فهمها بعضهم.

٢٤٩ قال الرَّاغب: الذَّنُوب: الفَرَس الطَّويل الذَّنَب[١]، والدَّلْو الَّتي لها ذَنَبٌ، واستُعير للنَّصيب كما استُعير له السَّجْل[٢]. قال تعالى: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ} [الذاريات: ٥٩].

والذَّنْب في الأصل: الأخذ بذَنَبِ الشَّيء، يقال: ذَنَبْتُهُ: أصبت ذَنَبَه، ويُستعمل في كلِّ فعلٍ يُستَوْخَم عُقباه اعتبارًا بذَنَب الشَّيء، ولهذا يُسمَّى الذَّنْب تَبِعَةً، اعتبارًا لما يحصل من عاقبته، وجمع الذَّنْب: ذُنُوب، قال تعالى: {فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ} [آل عمران: ١١][٣].

قال ابن قتيبة: قوله: {فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا ذَنُوبًا مِثْلَ ذَنُوبِ أَصْحابِهِمْ} [الذاريات: ٥٩]، أي: حظًّا ونصيبًا.

وأصل الذَّنوب: الدَّلو، وكانوا يَسْتَقُون الماء، فيكون لهذا ذَنُوبٌ ولهذا ذَنُوبٌ، فاستُعير في موضع النَّصيب، وقال الشَّاعر :

إنَّا إذا نازعنا شريبُ .:. لنا ذَنوبٌ وله ذَنوبُ[٤]

وقال السَّمعانيُّ: {فَإِن لِلَّذين ظلمُوا ذنوبًا مثل ذنُوب أَصْحَابهم} أي: نصيبًا من العذاب مثل نصيب أصحابهم، أي: أمثالهم من المشركين الَّذين تقدَّموا، فجعلهم أصحابهم لَمَّا اجتمعوا في الكفر، وإن تفرَّقت بهم القرون.

والذَّنُوب في اللُّغة: هو الدَّلْو العظيم، ومنه أُخِذ النَّصيب[٥].

---

(١) أي: الذَّيل.

(٢) من أسماء الدَّلْو أيضًا.

(٣) «المفردات» (ص: ٣٣١).

(٤) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٩٧).

(٥) «تفسير السَّمعانيّ» (٥/ ٢٦٥).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٥٠﴾ ﴿ يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَىٰ نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا ﴾ [الطور: ١٣]

يُدَعُّون: ظن بعضهم أن معناها: أنهم ينادَون إلى نار جهنم ظانا أنها من الدعوة وهذا خطأ، والصواب أنها من الدعّ، أي: يدفعون في النار دفعا بعنف[١].

﴿٢٥٠﴾ * لو كانت (يُدَعُّونَ) من الدُّعاء لقيل: (يُدْعَوْن) إلى نار جهنَّم دُعاءً، من الفعل: دَعَا يَدْعُو دُعَاءً، وقد قرأ بها على هذا المعنى أبو رجاءٍ العُطارديُّ، ومحمَّدُ بن السَّميفع[١].

والقراءة المتواترة من الفعل: دَعَّ يَدُعُّ دَعًّا، بمعنى: دَفَعَ.

* قال ابن فارسٍ: (دَعَّ) الدَّال والعين أصلٌ واحدٌ مُنقاسٌ مُطَّرِدٌ، وهو يدلُّ على حركةٍ ودفعٍ واضطرابٍ، فالدَّعُّ: الدَّفْع[٢].

* قال الزَّجاج: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} أي: يوم يُزعجون إليها إزعاجًا شديدًا، ويُدفَعون دفعًا عنيفًا، ومن هذا قوله: {الَّذِي يَدُعُّ الْيَتِيمَ}، أي: يدفعه عمَّا يجب له[٣].

وقال الواحديُّ: معنى الدَّعِّ في اللُّغة: الدَّفع في قسوةٍ وعُنْفٍ.

قال أبو عُبيدة: دَعَعْتُ في قفاه، أي: دفعت، ومنه قوله: {يَدُعُّ الْيَتِيمَ} [الماعون: ٢]

قال عامَّة المفسِّرين: يُدفعون إلى النَّار دفعًا على وجوههم.

وقال قتادة: يُزعَجُون إليها إزعاجًا.

وقال مجاهدٌ: دَفْرًا في أقفيتهم. قال ابن الأعرابيّ: الدَّفْر: الدَّفْع.

قال مقاتلٌ: يُغلُّون أيديهم إلى أعناقهم، وتُجمَع نواصيهم إلى أقدامهم وراء ظهورهم، ثمَّ يُدفعون إلى جهنَّم دفعًا على وجوههم، حتَّى إذا دَنَوْا منها قال لهم خزنتها: {هَذِهِ النَّارُ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ}[٤].

---

(١) يُنظر: «الكشف والبيان» (٩/ ١٢٧)، «تفسير القُرطبيّ» (١٧/ ٦٤).

(٢) «مقاييس اللُّغة» (دعع).

(٣) «معاني القرآن وإعرابه» (٥/ ٦٢).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٤٨٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٥١﴾ ﴿يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا﴾ [الطور: ٢٣]

ليس معنى يتنازعون أي يختلفون ويتخاصمون وإنما معناها يتعاطون ويتداولون كأس الشراب[٢].

﴿٢٥١﴾ {يَتَنَازَعُونَ فِيهَا كَأْسًا}

أي: يتعاطَوْن فيها كأسًا، أي: من الخمر، قاله الضَّحَّاك[١].

والمعنى أنَّ هذا يأخذ من يد هذا وهذا يأخذ من يد هذا كالشَّيء المُتنازَع فيه، تنزعه من صاحبك، وصاحبك ينزعه منك، هذا هو الأصل، ثمَّ صار التَّنازع اسمًا للتَّناول، والمنازعة اسمًا للمُناوَلة...

وجميع أهل اللُّغة قالوا في معنى {يتنازعون}: يتعاطَوْن. وهو قول أبي عُبيدة، والمبرِّد، والزَّجَّاج، وابن قُتيبة[٢].

وقال أبو حيَّان: {يتنازعون فيها} أي: يتعاطَوْن، قال الأَحْطَل:

نَازَعْتُهُ طَيِّبَ الرَّاحِ الشَّمُولِ وَقَدْ .:. صَاحَ الدَّجَاجُ وَحَانَتْ وَقْعَةُ السَّارِي

أو {يتنازعون}: يتجاذبون تجاذب ملاعبةٍ، إذ أهل الدُّنيا لهم في ذلك لذَّةٌ، وكذلك في الجنَّة[٣].

وقال ابن عاشورٍ: التَّنازُع أُطلِق على التَّداول والتَّعاطي، وأصله تفاعلٌ من نزع الدَّلْو من البئر عند الاستقاء، فإنَّ النَّاس كانوا إذا وردوا للاستقاء نزع أحدهم دلوًا من الماء ثمَّ ناول الدَّلْو لمن حوله، وربَّما كان الرَّجل القويُّ الشَّديد ينزع من البئر للمُستقِين كلِّهم يكفيهم تعب النَّزْع... ثمَّ استُعير أو جُعل مجازًا عن المُداوَلة والمُعاوَرة في مناولة أكؤس الشَّراب...

وقيل: تنازعهم الكأس مجاذبة بعضهم كأس بعضٍ إلى نفسه للمُداعبة[٤].

---

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٣٤).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٤٩٢).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٧٢).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٧/ ٥٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* فيصحُّ أن يكون المراد التَّنازع على حقيقته في الصُّورة والهيئة من أخذ كلِّ واحدٍ لكأس صاحبه، لكن مع تآلف القلوب على جهة المُداعبةِ والملاطفة، لا المخاصمة والمشاحنة.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٥٢﴾ ﴿قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ﴾ [الطور: ٢٦]

مُشْفِقِينَ: أي خائفين من العذاب[٣]، وليس معناها من الشفقة بمعنى الرحمة والعطف.

﴿٢٥٢﴾ {إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا} [الأحزاب: ٧٢]

{وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنِ ارْتَضَى وَهُمْ مِنْ خَشْيَتِهِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٢٨]

{الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُمْ بِالْغَيْبِ وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ مُشْفِقُونَ} [الأنبياء: ٤٩]

{إِنَّ الَّذِينَ هُمْ مِنْ خَشْيَةِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المؤمنون: ٥٧]

{مَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ قَرِيبٌ * يَسْتَعْجِلُ بِهَا الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِهَا وَالَّذِينَ آمَنُوا مُشْفِقُونَ مِنْهَا} [الشورى: ١٧، ١٨]

{وَالَّذِينَ هُمْ مِنْ عَذَابِ رَبِّهِمْ مُشْفِقُونَ} [المعارج: ٢٧]

{وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ} [الكهف: ٤٩]

{تَرَى الظَّالِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا كَسَبُوا} [الشورى: ٢٢]

{قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ} [الطور: ٢٦]

{أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣]

الإشْفَاق: عنايةٌ مختلِطةٌ بخوفٍ؛ لأنَّ المُشفِقَ يُحبُّ المُشفَق عليه ويخاف ما يلحقه، فإذا عُدِّي بـ(من) فمعنى الخوف فيه أظهر، وإذا عُدِّي بـ(على) فمعنى العناية فيه أظهر[١].

* وجميع الإشفاق في القرآن مُتعدٍّ بـ(مِن) إمَّا لفظًا أو تقديرًا، ولعلَّك لاحظت من قراءة الآيات السَّابقة أنَّ الإشفاق فيها جميعًا مُتعدٍّ بـ (مِن) لفظًا إلَّا الآيتين الأخيرتين، فالتَّعدية فيهما بـ(مِن) تقديرًا:

- فقوله تعالى: {أَأَشْفَقْتُمْ أَنْ تُقَدِّمُوا بَيْنَ يَدَيْ نَجْوَاكُمْ صَدَقَاتٍ} [المجادلة: ١٣]

(١) «المفردات» (ص: ٤٥٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

قال ابن عاشورٍ: ومفعول {أَأَشْفَقْتُمْ} هو {أَنْ تُقَدِّمُوا} أي: **مِن** أن تُقدِّموا، أي: أأشفقتم عاقبة ذلك، وهو الفقر[(١)].

- وقوله تعالى: **{قَالُوا إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ}** [الطور: ٢٦]

قال الواحدي: أي: في دار الدُّنيا مُشفِقين مِن العذاب[(٢)].

قال ابن عاشورٍ: حُذِف مُتعلِّق مُشفِقين؛ لأنَّه دلَّ عليه: {وَوَقانا عَذابَ السَّمُومِ}[(٣)].

* وقد عبرَّ بعض المفسِّرين عن الإشفاق في الآية برقَّة القلب:

قال الزَّمخشريُّ: {مُشْفِقِينَ} أرقاء القلوب من خشية الله[(٤)].

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٨/ ٤٦).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٤٩٦).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٧/ ٥٧).

(٤) «الكشَّاف» (٤/ ٤١٢). وينظر أيضًا: «مدارك التَّنزيل» (٣/ ٣٨٥)، «تفسير أبي السُّعود» (٨/ ١٥٠)، «روح المعاني» (١٤/ ٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٥٢﴾ ﴿أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلَٰمُهُم بِهَٰذَآ أَمْ هُمْ قَوْمٌ طَاغُونَ﴾ [الطور:٣٢]

يظن بعض الناس أن معنى أحلامهم في هذه الآية أي أمانيهم أو ما يتراءى لهم في منامهم، والصواب أن معنى أحلامهم أي عقولهم[١].

﴿٢٥٢﴾ قال الفَرَّاء: الأحلام في هذا الموضع العقول والألباب.

وكانت عظماء قريشٍ تُوصف بالأحلام والنُّهى، وبأنَّهم أولوا العقول، فقال الله تعالى منكرًا عليهم: أتأمرهم أحلامهم بهذا؟! وهذا تَهَكُّمٌ وإزراءٌ بأحلامهم، وأنَّها لم تثمر لهم معرفة الحقِّ من الباطل.

وفيه ردٌّ على من يُوجب شيئًا بالعقل، وأنَّ الهُدَى يُكتسَب بالعقل[١].

* قال ابن قُتيبة: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا} [الطور: ٣٢]، أي: تدلُّهم عقولهم عليه، لأنَّ الحِلْم يكون من العقل، فكُنِّي عنه به[٢].

وقال السَّمعانيُّ: العقل: هو الدَّاعِي إلى الحِلْم فسمَّاه باسمه[٣].

وقال الرَّاغب: الحِلْم: ضبط النَّفْس والطَّبْع عن هيجان الغضب، وجمعه: أَحْلَام، قال الله تعالى: {أَمْ تَأْمُرُهُمْ أَحْلامُهُمْ بِهذا} [الطور: ٣٢] ، قيل معناه: عقولهم، وليس الحِلْم في الحقيقة هو العقل، لكن فسَّروه بذلك لكونه من مُسبِّبات العقل[٤].

ونقل هذا القول السَّمين الحلبيُّ وقال بعده: وفيه نظرٌ؛ إذ قد سُمِع إطلاقه مرادًا به العقل، والأصل في الإطلاق الحقيقة، ومن ذلك قوله:

لا عَيْبَ بالقوم من طُولٍ ولا عِظَمٍ ... جِسْمُ الجِمَالِ وأَحْلَامُ العَصَافِيرِ

أي: عقولها[٥].

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٥٠٣).

(٢) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٩٨).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٥/ ٢٧٧).

(٤) «المفردات» (ص: ٢٥٣).

(٥) «عمدة الحفَّاظ» (١/ ٤٤٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ ﴾ [النجم: ٤٨]

أَقْنَىَ: ليس معناها أفقر - عند أكثر المفسرين - كما فهم بعضهم لمقابلتها كلمة أغنى، بل معناها أن الله أعطى عباده ما يقتنونه ويدخرونه من أشرف الأموال[٢].

٢٥٤ قوله تعالى: {وَأَنَّهُۥ هُوَ أَغْنَىٰ وَأَقْنَىٰ} أي: أغنى النَّاس بالأموال ومَوَّلَهم. (وأَقْنَى) اختلفوا فيه:

فقال أبو صالحٍ: أعطى القُنْيَة وأصول الأموال الَّتي تُقْتَنَى.

والأكثرون قالوا: أَقْنَى: قَنَّع ورَضَّى بما أعطى الفقير، وهو قول مجاهدٍ، ومقاتلٍ، ورواية عكرمة عن ابن عبَّاسٍ.

والقول الأوَّل اختيار أبي عُبيدة، والمبرِّد، وابن الأعرابيّ...

والاقتناء يتردَّد بين أصلين:

أحدهما: الرِّضا، وذلك أنَّ الإنسان لا يقتني إلَّا ما يرتضيه، فعلى هذا أصل القولين الرِّضا.

والآخر: الحفظ واللُّزوم، ومنه يُقال: قَنَا الحياءَ: إذا لزمه... والقُنْيَة: ما يلزمها الإنسان ويحفظها، وعلى هذا الأصلان مختلفان.

قال الضَّحَّاك، والحسن، وقتادة: أغنى في المال وأقنى في الخَدَم، وهؤلاء خصُّوا الاقتناء بإعطاء الخَدَم[١].

* أمَّا القول بأنَّ معنى (أَقْنَى): أفقر، فيُنسب لابن زيدٍ، والأخفش، والحضرميّ، ورجَّحه بعض المتأخِّرين كسعدي المفتي، وتبعه إسماعيل حقِّي والأثيوبيُّ:

يقول حقِّي: والأوفق لما تقدَّمه من الآي المشتملة على **مراعاة صنعة الطِّباق** أن يُحمَل على معنى أفقر، على أن تكون **الهمزة في (أقنى) للإزالة**، كما قاله سعدي المفتي[٢].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ٧٣).

(٢) «روح البيان» (٩/ ٢٥٦)، «حدائق الرَّوْح والرَّيحان» (٢٨/ ١٧١).

* وذهب عددٌ من المفسِّرين إلى ضعف هذه القول من حيث اللُّغة:

قال الواحديُّ: وأمَّا ما رُوي عن ابن زيدٍ أنَّه قال: أغنى: أكثر، وأقنى: أقلَّ، **فلا وجه لقوله أقنى أقلَّ في اللُّغة**، إلَّا أن يُقال: معناه رضي بالقليل كما ذكره الأكثرون، فترك ذلك الرِّضا واقتصر على القِلَّة[(١)].

وقال ابن عطيَّة: وقال الحضرميُّ معناه: أغنى عن نفسه، وَأَقْنى: أفقر عباده إليه. وقال الأخفش: أَقْنى: أفقر. **وهذه عباراتٌ لا تقتضيها اللَّفظة**، والوجه فيها بحسَب اللُّغة: أكسب ما يُقْتَنَى[(٢)].

وقال ابن كثيرٍ: وقيل: معناه: أغنى نفسه وأفقر الخلائق إليه، قاله الحضرميُّ بن لاحقٍ. وقيل: {أَغْنَى} من شاء من خلقه، و{وَأَقْنَى}: أفقر من شاء منهم، قاله ابن زيد. حكاهما ابن جريرٍ، **وهما بعيدان من حيث اللَّفظ**[(٣)].

وقال ابن جُزَيٍّ: وقيل: معنى {أقنى}: أفقر. **وهذا لا تقتضيه اللُّغة**[(٤)].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ٧٣).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٢٠٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٤٦٧).

(٤) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٣٢٠).

﴿٢٥٥﴾ ﴿وَأَنَّهُۥ هُوَ رَبُّ ٱلشِّعۡرَىٰ﴾ [النجم: ٤٩]

ليست كما ظن بعض الناس أن معنى الشِّعْرَىَ: الشِعر أو الشَعر أو المشاعر، إنما الشعرى : نجم في السماء كان يعبده بعض العرب[٣].

﴿٢٥٥﴾ قال الطَّبريُّ: يعني بالشِّعْرى: النَّجم الَّذي يُسمَّى هذا الاسم، وهو نجمٌ كان بعض أهل الجاهليَّة يعبدُه من دون الله[١].

وقال الواحديُّ: قال جماعة المفسِّرين: هي كوكبٌ خلف الجَوْزاء يُقال لها: مِرْزَم الجَوْزاء، وهي الشِّعْرى العَبُور، وكانت خزاعة تعبدُها، فقال الله: أنا ربُّ الشِّعْرى فاعبدوني[٢].

وقال ابن عاشورٍ: الَّذي عليه الجمهور أنَّ الشِّعْرَى لم يعبدها من قبائل العرب إلَّا خُزَاعة، وفي «تفسير القرطُبيِّ» عن السُّدِّيِّ أن حِمْيَر عبدوا الشِّعْرَى[٣].

* والشَّعْر والشُّعور والشِّعْر ترجع إلى أصلٍ واحدٍ وهو الشَّعْر، قال الرَّاغب:

الشَّعْر معروفٌ، وجمعه: أَشْعَارٌ... وشَعَرْتُ: أصبت الشَّعْرَ.

ومنه استُعير: شَعَرْتُ كذا، أي: علمتُ علمًا في الدِّقَّة كإصابة الشَّعْر.

وسُمِّي الشَّاعِرُ شاعرًا لفطنته ودِقَّة معرفته، فَالشِّعْر في الأصل اسمٌ للعِلْم الدَّقيق في قولهم: ليتَ شِعْري، وصار في التَّعارف اسمًا للموزون المُقَفَّى من الكلام، والشَّاعِرُ للمُختصِّ بصناعته[٤].

أمَّا الشِّعْرى فقد جعلها ابن فارسٍ في مادة (شعر) أصلًا منفصلًا يدلُّ على عَلَمٍ[٥]، فلعلَّها وُضِعت علمًا على هذا النَّجم، ولذلك قال ابن عاشورٍ: لم أقف على وجه تسميتها الشِّعْرَى[٦].

(١) «تفسير الطَّبريِّ» (٢٢/ ٥٥٠).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ٧٥).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٧/ ١٥١).

(٤) «المفردات» (ص: ٤٥٥).

(٥) «مقاييس اللُّغة» (شعر).

(٦) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٧/ ١٥٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٥٦ ﴿فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ﴾ [القمر:٢٩]

يظن بعض الناس أن معنى تَعَاطَىَ أي شرب الخمر قبل أن يعقر ناقة صالح، والصواب أن معنى فتعاطى: أي تناول الناقة بيده وعقرها[١].

٢٥٦ (عطو) العين والطَّاء والحرف المعتلُّ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ يدلُّ على أخذٍ ومناولةٍ، لا يخرج الباب عنهما.

فالعَطْو: التَّناول باليد.

والظَّبْي يَعْطُو: وذلك إذا رفع يديه مُتطاوِلًا إلى الشَّجرة ليتناول الورق. قال الخليل: ومنه اشتُقَّ الإعطاء.

والمُعاطَاة: المناولة... والعَطَاء: اسمٌ لما يُعطَى.

ويقولون: إنَّ التَّعاطي: تناولُ ما ليس له بحقٍّ، يُقال: فلانٌ يتعاطى ظُلْمَ فُلانٍ. وفي كتاب الله تعالى: {فَتَعَاطَى فَعَقَر} [القمر: ٢٩]، ومن أمثال العرب: "عاطِ بغيرِ أَنْوَاطٍ"، أي: إنَّه يسمو إلى الأمر ولا آلة له عنده، كالَّذي يتعلَّق ولا مُتعلَّق له[١].

قال الواحديُّ: قال المفسِّرون: تعاطى النَّاقة، وتناولها بالسَّيف فعقرها[٢].

وقال الزَّمخشريُّ: {فَتَعاطى} فاجْتَرَأ على تعاطي الأمر العظيم غير مُكترِثٍ له، فأحدث العَقْر بالنَّاقة. وقيل: فتعاطى النَّاقة فعقرها، أو فتعاطى السَّيف[٣].

وقال ابن عطيَّة: (تعاطى) مُطاوع (عاطى)، فكأنَّ هذه الفِعْلَة تدافعها النَّاس وأعطاها بعضهم بعضًا، فتعاطاها هو وتناول العَقْر بيده، قاله ابن عبَّاسٍ.

ويُقال للرَّجل الَّذي يُدخل نفسه في تحمُّل الأمور الثِّقال مُتعاطٍ، على الوجه الَّذي ذكرناه.

والأصل: عطا يعطو: إذا تناول، ثمَّ يُقال: عاطى، وهو كما تقول: جرى وجارى وتجارى، وهذا كثيرٌ[١].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (عطو).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ١١١).

(٣) «الكشَّاف» (٤/ ٤٣٨).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* أمَّا القول بأنَّه تعاطى الخمر، فلم أقف عليه إلَّا عند بعض المعاصرين[٢]ولعلَّ من ذكر ذلك أخذه ممَّا أورده ابن عطيَّة وأبو حيَّان[٣] من أن قُدَار بن سالفٍ شرب الخمر مع قومٍ، فطلبوا ماءً يمزجون به الخمر فلم يجدوه لشرب النَّاقة، فعزموا على عقرها حينئذٍ.

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٢١٨).

(٢)«سلسلة حتَّى لا نُخطئ فهم القرآن» للشَّيخ محمود محمَّد غريب، «دروس سلسلة التَّفسير» للشَّيخ مصطفى العدوي.

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٢/ ٤٢١)، «البحر المحيط» (٥/ ٩٦)..

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٥٧﴾ ﴿خَلَقَ ٱلْإِنسَٰنَ مِن صَلْصَٰلٍ كَٱلْفَخَّارِ﴾ [الرحمن:١٤]

الصَّلْصَال: أي الطين اليابس الذي يسمع له صلصله[٢]، وليس الصلصال المعروف.

﴿٢٥٧﴾ قال الماورديُّ: (الصَّلْصَال) فيه خمسة أقاويل:

أحدها: أنَّه الطِّين المختلِط برملٍ، قاله ابن عبَّاسٍ.

الثَّاني: أنَّه الطِّين الرَّطب الَّذي إذا عصرته بيدك خرج الماء من بين أصابعك، وهذا مرويٌّ عن عكرمة.

الثَّالث: أنَّه الطِّين اليابس الَّذي تُسمَع له صَلْصَلةٌ، قاله قتادة.

الرَّابع: أنَّه الطِّين الأجوف الَّذي إذا ضُرِب بشيءٍ صَلَّ وسُمِع له صوتٌ.

الخامس: أنَّه الطِّين المُنتِن، قاله الضَّحَّاك، مأخوذٌ من قولهم: صَلَّ اللَّحم: إذا أَنْتَنَ[١].

وقال القرطبيُّ: {من صَلْصَالٍ} أي: من طينٍ يابسٍ، عن ابن عبَّاسٍ وغيره.

والصَّلصال: الطِّين الحُرُّ خُلِط بالرَّمل فصار يتصلصل إذا جفَّ، فإذا طُبِخ بالنَّار فهو الفَخَّار، عن أبي عُبيدة. وهو قول أكثر المفسِّرين.

وقال مجاهدٌ: هو الطِّين المُنْتِن، واختاره الكِسائيُّ. قال: وهو من قول العرب: صَلَّ اللَّحمُ وأَصَلَّ: إذا أَنْتَنَ -مطبوخًا كان أو نَيِّئًا- يَصِلُّ صُلُولًا.

وطينٌ صَلَّالٌ ومِصْلالٌ، أي: يُصوِّت إذا نَقَرْتَه كما يُصوِّت الحديد.

* فكان أوَّلًا تُرابًا، أي: متفرِّق الأجزاء، ثُمَّ بُلَّ فصار طينًا، ثمَّ تُرِك حتَّى أَنْتَنَ فصار حَمَأً مَسْنُونًا، أي: مُتغيِّرًا، ثُمَّ يبس فصار صَلْصَالًا، على قول الجمهور[٢].

وقال الواحديُّ: قال أبو إسحاق [يعني: الزَّجَّاج]: اختلفت الألفاظ فيما بدأ منه خلق آدم: فقيل: في موضعٍ: {خَلَقَهُ مِنْ تُرَابٍ} [آل عمران: ٥٩]، وفي آخر: {مِنْ طِينٍ لَازِبٍ} [الصافات: ١١]، وفي آخر: {مِنْ حَمَإٍ مَسْنُونٍ} [الحجر: ٢٦]، وفي آخر {مِن صَلْصَالٍ}

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٤٢٨).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٠/ ٢١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

[الرحمن: ١٤]، وهذه الألفاظ راجعةٌ في المعنى إلى أصلٍ واحدٍ، وهو التُّراب الَّذي هو أصل الطِّين، أعلم الله عزَّ وجلَّ أنَّه خلق آدم من ترابٍ جُعل طينًا، ثمَّ انتقل فصار كالحَمَأ المَسْنُون، ثمَّ انتقل فصار صَلْصَالًا كالفَخَّار.

فهذا كلُّه أصله التُّراب، وليس في شيءٍ ينقض بعضه بعضًا.

* قال أبو عبيدة: والفَخَّار: ما طُبِخ بالنَّار.

وقال المبرِّد: الفَخَّار: الخَزَف، كأنَّه -والله أعلم- طينٌ من يبسه كالخَزَف[1].

(١) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ١٥١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٥٨﴾ {كَـــــالْأَعْلَامِ} أي: كالجِبَال، قاله مُجاهدٌ، والحسن، والسُّدِّيُّ، والضَّحَّاك.

﴿٢٥٨﴾ ﴿وَلَهُ ٱلْجَوَارِ ٱلْمُنشَـَٔاتُ فِى ٱلْبَحْرِ كَٱلْأَعْلَـٰمِ﴾ [الرحمن:٢٤]

الأَعْلَام: هي الجبال، أي تسير السفن في البحر كالجبال[٣]، وليس المراد بالأعلام الرايات.

أي: هي في البحر كالجبال في البَرِّ[١].

قال الماورديُّ: في قوله: {كَالأَعْلاَمِ} وجهان:

أحدهما: يعني: الجبال، سُمِّيت بذلك لارتفاعها كارتفاع الأَعْلام، قاله السُّدِّيُّ.

قالت الخَنْساء:

وإنَّ صَخْرًا لَتَأْتَمُّ الهُدَاةُ بِهِ .:. كَأَنَّهُ عَلَمٌ في رَأْسِهِ نَارُ

الثَّاني: أنَّ الأعلام: القُصُور، قاله الضَّحَّاكُ[٢].

قال الرَّاغب: العَلَم: الأَثَر الَّذي يُعْلَم به الشَّيء، كعَلَم الطَّريق، وعَلَم الجيش، وسُمِّي الجَبَل عَلَمًا لذلك[٣].

ورُوي عن الخليل بن أحمد أنَّه قال: كلُّ شيءٍ مُرتفعٌ عندَ العرب فهو عَلَمٌ[٤].

(١) «تفسير ابن كثير» (٧/ ٢٠٩).

(٢) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٤٣١).

(٣) «المفردات» (ص: ٥٨١).

(٤) «زاد المسير» (٤/ ٦٦)، «تفسير القُرطبيّ» (١٦/ ٣٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٣٧﴾ ﴿فَإِذَا ٱنشَقَّتِ ٱلسَّمَآءُ فَكَانَتْ وَرْدَةً كَٱلدِّهَانِ﴾

[الرحمن: ٣٧]

وَرْدَةً: أي أن السماء يكون لونها أحمرَ كلون الورد[1]، وليس معناها أن يصبح شكلها كالورد.

٢٥٩ {فَكَانَتْ وَرْدَةً} فيه وجهان:

أحدهما: وردةُ البُستان، وهي حمراء، وقد تختلف ألوانها لكنَّ الأغلب من ألوانها الحُمْرة، وبها يُضرب المثل في لون الحُمْرة...

كذلك تصير السَّماء يوم القيامة حمراء كالوَرْد، قاله ابن بحرٍ.

الثَّاني: أنَّه أراد بالوَرْدَة: الفَرَس الوَرْد، يكون في الرَّبيع أصفر وفي الشِّتاء أغبر، فشبَّه السَّماء يوم القيامة في اختلاف ألوانها بالفَرَس الوَرْد لاختلاف ألوانه، قاله الكلبيُّ والفرَّاء[1].

قال ابن عطيَّة: فمعنى قوله: {وَرْدَةً} أي: مُحمرَّةً كالوَرْدَة، وهي النُّوَّار المعروف. وهذا قول الزَّجَّاج والرُّمَّانيّ.

وقال ابن عبَّاسٍ وأبو صالحٍ والضَّحَّاك: هي من لون الفَرَس الوَرْد، فأُنِّث لكون السَّماء مُؤنَّثةً[2].

* وفي (الدِّهان) قولان:

أحدهما: أنَّه واحدٌ [أي: مُفرَد]، وهو الأَدِيم [أي: الجِلْد] الأحمر، قاله ابن عبَّاسٍ.

والثَّاني: أنَّه جمع دُهْنٍ، والدُّهْن تختلف ألوانه بخُضرةٍ وحُمرةٍ وصُفرةٍ، حكاه اليزيديُّ، وإلى نحوه ذهب مُجاهدٌ[3].

قال الواحديُّ: الَّذي عليه الأكثر أنَّه شبَّه السَّماء في تلوُّنها واختلاف ألوانها بالوَرْدَة، وهي الفَرَس الَّتي تتلوَّن ألوانًا.

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ٤٣٥).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٢٣١).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٢١٢).

قال الكلبيُّ: تتلوَّن كما تتلوَّنُ الفرَسَ الوَرْد.

وقال الحسن: تلوَّن ألوانًا.

ثمَّ شبَّه هذا الفَرَس الَّذي يتلوَّن بالدِّهان بقوله {كَالدِّهَانِ}

قال الفَرَّاء: شبَّه تلوُّن السَّماء بتلوُّن الوَرْدَةِ من الخيل، وشبَّه الوَرْدَةَ في اختلاف ألوانها بالدُّهْنِ واختلاف ألوانه.

وهذا قول الضَّحَّاك، ومجاهدٍ، وقَتادة، والرَّبيع، وأبي العالية، وأكثر أهل التَّفسير(١).

* قال الشِّينقيطيُّ: على القول بأنَّ الدِّهان هو الجلد الأحمر يكون الله وصفَ السَّماء عند انشقاقها يوم القيامة بوصفٍ واحدٍ وهو الحُمرة، فشبَّهها بحُمرة الوَرْد، وحُمْرة الأديم الأَحْمَر.

قال بعض أهل العلم: إنَّها يصل إليها حرُّ النَّار فتحمرُّ من شدَّة الحرارة.

وقال بعض أهل العلم: أصل السَّماء حمراء إلَّا أنَّها لشدَّة بُعدِها وما دونها من الحواجز لم تصل العيون إلى إدراك لونها الأحمر على حقيقته، وأنَّها يوم القيامة تُرى على حقيقة لونها.

وأمَّا على القول بأنَّ الدِّهان هو ما يُدْهَن به، فإنَّ الله قد وصف السَّماء عند انشقاقها بوصفين: أحدهما: حُمرة لونها، والثَّاني: أنَّها تذوب وتصير مائعةً كالدُّهْن.

أمَّا على القول الأوَّل، فلم نعلم آيةً من كتاب الله تُبيِّن هذه الآية، بأنَّ السَّماء ستحمرُّ يوم القيامة حتَّى تكون كلون الجلد الأحمر.

وأمَّا على القول الثَّاني الَّذي هو أنَّها تذوب وتصير مائعةً، فقد أوضحه الله في غير هذا الموضع، وذلك في قوله تعالى في المعارج: {إنَّهم يرونه بعيدًا ونراه قريبًا يوم تكون السَّماء كالمُهْل}، والمُهْل: شيءٌ ذائبٌ على كلا القولين، سواءٌ قلنا: إنَّه دُرْدِيُّ الزَّيت وهو عكره، أو قلنا: إنَّه الذَّائب من حديدٍ أو نُحاسٍ أو نحوهما.

وقد أوضح تعالى في الكهف أنَّ المُهْل شيءٌ ذائبٌ يُشبه الماء شديد الحرارة، وذلك في قوله تعالى: {وإن يستغيثوا يغاثوا بماءٍ كالمُهْل يشوي الوجوه بئس الشَّراب وساءتْ مُرتفقًا}.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ١٧٥).

والقول بأنَّ الوَرْدَة تشبيهٌ بالفَرَس الكَمِيت، وهو الأحمر؛ لأنَّ حمرته تتلوَّن باختلاف الفصول، فتشتدُّ حمرتها في فصلٍ، وتميل إلى الصُّفرة في فصلٍ، وإلى الغبرة في فصلٍ، وأنَّ المراد بالتَّشبيه كون السَّماء عند انشقاقها تتلوَّن بألوانٍ مختلفةٍ واضح البُعد عن ظاهر الآية[1].

* وعلى كلٍّ، فالآية فيها تشبيه السَّماء عند انشقاقها بالوَرْدَة، ووجه الشَّبه عندَ جمهور المفسِّرين- على القولين السَّابقين في معنى الوَرْدَة- هو لونها.

وذكر الطَّاهر ابن عاشورٍ أنَّ المراد بالوردة الزَّهرة المعروفة، وأجاز أن يكون وجه الشَّبه في الشَّكل أيضًا، فقال:

الْوَرْدَة: واحدة الوَرْد، وهو زَهْرٌ أحمر من شجرةٍ دقيقةٍ ذات أغصانٍ شائكةٍ تظهر في فصل الرَّبيع، وهو مشهورٌ.

ووجه الشَّبه قيل: هو شدَّة الحُمرة، أي: يتغيَّر لون السَّماء المعروف أنَّه أزرق إلى البياض، فيصير لونها أحمر، قال تعالى{يَوْمَ تُبَدَّلُ الْأَرْضُ غَيْرَ الْأَرْضِ وَالسَّماواتُ} [إِبْرَاهِيم: ٤٨].

ويجوز عندي: أن يكون وجه الشَّبه كثرة الشُّقوق كأوراق الوردة[2].

---

(١) «أضواء البيان» (٧/ ٥٠١).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٧/ ٢٦١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٦٠﴾ {لَا فِيهَا غَوْلٌ وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [الصافات: ٤٧]

{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنْزِفُونَ} [الواقعة: ١٩]

﴿٢٦٠﴾ ﴿لَّا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا يُنزِفُونَ﴾ [الواقعة: ١٩]

النزْفُ: ليس خروج الدم وسيلانه بل معناه ذهاب العقل بالسُّكْر، أي أن أهل الجنة لا يسكرون ولا تذهب عقولهم من شرب الخمر(٢).

قال ابن فارسٍ: (نزف) النُّون والزَّاء والفاء أصلٌ يدلُّ على نفاد شيءٍ وانقطاعٍ.

ونُزِفَ دَمُه: خرج كلُّه.

والسَّكران: نَزِيفٌ، أي: نُزِفَ عقلُه(١).

وقال الرَّاغب: نُزِفَ دَمُه أو دمعُه، أي: نُزِعَ كلُّه، ومنه قيل: سَكْرانٌ نَزِيفٌ: نُزِفَ فهمُه بسُكْره(٢).

* وقوله تعالى: {وَلَا هُمْ عَنْهَا يُنْزَفُونَ} [بفتح الزَّاي]، وقُرئ بكسر الزَّاي.

قال الفَرَّاء: من كسر الزَّاي فله معنيان:

يُقال أُنْزِف الرَّجل: إذا فَنِيَت خمرُه.

وأُنْزِف: إذا ذَهَبَ عقلُه من السُّكْر.

ومن فتح الزَّاي فمعناه: لا تذهب عقولهم، أي: لا يَسْكَرُون، يُقال: نُزِفَ الرَّجُل فهو مَنْزُوفٌ ونَزِيفٌ...

وأصل النَّزْف في اللُّغة الاستخراج، يُقال: نَزَفْتُ البئر: إذا استقيتُ ماءَها، **ونَزَفَ فلانٌ دمَه: إذا استخرجه بحجامةٍ أو فَصْدٍ، وهذا هو الأصل، ونُزِف الرَّجل إذا سَكِر معناه: استُخرِج عقلُه**، وأُنْزِف إذا سكر، أي: صار إلى حالة نَزْف العقل عنه، وأُنْزِف إذا نَفِدَ شرابه معناه: أنَّه صار إلى حالة نفاد الشَّراب بنَزْفِه وإنفادِه.

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (نزف).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٩٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وأمَّا المفسِّرون فإنَّهم فسَّروا {لا يُنزِفون} لا يسكرون ولا تذهب عقولهم، وهو قول ابن عبَّاسٍ ومجاهدٍ وقتادة والكلبيّ ومقاتلٍ[1].

وقال ابن عاشورٍ: يُقال: نُزِفَ الشَّارب بالبناء للمجهُول إذا كان مُجرَّدًا (ولا يُبنَى للمعلُوم) فهو مَنْزُوفٌ ونَزِيفٌ، **شبَّهوا عقل الشَّارب بالدَّم، يُقال: نُزِفَ دمُ الجريح، أي: أُفْرِغ. وأصله من: نَزَفَ الرَّجلُ ماءَ البئر** متعدِّيًا: إذا نزحه ولم يُبق منه شيئًا.

وقرأه حمزة والكِسائيُّ وخلفٌ (يُنْزِفُونَ) بضمِّ الياء وكسر الزَّاي، مِن: أُنْزِفَ الشَّارب: إذا ذهب عقله، أي: صار ذا نَزْفٍ، فالهمزة للصَّيرورة لا للتَّعدية[2].

* وقوله تعالى: {لا يُصَدَّعُونَ عَنْها} ذهب أكثر المفسِّرين إلى أنَّ المعنى: لا يلحق رُؤوسَهم الصُّداعُ الَّذي يلحق من خمر الدُّنيا.

وقال قومٌ معناه: لا يُفرَّقون عنها، بمعنى لا تُقطَع عنهم لذَّتُهم بسببٍ من الأسباب، كما يُفرَّقُ أهل خمر الدُّنيا بأنواعٍ من التَّفريق[3].

* وقوله تعالى: {لا فِيها غَوْلٌ فيها} قال ابن عطيَّة: قال ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ وابن زيدٍ في الآية: (الغَوْل): وجعٌ في البطن، وقال ابن عبَّاس أيضًا وقتادة: هو صداعٌ في الرَّأس.

قال القاضي أبو محمَّدٍ [هو ابن عطيَّة نفسه]: والاسم أعمُّ من هذا كلِّه[4].

وقال الألوسيُّ: {لا فِيها غَوْلٌ} أي: غائلةٌ، كما في خمر الدُّنيا: مِن غَالَه يَغُولُه: إذا أفسدَه، وقال الرَّاغب: الغَوْل: إهلاك الشَّيء من حيثُ لا يُحسُّ به، يُقال: غاله يغوله غَوْلًا، واغتاله اغتيالًا، ومنه سُمِّي السَّعْلاةُ غُولًا، والمراد هنا: نفي أن يكون فيها ضررٌ أصلًا[5].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (١٩/ ٤٧).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٣/ ١١٤).

(٣) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٢٤٢).

(٤) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٤٧٢).

(٥) «روح المعاني» (١٢/ ٨٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

(٢٦١) ﴿أَفَرَءَيْتُم مَّا تُمْنُونَ﴾ [الواقعة: ٥٨]

تُمْنُونَ أي ما يخرج منكم من المني وهو النطفة[٣]، وليس معناها: ما تـتمنَون .

(٢٦١) قال ابن فارسٍ: (مَنِيَ) الميم والنُّون والحرف المُعتَلُّ أصلٌ واحدٌ صحيحٌ، يدلُّ على تقدير شيءٍ ونفاذ القضاء به.

منه قولهم: مَنَى له المَانِي، أي: قَدَّرَ المقدِّر، قال الهُذَلِيُّ:

لَا تَأْمَنَنَّ وَإِنْ أَمْسَيْتَ فِي حَرَمٍ .:. حَتَّى تُلَاقِيَ مَا يَمْنِي لَكَ الْمَانِي

والمَنَى: القَدَر، قَالَ:

سَأُعْمِلُ نَصَّ الْعِيسِ حَتَّى يَكُفَّنِي .:. غِنَى الْمَالِ يَوْمًا أَوْ مَنَى الْحَدَثَانِ

وماء الإنسان: مَنِيٌّ، أي: يُقَدَّر منه خلقته.

والمَنِيَّة: الموت؛ لأنَّها مُقَدَّرَةٌ على كُلٍّ.

وتمنِّي الإنسان كذا، قياسه أملٌ يُقدِّره[١].

وقال السَّمين الحلبيُّ -وأصله كلام الرَّاغب-: المَنِيُّ: الماء الدَّافق، سُمِّي مَنِيًّا؛ لأنَّه يُقَدَّر منه الحيوان.

وأصل المَنَى: القَدَر، يُقال: مَنَى لك الماني، أي: قَدَّر لك المُقدِّر.

وقوله: {من نُطفةٍ إذا تُمْنَى} [النجم: ٤٦] أي: تُقَدَّر بالعزَّة الإلهيَّة والحكمة الرَّبَّانيَّة، أي: تَحار العقول في كيفيَّة ذلك ما لم يكن منه كالعَظْم والشَّعْر.

ومنه المَنِيَّة أيضًا؛ لأنَّها أجلٌ مُقدَّرٌ...

ومنه التَّمنِّي أيضًا؛ لأنَّه تقدير شيءٍ في النَّفْس وتصويره فيها[٢].

* ولا أدري كيف يُمكن فهم (تُمْنُون) بمعنى: (تَتَمَنَّوْن)، وبعدها قوله: {أَأَنْتُمْ تَخْلُقُونَهُ أَمْ نَحْنُ الْخَالِقُونَ} [الواقعة: ٥٩]!

(١) «مقاييس اللُّغة» (مني).

(٢) «عمدة الحفَّاظ» (٤/ ١١٧)، «المفردات» (ص: ٧٧٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٦٢ ﴿وَغَرَّكُم بِٱللَّهِ ٱلْغَرُورُ﴾ [الحديد: ١٤]

الغَرُورُ هو الشيطان باتفاق المفسرين[1]، فالغرور بفتح الغين هو الشيطان وبضمه هو الباطل، ومثله الشكور بفتح الشين هو الشاكر وبضم الشين الشكر والحمد.

* **الغُرُور بضمّ الغين:**

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [آل عمران: ١٨٥]

{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا إِلَّا مَتَاعُ الْغُرُورِ} [الحديد: ٢٠]

{يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [النساء: ١٢٠]

{وَكَذَلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ عَدُوًّا شَيَاطِينَ الْإِنْسِ وَالْجِنِّ يُوحِي بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ زُخْرُفَ الْقَوْلِ غُرُورًا} [الأنعام: ١١٢]

{فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ} [الأعراف: ٢٢]

{وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُورًا} [الإسراء: ٦٤]

{وَإِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ إِلَّا غُرُورًا} [الأحزاب: ١٢]

{بَلْ إِنْ يَعِدُ الظَّالِمُونَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا إِلَّا غُرُورًا} [فاطر: ٤٠]

{إِنِ الْكَافِرُونَ إِلَّا فِي غُرُورٍ} [الملك: ٢٠]

* **الغَرُور بفتح الغين:**

{ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [لقمان: ٣٣]

{فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [فاطر: ٥]

{وَغَرَّتْكُمُ الْأَمَانِيُّ حَتَّى جَاءَ أَمْرُ اللَّهِ وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ} [الحديد: ١٤]

* أصل الغُرُور من غَرَّ فلانًا: إذا أصاب غِرَّتَه -أي: غفلتَه- ونال منه ما يُريد، والمراد به: الخداع[1].

(١) «روح المعاني» (١١/ ١٠٦).

يُقال: غَرَّهُ يَغُرُّه غُرُورًا بضمِّ الغين، فالغُرُور مصدرٌ بمعنى الخداع، فوزنه (فُعُول)

أمَّا الغَرُور فهو على وَزْن (فَعُول)، وَفَعُول من أوزان المبالغة، تقول: فلانٌ أَكُول: إذا كانَ كثير الأكل، وضَروبٌ: إذَا كانَ كثير الضَّرْبِ، ولذلك قيل للشَّيطان: الغَرُور؛ لأنَّه يَغُرُّ ابنَ آدم كثيرًا، فإذا غرَّ مرَّةً واحدةً فهو غارٌّ، ويصلح غارٌّ للكثير، فأمَّا غَرُورٌ فلا يصلح للقليل[1].

* وقوله تعالى: {وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ}

قال ابن عبَّاسٍ، ومُجاهدٌ، والضَّحَّاك، وقَتادَةُ: يعني: الشَّيْطَان[2].

قال الطَّبريُّ: **والغَرُور بفتح الغين: هو ما غرَّ الإنسان من شيءٍ كائنًا ما كان شيطانًا كان أو إنسانًا، أو دُنيا.**

وأمَّا الغُرُور بضمِّ الغين: فهو مصدرٌ من قول القائل: غَرَرَته غُرُورًا[3].

وقال الرَّاغب: وقد فُسِّر بالشَّيطان إذ هو أخبث الْغَارِّين، وبالدُّنيا لما قيل: الدُّنيا تَغُرُّ وتَضُرُّ وتَمُرُّ[4].

---

(١) «معاني القرآن وإعرابه للزَّجَّاج» (٥/ ١٢٥).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٦/ ٣٥١).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢٠/ ١٥٨).

(٤) «المفردات» (ص: ٦٠٤).

﴿٢٦٣﴾ ﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَخۡرَجَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ مِنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ مِن دِيَٰرِهِمۡ لِأَوَّلِ ٱلۡحَشۡرِ﴾ [الحشر: ٢]

أي أرض المحشر وهي أرض الشام قال ابن عباس: من شك أن المحشر بالشام فليقرأ هذه الآية فكان هذا أول الحشر إلى الشام، قال النبي ﷺ لليهود: «اخرجوا، قالوا إلى أين؟ قال: إلى أرض المحشر، ثم يحشر الخلق يوم القيامة إلى الشام»[٢]، وليس المراد بالحشر هنا يوم القيامة.

﴿٢٦٣﴾ قال ابن جُزَيٍّ: {لِأَوَّلِ الْحَشْرِ} في معناه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه حشر القيامة، أي: خروجُهم من حصونهم أوَّلُ الحشر، والقيام من القبور آخرُه، ورُوي في هذا المعنى أنَّ رسول الله صلَّى الله عليه وآله وسلَّم قال لهم: «امضوا هذا أوَّل الحشر، وأنا على الأثر».

الثَّاني: أنَّ المعنى لأوَّل موضع الحشر، وهو الشَّام، وذلك أنَّ أكثر بني النَّضير خرجوا إلى الشَّام، وقد جاء في الأثر أنَّ حشر القيامة إلى أرض الشَّام، ورُوي في هذا المعنى أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله تعالى عليه وآله وسلَّم قال لبني النَّضير: «اخرجوا» قالوا إلى أين؟ «قال إلى أرض المحشر».

الثَّالث: أنَّ المراد الحشر في الدُّنيا الَّذي هو الجلاء والإخراج، فإخراجهم من حصونهم أوَّل الحشر، وإخراج أهل خيبر آخره.

الرَّابع: أنَّ معناه إخراجهم من ديارهم لأوَّل ما حُشِر لقتالهم؛ لأنَّه أوَّل قتالٍ قاتلهم النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم[١].

وقال أبو حيَّان: الحَشْر: الجمع للتَّوجيه إلى ناحيةٍ ما، والجمهور على أنَّ هؤلاء الَّذين أُخرِجوا هم بنو النَّضير...

وقيل: الحَشْر: هو حشر رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم الكتائب لقتالهم، وهو أوَّل حشرٍ منه لهم، وأوَّل قتالٍ قاتلهم.

وأوَّل يقتضي ثانيًا، فقيل:

الأوَّل: حشرهم للجلاء، والثَّاني: حشر عُمَر لأهل خيبر وجلاؤهم، وقد أخبر عليه الصَّلاة والسَّلام بجلاء أهل خيبر بقوله صلَّى الله عليه وسلَّم: «لا يبقينَّ دينان في جزيرة العرب».

---

(١) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٣٥٧).

وقال الحسن: أراد حشر القيامة، أي: هذا أوَّله، والقيام من القبور آخره.

وقال عكرمة والزُّهريُّ: المعنى: الأوَّل: موضع الحشر، وهو الشَّام، وفي الحديث أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام قال لبني النَّضير: «اخرجوا» ، قالوا: إلى أين؟ قال: «إلى أرض المَحْشَر». وقيل: الثَّاني: نارٌ تحشر النَّاس من المشرق إلى المغرب(١).

* فتفسير المعدِّ: الحشر بأرض المحشر ثمَّ قوله بعد ذلك: وليس المراد بالحشر هنا يوم القيامة؛ يعدُّ تناقضًا عجيبًا!

فالحَشْر في الآية على ما أورده المعدُّ من آثارٍ هو الحَشْر ليوم القيامة، وذلك إمَّا على تقدير مُضافٍ محذوفٍ، أي: لأوَّل موضع الحَشْر للقيامة، وإمَّا على غير تقدير محذوفٍ، كما هو قول الحسن.

وأمَّا من ذهب من المفسِّرين إلى أنَّ الحشر ليس حشر القيامة، فالحشر عندَه إمَّا جمع اليهود وإخراجهم وإجلاؤهم، وإمَّا جمع النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم المؤمنين لمحاربة اليهود.

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٣٧).

﴿ هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْمَلِكُ ٱلْقُدُّوسُ ٱلسَّلَٰمُ ٱلْمُؤْمِنُ ٱلْمُهَيْمِنُ ﴾ [الحشر: ٢٣]

يفهم كثير من الناس أن معنى المهيمن أي المسيطر، والصواب: أن المهيمن أي شاهد على خلقه رقيب عليهم[1].

٢٦٤ قال ابن الجوزيّ:

{المُهَيْمِن} فيه أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الشَّهيد، قاله ابن عبَّاسٍ ومجاهدٌ وقتادة والكِسائيُّ.

قال الخطَّابيُّ: ومنه قوله عزَّ وجلَّ: {وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ}، فالله الشَّاهد على خلقه بما يكون منهم من قولٍ أو فعلٍ.

والثَّاني: الأمين، قاله الضَّحَّاك.

قال الخطَّابيُّ: أصله: مُؤَيْمِن، فقُلبت الهمزة هاءً؛ لأنَّ الهاء أخَفُّ عليهم من الهمزة، ولم يأت (مُفَيْعِلٌ) في غير التَّصغير إلَّا في ثلاثة أحرفٍ (مُسَيْطِر) و(مُبَيْطِر) و(مُهَيْمِن).

وقد ذكرنا في سورة الطُّور عن أبي عُبيدة أنَّها خمسة أحرفٍ[1].

والثَّالث: المُصدِّق فيما أَخْبَر[2]، قاله ابن زيدٍ.

والرَّابع: أنَّه الرَّقيب على الشَّيء، والحافظ له، قاله الخليل.

قال الخطَّابيُّ: وقال بعض أهل اللُّغة[3]: الهَيْمَنَة: القيام على الشَّيء، والرِّعاية له، وأنشد:

أَلَا إِنَّ خَيْرَ النَّاس بَعْدَ نَبِيِّهِ .:. مُهَيْمِنُهُ التَّالِيهِ فِي الْعُرْفِ والنُّكْرِ

يريد القائم على النَّاس بعدُ بالرِّعاية لهم[4].

---

(١) يعني بزيادة: (مُبَيْقِر)، و(مُجَيْمِر).

(٢) يعني: المُصَدِّق للمؤمنين بما وعدهم به من الثَّواب، والمُصَدِّق للكافرين بما أوعدهم به من العذاب، ونحو ذلك.

(٣) يعني: ابن الأنباريّ.

(٤) «زاد المسير» (٤/ ٢٦٤).

وعلى ما ذكره ابن الجوزيّ تدور أغلب أقوال المفسِّرين واللُّغويِّين، ولم أقف على من فسَّر المُهيمن بالمُسَيْطِر إلَّا عند بعض المعاصرين[١].

* ومعنى المُسَيْطِر:

قال الخليل: السَّيْطَرة: مصدر المُسَيْطِر، وهو كالرَّقيب الحافظ المُتَعَهِّد للشَّيء[٢].

وقال ابن سِيدَه: المُسَيْطِر: الرَّقيب الحافِظ، **وقيل: المُتَسلِّط**[٣].

قال الجوهريُّ: المُسَيْطِر والمُصَيْطِر: **المُسلَّط على الشَّئ ليُشرف عليه ويتعهَّد أحواله ويكتب عمله**. وأصله من السَّطْر؛ لأنَّ الكتاب مُسَطَّر، والَّذى يفعله مُسَطِّرٌ ومُسَيْطِرٌ[٤].

وقال المبرِّد: المُسَيْطِر: **المُتغلِّب على الشَّيء**، يُقال: تَسَيْطَرْتَ علينا أي: تَكلَّفت أن تَقصِرنا على ما تُحبُّ[٥].

* فلعلَّ من فسَّر المُهَيْمِن بالمُسَيْطِر من المعاصرين نظر إلى معنى الرِّقابة والحفظ، وهو معنًى صحيحٌ للمُهَيْمِن، ويبقى الإشكال في إطلاق هذه اللَّفظة من حيث ما ورد في معانيها من التَّسلُّط والغلبة والإكراه، ممَّا يُنزَّه عنه سبحانه وتعالى.

---

(١) «التَّفسير القرآنيّ للقرآن» (١٤/ ٨٨٣)، «أضواء البيان» (٨/ ٧٦)، «التَّفسير الحديث» (٧/ ٣٢٦)، «تفسير الشعراوي» (٥/ ٣١٧٩)، «التَّفسير الوسيط لمجمع البحوث الإسلامية» (١٠/ ١٣٧٠).

(٢) «العين» (٧/ ٢١٠)، وقاله اللَّيث أيضًا، يُنظر «تهذيب اللُّغة» (سطر).

(٣) «المُحكَم» (٨/ ٤٣٣).

(٤) «الصِّحاح» (سطر).

(٥) «التَّفسير البسيط» (٢٠/ ٥٠٦).

﴿٢٦٥﴾ ﴿كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ﴾

[الممتحنة:٤]

وبدا أي ظهر[٢] من البُدُوّ وليس من الابتداء، وهذه من الآيات التي يخطئ في معناها وقراءتها كثير من الناس بقراءتها مهموزة.

﴿٢٦٥﴾ @@قال الطَّبريُّ:

وظَهَرَ بيننا وبينكم العداوة والبغضاء أبدًا على كفركم بالله، وعبادتكم ما سواه[١].

وقال الزَّمخشريُّ: أظهروا البغضاء والمَقْت، وصرَّحوا بأنَّ سبب عداوتهم وبغضائهم ليس إلَّا كفرهم بالله، وما دام هذا السَّبب قائمًا كانت العداوة قائمةً[٢].

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢٣/ ٣١٧).

(٢) «الكشَّاف» (٤/ ٥١٤).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٦٦﴾ {هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ * وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ} [الجمعة: ٢، ٣]

﴿٢٦٦﴾ ﴿وَءَاخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُواْ بِهِمْ﴾ [الجمعة: ٣]

لما يلحقوا بهم ليس معناها حينما يلحقوا بهم وإنما معناها النفي أي لم يلحقوا بهم، والمعنى: إن الذين بعث الله فيهم رسوله وشاهدوه وباشروا دعوته حصل لهم من الخصائص والفضائل مالا يمكن أحدًا أن يلحقهم فيها[1].

{وآخرين}: الظَّاهر أنَّه معطوفٌ على (الأُمِّيِّين)، أي: وفي آخرين من الأُمِّيِّين لم يلحقوا بهم بعدُ، وسيلحقون[1].

وفي المراد بـ(الآخَرِين) أربعة أقوالٍ:

أحدها: أنَّهم العَجَم، قاله ابن عمر، وسعيد بن جُبيرٍ، وهي رواية ليثٍ عن مجاهدٍ.

فعلى هذا إنَّما قال: (منهم)؛ لأنَّهم إذا أسلموا صاروا منهم، إذ المسلمون يدٌ واحدةٌ، وملَّةٌ واحدةٌ.

والثَّاني: أنَّهم التَّابعون، قاله عكرمة، ومقاتلٌ.

والثَّالث: جميع من دخل في الإسلام إلى يوم القيامة، قاله ابن زيدٍ، وهي رواية ابن أبي نجيحٍ عن مجاهدٍ.

والرَّابع: أنَّهم الأطفال، حكاه الماورديُّ[2].

قال أبو حيَّان: قال أبو هريرة وغيره: وآخرين هم فارسٌ، وجاء نصًّا عنه في صحيح البُخاريّ ومسلمٍ، ولو فُهم منه الحَصْر في فارسٍ لم يَجُز أن يُفسَّر به الآية، ولكن فَهم المفسِّرون منه أنَّه تمثيلٌ.

فقال مجاهدٌ وابن جُبيرٍ: الرُّوم والعَجَم.

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧١).

(٢) «زاد المسير» (٤/ ٢٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال مجاهدٌ أيضًا وعكرمة ومقاتلٌ: التَّابعين من أبناء العرب؛ لقوله: {منهم}، أي: في النَّسَب.

وقال مجاهدٌ أيضًا والضَّحَّاك وابن حِبَّان: طوائف من النَّاس.

وقال ابن عمر: أهل اليمن.

وعن مجاهدٍ أيضًا: أبناء الأعاجم.

وعن ابن زيدٍ أيضًا: هم التَّابعون.

وعن الضَّحَّاك أيضًا: العَجَم.

وعن أبي روقٍ: الصِّغار بعد الكبار.

وينبغي أن تُحمَل هذه الأقوال على التَّمثيل، كما حملوا قول الرَّسول صلَّى الله عليه وسلَّم في فارسٍ[1].

لأنَّ الله عزَّ وجلَّ عمَّ بقوله: {وَآخَرِينَ مِنْهُمْ لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِم} كلَّ لاحقٍ بهم من آخَرِين، ولم يُخصِّص منهم نوعًا دون نوع، فكلُّ لاحقٍ بهم فهو من الآخَرِين الَّذين لم يكونوا في عداد الأوَّلين الَّذين كان رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم يتلو عليهم آيات الله[2].

وقال الشِّينقيطيُّ: والمراد بقوله: {وَآخَرِينَ} كلُّ مَن يأتي بعد الصَّحابة من أهل الإسلام إلى يوم القيامة بدليل قوله: {وَأُوحِيَ إِلَيَّ هَذَا الْقُرْآنُ لِأُنْذِرَكُمْ بِهِ وَمَنْ بَلَغَ}.

وصحَّ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم ما يدلُّ على أنَّ قوله: {وَآخَرِينَ} نزلت في فارس قوم سلمان، وعلى كلِّ حالٍ **فالعبرة بعموم اللَّفظ لا بخصوص السَّبب**[3].

* ومعنى قوله تعالى {ولَمَّا يلحقوا بهم} أنَّ آخرين هم في وقت نزول هذه الآية لم يدخلوا في الإسلام ولم يلتحقوا بمن أسلم من العرب وسيدخلون في أزمانٍ أُخرى[1].

---

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ١٧١).

(٢) «تفسير الطَّبريِّ» (٢٣/ ٣٧٥).

(٣) «أضواء البيان» (٨/ ١١٦).

فالنَّفي بـ(لَمَّا) يقتضي أنَّ المنفيَّ بها مُستمِرُّ الانتفاء إلى زمن التَّكَلُّم فيُشعِر بأنَّه مُترَقَّب الثُّبوت، كقوله تعالى: {وَلَمَّا يَدْخُلِ الْإِيمَانُ فِي قُلُوبِكُمْ} [الحجرات: ١٤]، أَيْ: وسيدخل كما في «الكشَّاف»[٢].

* وذكر بعض المفسِّرين وجهًا في أنَّ المراد بقوله تعالى{ولَّما يلحقوا بهم} إنَّما هو في الفضل، وهو الوجه الَّذي اكتفى بذكره مُعدُّ الكتاب هنا:

قال البغويُّ: {ولَّما يلحقوا بهم} أي: لم يُدركوهم ولكنَّهم يكونون بعدهم.

وقيل: {لَمَّا يَلْحَقُوا بِهِمْ} أي: في الفضل والسَّابقة؛ لأنَّ التَّابعين لا يُدرِكون شَأْو الصَّحابة[٣].

وقد ضعَّف هذا القول الألوسيُّ بدلالة معنى (لَمَّا) الَّتي سبقت الإشارة إليها، فقال:

وفيه: أنَّ (لَمَّا) منفيُّها مُستمِرٌ إلى الحال ويُتوقَّع وقوعه بعدَه، فتُفيد أنَّ لُحوق التَّابعين ومَن بعدَهم في الفضل للصَّحابة مُتوقَّع الوقوع مع أنَّه ليس كذلك.

وقد صرَّحوا أنَّه لا يبلغ تابعيٌّ وإن جلَّ قدرًا في الفضل مرتبة صحابيٍّ وإن لم يكن من كبار الصَّحابة.

وقد سُئل عبدُ الله بن المبارك عن معاوية وعمر بن عبد العزيز أيُّهما أفضل؟ فقال: الغُبار الَّذي دخل أنف فرس معاوية أفضل عند الله من مائة عمر بن عبد العزيز، فقد صلَّى معاوية خلف رسول الله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم، فقرأ {اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ}... إلخ فقال معاوية: آمين.

واستُدِلَّ على عدم اللُّحوق بما صحَّ من قوله عليه الصَّلاة والسَّلام فيهم: «لو أنفق أحدُكم مثلَ أُحُدٍ ذهبًا ما بلغ مُدَّ أحدهم ولا نَصِيفَه» على القول بأنَّ الخطاب لسائر الأُمَّة.

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٨/ ٢١٢).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٨/ ٢١٢).

(٣) «تفسير البغويّ» (٨/ ١١٤).

وأمَّا قوله صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم: «أُمَّتي كالمطر لا يُدْرَى أوَّله خيرٌ أم آخره» فمبالغةٌ في خيريَّتهم، كقول القائل في ثوبٍ حسن البطانة: لا يُدْرَى ظِهَارتُه خيرٌ أم بطانته[1].

(١) «روح المعاني» (١٤/ ٢٨٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٣٦٧﴾ ﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا﴾ [الجمعة: ٥]

الأسفار هنا جمع سفر وهو الكتاب[٢]، وليس معناها التنقل والارتحال.

﴿٣٦٧﴾ قوله: {كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا} جمع سِفْر، وهو الكتاب الكبير؛ لأنَّه يُسْفِر عن المعنى إذا قُرئ، ومثله: شِبْر وأَشْبَار.

شبَّه اليهود إذ لم ينتفعوا بما في التَّوراة -وهي دالَّةٌ على الإيمان بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم- بالحمار يحمل كتب العلم ولا يدري ما فيها.

قال ميمون بن مهران: الحمار لا يدري أَسِفْرٌ على ظهره أم زبلٌ.

وقال أهل المعاني: وهذا المثل يلحق من لم يفهم معاني القرآن ولم يعمل به وأعرض عنه إعراض من لا يحتاج إليه[١].

(١) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ٤٤٩).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٦٨﴾ ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا نُودِىَ لِلصَّلَوٰةِ مِن يَوۡمِ ٱلۡجُمُعَةِ فَٱسۡعَوۡاْ إِلَىٰ ذِكۡرِ ٱللَّهِ﴾ [الجمعة: ٩]

فَاسْعَوْا: قال ابن كثير: «أي اقصدوا واعمدوا واهتموا في سيركم إليها، وليس المراد بالسعي هاهنا المشي السريع» ا.هـ[٣]

﴿٢٦٨﴾ قال القرطبيُّ: قوله تعالى: {فَاسْعَوْا إِلى ذِكْرِ اللَّهِ} اختُلف في معنى السَّعي هاهنا على ثلاثة أقوالٍ:

أوَّلها: القَصْد، قال الحسن: والله ما هو بسعيٍ على الأقدام، ولكنَّه سعيٌ بالقلوب والنِّيَّة.

الثَّاني: أنَّه العمل، كقوله تعالى: {وَمَنْ أَرادَ الْآخِرَةَ وَسَعى لَها سَعْيَها وَهُوَ مُؤْمِنٌ} [الاسراء: ١٩]، وقوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: ٤]، وقوله: {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسانِ إِلَّا مَا سَعى} [النجم: ٣٩]. وهذا قول الجمهور... أي: فاعملوا على المُضِيِّ إلى ذكر الله، واشْتَغِلوا بأسبابه من الغُسْل والتَّطْهير والتَّوَجُّه إليه.

الثَّالث: أنَّ المراد به السَّعيُ على الأقدام، وذلك فضلٌ وليس بشرطٍ، ففي البُخاريِّ: أنَّ أَبَا عبس بن جَبْرٍ مشى إلى الجمعة راجلًا وقال: سمعتُ رسولَ الله صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «مَنِ اغْبَرَّتْ قَدَمَاهُ فِي سَبِيلِ اللهِ حَرَّمَهُ اللهُ عَلَى النَّارِ».

ويَحتمِل ظاهره رابعًا: وهو الجري والاشتداد، قال ابن العربيِّ: وهو الَّذي أنكره الصَّحابة الأعلمون والفقهاء الأقدمون.

وقرأها عُمر: (فامضوا إلى ذكر الله) فرارًا عن طريق الجري والاشتداد الَّذي يدلُّ على الظَّاهِر.

وقرأ ابن مسعودٍ كذلك، وقال: لو قرأتُ (فَاسْعَوْا) لسعيتُ حتَّى يسقط ردائي.

وقرأ ابن شهابٍ: (فامضوا إلى ذكر الله) سالكًا تلك السَّبيل.

وهو كلُّه تفسيرٌ منهم، لا قراءة قرآنٍ مُنزَّلٍ، وجائزٌ قراءة القرآن بالتَّفسير في مَعرِض التَّفسير...

قلتُ: وممَّا يدلُّ على أنَّه ليس المراد هاهنا العَدْو قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «إِذَا أُقِيمَتِ الصَّلَاةُ فَلَا تَأْتُوهَا تَسْعَوْنَ وَلَكِنِ ائْتُوهَا وَعَلَيْكُمُ السَّكِينَةُ».

www.alukah.net
شبكة الألوكة

قال الحسن: أما والله ما هو بالسَّعي على الأقدام، ولقد نُهُوا أن يأتوا الصَّلاة إلَّا وعليهم السَّكينة والوقار، ولكن بالقلوب والنِّيَّة والخشوع.

وقال قتادة: السَّعي أن تسعى بقلبك وعملك. وهذا حسنٌ، فإنَّه جمع الأقوال الثَّلاثة[1].

وقال الواحديُّ: قوله تعالى: {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}

[أ] قال ابن عبَّاسٍ: فامْضُوا. وقال مقاتلٌ: فامْشُوا.

وعلى هذا معنى السَّعي والذَّهاب في معنًى واحدٍ؛ لأنَّك تقول: فلانٌ يسعى في الأرض يبتغي الرِّزْق وليس هذا باشتدادٍ، ويدلُّ على هذا قراءة عُمَر، وابن مسعودٍ (فامضوا إلى ذكر الله).

وقال ابن جُريجٍ: قلت لعطاءٍ {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}؟ قال: الذَّهاب والمشي، يُقال: سعى إلى بني فلانٍ، وإنَّما هي مشي.

[ب] وقال الزَّجَّاج: معناه: فاقْصِدوا، وليس معناه العَدْو، وهذا معنى قول الحسن، قال: والله ما هو سعيٌ على الأقدام، ولكنَّه سعيٌ بالقلوب، وسعيٌ بالنِّيَّة، وسعيٌ بالرَّغبة، ونحو هذا.

قال قتادة: السَّعْي أن تسعى بقلبك وعملك، وهو المشي إليها.

[ج] وحمل قومٌ السَّعي هاهنا على العمل، قال محمَّد بن كعبٍ: السَّعي: العمل، وهو مذهب مالكٍ والشَّافعيّ.

قال مالكٌ: السَّعيُ في كتاب الله العمل والفعل، واحتجَّ بقوله: {وَإِذَا تَوَلَّى سَعَى فِي الْأَرْضِ} [البقرة: ٢٠٥]، وقوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى} [الليل: ٤] قال: فليس السَّعي الَّذي ذكر الله في كتابه بالسَّعي على الأقدام ولا بالاشتدادِ، وإنَّما ذلك الفعل والعمل.

أخبرنا أحمد بن الحسن الحرشيُّ، حدَّثنا محمَّد بن يعقوب أخبرنا الرَّبيع قال: قال الشَّافعيُّ: السَّعي في هذا الموضع هو العمل، وتلا قوله: {إِنَّ سَعْيَكُمْ لَشَتَّى}، {وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى} [النجم: ٣٩].

---

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١٨/ ١٠١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

ويكون المعنى على هذا: فاعملوا على المُضِيِّ إلى ذكر الله، من التَّفرُّغ له، والاشتغال بأسبابه من الطَّهارة والغُسل، والتَّوجُّه إليه بالقَصْد والنِّيَّة.

[د] وذهب قومٌ إلى السَّعي الَّذي هو سرعة المشي، ورُوي ذلك عن عبد الله بن الصَّامت أنَّه بينما هو يمشي إلى الجمعة سمع المؤذِّن يُؤذِّن فرفع في مشيه لقول الله {فَاسْعَوْا إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}.

وروى عمران بن الخيَّاط أنَّ إبراهيم كان يسعى يوم الجمعة.

وهذا كأنَّه ليس بالوجه؛ لما رُوي أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال: «إذا أتيتم الصَّلاة فلا تأتوها وأنتم تسعون، ولكن ائتوها وعليكم السَّكينة». فنهى عن السَّعْي في الإتيان إلى الصَّلاة، فدلَّ أنَّ السَّعي المأمور به في الآية غير هذا الَّذي نهى عنه النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم.

غير أنَّه يُحتمَل أن يُقال: صلاة الجمعة مخصوصةٌ بجواز السَّعي إليها للآية، وغيرها من الصَّلاة تؤتى بالسَّكينة.

والوجه الأقوال المُتقدِّمة[1].

(١) «التَّفسير البسيط» (٢١/ ٤٥٤).

﴿٢٦٩﴾ ﴿وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ بُيُوتِهِنَّ﴾
[الطلاق:١]

بُيُوتهنَ: أي بيوتكم وإنما أُضيفت البيوت إلى المطلقات وهي لأزواجهن لتأكيد النهي ببيان كمال استحقاقهن لسكناها كأنها أملاكهن[1].

﴿٢٦٩﴾ {مِنْ بُيُوتِهِنَّ} من مساكنِهنَّ الَّتي يسكُنَّها قبل العِدَّة، وهي بيوت الأزواج، وأُضيفت إليهنَّ لاختصاصها بهنَّ من حيث السُّكْنى[1].

فهو إضافة إسكانٍ، وليس إضافة تمليكٍ[2].

وكأنَّه عبَّر بذلك إشارةً إلى أنَّ استحقاقها لإيفاء العِدَّة به في العظمة كاستحقاق المالك، ولأنَّها كانت في حال العصمة كأنَّها مالكةٌ له، فليس من المروءة إظهار الجفاء بمنعها منه[3].

(١) «الكشَّاف» (٤/ ٥٥٤).

(٢) «تفسير القُرطبيّ» (١٨/ ١٥٤).

(٣) «نظم الدُّرر» (٢٠/ ١٤٣).

﴿٢٧٠﴾ ﴿وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ﴾

[الطلاق ١]

فهم بعض الناس أن المطلقة الرجعية لا تخرج من بيت زوجها إلا إذا اقترفت الفاحشة وهي الزنا، والصواب أن المراد بالفاحشة هنا كل أمر قبيح واضح يدخل الضرر على أهل البيت، كالأذى بالأقوال والأفعال الفاحشة[٢].

﴿٢٧٠﴾ قال قومٌ: (الفاحشة) إذا وردت مُعرَّفةً فهي الزِّنا واللُّواط.

وإذا وردت مُنكَّرةً فهي سائر المعاصي، كلُّ ما يُستفحَش.

وإذا وردت موصوفةً بالبيان [مثل: {فاحشةٍ مبيِّنةٍ}] فهي عقوق الزَّوْج وفساد عشرته، ولذلك يصفها بالبيان إذ لا يُمكن سترُها، والزِّنا وغيره هو ممَّا يُتستَّر به ولا يكون مُبيَّنًا[١].[٢]

(١) «المحرَّر الوجيز» (٤/ ٣٨١).

(٢) ويُنظر معنى الفاحشة في قوله تعالى: {وَإِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً قَالُوا وَجَدْنَا عَلَيْهَا آبَاءَنَا وَاللهُ أَمَرَنَا بِهَا} رقم (٧٠).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٧١﴾ ﴿فَمَن يَأْتِيكُم بِمَآءٍ مَّعِينٍ﴾ [الملك: ٣٠]

ماء معين: أي ماء يسهل الحصول عليه تراه العين وتناله اليد[١]، وليس المراد بالمعين: العذب الصافي.

﴿٢٧١﴾ {قُلْ أَرَأَيْتُمْ إِنْ أَصْبَحَ مَاؤُكُمْ غَوْرًا فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ مَعِينٍ} [الملك: ٣٠]

قوله: {غَوْرًا} أي: ذاهبًا في الأرض؛ يُقال: غار الماء يَغُور غَوْرًا: إذا نَضَب وذهب في الأرض. والغَوْر هاهنا بمعنى: الغائر، سُمِّي بالمصدر. يُقال: رجلٌ ضَيْفٌ وعَدْلٌ وزُورٌ[١].

قال ابن عطيَّة: المَعِين: (فَعِيل) من مَعَنَ الماء: إذا كَثُر، أو (مفعول) من العَيْن، أي: جارٍ كالعين، أصله (مَعْيُون)، وقيل: هو من العين، لكن من حيث يُرى بعين الإنسان، لا من حيث يُشبَّه بالعين الجارية.

وقال ابن عبَّاسٍ: مَعِينٍ: عَذْبٍ.

وعنه في كتاب الثَّعلبيّ: مَعِينٍ: جارٍ.

وفي كتاب النَّقَّاش: مَعِينٍ: ظاهرٍ[٢].

* ووجه المُقابَلة بين الماء الغائر البعيد في الأرض والماء القريب الَّذي تراه العين ظاهرٌ.

أمَّا القول بأنَّ التَّفسير المنسوب لابن عبَّاسٍ -أنَّ المَعِين هو العَذْب- خطأٌ فلم أقف عليه، بل أورده جمعٌ من المفسِّرين وجهًا مُحتمَلًا في تفسير الآية، وهو تفسيرٌ موافقٌ للُّغة أيضًا:

قال ابن سِيدَه: المَعْنُ والمَعِينُ: الماء السَّائل، وقيل: الجاري على وجه الأرض. وقيل: الماء العَذْب الغزير[٣].

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٦٥).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٣٤٤).

(٣) «المُحكَم» (٢/ ٢٠٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٧٢﴾ ﴿إِنَّا بَلَوْنَٰهُمْ كَمَا بَلَوْنَآ أَصْحَٰبَ ٱلْجَنَّةِ إِذْ أَقْسَمُوا۟ لَيَصْرِمُنَّهَا مُصْبِحِينَ﴾ [القلم ١٧]

أصحاب الجنة أي أصحاب الحديقة، ومع أنه لا يحتمل السياق إلا ذلك إلا أني ذكرتها لئلا يتبادر إلى الذهن جنة الآخرة لمن لم يتأمل الآية أو يعرف القصة .

﴿٢٧٢﴾ أصحاب الجَنَّة فيما ذُكِر قومٌ إخوةٌ كان لأبيهم جنَّةٌ وحَرْثٌ مُغِلٌّ، فكان يُمسك منه قُوتَه، ويتصدَّق على المساكين بباقيه، فمات الشَّيخ، فقال ولده: نحن جماعةٌ، وفِعْل أبينا كان خطأً، فلنذهب إلى جنَّتنا ولا يدخلها علينا مسكينٌ، ولا نعطي منها شيئًا، قال: فبيَّتوا أمرهم وعزمهم على هذا، فبعث الله عليها باللَّيل طائفًا من نارٍ أو غير ذلك فاحترقت، فقيل: أصبحت سوداء، وقيل: بيضاء كالزَّرع اليابس المحصود، فلمَّا أصبحوا إلى جنَّتهم لم يَرَوْها فحسبوا أنَّهم قد أخطؤوا الطَّريق، ثمَّ تبيَّنوها، فعلموا أنَّ الله تعالى أصابهم فيها، فتابوا حينئذٍ وأنابوا، وكانوا مؤمنين من أهل الكتاب.

فشبَّه الله تعالى قريشًا بهم، في أنَّهم امتحنهم بمحمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلم وهداه، كما امتحن أولئك بفعل أبيهم وبأوامر شرعهم، فكما حلَّ بأولئك العقاب في جنَّتهم كذلك يحلُّ بهؤلاء في جميع دُنياهم وفي حياتهم، ثمَّ التَّوبة معروضةٌ لمن بقي منهم كما تاب أولئك.

وقال كثيرٌ من المفسِّرين: السُّنون السَّبع الَّتي أصابت قريشًا هي بمثابة ما أصاب أولئك في جنَّتهم[1].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٣٤٩).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٧٣﴾ ﴿قَالَ أَوْسَطُهُمْ أَلَمْ أَقُل لَّكُمْ لَوْلَا تُسَبِّحُونَ﴾ [القلم:٢٨]

أوسطهم أي أعدلهم[٢] وأفضلهم وخيرهم وليس المراد أوسطهم في السنّ، ومثله قوله تعالى: ﴿وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا﴾.

﴿٢٧٣﴾ {قَالَ أَوْسَطُهُمْ} يعني: أَعْدَلَهم في قول جميع المفسِّرين.

قال ابن عبَّاسٍ: هو كقوله: {مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ} [المائدة: ٨٩]، وكقوله: {أُمَّةً وَسَطًا} [البقرة: ١٤٣][١].

وقال أهل المعاني: لَمَّا صار ما بين الغُلوِّ والتَّقْصير خيرًا منهما صار الوَسَط والأوسط عبارةٌ عن كلِّ ما هو خيرٌ وإن لم يُتصَوَّر فيه الغُلوُّ والتَّقصير، حتَّى قالوا: هو من أوسطهم نسبًا، أي: خيرهم[٢].

* وذهب بعض المفسِّرين كالبيضاويِّ والفَيروزآبادي والبقاعيِّ وأبي السُّعود والألوسيِّ[٣] إلى أنَّ الوَسَط في السِّنِّ قولٌ مُحتمَلٌ أيضًا.

كما يُحتمل أنَّ {أوسطهم} كان وسطًا في الرَّأي والعقل ووسَطًا في السِّنِّ كذلك، ولا مانع من اجتماع هذه الأوصاف في شخصٍ واحدٍ.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ١٠٦).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٣/ ٣٧٣).

(٣) «أنوار التَّنزيل» (٥/ ٢٣٥)، «تنوير المقباس» (ص: ٤٨١)، «نظم الدُّرر» (٢٠/ ٣١٢)، «تفسير أبي السُّعود» (٩/ ١٦)، «روح المعاني» (١٥/ ٣٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٧٤ ﴿لِّلسَّآئِلِ وَٱلۡمَحۡرُومِ﴾ [المعارج ٢٥]

قال ابن عثيمين رحمه الله : «وأما المحروم فهو هذا السائل الذي حرم من المال وهو الفقير، وليس المراد بالمحروم البخيل كما يفهمه الكثير من العامة، لأن البخيل ليس له الحق في الإعطاء، إنما المراد بالمحروم من حرم المال وهو الفقير»[1].

٢٧٤ السَّائل: الَّذي يَسْتَعْطِي.

والمحروم لُغةً: الممنوع من الشَّيء[1].

قال ابن الجوزيّ: وفي {المحروم} ثمانية أقوالٍ:

أحدها: أنَّه الَّذي ليس له سهمٌ في فَيْء المسلمين، وهو المُحارَف، قاله ابن عبَّاسٍ.

وقال إبراهيم: هو الَّذي لا سهم له في الغنيمة.

والثَّاني: أنَّه الذي لا يَنْمَى له شيءٌ، قاله مجاهدٌ، وكذلك قال عطاءٌ: هو المحروم في الرِّزق والتِّجارة.

والثَّالث: أنَّه المسلم الفقير، قاله محمَّد بن عليٍّ.

والرَّابع: أنَّه المُتعفِّف الَّذي لا يَسأل شيئًا، قاله قتادة، والزُّهريُّ.

والخامس: أنَّه الَّذي يجيء بعد الغنيمة، وليس له فيها سهمٌ، قاله الحسن بن محمَّد ابن الحنفيَّة.

والسَّادس: أنَّه المصاب ثمرته وزرعه أو نسل ماشيته، قاله ابن زيدٍ.

والسَّابع: أنَّه المملوك، حكاه الماورديُّ.

والثَّامن: أنَّه الكَلْب، رُوي عن عمر بن عبد العزيز.

وكان الشَّعبيُّ يقول: أعياني أن أعلَم ما المحروم.

وأظهر الأقوال قول قتادة والزُّهريّ؛ لأنَّه قرنه بالسَّائل، والمُتعفِّف لا يَسأل -ولا يكاد النَّاس يُعطون من لا يَسأل- ثمَّ يتحفَّظ بالتعفُّف من ظُهور أثر الفاقة عليه، فيكون محرومًا من قِبَل نفسه حين لم يَسأل، ومن قِبَل النَّاس حين لا يُعطونه، وإنَّما يَفطِن له مُتيقِّظٌ[1].

---

(١) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٢).

قال الطَّبريُّ: والصَّواب من القول في ذلك عندي أنَّه الَّذي قد حُرم الرِّزق واحتاج، وقد يكون ذلك بذَهاب ماله وثمره، فصار ممَّن حرمه الله ذلك، وقد يكون بسبب تَعفُّفه وتركه المسألة، ويكون بأنَّه لا سهم له في الغنيمة لغيبته عن الوقعة، **فلا قول في ذلك أولى بالصَّواب من أن تَعُمَّ**، كما قال جلَّ ثناؤه {وَفِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ لِلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ}[٢].

وقال أبو حيَّان: **وكلُّ هذه الأقوال على سبيل التَّمثيل لا التَّعيين، ويجمعها: أنَّه الَّذي لا مال له لحرمانٍ أصابه**[٣].

وقال الشَّوكانيُّ: والَّذي ينبغي التَّعْوِيل عليه ما يدلُّ عليه المعنى اللُّغويُّ، والمحروم في اللُّغة: الممنوع، من الحرمان وهو المنع، فيدخل تحته من حُرِم الرِّزقَ من الأصل، ومَن أُصِيب مالُه بجَائِحَةٍ أذهبته، ومَن حُرِم العطاء، ومَن حُرِم الصَّدقة لتعفُّفه[٤].

---

(١) «زاد المسير» (٤/ ١٦٩).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٢٢/ ٤١٨).

(٣) «البحر المحيط» (٩/ ٥٥٢).

(٤) «فتح القدير» (٥/ ١٠١).

﴿عَلَىٰٓ أَن نُّبَدِّلَ خَيْرًا مِّنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ﴾ [المعارج: ٤١]

وما نحن بمسبوقين أي لن يعجزنا ولن يفُوتنا أحدٌ من هؤلاء الكفار[٢]، وليس معناها أنه لن يسبقنا أحد في تبديلهم، ومثله قوله تعالى: ﴿أَمْ حَسِبَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلسَّيِّـَٔاتِ أَن يَسْبِقُونَا﴾ أي يفوتونا ويعجزونا[٣].

٢٧٥ {نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ* عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنْشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ} [الواقعة: ٦٠، ٦١]

{فَلَا أُقْسِمُ بِرَبِّ الْمَشَارِقِ وَالْمَغَارِبِ إِنَّا لَقَادِرُونَ * عَلَى أَنْ نُبَدِّلَ خَيْرًا مِنْهُمْ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ} [المعارج: ٤١]

{وَمَا نَحن بمسبوقين} أي: بمغلوبين.

قال الفَرَّاء: معناه: إذا أردنا أن نعيدَكم لم يسبقنا سابقٌ، ولم يفُتْنا شيءٌ.

ويُقال: لو أراد غيرنا أن يفعل مثل فعلنا لعجز عنه، تقول العرب: ما أُسبَق في هذا الفعل أي: لا يفعل مثلَ فعلي أحدٌ[١].

يُقال: سبقته على الشَّيء: أعجزته عنه وغلبته عليه ولم تمكِّنه منه، والمعنى: {وما نحن بمسبوقين على أن نُبدِّل أمثالَكم}: أي: نحن قادرون على ذلك، لا تغلبوننا عليه إن أردنا ذلك[٢].

فالسَّبْق: **مجازٌ من الغلبة والتَّعجيز**؛ لأنَّ السَّبْق يستلزمُ أنَّ السَّابق غالبٌ للمسبوق، فالمعنى: وما نحن بمغلوبين[٣].

قال الألوسيُّ: فالسَّبق مجازٌ عن الغلبة؛ استعارةٌ تصريحيَّةٌ، أو مجازٌ مُرسَلٌ عن لازمه، **وظاهر كلام بعض الأجلَّة أنَّه حقيقةٌ في ذلك إذا تعدَّى بـ(على)**[٤].

---

(١) «تفسير السَّمعانيّ» (٥/ ٣٥٥).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٨٨).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٧/ ٣١٦).

(٤) «روح المعاني» (١٤/ ١٤٧).

* ولا أدري وجه تفريق المعدِّ بين قوله: (المعنى: لن يفوتونا أحدٌ) وقوله: (وليس المعنى: أنَّه لن يسبقنا أحدٌ)، والسَّبْق والفَوْت بمعنًى واحدٍ عند اللُّغويِّين والمفسِّرين!

يُقال: فاتَني كَذَا، أَي: سَبَقَني[1].

وقوله تعالى: {أَنْ يَسْبِقُونَا} قال ابن عبَّاسٍ والمفسِّرون: أن يفوتونا.

وقال مجاهدٌ: أن يُعجِزونا.

والمعنى: أن يفوتونا فَوْتَ السَّابق لغيره[2].

وقال السَّمعانيُّ: وَقَوله: {أَن يسبقونا} أَن يفوتونا، وَمن سبق شَيْئًا فقد فاته[3].

وقال البقاعيُّ: {أن يسبقونا} أي: يفوتونا فوت السَّابق لغيره، فيعجزونا فلا نقدر عليهم[4].

* وقوله تعالى: {على أن نُبدِّل أمثالَكم} أي: لو شئنا أن نميتكم ونخلق أمثالكم لقدرنا عليه.

وقوله: {وننشئكم فِيمَا لَا تعلمُونَ} من الهيئة والصُّورة، أي: لو شئنا فعلنا ذلك. ويُقال: أن نجعلكم في صورة القردة والحنازير. ويُقال: ننشئكم من مكان لا تعلمون، أي: في عالمٍ لا تعلمونه[5].

وقوله: {إنَّا لقادرون على أَن نُبدِّل خيرًا مِنْهُم} أي: أطوع لله منهم، وأَمْثَل منهم[6].

---

(١) «لسان العرب» (فوت).

(٢) «التَّفسير البسيط» (١٧/ ٤٩٣).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٤/ ١٦٧).

(٤) «نظم الدُّرر» (١٤/ ٣٩٢).

(٥) «تفسير السَّمعانيّ» (٥/ ٣٥٥).

(٦) «تفسير السَّمعانيّ» (٦/ ٥٢).

﴿ وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا ﴾ [الجن: ٣]

أي تعالت عظمة ربنا وجلاله وغناه[1]، وليس معنى الجد هنا ضد الهزل.

٢٧٦ اختلفوا في معنى قوله: {جَدُّ ربِّنا}: فالأكثرون على أنَّ المعنى: جلال ربِّنا وعظمته، وهو قول مجاهدٍ، ومقاتلٍ، وعكرمة، وقتادة، والمبرِّد، والزَّجَّاج، وجميع أصحاب العربيَّة.

والجَدُّ معناه في اللُّغة: العظمة، يُقال: جَدَّ فلانٌ، أي: عَظُم، ومنه الحديث: «كان الرَّجُل إذا قرأ سورة البقرة جَدَّ فينا» أي: جلَّ قدرُه وعَظُم.

وقال الحسن {جدُّ ربِّنا} أغناه، والجَدُّ يكون بمعنى: الغنى، ومنه الحديث: «لا ينفع ذا الجَدِّ منك الجَدُّ»، وكذلك الحديث الآخر: «قمتُ على باب الجنَّة فإذا عامَّة من يدخلها الفقراء، وإذا أصحاب الجَدِّ محبوسون» يعني: ذوي الحظِّ في الدُّنيا.

وجميع ما ذُكر من الأقوال يعود إلى معنى القولين اللَّذين ذكرنا:

رُوي عن قتادة: تعالى أمره.

قال أبو عُبيدة: مُلْكه وسُلطانه.

وعن القُرظيِّ: آلاؤه ونعمه.

وعن مجاهد: ذِكْرُه.

وكلُّ هذا معناه يعود إلى جلاله وعظمته، وغناه[1].

* أمَّا الجِدُّ بكسر الجيم: فهو الاجتهاد في الأمر، وضِدُّ الهَزْل[2].

يُقال: جَدَّ في كلامه جَدًّا ضِدُّ هَزَلَ، والاسم منه الجِدُّ بالكسر، ومنه قوله عليه الصَّلاة والسَّلام: «ثَلَاثٌ جِدُّهُنَّ جِدٌّ، وَهَزْلُهُنَّ جِدٌّ»[3].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٢٨٤).

(٢) «القاموس المحيط» (جدد).

(٣) «المصباح المنير» (جدد).

وقراءة عكرمة: (جِدُّ) بكسر الجيم: على ضدِّ الهَزْل[1].

(١) «تفسير القُرطبيّ» (١٩/ ٨).

﴿٢٧٧﴾ ﴿وَأَنَّا لَمَسْنَا ٱلسَّمَآءَ فَوَجَدْنَٰهَا مُلِئَتْ حَرَسًا شَدِيدًا وَشُهُبًا﴾ [الجن: ٨]

لَمَسْنَا: أي تحققنا وطلبنا خبرها[٢] وليس معناها: لمسناها بأيدينا حقيقة.

﴿٢٧٧﴾ قال الرَّاغب: اللَّمْسُ: إدراك بظاهر البَشَرَة، كالمسِّ، ويُعبَّر به عن الطَّلب، كقول الشَّاعر:

وألمسه فلا أَجدُه[١].

وقال الزَّمخشريُّ: اللَّمس: المَسُّ، فاستُعير للطَّلب؛ لأنَّ الماسَّ طالبٌ مُتَعَرِّفٌ، قال:

مَسسْنَا من الآباءِ شيئًا وكلُّنا .:. إلى نسبٍ في قومِه غير واضعِ

يقال: لَمَسَه والْتَمَسَه وتَلَمَّسَه، كطَلَبَه وأَطْلَبَه وتَطَلَّبَه، ونحوه: الجَسُّ، وقولهم: جَسُّوه بأعينهم وتَجَسَّسُوه[٢].

وقال ابن عاشورٍ: اللَّمس: حقيقته الجسُّ باليد، ويُطلق مجازًا على اختبار أمرٍ؛ لأنَّ إحساس اليد أقوى إحساسٍ، فشُبِّه به الاختبار على طريق الاستعارة[٣].

*قال الماورديُّ: {وأنَّا لَمَسْنَا السَّمَاءَ} فيه وجهان:

أحدهما: طلبنا السَّماءَ، **والعرب تُعبِّر عن الطَّلب باللَّمس، تقول: جئتُ ألمس الرِّزق وألتمس الرِّزق.**

الثَّاني: قاربنا السَّماء، فإنَّ الملموس مُقارَبٌ[٤].

وقال أبو عليٍّ الفارسيُّ: اللَّمس يكون باليد، وقد اتُّسع فيه فأُوقع على غيره.

فممَّا جاء يُراد به مسٌّ باليد قوله:

ولا تَلمسِ الأفعى يداكَ تنوشها .:. ودَعْها إذا ما غيَّبتها سَفاتُها[١]

---

(١) «المفردات» (ص: ٧٤٧).

(٢) «الكشَّاف» (٤/ ٦٢٤).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٩/ ٢٢٧).

(٤) «النُّكَت والعيون» (٦/ ١١١).

وممَّا جاء يُراد به غير اللَّمس بالجارحة قوله تعالى: {وأنَّا لمسنا السَّماء فوجدناها}

تأويله: عالجنا غيب السَّماء ورُمْنَاه لنسترقه فنُلقيه إلى الكهنة ونخبرهم به.

ولَمَّا كان اللَّمسُ قد يكون غير المباشرة بالجارحة قال: {ولو نزَّلنا عليك كتابًا في قِرْطاسٍ فلمسوه بأيديهم} [الأنعام: ٧] فخُصِّص باليد لئلَّا يلتبس بالوجه الآخر[٢].

(١) السَّفَى: التُّراب.

(٢) «الحُجَّة» (٣/ ١٦٣).

٢٧٨ ﴿إِنَّ لَكَ فِي ٱلنَّهَارِ سَبۡحٗا طَوِيلٗا﴾ [المزمل: ٧]

سَبْحاً: ليس من التسبيح والصلاة بل معناه: فراغًا وسعة لنومك وتصرفك وترددًا في حوائجك، فصلِّ من الليل[٣].

٢٧٨ قوله تعالى: {إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ سَبْحًا طَوِيلًا} قال جماعةٌ من المفسِّرين: فراغًا طويلًا، وسعةً لتصرُّفك، وقضاء حوائجك.

والمعنى: **إنَّ لك في النَّهار فراغًا للنَّوم والتَّصرُّف في الحوائج، فصلِّ من اللَّيل. هذا قول أهل التَّفسير.**

قال أبو عُبيدة: {سَبْحًا طَوِيلًا}: مُنقلبًا طويلًا.

وقال المبرِّد: تقلُّبًا فيما تُحبُّ، قال: وبهذا سُمِّي السَّابح لتقلُّبه بيديه ورجليه.

وقال ابن قُتيبة: أي: تصرُّفًا، وإقبالًا وإدبارًا في حوائجك وأشغالك.

ونحو هذا قال الفرَّاء، والزَّجَّاج[١].

قال الألوسيُّ: وأصل السَّبْح المَرُّ السَّريع في الماء، فاستُعير للذَّهاب مُطلقًا، كما قاله الرَّاغب، وأنشدوا قول الشَّاعر:

أباحوا لكم شرقَ البلادِ وغربِها .:. ففيها لكمْ يا صاحِ سَبْحٌ من السَّبْحِ[٢].

وقال ابن عاشور: والسَّبح: أصله العَوْم، أي: السُّلوك بالجسم في ماءٍ كثيرٍ، وهو مُستَعارٌ هنا للتَّصرُّف السَّهل المُتَّسِع الَّذي يُشبِه حركة السَّابح في الماء، فإنَّه لا يعترضه ما يعوق جولانه على وجه الماء ولا إعياء السَّير في الأرض.

وقريبٌ من هذه الاستعارة استعارة السَّبح لجري الفَرَس دون كُلْفةٍ[٣].

* قال أبو حيَّان: قرأ الجمهور: سَبْحًا: أي: تَصرُّفًا وتَقلُّبًا في المُهمَّات، كما يتردَّد السَّابح في الماء...

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٣٦٤).

(٢) «روح المعاني» (١٥/ ١١٧).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٩/ ٢٦٤).

وقيل: سَبْحًا: سُبْحَةً، أي: نافلةً[1].

(١) «البحر المحيط» (١٠/ ٣١٥).

﴿٢٧٩﴾ ﴿فَإِذَا نُقِرَ فِي النَّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨]

المعروف أن النقر هو القرع الخفيف، ولكن النقر هنا بمعنى النفخ في الناقور - وهو الصور- النفخة الثانية، فالنقر في كلام العرب: الصوت[١].

﴿٢٧٩﴾ النَّاقور: الصُّور في قول جميع أهل اللُّغة والتَّفسير[١].

عن عبد الله بن عمرو بن العاص، قال: جاء أعرابيٌّ إلى النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، فقال: ما الصُّورُ؟ قال: «قَرْنٌ يُنْفَخُ فِيهِ». رواه التِّرمذيُّ.

قال ابن فارسٍ: (نَقَرَ) النُّون والقاف والرَّاء أَصْلٌ صحيحٌ يدلُّ على قَرْع شيءٍ حتَّى تُهْزَم فيه هَزْمَةٌ، ثمَّ يُتوسَّع فيه.

منه مِنْقَار الطَّائر؛ لأنَّه يَنقُر به الشَّيء حتَّى يُؤثِّر فيه.

ومن الباب: نَقَّرْتُ عن الأمر حتَّى علمته، وذلك بحثك عنه، كأنَّ علمك به نَقْرٌ فِيهِ...

والنَّقير: نُكْتَةٌ في ظَهْر النَّوَاة...

والنَّاقُور: الصُّور الَّذي ينفخ فيه المَلَك يوم القيامة، **وهو يَنْقُر العالمين بقرعه**[٢].

وقال السَّمين الحلبيُّ: وأصل إطلاق النَّقْر على النَّفْخ، وتسمية الصُّور ناقورًا، أي: منفوخًا فيه -والله أعلم- من قولهم: نَقَرْتُ الرَّجُل: إذا صوَّت له بلسانك، وذلك بأن تُلْصِق بلسانك نُقْرَةَ حنكك، فشُبِّه النَّافخ بذلك[٣].

وقال الألوسيُّ: {فَإِذا نُقِرَ} أي: نُفِخ {فِي النَّاقُورِ} في الصُّور، وهو (فاعول) من النَّقْر بمعنى التَّصويت، وأصله القَرْع الَّذي هو سببه، ومنه منقار الطَّائر لأنَّه يَقْرَع به، ولهذه السَّببيَّة تُجوِّز به عنه وشاع ذلك، وأُريد به النَّفخ لأنَّه نوعٌ منه[٤].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٤١٢).

(٢) «مقاييس اللُّغة» (نقر).

(٣) «عمدة الحفَّاظ» (٤/ ٢١٣).

(٤) «روح المعاني» (١٥/ ١٣٤).

* فسُمِّي النَّفْخ في الصُّور نَقْرًا:

إمَّا لأنَّ الصَّوت النَّاتج عنه يَنْقُر العالمين بقرعه المُفْزِع.

وإمَّا لأنَّ النَّافخ يُشبِه هيئة النَّاقر المُصوِّت بلسانه.

وإمَّا لأنَّ النَّقْر سببٌ في التَّصويت، فأُطلِق على التَّصْويتِ نَقْرٌ، ولَمَّا كان النَّفْخ نوع تصويتٍ أُطلق عليه نقرٌ أيضًا.

* واختُلف في أنَّ المراد بذلك الوقت يوم النَّفخة الأولى أو يوم النَّفخة الثَّانية، ورُجِّح أنَّه يوم الثَّانية؛ لأنَّه الَّذي يختصُّ عسره بالكافرين، وأمَّا وقت النَّفخة الأولى فحكمه الَّذي هو الإصعاق يعمُّ البرَّ والفاجر، وهو على المشهور مختصٌّ بمن كان حيًّا عند وقوع النَّفخة[1].

(١) «روح المعاني» (١٥/ ١٣٥).

٢٨٠ ﴿لَآ أُقۡسِمُ﴾ [القيامة: ١]

اتفق العلماء أن معنى «لا أقسم» : أي أقسم[٢]، وحرف «لا» هنا قيل أنه زائد وقيل للتوكيد كقولك «لا والله سأفعل».

٢٨٠ * نقل عددٌ من المفسِّرين الإجماع على أنَّ تفسير قوله تعالى {لا أُقْسِم} هو أُقْسِم:

قال الطَّبريُّ: إنَّ الجميع من الحُجَّة مُجمِعون على أنَّ قوله: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} قَسَمٌ[١].

وقال السَّمرقنديُّ: قوله تعالى: {لا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيامَةِ} أجمع أهل التَّفسير أنَّ معناه أُقْسِم[٢].

وقال الواحديُّ: {لَا أُقْسِمُ بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ} لا اختلاف بين المفسِّرين وأهل المعاني أنَّ المراد: أقسم بيوم القيامة[٣].

وقال: قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: أقسم بالقيامة. وهو قول الجميع[٤].

وقال أيضًا: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} أجمع المفسِّرون على أنَّ هذا قَسَمٌ بالبلد الحرام[٥].

* وذكر المفسِّرون عددًا من التَّوجيهات في (لا)، فقالوا:

- إدخالُ (لَا) النَّافيةِ عَلى فعلِ القَسَمِ شائعٌ، وفائدتُها توكيدُ القَسَمِ.
- وقالوا: إنَّها صلةٌ [أي: زائدةٌ] مثلها في قولِه تعالى: {لِئَلَّا يَعْلَمَ أَهْلُ الكتابِ}.

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (٢٤/ ٤٩).

(٢) «تفسير السَّمرقنديّ» (٣/ ٥٢٠).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٤٧١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٤٧٥).

(٥) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٧).

- وقيل: هي للنَّفي لكن لا لنفي نفس الإقسام، بل لنفي ما يُنبئ هو عنه من إعظام المقسَم به وتفخيمه، كأنَّ معنى (لا أقسم بكذا): لا أُعظِّمه بإقسامِي به حَقَّ إعظامه، فإنَّه حقيقٌ بأكثر من ذلك وأكثر.

- وقيل: إنَّ (لا) نفيٌ وَرَدَ لكلامٍ معهودٍ قبلَ القَسَمِ، كأنَّهم أنكرُوا البعث، فقيل: لا، أي: ليس الأمر كذلك، ثمَّ قيل: أقسم بيوم القيامة، كقولك: لا والله إنَّ البعثَ حقٌّ[1].

- وقيل: إنَّ اللَّام لام الابتداء أُشبِعت فتحتها، والعرب رُبَّما أشبعت الفتحة بألفٍ، والكسرة بياءٍ، والضَّمَّة بواوٍ[2].

وقد أطنب الشَّيخ الشِّنقيطيُّ رحمه الله في عرض هذه الأقوال وضعَّف بعضَها[3].

* وخالف بعض المفسِّرين فذهبوا إلى أنَّ {لا أُقْسِم}هو نفيٌ للقَسَم:

قال أبو مُسلمٍ وجمعٌ: إنَّ الكلام على ظاهره المتبادر منه، والمعنى: لا أُقْسِم إذ الأمر أوضح من أن يحتاج إلى قسمٍ، أي: لا يحتاج إلى قسمٍ ما، فضلًا عن أنَّ هذا القسم العظيمٌ[4].

وقال الرَّازيُّ: وهو الأصحُّ[5].

* وممَّا يُمكن أن يُعترض به على هذا القول:

أنَّ الله تعالى لَمَّا قال: {فَلَا أُقْسِمُ بِمَوَاقِعِ النُّجُومِ} [الواقعة: ٧٥] سمَّى ذلك بعده مباشرةً قَسَمًا فقال: {وَإِنَّهُ لَقَسَمٌ لَوْ تَعْلَمُونَ عَظِيمٌ} [الواقعة: ٧٦][6].

---

(١) «تفسير أبي السُّعود» (٩/ ٦٤).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٩١)، «دفع إيهام الاضطراب» (ص: ٢٦٦).

(٣) يُنظر «دفع إيهام الاضطراب» (ص: ٢٦٣).

(٤) «روح المعاني» (١٤/ ١٥١).

(٥) «مفاتيح الغيب» (٣٠/ ٧٢٠).

(٦) يُنظر: «تفسير القُرطبيّ» (١٧/ ٢٢٣).

وقدْ قال تعالى: {لَا أُقْسِمُ بِهَذَا الْبَلَدِ} [البلد: ١] فلو كان هذا نفيًا للقَسَم فقد أقسم الله تعالى بهذا البلد فقال: {وَهَذَا الْبَلَدِ الْأَمِينِ} [التين: ٣]، فصحَّ أنَّ {لا أُقْسِم} قَسَمٌ.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٨١﴾ ﴿بَلْ يُرِيدُ ٱلْإِنسَٰنُ لِيَفْجُرَ أَمَامَهُۥ﴾ [القيامة: ٥]

أي يريد أن يبقى فاجرًا فيما بقي من العمر وما يستقبل من الزمان، قال ابن جبير: «يقدم الذنب ويؤخر التوبة . يقول : سوف أتوب سوف أتوب ؛ حتى يأتيه الموت على شرّ أحواله وأسوأ أعماله»[٣]

وليس معنى «ليفجر أمامه»: أنه يُهلك من أمامه.

﴿٢٨١﴾ {لِيَفْجُرَ أَمَامَهُ} قال ابن عبَّاسٍ في رواية سعيد بن جُبيرٍ: سوف أتوب.

وقال في رواية عطاءٍ والكلبيّ: يُقدِّم الذَّنب ويُؤخِّر التَّوبة، ونحوه قال مقاتلٌ.

وقال مجاهدٌ: راكبًا رأسه إلى المعاصي.

وقال قتادة وعكرمة: قُدُمًا قُدُمًا في معاصي الله، لا ينزع عن فجوره.

وهذه الأقوال معناها واحدٌ، أي: يُسوِّف التَّوبة، ويُقدِّم الأعمال السَّيِّئة.

ومعنى (يَفْجُر): يعصي ويخالف. ومنه الدُّعاء: (ونَتْرُكُ مَن يَفْجُرك).

و(أمامه) أي: فيما يُستقبَل.

والمعنى: **يريد أن يعصيَ ويكفر أبدًا ما عاش.**

قال الأنباريُّ: يريد أن يَفْجُر ما امتدَّ عمره، وليس في نيَّته أن يرتدَّ عن ذنبٍ يرتكبه.

وهذا معنى ما ذكره المفسِّرون.

وفي الآية قولٌ آخر: يُكذِّب بما أمامه من البعث والحساب. وهو قول ابن زيدٍ، واختيار أبي إسحاقٍ، وابن قُتيبة[١].

قال ابن قُتيبة: وفيه قولٌ آخر على طريق الإمكان -إن كان الله تعالى أراده- وهو: أن يكون الفُجور بمعنى: التَّكذيب بيوم القيامة، ومن كذَّب بحقٍّ فقد فَجَر.

وأصل الفُجُور: المَيْل، فقيل للكاذب والمكذِّب والفاسق: فاجرٌ؛ لأنَّه مال عن الحقِّ[٢].

ومنه وُصِفت اليمين الكاذبة بالفاجرة، فيكون فَجَرَ بمعنى: كَذَبَ وزنًا ومعنًى[٣].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ٤٨٠).

(٢) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٠٧).

(٣) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٩/ ٣٤١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* ولا أتصوَّر وُرُود ما ذكره المعدُّ من معنًى خاطئٍ على ذهن أحدٍ إلَّا أن يقرأها (ليُفَجِّر)، فيجمع بين خطأ النُّطق وخطأ الفهم!

أمَّا الفعل فَجَر يَفْجُر فُجُورًا بمعنى: الإتيان بذنبٍ عظيمٍ، فمشهورٌ ومستعملٌ بكثرةٍ في العامِّيَّة، فالقراءة الصَّحيحة للآية ستُؤدِّي إلى فهمٍ صحيحٍ غالبًا.

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٨٢﴾ قال الألوسيُّ: {فَإِذا بَرِقَ الْبَصَرُ} تحيَّرَ فَزَعًا.

وأصلُه من بَرِقَ الرَّجلُ: إذا نظر إلى البَرْق فدُهِش بصرُه، ومنه قول ذي الرُّمَّة:

ولو أنَّ لقمانَ الحكيمَ تعرَّضتْ .:.

لعينَيْهِ مَيٌّ سافرًا كادَ يَبْرَقُ

ونظيره: قَمِرَ الرَّجل: إذا نظر إلى القَمْر فدُهِش بصرُه، وكذلك ذَهِب وبَقِر للدَّهَش من النَّظر إلى الذَّهب والبَقَر، فهو استعارةٌ أو مجازٌ مرسَلٌ لاستعماله في لازمه أو في المطلق.

وقرأ نافعٌ وزيد بن ثابتٍ وزيد بن عليٍّ وأبانٌ عن عاصمٍ وهارون ومحبوبٌ كلاهما عن أبي عمرٍو وخلقٌ آخرون: (برَق) بفتح الرَّاء، فقيل: هي لغةٌ في (برِق) بالكسر، وقيل: هو **من البريق بمعنى: لَمَع من شدَّة شُخوصه**[1].

قال ابن عاشور: و(بَرِقَ) قرأه الجمهور بكسر الرَّاء، ومعناه: دُهِشَ وبُهِتَ، يُقال: بَرِقَ يَبْرَق فهو بَرِقٌ، من باب فَرِحَ، فهو من أحوال الإنسان، وإنَّما أُسنِد في الآية إلى البصر على سبيل المجاز العقليِّ تنزيلًا له منزلة مكان البرق؛ لأنَّه إذا بُهِت شَخَصَ بصرُه...

وقرأه نافعٌ وأبو جعفرٍ بفتح الرَّاء من البريق بمعنى: اللَّمعان، أي: لَمَعَ البصرُ من شدَّة شُخُوصه، ومضارعه: يَبْرُق بضمِّ الرَّاء، وإسناده إلى البصر حقيقةٌ.

ومآل معنى القراءتين واحدٌ وهو الكناية عن الفزع والرُّعب، كقوله تعالى: {وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ فَإِذا هِيَ شاخِصَةٌ أَبْصارُ الَّذِينَ كَفَرُوا} [الْأَنْبِيَاء: ٩٧][2].

وقال ابن عطيَّة: {برِق البصر} بكسر الرَّاء بمعنى: شَخَصَ وشقَّ وحار.

وقرأ نافعٌ وعاصمٌ بخلافٍ، وعبد الله بن أبي إسحاق وزيد بن ثابتٍ ونصر بن عاصمٍ: {برَق} بفتح الرَّاء، بمعنى: لَمَعَ وصار له بريقٌ وحارَ عند الموت.

﴿٢٨٢﴾ ﴿فَإِذَا بَرِقَ ٱلْبَصَرُ﴾ [القيامة: ٧]

أي شَخُص البصر وشق وتحيّر ولم يطرف من هول ما يرى[1]، وليس معناه لمع، وهذا يوم القيامة وقيل عند الموت.

(١) «روح المعاني» (١٥/ ١٥٤).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٢٩/ ٣٤٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

والمعنى مُتقاربٌ في القراءتين[1].

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٤٠٣). ويُنظر: «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٤٣٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٨٣﴾ {وَاذْكُرِ اسْمَ رَبِّكَ بُكْرَةً وَأَصِيلًا * وَمِنَ اللَّيْلِ فَاسْجُدْ لَهُ وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} [الإنسان: ٢٥، ٢٦]

﴿٢٨٣﴾ ﴿وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا﴾ [الإنسان: ٢٦]

أي صلّ لله[٢]، وليس المقصود ذكر اللسان ، هذا قول أكثر المفسرين.

عن ابن عبَّاسٍ، قال: **كلُّ تسبيحٍ في القرآن فهو صلاةٌ**[١].

وقال ابن عطيَّة: التَّسبيح هو الصَّلاة.

ويُحتمَل أن يُريد قول (سبحان الله).

وذهب قومٌ من أهل العلم إلى أنَّ هذه الآية إشارةٌ إلى الصَّلوات الخمس، منهم ابن حبيبٍ وغيرُه[٢].

وقال الماورديُّ: {واذكُر اسمَ رَبِّك بُكرَةً وأصيلًا} يعني: في أوَّل النَّهار وآخره، ففي أوَّله: صلاة الصُّبح، وفي آخره: صلاة الظُّهر والعصر. {ومِنَ اللَّيلِ فاسْجدْ له} يعني: صلاة المغرب والعشاء الآخرة. {وسَبِّحْهُ ليلًا طويلًا} يعني: التَّطوُّع من اللَّيل[٣].

وقال الخازن: {وَسَبِّحْهُ لَيْلًا طَوِيلًا} يعني: صلاة التَّطوُّع بعد المكتوبة، وهو التَّهجُّد باللَّيل.

وقيل: المراد من الآية هو الذِّكر باللِّسان.

والمقصود: أن يكون ذاكرًا لله تعالى في جميع الأوقات في اللَّيل والنَّهار بقلبه وبلسانه[٤].

---

(١) «تفسير الطَّبريّ» (١٩/ ١٩١).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٤١٤).

(٣) «النُّكَت والعيون» (٦/ ١٧٢).

(٤) «لُباب التَّأويل» (٤/ ٣٨١).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

﴿٢٨٤﴾ ﴿إِنَّهَا تَرْمِي بِشَرَرٍ كَالْقَصْرِ ۝٣٢ كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ صُفْرٌ﴾

[المرسلات: ٣٢، ٣٣]

صُفر: ليست على ظاهرها بأنها تشبه الجِمال الصفراء، فقد قال أكثر المفسرين أن «صُفر» بمعنى سُود سوادٌ يشوبه شيء من الصفرة وهذا يدل على أن النار مظلمة، لهبها وجمرها وشررها، وأنها سوداء، كريهة المرأى، شديدة الحرارة، نسأل الله العافية منها ومن الأعمال المقربة منها[1].

﴿٢٨٤﴾ (الجِمَالات): جمع: جِمَال، كما يُقال: رَجُلٌ ورِجَالات، وبُيُوتٌ وبِيُوتاتٌ.

ومَن قرأ: (جِمالة) فهي جمع: جَمَل، كما قالوا: حَجَر، وحِجارة، وذَكَر وذِكارة. هذا قول الفَرَّاء، والمبرِّد...

وقوله: {صُفْرٌ}

قال ابن عبَّاسٍ: يُريد: الإبل السُّود، يُقال له: أَوْرَق، وأَصْفَر.

قال الكلبيُّ: الصُّفْر: السُّود، وهو قول مقاتلٍ، وقتادة.

قال الفَرَّاء: الصُّفْر: سُود الإبل، ألا ترى أسوَدَ من الإبل إلَّا وهو مُشرَبٌ صُفْرةً، لذلك سمَّت العرب سودَ الإبل: صُفْرًا، كما سمَّوْا أبيض الظِّباء أُدْمًا لما يعلوها من الكُدْرة في بياضها. ونحو هذا قال الزَّجَّاج وغيره، وأنشدوا:

تِلْكَ خَيْلي منها وتِلْكَ ركابي .:. هُنَّ صُفْرٌ أولادُها كَالزَّبيبِ

أي: سودٌ[1].

* وقيل: صُفْرٌ على ظاهره؛ لأنَّ لون النَّار يضرب إلى الصُّفْرة[2]، أو لإنَّ الشَّرر لما فيه من النَّاريَّة والهوائيَّة يكون أصفر[3].

ويُجاب بأنَّ هذا الوصف بالصُّفْرة إن صحَّ في وصف نار الدُّنيا، فالأقرب أنَّه لا يصحُّ في وصف نار الآخرة؛ لأنَّها سوداء[1]، فعن أبي هريرة ﷺ، عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال:

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٣/ ٩٩).

(٢) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٤٤٣).

(٣) «روح المعاني» (١٥/ ١٩٥).

«أُوقِدَ عَلَى النَّارِ أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى احْمَرَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى ابْيَضَّتْ، ثُمَّ أُوقِدَ عَلَيْهَا أَلْفَ سَنَةٍ حَتَّى اسْوَدَّتْ فَهِيَ سَوْدَاءُ مُظْلِمَةٌ». رواه التِّرمذيُّ.

(١) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٤٤٣).

٢٨٥ ﴿ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَىٰ﴾ [النازعات: ٢٢]

يظن بعض الناس أن معنى يسعى أي أن فرعون ركض هاربا، وأكثر المفسرين على أن معناها : أدبر يسعى في الأرض مجتهدا في الإفساد[٢] مكايدة لموسى.

٢٨٥ {فَأَرَاهُ الْآيَةَ الْكُبْرَى * فَكَذَّبَ وَعَصَى * ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى * فَحَشَرَ فَنَادَى * فَقَالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلَى} [النازعات: ٢٠ - ٢٤]

قوله تعالى: {ثُمَّ أَدْبَرَ يَسْعَى} فيه وجوهٌ:

أحدها: أنَّه لَمَّا رأى الثُّعبان أدبر مرعوبًا يسعى يُسرِع في مشيه، قال الحسن: كان رَجُلًا طيَّاشًا خفيفًا.

وثانيها: تولَّى عن موسى يسعى ويجتهد في مكايدته.

وثالثها: أن يكون المعنى: ثمَّ أقبل يسعى، كما يُقال: فلانٌ أقبل يفعل كذا، بمعنى: أنشأ يفعل، فوضع (أدبر) موضع (أقبل)؛ لئلَّا يُوصَف بالإقبال[١].

قال أبو حيَّان: قيل: أدبر حقيقةً، أي: قام من مكانه فارًّا بنفسه.

وقال الجمهور: هو كنايةٌ عن إعراضه عن الإيمان.

يسعى: يجتهد في مكايدة موسى عليه السَّلام[٢].

وقال الألوسيُّ: {ثُمَّ أَدْبَرَ} تولَّى عن الطَّاعة {يَسْعَى} أي: ساعيًا مجتهدًا في إبطال أمره عليه السَّلام ومعارضة الآية، و{ثُمَّ} لأنَّ إبطال ذلك ونقضه يقتضي زمانًا طويلًا.

وجُوِّز أن يكون الإدبار على حقيقته، أي: ثمَّ انصرف عن المجلس ساعيًا في إبطال ذلك.

وقيل: أدبر يسعى هاربًا من الثُّعبان... وأنت تعلم أنَّ هذا إن كان بعد حشر السَّحرة للمُعارضة كما هو المشهور فلا تظهر صحَّة إرادته هاهنا إذا أُريد بالحشر بعد حشرهم، وإن كان بعد التَّكذيب والعصيان وقبل الحشر فلا يظهر تراخيه [يعني: باستخدم (ثمَّ)] عن الأَوَّلَيْن [يعني:

---

(١) «مفاتيح الغيب» (٣١/ ٤١).

(٢) «البحر المحيط» (١٠/ ٣٩٨).

الفعلين: كذَّب، وعصى]. نعم، قيل: إنَّ (ثُمَّ) عليه للدَّلالة على استبعاد إدباره مرعوبًا مُسرعًا مع زعمه الإلهيَّة.

وقيل: أُريد بقوله سبحانه {ثُمَّ أَدْبَرَ} ثمَّ أقبل يفعل، أي: أنشأ، لكن جُعل الإدبار موضع الإقبال تلميحًا وتنبيهًا على أنَّه كان عليه دمارًا وإدبارًا[1].

وقال ابن عاشورٍ: الإدبار والسَّعي مستعملان في معنييهما المجازيَّين، فإنَّ حقيقة الإدبار هو المشي إلى الجهة الَّتي هي خلف الماشي، بأن يكون مُتوجِّهًا إلى جهةٍ ثمَّ يتوجَّه إلى جهةٍ تعاكسها، وهو هنا مُستعارٌ للإعراض عن دعوة الدَّاعي...

وأمَّا السَّعي فحقيقته: شدَّة المشي، وهو هنا مستعارٌ للحرص والاجتهاد في أمره النَّاس بعدم الإصغاء لكلام موسى، وجمع السَّحرة لمعارضة معجزته إذ حسبها سحرًا...

والعمل الَّذي يسعى إليه يُبيِّنه قوله تعالى: {فَحَشَرَ فَنادى فَقالَ أَنَا رَبُّكُمُ الْأَعْلى}.

ويجوز أن يكون (أَدْبَرَ) على حقيقته، أي: ترك ذلك المَجمَع بأن قام مُعرِضًا إعلانًا بغضبه على موسى، ويكون (يسعى) مستعملًا في حقيقته أيضًا، أي: قام يَشتَدُّ في مشيه، وهي مِشيَة الغاضب المُعرِض[2].

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٢٣١).

(٢) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٧٩).

٢٨٦ ﴿رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا﴾ [النازعات: ٢٨]

«سَمْكَهَا» بفتح السين أي رفع سقفها وارتفاعها[٣]، وليس المراد هنا السُمك بالضم أي العَرض والكثافة.

٢٨٦ (سمك) السِّين والميم والكاف أصلٌ واحدٌ يدلُّ على العلُوِّ.

يُقال: سَمَكَ: إذا ارْتَفَعَ.

والمسموكات: السَّماوات[١].

وقال ابن سِيدَه: السَّمْك: السَّقْف، وقيل: هو **من أعلى البيت إلى أسفله**[٢].

* وقوله تعالى: {رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّاهَا} [النازعات: ٢٨]

عن ابن عبَّاسٍ {رَفَعَ سَمْكَهَا} يقول: بُنيانها.

وعن مجاهدٍ: رفع بناءها بغير عمدٍ.

وعن قتادة: رفع بناءها فسوَّاها[٣].

وقال الواحديُّ: معنى {سَمْكَهَا} قال المفسرون: سَقْفَها.

{فَسَوَّاهَا} بلا شقوقٍ ولا فُطُورٍ[٤].

وقال ابن عاشورٍ: السَّمْك: بفتح السِّين وسكون الميم: الرَّفع في الفضاء، كما اقتصر عليه الرَّاغب، سواءٌ اتَّصل المرفوع بالأرض أو لم يتَّصل بها، وهو مصدر (سَمَكَ).

والرَّفع: جَعْلُ جسمٍ مُعتَلِيًا، وهو مرادفٌ للسَّمْك، فتعدية فعل (رَفَعَ) إلَى (السَّمْكِ) للمبالغة في الرَّفع، أي: رفع رفعها، أي: جعله رفيعًا، وهو من قبيل قولهم: لَيْلٌ أَلْيَل، وشِعْرٌ شاعرٌ، وظلٌّ ظَلِيلٌ[٥].

---

(١) «مقاييس اللُّغة» (سمك).

(٢) «المُحكَم» (٦/ ٧٣٣).

(٣) «تفسير الطَّبريّ» (٢٤/ ٢٠٦).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٢٣/ ١٩٣).

(٥) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٨٤).

* أمَّا تفسير السَّمْك بفتح السِّين بالكثافة والعَرْض، فهو وجهٌ محتمَلٌ ذكره بعض المفسِّرين، ويُفهم أيضًا من قول ابن سِيدَه السَّابق: (هُوَ من أَعلَى الْبَيْت إِلَى أسفله).

قال ابن عطيَّة: (السَّمْك): الارتفاع الَّذي بين سطح السَّماء الأسفل الَّذي يلينا وسطحها الأعلى الَّذي يلي ما فوقها[1].

وقال البيضاويُّ: أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض أو ثخنها الذَّاهب في العلوِّ رفيعًا[2].

وقال ابن جُزَيٍّ: السَّمْك: **غِلَظ السَّماء**، وهو الارتفاع الَّذي بين سطح السَّماء الأسفل الَّذي يلينا وسطحها الأعلى الَّذي يلي ما فوقها.

ومعنى رفعه: أنَّه جعله مسيرة خمسمائة عامٍ.

وقيل: السَّمْك: السَّقْف[3].

وقال الألوسيُّ: أي: جعل مقدار ارتفاعها من الأرض وذهابها إلى سَمْت العلوِّ مديدًا رفيعًا، وجُوِّز أن يُفسَّر السَّمْك بالثّخن، فالمعنى: جعل ثخنها مرتفعًا في جهة العلوِّ.

ويُقال للثّخن سَمْكٌ لما فيه من ارتفاع السَّطح الأعلى عن السَّطح الأسفل، وإذا لُوحظ هذا الامتداد من العلوِّ للسُّفل قيل له عُمْقٌ، ونظيرُ ذلك الدَّرَج والدَّرَك[4].

* أمَّا السُّمْك بضمِّ السِّين بمعنى: غِلَظ الشَّيْء وثخانته، فكلمةٌ مُحدثَة[5].

---

(١) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٤٣٤).

(٢) «أنوار التَّنزيل» (٥/ ٢٨٤).

(٣) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٤٥٠).

(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٢٣٢).

(٥) يُنظر «المعجم الوسيط» (سمك).

٢٨٧ ﴿مُّطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ [التكوير: ٢١]

يخطئ البعض في معنى ثَم وفي نطقها: فـــ «ثَم» بفتح الثاء أي: هناك وبضمها ثُم: للعطف. والمعنى أن جبريل مطاعٌ هناك في السماوات أمين، ومثله قوله تعالى: ﴿وَإِذَا رَأَيْتَ ثَمَّ رَأَيْتَ نَعِيمًا وَمُلْكًا كَبِيرًا﴾ أي وإذا رأيت هناك في الجنة.(١)

٢٨٧ * (ثُمَّ) بضمِّ الثَّاء: حرف عطفٍ، يُشْرِك في الحُكْم، ويُفيد التَّرتيب بمُهْلَةٍ.

فإذا قلتَ: قام زيدٌ ثمَّ عمرٌو، آذنتَ بأنَّ الثَّاني بعد الأوَّل بمُهلةٍ.

هذا مذهب الجمهور، وما أوهم خلاف ذلك تأوَّلُوه(١).

* أمَّا (ثَمَّ) بفتح الميم: فهي اسم إشارةٍ للبُعد وظَرْف مكانٍ معًا، ولا يتصرَّف، مبنيَّةٌ على الفتح في محلِّ نصبٍ.

تقول: ثَمَّ مَقَرُّ السَّماحة، أي: هنالك.

ويجوز أن تلحقها تاء التَّأنيث المضبوطة بالفتحة غالبًا، فتقول: ثَمَّةَ ميدانٌ للتَّسابق الأدبيّ.

ولمَّا كانت (ثَمَّ) تُفيد البعد بنفسها لم يكن هناك داعٍ لأنْ تلحقها الكاف ولا اللَّام [يعني: مثل: هُنا، وهناك، وهنالك](٢).

(١) «الجنى الدَّاني» (ص: ٤٢٦).

(٢) «النَّحو الوافي» (١/ ٣٣٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٨٨ {يُسْقَوْنَ مِنْ رَحِيقٍ مَخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ *وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} [المطففين: ٢٥ - ٢٨]

٢٨٨ ﴿وَمِزَاجُهُۥ مِن تَسْنِيمٍ﴾ [المطففين: ٢٧]

المزاج عند العامة هو الحالة الذهنية أو النفسية للشخص، ولكن هنا معناه المزج والخلط(٢)، أي أن شرابهم يخلط بتسنيم وهي عين خالصة للمقربين يشربونها خالصة بلا مزج.

* (الرَّحيق): الخمر الصَّافية.

و(المختوم): فسَّره الله بأنَّ ختامه مِسْكٌ، وقُرئ (ختامه) بألف بعد التَّاء، و(خاتمه) بألفٍ بعد الخاء، وبفتح التَّاء وكسرها، وفي معناه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أنَّه مِن الخَتْم على الشَّيء، بمعنى: جعل الطَّابع عليه، فالمعنى: أنَّه خُتم على فم الإناء الَّذي هو فيه بالمسك، كما يُختم على أفواه آنية الدُّنيا بالطِّين إذا قُصد حفظها وصيانتها.

الثَّاني: أنَّه مِن خَتْم الشَّيء أي: تمامه، فمعناه: خاتم شربه مسكٌ، أي: يجد الشَّارب عند آخر شُربهِ رائحةَ المسك ولذَّتَه.

الثَّالث: أنَّ معناه: مزاجه مسك، أي: مُزِج الشَّراب بالمسك، وهذا خارج عن اشتقاق اللَّفْظ(١).

* وقوله تعالى: {وَمِزَاجُهُ مِنْ تَسْنِيمٍ}، أي: مَا يُمزَج به ذلك الشَّراب من (تسنيمٍ)، وهو اسم عينٍ في الجنَّة. قاله عبد الله [يعني: ابن مسعودٍ]، وهو قول أكثر المفسِّرين.

وروى ميمون بن مهران أنَّ ابن عبَّاسٍ سُئل عن قوله: {تسنيم}، فقال: هذا ممَّا يقول الله: {فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَا أُخْفِيَ لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ} [السجدة: ١٧] (٢).

(١) «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل» (٢/ ٤٦٢).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٣/ ٣٤٢).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وقال ابن عاشورٍ: و{مِزاجُهُ}: ما يُمزَج به. وأصله مصدر مازج بمعنى: مَزَجَ، وأُطلِق على الممزوج به، فهو من إطلاق المصدر على المفعول، وكانوا يمزجون الخمر لئلَّا تغلبهم سَوْرَتُها فيُسرِع إليهم مغيب العقول؛ لأنَّهم يقصدون تطويل حصَّة النَّشْوَة للالتذاذ بدبيب السُّكر في العقل دون أن يَغُتَّه غَتًّا، فلذلك أكثر ما تُشرَب الخمرُ المُعَتَّقة الخالصة تُشرَب مَمْزُوجَةً بالماء...

و{تَسْنِيم} عَلَمٌ لعينٍ في الجنَّة منقولٌ من مصدر سَنَمَ الشَّيء: إذا جعله كهيئة السَّنَام.

ووُجِّهوا هذه التَّسمية بأنَّ هذه العين تُصَبُّ على جنانهم من عُلُوٍّ فكأنَّها سَنَامٌ.

وهذا العَلَم عربيُّ المادَّة والصِّيغة ولكنَّه لم يكن معروفًا عند العرب، فهو ممَّا أخبر به القرآن[1].

* وقوله تعالى: {عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ} أي: يشربها المُقرَّبون صِرْفًا، وتُمزج لأصحاب اليمين مزجًا، قاله ابن مسعودٍ، وابن عبَّاسٍ، ومسروقٌ، وقتادة، وغيرهم[2].

* أمَّا المِزَاج الَّذي هو الحالة الذِّهنيَّة أو النَّفسيَّة، فهو أيضًا مأخوذٌ من المَزْج بمعنى: الخَلْط، وذلك أنَّ القدماء كانوا يعتقدون أنَّ في الجسم أربعة عناصر أو أخلاطٍ ممتزجةٍ، وهي: الدَّم، والصَّفراء، والسَّوداء، والبلغم، ويكون مزاج الشَّخص حسب تغلُّب أيٍّ من هذه العناصر على الأخرى[3].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٢٠٧).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٥٣).

(٣) يُنظر: «تاج العروس» (مزج)، و «المعجم الوسيط» (مزج).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٨٩ قال ابن عبَّاسٍ: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا} أي: سمعت لربِّها.

وهو قول مجاهدٍ وقتادة والضَّحَّاك وسفيان[١].

قال الطَّبريُّ: {وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ} يقول: وَسَمِعَت السَّماوات في تَصدُّعها وتشقُّقها لربِّها وأطاعت له في أمره إيَّاها.

٢٨٩ ﴿وَأَذِنَتْ لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ﴾ [الانشقاق: ٢]

أي سمعت وانقادت وخضعت[٣] وحُق لها أن تسمع وتطيع، وليس أذنت بمعنى سمَحَت وأباحت، ومنه قول النبي ﷺ: «ما أذن الله لشيء ما أذن لنبي حسن الصوت يتغنى بالقرآن، يجهر به» [أخرجه البخاري ومسلم]، يعني بذلك: ما استمع الله لشيء كاستماعه لنبي يتغنى بالقرآن، استماعًا يليق بجلاله سبحانه.

والعرب تقول: أَذِنَ لك في هذا الأمر أَذَنًا بمعنى: استمع لك، ومنه الخبر الَّذي رُوي عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم: «مَا أَذِنَ اللهُ لِشَيءٍ كأَذَنِهِ لنَبِيٍّ يَتَغَنَّى بالقُرآنِ» يعني بذلك: ما استمع الله لشيءٍ كاستماعه لنبيٍّ يتغنَّى بالقرآن، ومنه قول الشَّاعر:

صُمٌّ إذَا سَمِعُوا خَيْرًا ذُكِرْتُ بِهِ .:. وَإنْ ذُكِرْتُ بِسُوءٍ عِنْدَهُمْ أَذِنُوا

وأصل قولهم في الطَّاعة: سَمِعَ له، من الاستماع، يُقال منه: سمعت لك، بمعنى: سمعت قولك وأطعت فيما قلتَ وأمرت[٢].

قال السَّمعانيُّ: وأمَّا استماع السَّماء فيجوز أن يكون على الحقيقة، ويجوز أن يكون استماعها انقيادها لما تُؤمر به، والله أعلم[٣].

وقال ابن عاشور: أَذِنَ: فعلٌ مُشتقٌّ من اسم الأُذُن وهي جارحة السَّمع، فأصل معنى أَذِنَ له: أمال أُذُنه -أي: سَمْعه- إليه، يُقال: أَذِنَ يَأْذَنُ أَذَنًا كفَرِحَ، ثمَّ استُعمِل في لازم السَّمع وهو الرِّضا بالمسموع، فصار أَذِنَ بمعنى رَضِي بما يُطلَب منه، أو ما شأنه أن يُطلَب منه، وأباح

(١) «الهداية الى بلوغ النِّهاية» (١٢/ ٨١٥٠).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٢٤/ ٣٠٩).

(٣) «تفسير السَّمعانيّ» (٦/ ١٨٦).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

فعله، ومصدره: إِذْنٌ بكسر الهمزة وسكون الذَّال، فكأنَّ اختلاف صيغة المصدرين لقصد التَّفرقة بين المعنيين[1] [2].

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٥٢).

(٢) ويُنظر قوله تعالى: {فَأْذَنُوا بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ} رقم (٢٣).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

٢٩٠ ﴿وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ﴾ [الانشقاق: ٢٣]

أي بما يضمرون وما يجمعون في قلوبهم، مأخوذ من الوعاء الذي يجمع فيه[١]، وليس من الوعي والإدراك.

٢٩٠ قال ابن فارسٍ: (وعي) الواو والعين والياء: كلمةٌ تدلُّ على ضمِّ شيءٍ[١].

ويُقال لكلِّ شيءٍ حفظته في نفسك: قدْ وَعَيْتُهُ، ووعيت العِلْمَ، وَوَعَيْت ما قلتَ، ويُقال لكلِّ ما حفظته في غير نفسك: أوْعَيْتُهُ، يقال: أوعيت المتاعَ في الوِعَاء[٢].

* وقوله تعالى: {وَاللهُ أَعْلَمُ بِمَا يُوعُونَ} في صدورهم من التَّكذيب، ويضمرون في قلوبهم ويكتمون. قاله ابن عبَّاسٍ، وقتادة، ومقاتلٌ[٣].

وقال ابن قُتيبة: أي: يَجمعون في صدورهم وقلوبهم، يُقال: أَوْعَيْت المتاع؛ إذا جعلته في الوعاء[٤].

قال ابن عطيَّة: (ويُوعُونَ) معناه: يجمعون من الأعمال والتَّكذيب والكفر، كأنَّهم يجعلونها في أوعيةٍ، تقول: وعيت العلم، وأوعيت المتاع[٥].

وقال ابن عاشورٍ: وأصل معنى الإيعاء: جعل الشَّيء وِعَاءً، الوِعَاء بكسر الواو الظَّرف لأنَّه يُجمَع فيه، ثمَّ شاع إطلاقه على جمع الأشياء لئلَّا تَفُوت، فصار مُشعِرًا بالتَّقتير، ومنه قوله تعالى: {وَجَمَعَ فَأَوْعَى} [المعارج: ١٨] وفي الحديث: «لَا تُوعِي فَيُوعِيَ اللهُ عَلَيْكِ»[٦].

(١) «مقاييس اللُّغة» (وعي).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٢/ ١٥٠).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٢٣/ ٣٧٤).

(٤) «غريب القرآن» (ص: ٥٢١).

(٥) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٤٥٩).

(٦) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٢٣٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٩١ ﴿وَثَمُودَ ٱلَّذِينَ جَابُواْ ٱلصَّخْرَ بِٱلْوَادِ﴾ [الفجر: ٩]

أي قطعوا الصخر ونحتوه وخرقوه[٢]، وليس جابوه بمعنى أحضروه كما في اللهجة العامية.

٢٩١ قال ابن فارسٍ: (جَوَبَ) الجيم والواو والباء أصلٌ واحدٌ، وهو خَرْق الشَّيء[١].

قال أبو عُبيدة: {جابُوا الصَّخْرَ} نَقَبُوا، ويَجُوب الفلاةَ أيضًا: يدخل فيها ويقطعها[٢].

قال ابن عبَّاسٍ: ينحتونها ويخرقونها. وكذا قال مجاهدٌ، وقتادة، والضَّحَّاك، وابن زيدٍ.

ومنه يُقال: «مُجْتَابِي النِّمَار»: إذا خرقوها، واجتاب الثَّوْبَ: إذا فتحه. ومنه الجَيْب أيضًا[٣]. [٤]

فالجَوْب: القَطْع، والظَّاهر أنَّه حقيقةٌ فيه، تقول: جُبْت البلاد أجوبُها: إذا قطعتها، قال الشَّاعر:

ولا رأيتُ قَلُوصًا قبلَها حَمَلَتْ .:. ستِّين وَسْقًا ولا جَابَتْ بها بلدا

ومنه الجواب؛ لأنَّه يقطع السُّؤال[٥].

* وقال المفسِّرون: أوَّل مَن نحت الجبال والصُّور والرُّخام ثَمُود[٦].

(١) «مقاييس اللُّغة» (جوب).

(٢) «مجاز القرآن» (٢/ ٢٩٧).

(٣) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٩٦).

(٤) ويُنظر معنى الجيب في قوله تعالى: {وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ} [النور: ٣١] رقم (١٧٢).

(٥) «روح المعاني» (١٥/ ٣٣٩).

(٦) «تفسير القُرطبيّ» (٢٠/ ٤٨).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٩٢﴾ ﴿فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ﴾ [الفجر: ١٦]

قَدَر يعني ضيق عليه رزقه وقلّله[1]، وليس من القدرة والاستطاعة.

﴿٢٩٢﴾ {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ} [الطلاق: ٧]

{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ فَيَقُولُ رَبِّي أَهَانَنِ} [الفجر: ١٦]

{ اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الرعد: ٢٦]

{إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ } [الإسراء: ٣٠]

{وَيْكَأَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ} [القصص: ٨٢]

{اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} [العنكبوت: ٦٢]

{أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الروم: ٣٧]

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [سبأ: ٣٦]

{قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ لَهُ} [سبأ: ٣٩]

{أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ } [الزمر: ٥٢]

{لَهُ مَقَالِيدُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَنْ يَشَاءُ وَيَقْدِرُ} [الشورى: ١٢]

* العرب تقول: فلانٌ مُقَدَّرٌ عليه في الرِّزق، ومُقتَّرٌ عليه، بمعنًى واحدٍ، أي: مُضيَّقٌ عليه، ومنه قوله تعالى: {وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} [الفجر: ١٦] .

وقَدَرَ -بالتَّخفيف والتَّثقيل- قال أبو عمرو بن العلاء: قَتَر وقَتَّر وقَدَر وقَدَّر بمعنًى واحدٍ، أي: ضيَّق[1].[2]

(١) «تأويل مشكل القرآن» (ص: ٢٣٣).

(٢) يُنظر قوله تعالى: {فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ} رقم (١٥٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

{فَقَدَرَ عَلَيْهِ رِزْقَهُ} قرأ أبو جعفرٍ وابن عامرٍ: (فقدَّر) بتشديد الدَّال، وقرأ الآخرون بالتَّخفيف، وهما لغتان، أي: ضيَّق عليه رزقه.

وقيل: (قدَّر) بمعنى قَتَّر وأعطاه قدر ما يكفيه.

{فيقول ربِّي أهانن}: أذلَّني بالفقر، وهذا يعني به الكافر، تكون الكرامة والهوان عنده بكثرة المال والحظِّ في الدُّنيا وقلَّته.

قال الكلبيُّ ومقاتلٌ: نزلت في أُميَّة بن خلفٍ الجُمَحِيّ الكافر.

فردَّ الله على من ظنَّ أنَّ سعة الرِّزق إكرامٌ وأنَّ الفقر إهانةً، فقال {كلَّا} لم أبتله بالغنى لكرامته، ولم أبتله بالفقر لهوانه.

فأخبر أنَّ الإكرام والإهانة لا تدور على المال وسعة الرِّزق، ولكن الفقر والغنى بتقديره، فيُوسِّع على الكافر لا لكرامته، ويقدر على المؤمن لا لهوانه، إنَّما يكرم المرء بطاعته ويهينه بمعصيته[1].

(١) «تفسير البغويّ» (٨/ ٤٢١).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٩٣﴾ {فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ}

قال عطاءٌ عن ابن عبَّاسٍ: فدمَّر عليهم ربُّهم، ونحو هذا قال مقاتلٌ[١].

وقال الزَّجَّاج: أي: أطبق عليهم العذاب. يُقال: دَمْدَمْتُ على الشَّيء: إذا أطبقت فكرَّرت الإطباق.

وقال المؤرِّج: الدَّمْدَمَة: إهلاكٌ باستئصالٍ[٢].

* وفي قوله عزَّ وجلَّ: {فَسَوَّاها} قولان:

أحدهما: سوَّى بينهم في الإهلاك، قاله السُّدِّيُّ، ويحيى بن سلامٍ.

وقيل: سوَّى الدَّمْدَمة عليهم.

والمعنى: أنَّه أهلك صغيرَهم وكبيرَهم.

والثَّاني: سوَّى الأرض عليهم.

قال مقاتلٌ: سوَّى بيوتهم على قبورهم، وكانوا قد حفروا قبورًا فاضطجعوا فيها، فلمَّا صِيْحَ بهم فهلكوا زُلزلت بيوتهم فوقعت على قبورهم[٣].

وقال الألوسيُّ: {فَسَوَّاها} الضَّمير للدَّمْدَمَة المفهومة من (دَمْدَم) أي: فجعل الدَّمْدَمَة سواءً بينهم، أو جعلها عليهم سواءً، فلم يُفْلِت سبحانه منهم أحدًا، لا صغيرًا ولا كبيرًا.

أو هو [يعني: الضَّمير في {فسواها}] لثمود، والتَّأنيث باعتبار القبيلة، كما في (طغواها) و(أَشْقاها)، والمعنى ما ذُكر أيضًا، أو فسوَّاها بالأرض[٤].

﴿٢٩٢﴾ ﴿فَكَذَّبُوهُ فَعَقَرُوهَا فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُم بِذَنۢبِهِمْ فَسَوَّىٰهَا﴾ [الشمس: ١٤]

فَسَوَّاهَا: أي فسوى بينهم في الدمدمة والإهلاك، وذلك أن الصيحة أهلكتهم، فأتت على صغيرهم وكبيرهم على السواء[٢]، وقيل سواها أي سوى بيوتهم عليهم فصارت قبورهم[٣]، وليس معنى سواها أي فعلها كما في اللهجة الدارجة.

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٦٨).

(٢) «زاد المسير» (٤/ ٤٥١).

(٣) «زاد المسير» (٤/ ٤٥٢).

(٤) «روح المعاني» (١٥/ ٣٦٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

٢٩٤ {إِنَّ الَّـــذِينَ آمَنُـــوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [فصلت: ٨]

٢٩٤ ﴿فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ﴾ [التين: ٦]
أي غير مقطوع عنهم[٤]، وليس معناها: بغير منّه عليهم فلله المنّة على أهل الجنة دائماً وأبداً إذ لم يدخلوها إلا برحمته.

{وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} [القلم: ٣]

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [الانشقاق: ٢٥]

{إِلَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ مَمْنُونٍ} [التين: ٦]

المُنَّةُ بالضَّمِّ: القُوَّة... ورجلٌ مَنِينٌ، أي: ضعيفٌ، كأنَّ الدَّهْرَ مَنَّه، أي: ذهب بمُنَّتِهِ، أي: بقوَّته.

والمَنينُ: الحبل الضَّعيف.

والمَنُّ: القَطْعُ، ويُقال: النَّقْص[١].

والمِنَّةُ: النِّعمة الثَّقيلة، ويُقال ذلك على وجهين:

أحدهما: أن يكون ذلك بالفعل، فيُقال: منَّ فلانٌ على فلانٍ: إذا أثقله بالنِّعمة.

والثَّاني: أن يكون ذلك بالقول، وذلك مستقبحٌ فيما بين النَّاس إلَّا عند كفران النِّعمة، ولقبح ذلك قيل: المِنَّة تهدم الصَّنيعَة.

وقيل: إنَّ المِنَّة الَّتي بالقول هي من القَطْع؛ لأنَّها تقطع النِّعمة وتقتضي قطع الشُّكر[٢].

* وقوله تعالى: {لهم أجْرٌ غير ممنونٍ} فيه أربعة تأويلاتٍ:

أحدها: غير محسوبٍ، قاله مجاهد.

الثَّاني: غير منقوصٍ، قاله ابن عبَّاسٍ وقُطْربٌ.

---

(١) «الصِّحاح» (منن).

(٢) «المفردات» (ص: ٧٧٧) بتصرُّفٍ.

الثَّالث: غير مقطوعٍ، قاله ابن عيسى، مأخوذٌ من مَنَنْتُ الحبلَ: إذا قطعته، قال ذو الأصبع العدوانيُّ:

إِنِّي لَعَمْرُكَ مَا بَابِي بِذِي غَلَقٍ .:. عَلَى الصَّدِيقِ وَلَا خَيْرِي بِمَمْنُونِ

الرَّابع: غير ممنونٍ عليهم به، قاله السُّدِّيُّ(١).

والتَّأويلات الثَّلاثة الأولى مُتقارِبة المعنى، ولذا عدَّها بعض المفسِّرين قولًا واحدًا، وهو قول الجمهور:

قال ابن كثيرٍ: {غَيْرُ مَمْنُونٍ} قال ابن عبَّاسٍ: غير منقوصٍ. وقال مجاهدٌ، والضَّحَّاك: غير محسوبٍ. وحاصل قولهما أنَّه غير مقطوعٍ، كما قال تعالى: {عَطَاءً غَيْرَ مَجْذُوذٍ} [هود: ١٠٨](٢).

وقال ابن تيميَّة: قال عامَّة المفسِّرين: غير مقطوعٍ، ولا منقوصٍ(٣).

* أمَّا التَّأويل الرَّابع (غير ممنونٍ عليهم به)، فذكر بعض المفسِّرين في بيانه وجوهًا:

- أنَّه لا يَمْتَنُّ به عليهم أحدٌ -سوى الله- مِنَّةً تُكدِّر النِّعمة عليهم(٤).
- وقال الحسن: أي: لا يَمُنُّ عليهم مَنَّ أذًى(٥).
- أنَّه سبحانه لا يمُنُّ عليهم؛ لأنَّه كريمٌ سبحانه وتعالى، ومن شيمة الأكارم أن لا يمنُّوا على إنعامهم(٦).
- أنَّه سبحانه لا يَمُنُّ عليهم؛ لأنَّه إنَّما يُمَنُّ التَّفَضُّل، فأمَّا الأجرُ فحقٌّ أداؤه(٧).

---

(١) «النُّكَت والعيون» (٥/ ١٦٩).

(٢) «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٢).

(٣) «الرَّدُّ على من قال بفناء الجنَّة والنَّار» (ص: ٨٤).

(٤) «تفسير السَّمعانيّ» (٦/ ٢٥٤).

(٥) «تفسير ابن أبي زمنين» (٤/ ١٤٦).

(٦) «فتوح الغيب» (١٥/ ٥٦٩).

(٧) «الكشَّاف» (٤/ ١٨٧).

وهذا الوجه الأخير يُفصِّله أكثر قول الزَّمخشريِّ في قوله تعالى: {وَإِنَّ لَكَ لَأَجْرًا غَيْرَ مَمْنُونٍ} [القلم: ٣]: غير ممنونٍ عليك به؛ لأنَّه ثوابٌ تستوجبه على عملك، وليس بتفضُّلٍ ابتداءً، وإنَّما تُمَنُّ الفواضل لا الأجور على الأعمال(١).

وقد تعقَّب ابن المُنَيِّر الزَّمخشريَّ في هذا، فقال: ما كان النَّبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم يرضى من الزَّمخشريِّ بتفسير الآية هكذا، وهو صلَّى الله عليه وسلَّم يقول: «لا يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعمله»، قيل: ولا أنت يا رسول الله؟ قال: «ولا أنا، إلَّا أن يتغمَّدني الله بفضلٍ منه ورحمة».

ولقد بلغ بالزَّمخشريِّ سوء الأدب إلى حَدٍّ يُوجِب الحدَّ، وحاصل قوله: أنَّ الله لا مِنَّةَ له على أحدٍ ولا فضلٍ في دخول الجنَّة؛ لأنَّه قام بواجبٍ عليه، نعوذ بالله من الجرأة عليه.

وقوله: (لأنَّه ثوابٌ تستوجبه على عملك) وُجُوب الثَّواب عليه تعالى مذهب المعتزلة، ولا يجب عليه شيءٌ عند أهل السُّنَّة(٢).

* وقد ذهب إلى ضعف التَّأويل الرَّابع (غير ممنونٍ عليهم به) عددٌ من العلماء:

قال ابن القيِّم: وقوله {غير ممنونٍ} أي: غير مقطوعٍ ولا منقوصٍ ولا مُكدَّرٍ عليهم، وهذا هو الصَّواب.

وقالت طائفةٌ: غير ممنونٍ به عليهم، بل هو جزاء أعمالهم، ويُذكر هذا عن عكرمة ومقاتلٍ، وهو قول كثيرٍ من القَدَريَّة، قال هؤلاء: إنَّ المنَّة تُكدِّر النِّعمة، فتمام النِّعمة أن يكون غيرَ ممنونٍ بها على المنعَم عليه، **وهذا القول خطأٌ قطعًا، أُتي أربابه من تشبيه نعمة الله على عبده بإنعام المخلوق على المخلوق، وهذا من أبطل الباطل؛ فإنَّ المنَّة الَّتي تُكدِّر النِّعمة هي منَّة المخلوق على المخلوق، وأمَّا منَّة الخالق على المخلوق فبها تمام النِّعمة ولذَّتها وطيبها،** فإنَّها منَّةٌ حقيقةٌ، قال تعالى {يَمُنُّونَ عَلَيْكَ أَنْ أَسْلَمُوا قُلْ لا تَمُنُّوا عَلَيَّ إِسْلامَكُمْ بَلِ اللَّهُ يَمُنُّ عَلَيْكُمْ أَنْ هَدَاكُمْ لِلْإِيمَانِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ}، وقال تعالى: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَى مُوسَى وَهَارُونَ

---

(١) «الكشَّاف» (٤/ ٥٨٥).

(٢) «الانتصاف» (٤/ ٥٨٥).

وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ} فتكون منَّةً عليهما بنعمة الدُّنيا دون نعمة الآخرة، وقال لموسى: {وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَيْكَ مَرَّةً أُخْرَى}، وقال أهل الجنَّة: {فَمَنَّ اللَّهُ عَلَيْنَا وَوَقَانَا عَذَابَ السَّمُومِ}، وقال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ} الآية، وقال: {وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ} الآية، وفي الصَّحيح أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال للأنصار: «ألم أجدكم ضُلَّالًا فهداكم الله بي؟ ألم أجدكم عالةً فأغناكم الله بي؟» فجعلوا يقولون له: الله ورسوله أمنُّ. فهذا جواب العارفين بالله ورسوله، وهل المنَّة كلُّ المنَّة إلَّا لله المانِّ بفضله، الَّذي جميع الخلق في منَّته.

وإنَّما قَبُحت مِنَّة المخلوق؛ لأنَّها منَّةٌ بما ليس منه، وهي منَّةٌ يتأذَّى بها الممنون عليه، وأمَّا مِنَّة المنَّان بفضله الَّتي ما طاب العيش إلَّا بمنَّته، وكلُّ نعمةٍ منه في الدُّنيا والآخرة فهي مِنَّةٌ يَمُنُّ بها على من أنعم عليه؛ فتلك لا يجوز نفيها، وكيف يجوز أن يُقال: إنَّه لا مِنَّة لله على الَّذين آمنوا وعملوا الصَّالحات في دخول الجنَّة؟! وهل هذا إلَّا من أبطل الباطل؟!

فإن قيل: هذا القَدْر لا يخفى على من قال هذا القول من العلماء، وليس مرادهم ما ذُكِر، وإنَّما مرادهم أنَّه لا يمنُّ عليهم به وإن كانت لله فيه المنَّة عليهم، فإنَّه لا يَمُنُّ عليهم به، بل يُقال: هذا جزاء أعمالكم الَّتي عملتموها في الدُّنيا وهذا أجركم فأنتم تستوفون أجور أعمالكم لا نَمُنُّ عليكم بما أعطيناكم.

قيل: وهذا أيضًا هو الباطل بعينه، فإنَّ ذلك الأجر ليست الأعمال ثمنًا له ولا معاوضةً عنه، وقد قال أعلم الخلق بالله: «لن يدخل أحدٌ منكم الجنَّة بعمله، قالوا: ولا أنت يا رسول الله؟» قال: «ولا أنا إلَّا أن يتغمَّدني الله برحمةٍ منه وفضلٍ». فأخبر أنَّ دخول الجنَّة برحمة الله وفضله، وذلك مَحْض مِنَّته عليه وعلى سائر عباده، وكما أنَّه سبحانه المانُّ بإرسال رسله وبالتَّوفيق لطاعته وبالإعانة عليها، فهو المانُّ بإعطاء الجزاء، وذلك كلُّه محض مِنَّته وفضله وجوده، لا حقَّ لأحدٍ عليه بحيث إذا وفَّاه إيَّاه لم يكن له عليه منَّةٌ، فإن كان في الدُّنيا باطلٌ فهذا منه.

فإن قيل: كيف تقولون هذا وقد أخبر رسولُه عنه بأنَّ حقَّ العباد عليه إذا وحَّدوه ألَّا يعذِّبَهم، وقد أخبر عن نفسه أنَّ حقًّا عليه نصر المؤمنين!

قيل: لعمر الله هذا من أعظم منَّته على عباده، أن جعل على نفسه حقًّا بحكم وعده الصَّادق أن يُثيبَهم ولا يُعذِّبهم إذا عبدوه ووحَّدوه، فهذا من تمام مِنَّته، فإنَّه لو عذَّب أهل سماواته وأرضه لعذَّبهم وهو غير ظالمٍ لهم، ولكن مِنَّتُه اقتضت أن أحقَّ على نفسه ثواب عابديه وإجابة سائليه:

ما للعباد عليهِ حقٌّ واجبٌ .:. كلا ولا سعيٌ لديه ضائعُ

إن عُذِّبوا فبعدله، أو نُعِّموا .:. فبفضله، فهو الكريم الواسعُ[1]

(١) «التِّبيان في أقسام القرآن» (ص: ٤٨). ويُنظر قول شيخ الإسلام ابن تيميَّة في «الرَّدِّ على من قال بفناء الجنَّة والنَّار» (ص: ٨٥). وقول ابن كثيرٍ في «تفسير ابن كثير» (٨/ ٣٦٢).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٩٥﴾ ﴿رَسُولٌ مِنَ اللَّهِ يَتْلُو صُحُفًا مُطَهَّرَةً * فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة: ٢، ٣]

* الكُتُب لا يُمكن تصوُّرها بوصفها المادِّيّ في هذا السِّياق، فالصُّحُف ليست حقائبَ ولا أوعيةً تُوضَع فيها الكتب المادِّيَّة الملموسة، فالصُّحف جمع صحيفةٍ، وهي القِرْطَاس كما هو ظاهرٌ!

﴿٢٩٥﴾ ﴿فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ﴾ [البينة ٣]

يظن بعض الناس أن معنى كُتُب أي ما طبع على الورق ووضع بين دفتين، والصواب أنه المكتوب في الصحف من الآيات والأحكام(١).

* وقد ذكر المفسِّرون في معنى الكُتُب في الآية قولين:

الأوَّل: أنَّ الكُتُب بمعنى: المكتوبات(١):

وقد سبق تفسير الكتاب بالمكتوب في قوله تعالى {وَمَا أهلكنا من قَرْيَة إِلَّا وَلها كتابٌ مَعْلُومٌ} رقم (١١٩)، وقوله تعالى: {يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ لِلْكُتُبِ} رقم (١٥٣)

وقيل: المراد بهذه المكتوبات:

- آيات القرآن وسوره:

قال الواحديُّ: ومعنى الكتب في قوله: {كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}: هو الآيات المكتوبة في الصُّحُف(٢).

وقال مقاتلٌ: إنَّما سُمِّيت كتبًا؛ لأنَّ فيها أمورًا شتَّى كثيرةً(٣).

وقيل: الكُتُب القيِّمة: هي القرآن، فجعله كُتُبًا؛ لأنَّه يشتمل على أنواعٍ من البيان(٤).

---

(١) «الكشَّاف» (٤/ ٧٨٢)، «أنوار التَّنزيل» (٥/ ٣٢٨).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢١٣).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢١١).

(٤) «تفسير القُرطبيّ» (٢٠/ ١٤٣).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

- ما في الكتب السَّابقة:

قال الرَّاغب: أشار بقوله: {كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} [البينة: ٣] إلى ما فيه من معاني كُتُب الله تعالى، فإنَّ القرآن مَجْمَع ثمرة كتب الله تعالى المتقدِّمة[١].

وفي التَّيسير: هي كتب الأنبياء عليهم السَّلام، والقرآن مُصدِّقٌ لها فكأنَّها فيه[٢].

وقال القاسميُّ: والكتب الَّتي في صحف القرآن ومصاحفه، إمَّا أن تكون هي ما صحَّ من كُتُب الأوَّلين، كموسى وعيسى وغيرهما ممَّا حكاه الله في كتابه عنهم، فإنَّه لم يأت منها إلَّا بما هو قويٌّ سليمٌ... أو هي سور القرآن، فإنَّ كلَّ سورةٍ من سوره كتابٌ قويمٌ، فصحف القرآن أو صحائفه وأوراق مصحفه تحتوي على سورٍ من القرآن هي كتبٌ قيِّمةٌ[٣].

الثَّاني: الكُتُب: هي الأحكام:

قال صاحب «النَّظم»: وتكون كَتَبَ بمعنى: حَكَمَ، كقوله تعالى: {كَتَبَ اللهُ لَأَغْلِبَنَّ} [المجادلة: ٢١] أي: حَكَم الله، ومنه حديث العَسِيف: «لأقضينَّ بينكما بكتاب الله»: أي: بحكم الله، فيُحتمَل على هذا أن يكون {كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}: أحكامًا قيِّمَة[٤].

وقال السَّمعانيُّ: وقوله: {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} أَي: أحكامٌ مُستقيمةٌ عادلةٌ، والكتاب يأتي بمعنى: الحُكْم، والكُتُب بمعنى: الأحْكَام[٥].

وقال تاج القُرَّاء: {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ} أي: سُورٌ، وقيل: أحكامٌ، كما تقول: كتاب الطَّهارة، كتاب الصَّلاة، كتاب الصَّوم[٦].

---

(١) «المفردات» (ص: ٦٩١).

(٢) «روح المعاني» (١٥/ ٤٢٦).

(٣) «محاسن التَّأويل» (٩/ ٥٢١).

(٤) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢١٣).

(٥) «تفسير السَّمعانيّ» (٦/ ٢٦٣).

(٦) «غرائب التَّفسير» (٢/ ١٣٧٠).

*ووَصْفه عليه الصَّلاة والسَّلام بتلاوة الصُّحُف المذكورة -بناءً على المشهور من أنَّه عليه الصَّلاة والسَّلام لم يكن يقرأ الكتاب كما أنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم لم يكن يكتب- من باب التَّجوُّز في النِّسبة إلى المفعولِ؛ لأنَّه صلَّى الله عليه وسلَّم لَمَّا قَرَأَ ما فيها فكأنَّه قَرَأَها[1].

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٤٢٦).

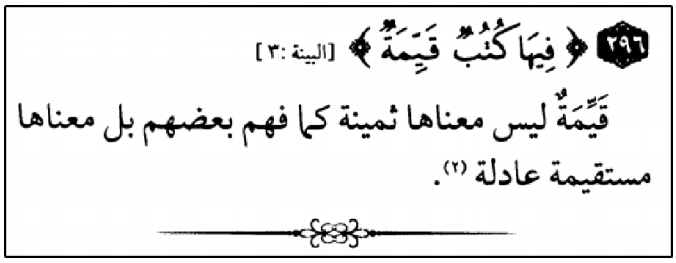

٢٩٦ قوله تعالى: {فِيهَا كُتُبٌ قَيِّمَةٌ}

قال عطاءٌ: يُريد: مستقيمةً.

وقال الكلبيُّ: صَادِقةٌ.

وقال مقاتلٌ: كتبٌ مستقيمةٌ ليس فيها عوجٌ ولا اختلافٌ...

قال صاحب «النَّظم»: {قيِّمَةٌ} مستويةٌ مُحكَمةٌ؛ مِن: قامَ يقوم: إذا استوى وصحَّ، من قولهم: قام الدَّليل على كذا: إذا أُظهِر واستقام.

ويجوز أن تكون (القيِّمة) بمعنى: القائمة بما يُراد منها من الحُجَّة، من قولهم: قام فلانٌ بالأمر يقوم به: إذا أجراه على وجهه، ومنه يُقال: للقائم بأمر القوم: القَيِّم، وفي الحديث: «ما أفلح قومٌ قيِّمتهم امرأةٌ»، فيكون المعنى: كتبٌ قيِّمةٌ بالأحكام والحُجج.

والقول الأوَّل أظهر، وهو قول المفسِّرين؛ لأنَّ هذا الثَّاني يحتاج إلى تقدير محذوفٍ(١).

قال الطَّبريُّ: عادلةٌ مستقيمةٌ، ليس فيها خطأٌ؛ لأنَّها من عند الله(٢).

وقال الزَّمخشريُّ: مستقيمةٌ ناطقةٌ بالحقِّ والعدل(٣).

وقال ابن عاشورٍ: القَيِّمة: المستقيمة، أي: شديدة القيام، الَّذي هو هنا مجازٌ في الكمال والصَّواب، وهذا من تشبيه المعقول بالمحسوس، تشبيهًا بالقائم لاستعداده للعمل النَّافع، وضدُّه العِوَج، قال تعالى: {الْحَمْدُ للهِ الَّذِي أَنْزَلَ عَلى عَبْدِهِ الْكِتابَ وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ عِوَجًا قَيِّمًا} أي: لم يجعل فيه نقص الباطل والخطأ، فالقيِّمة مُبالغةٌ في القائم، مثل: السَّيِّد للسَّائد، والمَيِّت للمائت(٤).

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢١١).

(٢) «تفسير الطَّبريّ» (٢٤/ ٥٤٠).

(٣) «الكشَّاف» (٤/ ٧٨٢).

(٤) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٤٧٧).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٩٧﴾ ﴿وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ﴾ [العاديات: ٨]

الخير: أي المال، فهو محب للمال حبًّا شديدًا[٣]، وليس المراد بالخير أعمال البر.

﴿٢٩٧﴾ قال الرَّاغب: الخَيْر: ما يرغب فيه الكُلُّ، كالعقل مثلًا، والعدل، والفضل، والشَّيء النَّافع، وضِدُّه: الشَّرُّ.

قيل: والخير ضربان: خيرٌ مُطلَقٌ، وهو أن يكون مرغوبًا فيه بكلِّ حالٍ، وعند كلِّ أحدٍ... وخيرٌ وشرٌّ مُقيَّدان، وهو أن يكون خيرًا لواحدٍ شرًّا لآخر، كالمال الَّذي رُبَّما يكون خيرًا لزيدٍ وشرًّا لعمرٍو، ولذلك وصفه الله تعالى بالأمرين فقال في موضعٍ: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} [البقرة: ١٨٠] ، وقال في موضعٍ آخر: {أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مالٍ وَبَنِينَ نُسارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْراتِ}[المؤمنون: ٥٥- ٥٦].

وقوله تعالى: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} [البقرة: ١٨٠]، أي: مالًا.

وقال بعض العلماء: **لا يُقال للمال خيرٌ حتَّى يكون كثيرًا، ومن مكانٍ طيِّبٍ**، كما رُوي أنَّ عليًّا ﷺ دخل على مولًى له فقال: ألا أوصي يا أمير المؤمنين؟ قال: لا، لأنَّ الله تعالى قال: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} [البقرة: ١٨٠]، وليس لك مالٌ كثيرٌ، وعلى هذا قوله: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} [العاديات: ٨]، أي: المال الكثير.

وقال بعض العلماء: إنَّما سُمِّي المال هاهنا خيرًا تنبيهًا على معنًى لطيفٍ، وهو أنَّ الَّذي يَحْسُن الوصيَّة به ما كان مجموعًا من المال من وجهٍ محمودٍ، وعلى هذا قوله: {قُلْ ما أَنْفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوالِدَيْنِ} [البقرة: ٢١٥] ، وقال: {وَما تُنْفِقُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٧٣] (١).

وقال الواحديُّ: قوله تعالى: {وَإِنَّهُ لِحُبِّ الْخَيْرِ لَشَدِيدٌ} **الخير: المال هاهنا في قول الجميع**، والله تعالى سَمَّى المال خيرًا في مواضع من التَّنزيل، كقوله: {إِنْ تَرَكَ خَيْرًا} ونحوه.

---

(١) «المفردات» (ص: ٣٠٠).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

وعلى هذا عادة النَّاس؛ لأنَّ النَّاس يَعدُّونه فيما بينهم خيرًا، وهذا كما أنَّه سمَّي ما ينال المجاهد من الجراح وأذى الحربِ سُوءًا في قوله: {لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ} [آل عمران: ١٧٤] على ما يتعارفه النَّاس بينهم، لا على أنَّه سوءٌ في العاقبة. ذكر ذلك ابن زيدٍ[١].

وقال ابن عطيَّة: و(**الْخَيْرُ**) **المال على عُرْف ذلك في كتاب الله تعالى**.

قال عكرمة: الْخَيْرُ حيث وقع في القرآن فهو المال.

ويُحتمَل أن يُراد هنا: الخير الدُّنياويُّ من مالٍ وصحَّةٍ وجاهٍ عند الملوك ونحوه؛ لأنَّ الكُفَّار والجُهَّال لا يعرفون غير ذلك، فأمَّا المُحَبُّ في خير الآخرة فممدوحٌ له مرجوٌّ له الفوز[٢].

---

(١) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢٥٤).

(٢) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٥١٥).

www.alukah.net
شبكة الألوكة

﴿٢٩٨﴾ ﴿وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ ۝٨ فَأُمُّهُ هَاوِيَةٌ﴾ [القارعة: ٨، ٩]

أي رأسه هاوية بالنار، وقيل أمه هي نفسها الهاوية وهي درك من أدراك النار، سميت أمه لأنها تؤويه لا مأوى له غيرها نسأل الله العافية منها، وليس معنى الأم كما يتبادر.

﴿٢٩٨﴾ {فَأُمُّهُ هاوِيَةٌ} فيه ثلاثة أقوالٍ:

أحدها: أُمُّ رأسه هاويةٌ، يعني: أنَّه يهوي في النَّار على رأسه، هذا قول عكرمة، وأبي صالحٍ.

والثَّاني: أنَّها كلمةٌ عربيَّةٌ، كان الرَّجل إذا وقع في أمرٍ شديدٍ قالوا: هَوَتْ أُمُّه، قاله قتادة.

والثَّالث: أنَّ المعنى: فمسكنُه النَّار. وإنَّما قيل لمسكنه: أمُّه؛ لأنَّ الأصل السُّكون إلى الأُمَّهات، فالنَّار لهذا كالأُمِّ، إذ لا مأوى له غيرها، هذا قول ابن زيدٍ، والفَرَّاء، وابن قُتيبة، والزَّجَّاج[1].

* وعلى ما ذكره ابن الجوزيِّ في القول الثَّاني "فالأُمُّ هنا مُستعمَلةً في حقيقتها، والكلام تمثيلٌ لحال مَن خَفَّت موازينه يومئذٍ بحال الهالك في الدُّنيا؛ لأنَّ العرب يُكنُّون عن حال المرء بحال أُمِّه في الخير والشَّرِّ لشدَّة محبَّتها ابنها، فهي أشدُّ سرورًا بسروره وأشدُّ حزنًا بما يُحزنه.

صلَّى أعرابيٌّ وراء إمامٍ فقرأ الإمام: {وَاتَّخَذَ اللهُ إِبْراهِيمَ خَلِيلًا} [النِّساء: ١٢٥] فقال الأعرابيُّ: «لقد قرَّتْ عينُ أُمِّ إبراهيم».

ويقولون في الشَّرِّ: هَوَتْ أُمُّهُ، أي: أصابه ما تهلك به أُمُّه، وهذا كقولهم: ثَكِلَتْه أُمُّه، في الدُّعاء.

ومنه ما يُستعمَل في التَّعجُّب وأصله الدُّعاء، كقول كعب بن سعدٍ الغَنَوِيِّ في رثاء أخيه أبي المِغوَار:

هَوَتْ أُمُّهُ مَا يَبْعَثُ الصُّبْحُ غَادِيًا .:. وَمَاذَا يَرُدُّ اللَّيْلُ حِينَ يَؤُوبُ

فاستُعمِل المُرَكَّب الَّذي يُقال عند حال الهلاك وسُوء المصير في الحالة المُشَبَّهَة بحال الهلاك، ورمز إلى التَّشبيه بذلك المُرَكَّب، كما تُضرَب الأمثال السَّائرة[1].

(١) «زاد المسير» (٤/ ٤٨٤).

شبكة الألوكة - قسم الكتب

* ولا شكَّ أنَّ المعنى لا يَحتمِل أن يُفهم على أنَّ أُمَّه الَّتي ولدته هي من ستهوي في النَّار، فهي لا ذنب لها في خفَّة موازين ولدها، وقد قال تعالى: {وَلَا تَكْسِبُ كُلُّ نَفْسٍ إِلَّا عَلَيْهَا وَلَا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى} [الأنعام: ١٦٤]

* أمَّا القول الثَّالث الَّذي ذكره ابن الجوزيِّ فهو قول أكثر المفسِّرين[٢]، وذكر بعضهم أنَّ الهاوية اسمٌ من أسماء النَّار[٣]، وقالوا: يدلُّ على صحَّة هذا القول ما رُوي في الحديث: «أنَّ المؤمن إذا مات ذُهب بروحه إلى أرواح المؤمنين فيسألونه ويقولون: ما فعل فلانٌ وفلانٌ؟ حتَّى إذا سألوه عمَّن لم يأتهم ممَّن قد مات، فيقول: قد مات، أما جاءكم؟ فيقولون: لا، ذُهب به إلى أُمِّه الهاوية»[٤].

ويدلُّ أيضًا على صحَّته أنَّ الله تعالى قد أخبر عنها فقال: {وَمَا أَدْرَاكَ مَا هِيَهْ} يعني: الهاوية {نَارٌ حَامِيَةٌ} أي: هي نارٌ حاميةٌ[٥].

ورَوى المبرِّد أنَّ النَّبيَّ صلَّى الله عليه وسلَّم قال لرجلٍ: لا أُمَّ لك، فقال: يا رسول الله، أتدعوني إلى الهُدَى وتقول: لا أُمَّ لك! فقال رسول الله صلَّى الله عليه وسلَّم: إنَّما أردتُ لا نارَ لك[٦].

---

(١) «التَّحرير والتَّنوير» (٣٠/ ٥١٤).

(٢) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢٦٦).

(٣) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢٦٦).

(٤) أخرجه النَّسائيُّ بمعناه مُطوَّلًا.

(٥) «التَّفسير البسيط» (٢٤/ ٢٦٩).

(٦) «المحرَّر الوجيز» (٥/ ٥١٧).

﴿٢٩٩﴾ ﴿فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ﴾ [الماعون: ٢]

من الدعّ وهو الدفع بعنف وجفوة، أي يقهر اليتيم ويدفعه عن حقه[1]، وليس يدعه -بتخفيف العين- أي يتركه.

﴿٢٩٩﴾ معنى يَتْرُك اليتيم لا يُتصوَّر غالبًا إلَّا أن يكون ناتجًا عن القراءة الخاطئة للفعل بتحفيف الدَّال وفتحها، من وَدَع يَدَع، وليس دَعَّ يَدُعُّ.

وقد سبق بيان معنى الدَّعِّ في قوله تعالى: {يَوْمَ يُدَعُّونَ إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ دَعًّا} رقم (٢٥٠)

﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾ [الماعون: ٧]

الماعون: وجمعها مواعين وهي في المعنى الدارج تعني الأواني، ولكن معناها في الآية : هو ما يعان به الخلق ويصرف في معونتهم من الأموال والأمتعة وكل ما ينتفع به[٢]، فهو الذي لا يضر إعطاؤه على العارية، أو الهبة، كالإناء، والدلو، والفأس، ونحو ذلك، مما جرت العادة ببذله والسماحة به[١].

٣٠٠ في {الْمَـاعُونِ} ستَّة أقوالٍ:

أحدها: الإبرة، والماء، والنَّار، والفأس، وما يكون في البيت من هذا النَّحْو، رواه أبو هُريرةَ عن النَّبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم، وإلى نحو هذا ذهب ابن مسعودٍ وابن عبَّاسٍ في روايةٍ.

ورَوى عنه أبو صالحٍ أنَّه قال: الماعون: المعروف كلُّه حتَّى ذكر القِدْر، والقَصْعَة، والفأس.

وقال عكرمة: ليس الويل لمن منع هذا، إنَّما الويل لمن جمعهنَّ، فرآى في صلاته، وسها عنها، ومنع هذا.

قال الزَّجَّاج: والماعون في الجاهليَّة: كلُّ ما كان فيه منفعةٌ كالفأس، والقِدْر، والدَّلْو، والقَدَّاحة، ونحو ذلك، وفي الإسلام أيضًا.

والثَّاني: أنَّه الزَّكاة، قاله عليٌّ، وابن عمر، والحسن، وعكرمة، وقتادة.

والثَّالث: أنَّه الطَّاعة، قاله ابن عبَّاسٍ في روايةٍ.

والرَّابع: المال، قاله سعيد بن المسيِّب، والزُّهريُّ.

والخامس: المعروف، قاله محمَّد بن كعبٍ.

والسَّادس: الماء، ذكره الفَرَّاء عن بعض العرب قال: وأنشدني:

يَمُجُّ صَبِيرُهُ الماعونَ صَبًّا

والصَّبير: السَّحاب[١].

* واختُلف في أصل (الماعون):

(١) «زاد المسير» (٤/ ٤٩٦).

فقال قُطْرُبٌ: أصله (فاعول) من المَعْن، وهو الشَّيء القليل، وقالوا: ما له مَعْنَة، أي: شيءٌ قليلٌ.

وقيل: أصله (معونة) والألف عوضٌ من الهاء، فوزنه (مفعل) في الأصل كـ(مكرم) فتكون الميم زائدة، ووزنه بعد زيادة الألف عوضًا (مافعل).

وقيل: هو اسم مفعول من أعان يُعِين، وأصله (مَعْوُون) فقُلب فصارت عينه مكان فائه فصار (مَوْعُون)، ثمَّ قُلبت الواو ألفًا فصار (ماعونًا) (معفول) بتقديم العين على الفاء[1].

* أمَّا تخصيص الماعون بالأواني دون ما أورده المفسِّرون ممَّا يكون في البيت كالقِدْر والقَصْعة والدَّلْو وغير ذلك، فهو تخصيصٌ عاميٌّ لا يصحُّ قصر معنى الآية عليه، ففي «معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة»: (ماعون) مفردٌ، جمعه: مَوَاعين: اسمٌ جامعٌ لمنافع البيت كالقِدْر والفأس والقَصْعَة ونحو ذلك ممَّا تعوَّد النَّاسُ إعارتَه، و**العامَّة تُخصِّصه فلا تُطلِقه إلَّا على الإناء الَّذي يُؤكَل به الطَّعام**[2].

(١) «روح المعاني» (١٥/ ٤٧٦).

(٢) «معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة» (٣/ ٢١١٠).

ثَبَت المصادر

- «الإتقان في علوم القرآن» لجلال الدِّين السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٣٩٤هـ - ١٩٧٤م.
- «الأثر العقديُّ في تعدُّد التَّوجيه الإعرابيّ لآيات القرآن الكريم» د. محمَّد بن عبد الله بن حمد السَّيف، دار التَّدمريَّة، الرِّياض، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩هـ- ٢٠٠٨م.
- «أساس البلاغة» لجار الله الزَّمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- «الأساس في التَّفسير» لسعيد حوَّى (ت ١٤٠٩ هـ)، دار السَّلام، القاهرة، الطَّبعة السَّادسة، ١٤٢٤هـ.
- «الأضداد» لابن الأنباريّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، المكتبة العصريَّة، بيروت، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.
- «أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن» لمحمَّد الأمين بن محمَّد المختار الشِّنقيطيّ (ت ١٣٩٣هـ)، دار الفكر، بيروت، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٥ م.
- «الإعجاز العلميُّ إلى أين» د. مساعد بن سليمان بن ناصر الطَّيَّار، دار ابن الجوزيّ، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٣٣ هـ.
- «الأغاني» لأبي الفرج الأصبهانيّ (ت ٣٥٦هـ)، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- «الإكليل في استنباط التَّنزيل» لجلال الدِّين السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، تحقيق: سيف الدِّين عبد القادر الكاتب، دار الكتب العلميَّة، بيروت، ١٤٠١ هـ - ١٩٨١ م.
- «الانتصاف فيما تضمَّنه الكشَّاف» لابن المُنَيِّر الإسكندريّ (ت ٦٨٣) مطبوع بهامش كتاب الكشَّاف.
- «أنموذجٌ جليل في أسئلةٍ وأجوبةٍ عن غرائب آي التَّنزيل» لمحمَّد بن أبي بكر الحنفيّ الرَّازيّ (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: د. عبد الرَّحمن بن إبراهيم المطرودي، دار عالم الكتب، الرِّياض، الطَّبعة الأولى، ١٤١٣ هـ- ١٩٩١ م.
- «أنوار التَّنزيل وأسرار التَّأويل = تفسير البيضاويّ» لعبد الله بن عمر البيضاويّ (ت ٦٨٥هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، الطَّبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.

- «باهر البرهان في معاني مشكلات القرآن» لبيان الحقِّ النيسابوريِّ الغزنويِّ (ت بعد ٥٥٣هـ)، تحقيق: سعاد بنت صالح بن سعيد بابقي، جامعة أمِّ القرى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- «البحر المحيط في التفسير» لأبي حيَّان الأندلسيِّ (ت ٧٤٥هـ)، تحقيق: صدقي محمَّد جميل، دار الفكر، بيروت، ١٤٢٠ هـ.
- «بدائع الصَّنائع في ترتيب الشَّرائع» لعلاء الدِّين الكاسانيِّ الحنفيِّ (ت ٥٨٧هـ)، دار الكتب العلميَّة، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٠٦هـ - ١٩٨٦م.
- «البرهان في علوم القرآن» لبدر الدِّين الزَّركشيِّ (ت ٧٩٤هـ)، تحقيق: محمَّد أبو الفضل إبراهيم، دار إحياء الكتب العربيَّة، الطَّبعة الأولى، ١٣٧٦ هـ - ١٩٥٧ م.
- «بيان تلبيس الجهميَّة في تأسيس بدعهم الكلاميَّة» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨هـ)، مجموعةٌ من المحقِّقين، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٦هـ.
- «تاج العروس من جواهر القاموس» للمرتضى، الزَّبيديِّ (ت ١٢٠٥هـ)، مجموعة من المحقِّقين، دار الهداية.
- «تأويل مشكل القرآن» لابن قتيبة الدِّينوريِّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: إبراهيم شمس الدِّين، دار الكتب العلميَّة، بيروت.
- «تأويلات أهل السُّنَّة = تفسير الماتريديِّ» لأبي منصورٍ الماتريديِّ (ت ٣٣٣هـ)، تحقيق: د. مجدي باسلوم، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- «التِّبيان في إعراب القرآن» لأبي البقاء العُكبريِّ (ت ٦١٦هـ)، تحقيق: علي محمَّد البجاوي، عيسى البابي الحلبي وشركاه.
- «التِّبيان في أقسام القرآن» لابن قيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمَّد حامد الفقي، دار المعرفة، بيروت.
- «التَّسهيل لعلوم التَّنزيل = تفسير ابن جُزَيٍّ» لأبي القاسم ابن جزيٍّ الغرناطيِّ (ت ٧٤١هـ)، تحقيق: د. عبد الله الخالدي، شركة دار الأرقم بن أبي الأرقم، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٦ هـ.
- «تصحيح الفصيح وشرحه» لابن دُرُسْتَوَيْه (ت ٣٤٧هـ)، تحقيق: د. محمَّد بدوي المختون، المجلس الأعلى للشُّئون الإسلاميَّة، القاهرة، ١٤١٩هـ - ١٩٩٨م.
- «تفسير ابن أبي حاتم» لابن أبي حاتمٍ الرَّازيِّ (ت ٣٢٧هـ)، تحقيق: أسعد محمَّد الطَّيِّب، مكتبة نزار مصطفى الباز، السُّعوديَّة، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤١٩ هـ.

- «تفسير ابن أبي زَمَنِين» لابن أبي زَمَنِين المالكيّ (ت ٣٩٩هـ)، تحقيق: أبو عبد الله حسين بن عكاشة، ومحمَّد بن مصطفى الكنز، الفاروق الحديثة، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٣هـ - ٢٠٠٢م.
- «تفسير ابن عرفة» لمحمَّد بن محمَّد ابن عرفة الورغميّ التُّونسيّ (ت ٨٠٣هـ)، تحقيق: جلال الأسيوطي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ٢٠٠٨ م.
- «تفسير ابن كثير = تفسير القرآن العظيم» لأبي الفداء إسماعيل بن كثير (ت ٧٧٤هـ)، تحقيق: سامي بن محمَّد سلامة، دار طيبة للنَّشر والتَّوزيع، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩ م.
- «تفسير أبي السُّعود = إرشاد العقل السَّليم» لأبي السُّعود العماديّ (ت ٩٨٢هـ)، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت.
- «تفسير الإيجيّ = جامع البيان في تفسير القرآن» لمحمَّد بن عبد الرَّحمن بن محمَّد الإيجي (ت ٩٠٥هـ)، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٤ هـ - ٢٠٠٤ م.
- «التَّفسير البسيط» لأبي الحسن الواحديّ النَّيسابوريّ (ت ٤٦٨هـ)، أصل تحقيقه في (١٥) رسالة دكتوراة بجامعة الإمام محمَّد بن سعود، ثمَّ قامت لجنةٌ علميَّةٌ من الجامعة بسبكه وتنسيقه، عمادة البحث العلميّ، جامعة الإمام محمَّد بن سعود الإسلاميَّة، الطَّبعة الأولى، ١٤٣٠ هـ.
- «تفسير البغويّ = معالم التَّنزيل» للحسين بن مسعود البغويّ (ت٥١٠هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: محمَّد عبد الله النّمر، عثمان جمعة ضميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة، الطَّبعة الرَّابعة، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٧ م.
- «تفسير الجلالين» لجلال الدِّين المحليّ (ت ٨٦٤هـ)، وجلال الدِّين السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، دار الحديث، القاهرة، الطَّبعة الأولى.
- «التَّفسير الحديث» لدروزة محمَّد عزت، دار إحياء الكتب العربيَّة، القاهرة، ١٣٨٣ هـ.
- «تفسير الرَّاغب الأصفهانيّ» لأبي القاسم الرَّاغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق ودراسة: د. محمَّد عبد العزيز بسيوني، كلية الآداب، جامعة طنطا، الطَّبعة الأولى: ١٤٢٠ هـ - ١٩٩٩ م.
- «تفسير السَّمرقنديّ = بحر العلوم» لأبي اللَّيث نصر بن محمَّد بن أحمد السَّمرقنديّ (ت ٣٧٣هـ).
- «تفسير السَّمعانيّ» لأبي المُظفَّر السَّمعانيّ (ت ٤٨٩هـ)، تحقيق: ياسر بن إبراهيم، وغنيم بن عبَّاس بن غنيم، دار الوطن، الرِّياض، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.
- «تفسير الشَّعراوي» محمَّد متولي الشَّعراوي (ت ١٤١٨هـ)، مطابع أخبار اليوم، ١٩٩٧ م.

- «تفسير الطَّبريّ = جامع البيان في تأويل القرآن» لأبي جعفرٍ الطَّبريّ (ت ٣١٠هـ)، تحقيق: أحمد محمَّد شاكر، مؤسَّسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٠ هـ - ٢٠٠٠ م.
- «التَّفسير القرآنيّ للقرآن» عبد الكريم يونس الخطيب (ت بعد ١٣٩٠هـ)، دار الفكر العربيّ، القاهرة.
- «تفسير القُرطبيّ = الجامع لأحكام القرآن» لأبي عبد الله شمس الدِّين القرطبيّ (ت ٦٧١هـ)، تحقيق: أحمد البردوني، وإبراهيم أطفيش، دار الكتب المصريَّة، القاهرة، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٨٤هـ - ١٩٦٤ م.
- «تفسير المنار» لمحمَّد رشيد رضا (ت ١٣٥٤هـ)، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، ١٩٩٠ م.
- «التَّفسير الوسيط » مجموعةٌ من العلماء بإشراف مجمع البحوث الإسلاميَّة بالأزهر، الهيئة العامَّة لشئون المطابع الأميريَّة، الطَّبعة الأولى، ١٣٩٣ هـ = ١٩٧٣ م.
- «التَّفسير الوسيط» لأبي الحسن الواحديّ النَّيسابوريّ (ت ٤٦٨هـ)، تحقيق وتعليق: عادل أحمد عبد الموجود، عليّ محمَّد معوض، د. أحمد محمَّد صيرة، د. أحمد عبد الغني الجمل، د. عبد الرحمن عويس، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥ هـ - ١٩٩٤ م.
- «تنوير المقباس من تفسير ابن عبَّاس» جمعه: مجد الدِّين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، دار الكتب العلميَّة، لبنان.
- «التَّنوير شرح الجامع الصَّغير» للأمير الصَّنعانيّ (ت ١١٨٢هـ)، تحقيق: د. محمَّد إسحاق محمَّد إبراهيم، مكتبة دار السَّلام، الرِّياض، الطَّبعة الأولى، ١٤٣٢ هـ - ٢٠١١ م.
- «تهذيب اللُّغة» لمحمَّد بن أحمد بن الأزهريّ (ت ٣٧٠هـ)، تحقيق: محمَّد عوض مرعب، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، الطَّبعة: الأولى، ٢٠٠١م.
- «تيسير الكريم الرَّحمن» لعبد الرَّحمن بن ناصر السَّعديّ (ت ١٣٧٦هـ)، تحقيق: عبد الرَّحمن بن معلا اللُّويحق، مؤسَّسة الرِّسالة، الطَّبعة الأولى ١٤٢٠هـ -٢٠٠٠ م.
- «التَّيسير في أحاديث التَّفسير» لمحمَّد المكي النَّاصري (ت ١٤١٤هـ)، دار الغرب الإسلاميّ، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٥ هـ - ١٩٨٥ م.
- «جمهرة اللُّغة» لأبي بكرٍ ابن دُريدٍ (ت ٣٢١هـ)، تحقيق: رمزي منير بعلبكي، دار العلم للملايين، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٩٨٧م.
- «الجنى الدَّاني في حروف المعاني» لبدر الدِّين ابن قاسمٍ المُراديّ (ت ٧٤٩هـ)، تحقيق: د. فخر الدِّين قباوة، الأستاذ محمَّد نديم فاضل، دار الكتب العلميَّة، بيروت.

- «الجواب الصَّحيح لمن بدَّل دين المسيح» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عليّ بن حسن، عبد العزيز بن إبراهيم، حمدان بن محمَّد، دار العاصمة، السُّعوديَّة، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٩هـ - ١٩٩٩م.
- «الجواهر الحسان في تفسير القرآن» لعبد الرَّحمن بن محمَّد بن مخلوف الثَّعالبيّ (ت ٨٧٥هـ)، تحقيق: محمَّد علي معوض، وعادل أحمد عبد الموجود، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، الطَّبعة الأولى - ١٤١٨ هـ.
- «حاشية الشِّهاب علي البيضاويّ = عِنَايةُ القَاضِي وكِفَايةُ الرَّاضِي» لشهاب الدِّين الخفاجيّ المصريّ (ت ١٠٦٩هـ)، دار صادر، بيروت.
- «الحُجَّة للقراء السَّبعة» لأبي عليٍّ الفارسيّ (ت ٣٧٧هـ)، تحقيق: بدر الدِّين قهوجي، وبشير جويجابي، دار المأمون للتُّراث، دمشق، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٤١٣ هـ - ١٩٩٣م،
- «حدائق الرَّوْح والرَّيحان في روابي علوم القرآن» لمحمَّد الأمين الهرريّ الشَّافعيّ، إشراف ومراجعة: د. هاشم محمَّد علي بن حسين مهدي، دار طوق النَّجاة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠١ م.
- «الخصائص» لأبي الفتح عثمان بن جنّي (المتوفى: ٣٩٢هـ)، الهيئة المصريَّة العامَّة للكتاب، الطَّبعة الرَّابعة.
- «الدُّرُّ الفريد وبيت القصيد» محمَّد بن أيدمر المستعصميّ (ت ٧١٠ هـ)، تحقيق: د. كامل سلمان الجبوري، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٣٦ هـ - ٢٠١٥ م.
- «الدُّرُّ المصون في علوم الكتاب المكنون» للسَّمين الحلبيّ (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق: د. أحمد محمَّد الخراط، دار القلم، دمشق.
- «الدُّرُّ المنثور في التفسير بالمأثور» لجلال الدِّين السّيوطيّ (ت ٩١١هـ)، دار الفكر، بيروت.
- «درج الدُّرر في تَفسِيرِ الآيِ والسُّوَرِ» لعبد القاهر الجرجانيّ (ت ٤٧١هـ)، دراسة وتحقيق: وليد بن أحمد بن صَالِح الحسين، وإياد عبد اللَّطيف القيسي، مجلَّة الحكمة، بريطانيا، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- «دفع إيهام الاضطراب عن آيات الكتاب» لمحمَّد الأمين بن محمَّد المختار الشِّنقيطيّ (ت ١٣٩٣هـ)، مكتبة ابن تيميَّة، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- «الرَّدُّ على من قال بفناء الجنَّة والنَّار» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: محمَّد بن عبد الله السمهري، دار بلنسية، الرياض، الطَّبعة: الأولى، ١٤١٥، هـ - ١٩٩٥م.

- «روح البيان» لإسماعيل حقِّي بن مصطفى الإستانبولي (ت ١١٢٧هـ)، دار الفكر، بيروت.
- «روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسَّبع المثاني = تفسير الألوسيّ» لشهاب الدِّين محمود بن عبد الله الألوسيّ (ت ١٢٧٠هـ)، تحقيق: علي عبد الباري عطيَّة، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٥ هـ.
- «الرَّوْض الأُنُف» لأبي القاسم السُّهيليّ (ت ٥٨١هـ)، تحقيق: عمر عبد السَّلام السّلاميّ، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢١هـ/ ٢٠٠٠م.
- «زاد المسير في علم التَّفسير» لأبي الفرج ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: عبد الرَّزَّاق المهدي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطَّبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- «زاد المعاد في هدي خير العباد» لابن قيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة السَّابعة والعشرون، ١٤١٥هـ - ١٩٩٤م.
- «الزَّاهر في معاني كلمات النَّاس» لابن الأنباريّ (ت ٣٢٨هـ)، تحقيق: د. حاتم صالح الضَّامن، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٢ هـ -١٩٩٢م.
- «شرح الأربعين النَّوويَّة» لمحمَّد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار الثُّريَّا للنَّشر.
- «شرح تسهيل الفوائد» جمال الدِّين ابن مالك (ت ٦٧٢هـ)، تحقيق: د. عبد الرَّحمن السَّيِّد، د. محمَّد بدوي المختون، هجر للطِّباعة والنَّشر، الطَّبعة الأولى، ١٤١٠هـ - ١٩٩٠م.
- «شرح الطَّحاويَّة» لابن أبي العزِّ الحنفيّ (ت ٧٩٢هـ)، تحقيق: أحمد شاكر، وزارة الشُّؤون الإسلاميَّة والأوقاف، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- «الشَّرح الممتع على زاد المستقنع» لمحمَّد بن صالح العثيمين (ت ١٤٢١هـ)، دار ابن الجوزيّ، الطَّبعة: الأولى، ١٤٢٢ - ١٤٢٨ هـ.
- «شرح النَّوويّ على مسلم = المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجَّاج» لمحيي الدِّين النَّوويّ (ت: ٦٧٦هـ)، دار إحياء التراث العربي، بيروت، الطَّبعة الثَّانية، ١٣٩٢هـ.
- «الصَّارم المُنْكِي في الرَّدِّ عَلَى السُّبْكِي» لمحمَّد بن أحمد بن عبد الهادي (ت ٧٤٤هـ)، تحقيق: عقيل بن محمَّد بن زيد المقطري، مؤسَّسة الرَّيَّان، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٤هـ - ٢٠٠٣م.
- «الصِّحاح تاج اللُّغة وصحاح العربيَّة» لأبي نصرٍ الجوهريّ (ت ٣٩٣هـ)، تحقيق: أحمد عبد الغفور عطَّار، دار العلم للملايين، بيروت، الطَّبعة الرَّابعة، ١٤٠٧ هـ - ١٩٨٧ م.

- «العذب النَّمير مِنْ مَجَالِسِ الشَّنْقِيطِيِّ فِي التَّفْسِيرِ» لمحمَّد الأمين بن محمَّد المختار الشِّنقيطيِّ (ت ١٣٩٣هـ)، تحقيق: خالد بن عثمان السَّبت، دار عالم الفوائد، مكَّة المكرَّمة، الطَّبعة الثَّانية، ١٤٢٦ هـ.
- «عمدة الحفَّاظ في تفسير أشرف الألفاظ» للسَّمين الحلبيِّ (ت ٧٥٦ هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، الطَّبعة الأولى، ١٤١٧ هـ - ١٩٩٦ م.
- «العناية شرح الهداية» شمس الدِّين البابرتيِّ (ت ٧٨٦هـ)، دار الفكر.
- «العين» للخليل بن أحمد الفراهيديِّ (ت ١٧٠هـ)، تحقيق: د مهدي المخزومي، د إبراهيم السَّامرائي، دار ومكتبة الهلال.
- «غرائب التَّفسير وعجائب التَّأويل» لتاج القُرَّاء محمود بن حمزة (ت نحو ٥٠٥هـ)، دار القبلة للثَّقافة الإسلاميَّة، جدَّة، مؤسَّسة علوم القرآن، بيروت.
- «غريب القرآن» لابن قُتيبة الدِّينوريِّ (ت ٢٧٦هـ)، تحقيق: أحمد صقر، دار الكتب العلميَّة (مصوَّرة عن الطَّبعة المصريَّة)، ١٣٩٨ هـ - ١٩٧٨ م.
- «الفتاوى الكبرى» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨هـ)، دار الكتب العلميَّة، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٨هـ - ١٩٨٧م.
- «فتح الباري شرح صحيح البخاري» لابن حجرٍ العسقلانيِّ (ت ٨٥٢هـ)، رقَّم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمَّد فؤاد عبد الباقي، وأخرجه وصحَّحه وأشرف على طبعه: محبُّ الدِّين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ١٣٧٩ هـ.
- «فتح القدير» لمحمَّد بن عليٍّ الشَّوكانيِّ (ت ١٢٥٠هـ)، دار ابن كثير، دار الكلم الطَّيِّب، دمشق، بيروت، الطَّبعة الأولى - ١٤١٤ هـ.
- «فتوح الغيب في الكشف عن قناع الرَّيب = حاشية الطِّيبيِّ على الكشَّاف» للحسين بن عبد الله الطِّيبيِّ (ت ٧٤٣ هـ) المشرف العام على الإخراج العلميِّ للكتاب: د. محمَّد عبد الرحيم سلطان العلماء، جائزة دبيٍّ الدَّوليَّة للقرآن الكريم، الطَّبعة الأولى، ١٤٣٤ هـ - ٢٠١٣ م.
- «فقه اللُّغة وسرُّ العربيَّة» لأبي منصورٍ الثَّعالبيِّ (المتوفى: ٤٢٩هـ)، تحقيق: عبدَّ الرَّزَّاق المهدي، إحياء التُّراث العربيِّ، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢هـ - ٢٠٠٢م.
- «فيض القدير شرح الجامع الصَّغير» لعبد الرَّؤوف المناويِّ (ت ١٠٣١هـ)، المكتبة التِّجاريَّة الكبرى، مصر، الطَّبعة الأولى، ١٣٥٦ هـ.

- «القاموس المحيط» مجد الدِّين الفيروزآبادي (ت ٨١٧هـ)، تحقيق: مكتب تحقيق التُّراث في مؤسَّسة الرِّسالة بإشراف: محمَّد نعيم العرقسُوسي، بيروت، الطَّبعة الثَّامنة، ١٤٢٦ هـ - ٢٠٠٥ م.
- «الكشَّاف عن حقائق غوامض التَّنزيل» لجار الله الزَّمخشريّ (ت ٥٣٨هـ)، دار الكتاب العربيّ، بيروت
- الطَّبعة الثَّالثة، ١٤٠٧ هـ.
- «كفاية المُتحفِّظ ونهاية المُتلفِّظ» لإبراهيم بن إسماعيل اللّوانيّ الأَجْدَابِيّ (ت نحو ٤٧٠هـ)، تحقيق: السَّائح علي حسين، دار اقرأ للطِّباعة والنَّشر، طرابلس.
- «لُباب التَّأويل في معاني التَّنزيل = تفسير الخازن» علاء الدِّين عليّ بن محمَّد الخازن (ت ٧٤١هـ)، تصحيح: محمَّد علي شاهين، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى - ١٤١٥ هـ.
- «اللُّباب في علوم الكتاب» لابن عادلٍ الحنبليّ الدِّمشقيّ (ت ٧٧٥هـ)، تحقيق: عادل أحمد عبد الموجود، وعلي محمَّد معوض، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩ هـ -١٩٩٨م.
- «لسان العرب» جمال الدِّين ابن منظور (ت ٧١١هـ)، دار صادر، بيروت، الطَّبعة الثَّالثة، ١٤١٤ هـ.
- «مجاز القرآن» لأبي عُبيدة معمر بن المُثنَّى (ت ٢٠٩هـ)، تحقيق: محمَّد فواد سزگين، مكتبة الخانجي، القاهرة، ١٣٨١ هـ.
- «مجموع الفتاوى» لشيخ الإسلام ابن تيميَّة (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: عبد الرَّحمن بن محمَّد بن قاسم، مجمع الملك فهد لطباعة المصحف الشَّريف، ١٤١٦هـ - ١٩٩٥م.
- «محاسن التَّأويل» لجمال الدِّين القاسمي (ت ١٣٣٢هـ)، تحقيق: محمَّد باسل عيون السُّود، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٨ هـ.
- «المحرَّر الوجيز في تفسير الكتاب العزيز = تفسير ابن عطيَّة» لابن عطيَّة الأندلسيّ (ت ٥٤٢هـ)، تحقيق: عبد السَّلام عبد الشَّافي محمَّد، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- «المُحكَم والمحيط الأعظم» لابن سِيدَه (ت: ٤٥٨هـ)، تحقيق: عبد الحميد هنداوي، دار الكتب العلميَّة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٢١ هـ - ٢٠٠٠ م.
- «مختار الصِّحاح» لمحمَّد بن أبي بكر بن عبد القادر الحنفيّ الرَّازيّ (ت ٦٦٦هـ)، تحقيق: يوسف الشَّيخ محمَّد، المكتبة العصريَّة، الدَّار النَّموذجيَّة، بيروت، الطَّبعة الخامسة، ١٤٢٠هـ - ١٩٩٩م.
- «مدارج السَّالكين» لابن قيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: محمَّد المعتصم بالله البغدادي، دار الكتاب العربيّ، بيروت، الطَّبعة الثالثة، ١٤١٦ هـ - ١٩٩٦م.

- «مدارك التَّنزيل = تفسير النَّسفيّ» لأبي البركات عبد الله بن أحمد النَّسفيّ (ت ٧١٠هـ)، حقَّقه وخرَّج أحاديثه: يوسف علي بديوي، دار الكلم الطَّيِّب، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٩ هـ - ١٩٩٨ م.
- «المصباح المنير في غريب الشَّرح الكبير» أحمد بن محمَّد بن علي الفيوميّ (ت نحو ٧٧٠هـ)، المكتبة العلميَّة، بيروت.
- «معاني القرآن وإعرابه» لأبي إسحاقٍ الزَّجَّاج (ت ٣١١هـ)، تحقيق: عبد الجليل عبده شلبي، عالم الكتب، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٨ هـ - ١٩٨٨ م.
- «معاني القرآن» ليحيى بن زيادٍ الفَرَّاء (ت ٢٠٧هـ)، تحقيق: أحمد يوسف النَّجاتي، ومحمَّد علي النَّجَّار، وعبد الفتَّاح إسماعيل الشَّلبي، دار المصريَّة للتَّأليف والتَّرجمة، مصر، الطَّبعة الأولى.
- «معاني القرآن» لأبي جعفرٍ النَّحَّاس (ت ٣٣٨هـ)، تحقيق: محمَّد علي الصَّابوني، جامعة أمّ القرى، مكَّة المكَّرمة، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٩ هـ.
- «المعجم الاشتقاقيُّ المؤصَّل» د. محمَّد حسن حسن جبل، مكتبة الآداب، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ٢٠١٠ م.
- «معجم الصَّواب اللُّغويّ» د. أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، القاهرة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- «معجم الفروق اللُّغويَّة» لأبي هلالٍ العسكريّ (ت نحو ٣٩٥هـ)، تحقيق: الشَّيخ بيت الله بيات، ومؤسَّسة النَّشر الإسلاميّ التَّابعة لجماعة المدرِّسين بـ«قم»، الطَّبعة الأولى، ١٤١٢هـ.
- «معجم اللُّغة العربيَّة المعاصرة» د. أحمد مختار عمر (ت ١٤٢٤هـ) بمساعدة فريق عمل، عالم الكتب، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- «المعجم الوسيط» مجمع اللُّغة العربيَّة بالقاهرة، إبراهيم مصطفى، أحمد الزَّيَّات، حامد عبد القادر، محمَّد النَّجَّار، دار الدَّعوة.
- «مفاتيح الغيب = تفسير الرَّازي» لفخر الدِّين الرَّازيّ (ت ٦٠٦هـ)، دار إحياء التُّراث العربيّ، بيروت، الطَّبعة الثالثة، ١٤٢٠ هـ.
- «المفردات في غريب القرآن» لأبي القاسم الرَّاغب الأصفهانيّ (ت ٥٠٢هـ)، تحقيق: صفوان عدنان الدَّاودي، دار القلم، الدَّار الشَّاميَّة، دمشق، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤١٢ هـ.
- «مقاييس اللُّغة» لأبي الحسين أحمد بن فارس (ت ٣٩٥هـ)، تحقيق: عبد السَّلام محمَّد هارون، دار الفكر، ١٣٩٩هـ - ١٩٧٩م.

- «مناهل العرفان في علوم القرآن» لمحمَّد عبد العظيم الزُّرْقانيّ (ت ١٣٦٧هـ)، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، الطَّبعة الثالثة.
- «منهج الشَّيخ عبد الرَّزَّاق عفيفي وجهوده في تقرير العقيدة» لأحمد بن علي الزَّاملي عسيري، رسالة مقدَّمةٌ لنيل درجة الماجستير في العقيدة والمذاهب المعاصرة، كلِّيَّة أصول الدِّين، جامعة الإمام محمَّد بن سعودٍ الإسلاميَّة، ١٤٣١ هـ.
- «المنهج القويم في اختصار اقتضاء الصِّراط المستقيم» لبدر الدِّين البعليّ (ت ٧٧٨هـ)، تحقيق: عليُّ بن محمَّدٍ العمران، دار عالم الفوائد للنَّشر والتَّوزيع، مكَّة المكَّرمة، الطَّبعة: الأولى، ١٤٢٢ هـ.
- «الموسوعة الفقهيَّة الكويتيَّة» صادر عن: وزارة الأوقاف والشُّئون الإسلاميَّة، الكويت.
- «النَّحو الوافي» لعبَّاس حسن (ت ١٣٩٨هـ)، دار المعارف، الطَّبعة الخامسة عشرة.
- «نزهة الأعين النَّواظر في علم الوجوه والنَّظائر» لأبي الفرج ابن الجوزيّ (ت ٥٩٧هـ)، تحقيق: محمَّد عبد الكريم كاظم الرَّاضي، مؤسَّسة الرِّسالة، بيروت، الطَّبعة الأولى، ١٤٠٤هـ - ١٩٨٤م
- «نظم الدُّرر في تناسب الآيات والسُّور» إبراهيم بن عمر البقاعيّ (ت ٨٨٥هـ)، دار الكتاب الإسلاميّ، القاهرة.
- «نفح الطِّيب من غصن الأندلس الرَّطيب» لشهاب الدِّين أحمد بن محمَّد المقري (ت ١٠٤١هـ)، تحقيق: إحسان عبَّاس، دار صادر، بيروت.
- «النُّكَت والعيون = تفسير الماورديّ» لأبي الحسن عليّ بن محمَّد الماورديّ (ت ٤٥٠هـ)، تحقيق: السَّيِّد ابن عبد المقصود بن عبد الرَّحيم، دار الكتب العلميَّة، بيروت.
- «الهداية الى بلوغ النِّهاية» لمكّيّ بن أبي طالب (ت ٤٣٧هـ)، مجموعة رسائل جامعيَّة بكلِّيَّة الدِّراسات العليا والبحث العلميّ، جامعة الشَّارقة، النَّاشر: مجموعة بحوث الكتاب والسُّنَّة، كلِّيَّة الشَّريعة والدِّراسات الإسلاميَّة، جامعة الشَّارقة، الطَّبعة الأولى، ١٤٢٩ هـ - ٢٠٠٨ م.
- «الوابل الصَّيِّب من الكلم الطيب» لابن قيِّم الجوزيَّة (ت ٧٥١هـ)، تحقيق: سيِّد إبراهيم، دار الحديث، القاهرة، الطَّبعة الثَّالثة، ١٩٩٩ م.

ثَبَت المحتويات

	المقدّمة	(ص)	
رقم الفائدة	الكلمة	السورة	الآية
٠١	{وَإِذَا أَظْلَمَ عَلَيْهِمْ **قَامُوا**}	البقرة	٢٠
٠٢	{الَّذِينَ **يَظُنُّونَ** أَنَّهُمْ مُلَاقُو رَبِّهِمْ}	البقرة	٤٦
٠٣	{**وَيَسْتَحْيُونَ** نِسَاءَكُمْ}	البقرة	٤٩
٠٤	{وَإِذْ قُلْنَا ادْخُلُوا هَذِهِ **الْقَرْيَةَ**}	البقرة	٥٨
٠٥	{وَادْخُلُوا الْبَابَ **سُجَّدًا**}	البقرة	٥٨
٠٦	{مِنْ **بَقْلِهَا**}	البقرة	٦١
٠٧	{**وَفُومِهَا**}	البقرة	٦١
٠٨	{وَالَّذِينَ هَادُوا وَالنَّصَارَى}	البقرة	٦٢
٠٩	{وَلَا **بِكْرٌ**}	البقرة	٦٨
١٠	{لَا تَسْفِكُونَ **دِمَاءَكُمْ**}	البقرة	٨٤
١١	{**بَغْيًا** أَنْ يُنَزِّلَ اللَّهُ مِنْ فَضْلِهِ}	البقرة	٩٠
١٢	{وَإِذْ جَعَلْنَا الْبَيْتَ **مَثَابَةً** لِلنَّاسِ}	البقرة	١٢٥
١٣	{ كَمَثَلِ **الَّذِي يَنْعِقُ** بِمَا لَا يَسْمَعُ}	البقرة	١٧١
١٤	{إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}	البقرة	١٨٠
١٥	{حَتَّى لَا تَكُونَ **فِتْنَةٌ**}	البقرة	١٩٣
١٦	{ادْخُلُوا فِي **السِّلْمِ** كَافَّةً}	البقرة	٢٠٨
١٧	{وَمِنَ النَّاسِ مَنْ **يَشْرِي** نَفْسَهُ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ}	البقرة	٢٠٧
١٨	{**وَزُلْزِلُوا** حَتَّى يَقُولَ الرَّسُولُ}	البقرة	٢١٤
١٩	{وَيَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنْفِقُونَ قُلِ **الْعَفْوَ**}	البقرة	٢١٩
٢٠	{فَإِنْ أَرَادَا **فِصَالًا**}	البقرة	٢٣٣
٢١	{فَلَمَّا **فَصَلَ** طَالُوتُ بِالْجُنُودِ}	البقرة	٢٤٩

٢٢	{فَتَرَكَهُ **صَلْدًا**}	البقرة	٢٦٤
٢٣	{فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا **فَأْذَنُوا** بِحَرْبٍ مِنَ اللَّهِ وَرَسُولِهِ}	البقرة	٢٧٩
٢٤	{لَا **نُفَرِّقُ** بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ}	البقرة	٢٨٥
٢٥	{كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا **الْمِحْرَابَ**}	آل عمران	٣٧
٢٦	{إِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ **كُنْ فَيَكُونُ**}	آل عمران	٤٧
٢٧	{إِذْ قَالَ اللَّهُ يَا عِيسَى إِنِّي **مُتَوَفِّيكَ**}	آل عمران	٥٥
٢٨	{**كُنْتُمْ** خَيْرَ أُمَّةٍ}	آل عمران	١١٠
٢٩	{كَمَثَلِ رِيحٍ فِيهَا صِرٌّ}	آل عمران	١١٧
٣٠	{لَا تَتَّخِذُوا **بِطَانَةً** مِنْ دُونِكُمْ}	آل عمران	١١٨
٣١	{مِنْ **فَوْرِهِمْ**}	آل عمران	١٢٥
٣٢	{لَا تَأْكُلُوا الرِّبَا **أَضْعَافًا مُضَاعَفَةً**}	آل عمران	١٣٠
٣٣	{ إِذْ **تَحُسُّونَهُمْ** بِإِذْنِهِ}	آل عمران	١٥٢
٣٤	{حَتَّى إِذَا **فَشِلْتُمْ**}	آل عمران	١٥٢
٣٥	{إِذْ **تُصْعِدُونَ**}	آل عمران	١٥٣
٣٦	{وَقِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْا قَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَوِ **ادْفَعُوا**}	آل عمران	١٦٧
٣٧	{إِنَّمَا التَّوْبَةُ عَلَى اللَّهِ لِلَّذِينَ يَعْمَلُونَ السُّوءَ **بِجَهَالَةٍ**}	النساء	١٧
٣٨	{ثُمَّ يَتُوبُونَ مِنْ **قَرِيبٍ**}	النساء	١٧
٣٩	{وَرَبَائِبُكُمُ اللَّاتِي **فِي حُجُورِكُمْ**}	النساء	٢٣
٤٠	{وَحَلَائِلُ أَبْنَائِكُمُ **الَّذِينَ مِنْ أَصْلَابِكُمْ**}	النساء	٢٣
٤١	{فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى **الْمُحْصَنَاتِ** مِنَ الْعَذَابِ}	النساء	٢٥
٤٢	{وَمَنْ لَمْ يَسْتَطِعْ مِنْكُمْ طَوْلًا أَنْ يَنْكِحَ **الْمُحْصَنَاتِ** الْمُؤْمِنَاتِ}	النساء	٢٥
٤٣	{إِنَّ اللَّهَ لَا يَظْلِمُ مِثْقَالَ **ذَرَّةٍ**}	النساء	٤٠
٤٤	{أَوْ جَاءَ أَحَدٌ مِنْكُمْ مِنَ **الْغَائِطِ**}	النساء	٤٣
٤٥	{وَلَوْ أَنَّهُمْ إِذْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ **جَاءُوكَ** فَاسْتَغْفَرُوا اللَّهَ وَاسْتَغْفَرَ لَهُمُ الرَّسُولُ}	النساء	٦٤
٤٦	{فَانْفِرُوا **ثُبَاتٍ**}	النساء	٧١

٤٧	{وَيُلْقُوا إِلَيْكُمُ **السَّلَمَ**}	النساء	٩١
٤٨	{إِنْ خِفْتُمْ أَنْ **يَفْتِنَكُمُ** الَّذِينَ كَفَرُوا}	النساء	١٠١
٤٩	{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا **أَوْفُوا بِالْعُقُودِ**}	المائدة	١
٥٠	{وَمَا عَلَّمْتُمْ مِنَ الْجَوَارِحِ **مُكَلِّبِينَ**}	المائدة	٤
٥١	{وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ}	المائدة	١٥
٥٢	{عَلَى **فَتْرَةٍ** مِنَ الرُّسُلِ}	المائدة	١٩
٥٣	{وَجَعَلَكُمْ مُلُوكًا}	المائدة	٢٠
٥٤	{كَيْفَ يُوَارِي **سَوْءَةَ** أَخِيهِ}	المائدة	٣١
٥٥	{لَا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إِذَا اهْتَدَيْتُمْ}	المائدة	١٠٥
٥٦	{وَإِذْ عَلَّمْتُكَ **الْكِتَابَ**}	المائدة	١١٠
٥٧	{تُكَلِّمُ النَّاسَ فِي الْمَهْدِ **وَكَهْلًا**}	المائدة	١١٠
٥٨	{ثُمَّ لَا يُنْظَرُونَ}	الأنعام	٨
٥٩	{**وَلَلَبَسْنَا** عَلَيْهِمْ مَا يَلْبِسُونَ}	الأنعام	٩
٦٠	{**وَذَرِ** الَّذِينَ اتَّخَذُوا دِينَهُمْ لَعِبًا وَلَهْوًا}	الأنعام	٧٠
٦١	{وَإِنْ تَعْدِلْ كُلَّ **عَدْلٍ** لَا يُؤْخَذْ مِنْهَا}	الأنعام	٧٠
٦٢	{كَالَّذِي **اسْتَهْوَتْهُ** الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ}	الأنعام	٧١
٦٣	{لَا **تُدْرِكُهُ** الْأَبْصَارُ}	الأنعام	١٠٣
٦٤	{وَأَهْلُهَا **غَافِلُونَ**}	الأنعام	١٣١
٦٥	{وَمِنَ الْأَنْعَامِ حَمُولَةً **وَفَرْشًا**}	الأنعام	١٤٢
٦٦	{دِينًا **قِيَمًا**}	الأنعام	١٦١
٦٧	{ فَجَاءَهَا بَأْسُنَا بَيَاتًا أَوْ هُمْ **قَائِلُونَ**}	الأعراف	٤
٦٨	{**وَقَاسَمَهُمَا** إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ}	الأعراف	٢١
٦٩	{قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ **وَرِيشًا**}	الأعراف	٢٦
٧٠	{وَإِذَا فَعَلُوا **فَاحِشَةً**}	الأعراف	٢٨
٧١	{خُذُوا زِينَتَكُمْ عِنْدَ كُلِّ **مَسْجِدٍ**}	الأعراف	٣١

٧٢	{هَلْ يَنْظُرُونَ إِلَّا **تَأْوِيلَهُ** يَوْمَ يَأْتِي **تَأْوِيلُهُ**}	الأعراف	٥٣
٧٣	{وَاذْكُرُوا إِذْ جَعَلَكُمْ **خُلَفَاءَ** مِنْ بَعْدِ قَوْمِ نُوحٍ}	الأعراف	٦٩
٧٤	{كَأَنْ **لَمْ يَغْنَوْا** فِيهَا}	الأعراف	٩٢
٧٥	{حَتَّى **عَفَوْا**}	الأعراف	٩٥
٧٦	{وَهُمْ **يَلْعَبُونَ**}	الأعراف	٩٨
٧٧	{وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ **بِالسِّنِينَ**}	الأعراف	١٣٠
٧٨	{فَإِذَا جَاءَتْهُمُ **الْحَسَنَةُ** قَالُوا لَنَا هَذِهِ}	الأعراف	١٣١
٧٩	{وَإِنْ تُصِبْهُمْ **سَيِّئَةٌ**}	الأعراف	١٣١
٨٠	{وَالْقُمَّلَ}	الأعراف	١٣٣
٨١	{آيَاتٍ **مُفَصَّلَاتٍ**}	الأعراف	١٣٣
٨٢	{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ **الْأَرْضِ** وَمَغَارِبَهَا}	الأعراف	١٣٧
٨٣	{وَأَوْرَثْنَا الْقَوْمَ الَّذِينَ كَانُوا **يُسْتَضْعَفُونَ مَشَارِقَ الْأَرْضِ** وَمَغَارِبَهَا}	الأعراف	١٣٧
٨٤	{وَبَلَوْنَاهُمْ **بِالْحَسَنَاتِ وَالسَّيِّئَاتِ**}	الأعراف	١٦٨
٨٥	{إِنْ **تَحْمِلْ عَلَيْهِ** يَلْهَثْ}	الأعراف	١٧٦
٨٦	{**وَأُمْلِي** لَهُمْ}	الأعراف	١٨٣
٨٧	{حَمَلَتْ حَمْلًا خَفِيفًا **فَمَرَّتْ** بِهِ}	الأعراف	١٨٩
٨٨	{ خُذِ **الْعَفْوَ**}	الأعراف	١٩٩
٨٩	{الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ **وَجِلَتْ** قُلُوبُهُمْ}	الأنفال	٢
٩٠	{إِلَّا **مُتَحَرِّفًا** لِقِتَالٍ}	الأنفال	١٦
٩١	{وَإِنِّي **جَارٌ** لَكُمْ}	الأنفال	٤٨
٩٢	{ إِنَّ شَرَّ **الدَّوَابِّ** عِنْدَ اللَّهِ}	الأنفال	٢٢
٩٣	{ وَخُذُوهُمْ **وَاحْصُرُوهُمْ**}	التوبة	٥
٩٤	{فَلَا يَقْرَبُوا **الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ** بَعْدَ عَامِهِمْ هَذَا}	التوبة	٢٨
٩٥	{إِنَّ عِدَّةَ الشُّهُورِ عِنْدَ اللَّهِ اثْنَا عَشَرَ شَهْرًا **فِي كِتَابِ اللَّهِ**}	التوبة	٣٦
٩٦	{وَلَكِنَّهُمْ قَوْمٌ **يَفْرَقُونَ**}	التوبة	٥٦

٩٧	{نَسُوا اللَّهَ **فَنَسِيَهُمْ**}	التوبة	٦٧
٩٨	{**وَتَزْهَقَ** أَنْفُسُهُمْ}	التوبة	٥٥
٩٩	{**عَسَى اللَّهُ** أَنْ يَتُوبَ عَلَيْهِمْ}	التوبة	١٠٢
١٠٠	{وَآخَرُونَ **مُرْجَوْنَ** لِأَمْرِ اللَّهِ}	التوبة	١٠٦
١٠١	{التَّائِبُونَ الْعَابِدُونَ الْحَامِدُونَ **السَّائِحُونَ**}	التوبة	١١٢
١٠٢	{وَعَلَى الثَّلَاثَةِ **الَّذِينَ خُلِّفُوا**}	التوبة	١١٨
١٠٣	{**وَظَنُّوا** أَنْ لَا مَلْجَأَ مِنَ اللَّهِ}	التوبة	١١٨
١٠٤	{وَاجْعَلُوا بُيُوتَكُمْ **قِبْلَةً**}	يونس	٨٧
١٠٥	{ أَفَمَنْ كَانَ عَلَى بَيِّنَةٍ مِنْ رَبِّهِ **وَيَتْلُوهُ شَاهِدٌ مِنْهُ**}	هود	١٧
١٠٦	{**أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا**}	يوسف	٩
١٠٧	{وَجَاءَتْ **سَيَّارَةٌ**}	يوسف	١٩
١٠٨	{**وَقَطَّعْنَ** أَيْدِيَهُنَّ}	يوسف	٣١
١٠٩	{ارْجِعْ إِلَى **رَبِّكَ** فَاسْأَلْهُ}	يوسف	٥٠
١١٠	{فَأَرْسِلْ مَعَنَا أَخَانَا **نَكْتَلْ**}	يوسف	٦٣
١١١	{قَالُوا يَا أَبَانَا مَا **نَبْغِي**}	يوسف	٦٥
١١٢	{وَلَمَّا جَهَّزَهُمْ **بِجَهَازِهِمْ**}	يوسف	٥٩
١١٣	{ وَأَنَا بِهِ **زَعِيمٌ**}	يوسف	٧٢
١١٤	{وَالَّذِينَ يَصِلُونَ **مَا أَمَرَ اللَّهُ بِهِ أَنْ يُوصَلَ**}	الرعد	٢١
١١٥	{وَمَا الْحَيَاةُ الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا **مَتَاعٌ**}	الرعد	٢٦
١١٦	{مَا أَنَا **بِمُصْرِخِكُمْ** وَمَا أَنْتُمْ **بِمُصْرِخِيَّ**}	إبراهيم	٢٢
١١٧	{يَوْمٌ لَا **بَيْعٌ** فِيهِ}	إبراهيم	٣١
١١٨	{**مُقْنِعِي** رُءُوسِهِمْ}	إبراهيم	٤٣
١١٩	{إِلَّا وَلَهَا **كِتَابٌ** مَعْلُومٌ}	الحجر	٤
١٢٠	{قَالَ رَبِّ **فَأَنْظِرْنِي** إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ}	الحجر	٣٦
١٢١	{وَإِنَّهَا **لَبِسَبِيلٍ** مُقِيمٍ}	الحجر	٧٦

١٢٢	{وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ **تُرِيحُونَ**}	النحل	٦
١٢٣	{فَاسْأَلُوا **أَهْلَ الذِّكْرِ** إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ}	النحل	٤٣
١٢٤	{أَيُمْسِكُهُ عَلَى **هُونٍ**}	النحل	٥٩
١٢٥	{وَلَوْ يُؤَاخِذُ اللَّهُ النَّاسَ **بِظُلْمِهِمْ**}	النحل	٦١
١٢٦	{ وَأَنَّهُمْ **مُفْرَطُونَ**}	النحل	٦٢
١٢٧	{فَإِذَا جَاءَ **وَعْدُ الْآخِرَةِ** لِيَسُوءُوا وُجُوهَكُمْ}	الإسراء	٧
١٢٨	{وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ **مَرَحًا**}	الإسراء	٣٧
١٢٩	{وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ **مُبْصِرَةً**}	الإسراء	٥٩
١٣٠	{إِذًا لَأَذَقْنَاكَ **ضِعْفَ** الْحَيَاةِ **وَضِعْفَ** الْمَمَاتِ}	الإسراء	٧٥
١٣١	{وَمِنَ اللَّيْلِ فَتَهَجَّدْ بِهِ **نَافِلَةً** لَكَ}	الإسراء	٧٩
١٣٢	{أَوْ يَكُونَ لَكَ بَيْتٌ مِنْ **زُخْرُفٍ**}	الإسراء	٩٣
١٣٣	{وَقُلْنَا مِنْ بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُوا **الْأَرْضَ**}	الإسراء	١٠٤
١٣٤	{ وَقُرْآنًا **فَرَقْنَاهُ**}	الإسراء	١٠٦
١٣٥	{وَيَخِرُّونَ **لِلْأَذْقَانِ** يَبْكُونَ}	الإسراء	١٠٩
١٣٦	{وَإِذَا غَرَبَتْ **تَقْرِضُهُمْ** ذَاتَ الشِّمَالِ}	الكهف	١٧
١٣٧	{وَلَا تَقُولَنَّ **لِشَيْءٍ** إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا}	الكهف	٢٣
١٣٨	{الَّذِينَ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ **بِالْغَدَاةِ** وَالْعَشِيِّ}	الكهف	٢٨
١٣٩	{لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ تَجْرِي **مِنْ تَحْتِهِمُ** الْأَنْهَارُ}	الكهف	٣١
١٤٠	{فَمَا اسْطَاعُوا أَنْ **يَظْهَرُوهُ**}	الكهف	٩٧
١٤١	{**فَأَجَاءَهَا** الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ}	مريم	٢٣
١٤٢	{قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ **سَرِيًّا**}	مريم	٢٤
١٤٣	{وَلَهُمْ رِزْقُهُمْ فِيهَا **بُكْرَةً وَعَشِيًّا**}	مريم	٦٢
١٤٤	{ **وَأَهُشُّ** بِهَا عَلَى غَنَمِي}	طه	١٨
١٤٥	{فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ أَثَرِ **الرَّسُولِ**}	طه	٩٦
١٤٦	{وَطَفِقَا **يَخْصِفَانِ** عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ}	طه	١٢١

١٤٧	{كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ **يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ**}	طه	١٢٨
١٤٨	{قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى **يَذْكُرُهُمْ**}	الأنبياء	٦٠
١٤٩	{وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ **لَبُوسٍ** لَكُمْ}	الأنبياء	٨٠
١٥٠	{فَظَنَّ أَنْ لَنْ **نَقْدِرَ** عَلَيْهِ}	الأنبياء	٨٧
١٥١	{إِنَّ هَذِهِ **أُمَّتُكُمْ** أُمَّةً وَاحِدَةً}	الأنبياء	٩٢
١٥٢	{وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَدَبٍ **يَنْسِلُونَ**}	الأنبياء	٩٦
١٥٣	{يَوْمَ نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السِّجِلِّ **لِلْكُتُبِ**}	الأنبياء	١٠٤
١٥٤	{**ثَانِيَ** عِطْفِهِ لِيُضِلَّ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ}	الحج	٩
١٥٥	{مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ **يَنْصُرَهُ** اللَّهُ}	الحج	١٥
١٥٦	{فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى **السَّمَاءِ**}	الحج	١٥
١٥٧	{وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ **بِإِلْحَادٍ** بِظُلْمٍ}	الحج	٢٥
١٥٨	{سَوَاءً **الْعَاكِفُ** فِيهِ وَالْبَادِ}	الحج	٢٥
١٥٩	{سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ **وَالْبَادِ**}	الحج	٢٥
١٦٠	{وَأَذِّنْ فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ **رِجَالًا**}	الحج	٢٧
١٦١	{**وَأَذِّنْ** فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا }	الحج	٢٧
١٦٢	{ثُمَّ **مَحِلُّهَا** إِلَى الْبَيْتِ الْعَتِيقِ}	الحج	٣٣
١٦٣	{**وَالْبُدْنَ** جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ}	الحج	٣٦
١٦٤	{فَإِذَا **وَجَبَتْ** جُنُوبُهَا}	الحج	٣٦
١٦٥	{إِلَّا إِذَا **تَمَنَّى** أَلْقَى الشَّيْطَانُ فِي **أُمْنِيَّتِهِ**}	الحج	٥٢
١٦٦	{وَلَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ مِنْ **سُلَالَةٍ** مِنْ طِينٍ}	المؤمنون	١٢
١٦٧	{تَنْبُتُ بِالدُّهْنِ **وَصِبْغٍ** لِلْآكِلِينَ}	المؤمنون	٢٠
١٦٨	{وَقُلْ رَبِّ أَنْزِلْنِي **مُنْزَلًا** مُبَارَكًا}	المؤمنون	٢٩
١٦٩	{وَالَّذِينَ **يُؤْتُونَ مَا آتَوْا** وَقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ}	المؤمنون	٦٠
١٧٠	{يَوْمَئِذٍ يُوَفِّيهِمُ اللَّهُ **دِينَهُمُ** الْحَقَّ}	النور	٢٥
١٧١	{لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا **مَتَاعٌ** لَكُمْ}	النور	٢٩

١٧٢	{وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى **جُيُوبِهِنَّ**}	النور	٣١
١٧٣	{وَالَّذِينَ يَبْتَغُونَ **الْكِتَابَ**}	النور	٣٣
١٧٤	{مَثَلُ نُورِهِ **كَمِشْكَاةٍ** فِيهَا مِصْبَاحٌ}	النور	٣٥
١٧٥	{لَا تَجْعَلُوا **دُعَاءَ الرَّسُولِ** بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا}	النور	٦٣
١٧٦	{**قَدْ يَعْلَمُ** اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا}	النور	٦٣
١٧٧	{لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ **جُمْلَةً** وَاحِدَةً}	الفرقان	٣٢
١٧٨	{وَعَادًا وَثَمُودَ وَأَصْحَابَ **الرَّسِّ**}	الفرقان	٣٨
١٧٩	{وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ **أَثَامًا**}	الفرقان	٦٨
١٨٠	{وَابْعَثْ فِي **الْمَدَائِنِ** حَاشِرِينَ }	الشعراء	٣٦
١٨١	{لَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ **مِنْ خِلَافٍ**}	الشعراء	٤٩
١٨٢	{وَتَتَّخِذُونَ **مَصَانِعَ**}	الشعراء	١٢٩
١٨٣	{أَلَمْ تَرَ أَنَّهُمْ فِي كُلِّ **وَادٍ** يَهِيمُونَ}	الشعراء	٢٢٥
١٨٤	{فَلَمَّا رَآهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا **جَانٌّ**}	النمل	١٠
١٨٥	{وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي **جَيْبِكَ**}	النمل	١٢
١٨٦	{فَنَاظِرَةٌ بِمَ يَرْجِعُ **الْمُرْسَلُونَ**}	النمل	٣٥
١٨٧	{ إِنَّهُ صَرْحٌ **مُمَرَّدٌ** مِنْ **قَوَارِيرَ**}	النمل	٤٤
١٨٨	{بَلْ هُمْ قَوْمٌ **يَعْدِلُونَ**}	النمل	٦٠
١٨٩	{فَبَصُرَتْ بِهِ عَنْ **جُنُبٍ**}	القصص	١١
١٩٠	{وَقَالَتْ لِأُخْتِهِ **قُصِّيهِ**}	القصص	١١
١٩١	{وَلَقَدْ **وَصَّلْنَا** لَهُمُ الْقَوْلَ}	القصص	٥١
١٩٢	{ إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ لَا **تَفْرَحْ**}	القصص	٧٦
١٩٣	{إِنَّهُ لَذُو **حَظٍّ** عَظِيمٍ}	القصص	٧٩
١٩٤	{وَكَأَيِّنْ مِنْ دَابَّةٍ لَا **تَحْمِلُ رِزْقَهَا**}	العنكبوت	٦٠
١٩٥	{ وَلَا تَمْشِ فِي الْأَرْضِ **مَرَحًا**}	لقمان	١٨
١٩٦	{**وَاقْصِدْ** فِي مَشْيِكَ}	لقمان	١٩

١٩٧	{وَقَالُوا أَإِذَا **ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ**}	السجدة	١٠
١٩٨	{وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ فَلَا تَكُنْ فِي مِرْيَةٍ مِنْ **لِقَائِهِ**}	السجدة	٢٣
١٩٩	{يَوَدُّوا لَوْ أَنَّهُمْ **بَادُونَ** فِي الْأَعْرَابِ}	الأحزاب	٢٠
٢٠٠	{فَمِنْهُمْ مَنْ قَضَى نَحْبَهُ وَمِنْهُمْ **مَنْ يَنْتَظِرُ**}	الأحزاب	٢٣
٢٠١	{فَتَعَالَيْنَ **أُمَتِّعْكُنَّ**}	الأحزاب	٢٨
٢٠٢	{غَيْرَ نَاظِرِينَ **إِنَاهُ**}	الأحزاب	٥٣
٢٠٣	{إِذَا **مُزِّقْتُمْ** كُلَّ مُمَزَّقٍ}	سبأ	٧
٢٠٤	{**وَقَدَّرْنَا** فِيهَا السَّيْرَ}	سبأ	١٨
٢٠٥	{**وَمَزَّقْنَاهُمْ** كُلَّ مُمَزَّقٍ}	سبأ	١٩
٢٠٦	{حَتَّى إِذَا **فُزِّعَ** عَنْ قُلُوبِهِمْ}	سبأ	٢٣
٢٠٧	{وَأَنَّى لَهُمُ **التَّنَاوُشُ** مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ}	سبأ	٥٢
٢٠٨	{وَمِنَ الْجِبَالِ **جُدَدٌ** بِيضٌ}	فاطر	٢٧
٢٠٩	{أَنَّا حَمَلْنَا **ذُرِّيَّتَهُمْ** فِي الْفُلْكِ الْمَشْحُونِ}	يس	٤١
٢١٠	{وَإِنْ نَشَأْ نُغْرِقْهُمْ فَلَا **صَرِيخَ** لَهُمْ}	يس	٤٣
٢١١	{احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا **وَأَزْوَاجَهُمْ**}	الصافات	٢٢
٢١٢	{أَذَلِكَ خَيْرٌ **نُزُلًا** أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُّومِ}	الصافات	٦٢
٢١٣	{ثُمَّ إِنَّ لَهُمْ عَلَيْهَا **لَشَوْبًا** مِنْ حَمِيمٍ}	الصافات	٦٧
٢١٤	{فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ **يَزِفُّونَ**}	الصافات	٩٤
٢١٥	{فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ **السَّعْيَ**}	الصافات	١٠٢
٢١٦	{فَلَمَّا أَسْلَمَا **وَتَلَّهُ** لِلْجَبِينِ}	الصافات	١٠٣
٢١٧	{**فَسَاهَمَ** فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ}	الصافات	١٤١
٢١٨	{وَانْطَلَقَ **الْمَلَأُ** مِنْهُمْ}	ص	٦
٢١٩	{فَطَفِقَ مَسْحًا **بِالسُّوقِ** وَالْأَعْنَاقِ}	ص	٣٣
٢٢٠	{**ارْكُضْ** بِرِجْلِكَ}	ص	٤٢
٢٢١	{أَنْتُمْ قَدَّمْتُمُوهُ لَنَا فَبِئْسَ **الْقَرَارُ**}	ص	٦٠

٢٢٢	{لَهُمْ **غُرَفٌ** مِنْ فَوْقِهَا **غُرَفٌ** مَبْنِيَّةٌ}	الزمر	٢٠
٢٢٣	{قُلْ يَا قَوْمِ اعْمَلُوا عَلَى **مَكَانَتِكُمْ**}	الزمر	٣٩
٢٢٤	{يَاقَوْمِ لَكُمُ الْمُلْكُ الْيَوْمَ **ظَاهِرِينَ** فِي الْأَرْضِ}	غافر	٢٩
٢٢٥	{ ادْعُوا رَبَّكُمْ يُخَفِّفْ عَنَّا **يَوْمًا** مِنَ الْعَذَابِ}	غافر	٤٩
٢٢٦	{وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ **بِالْعَشِيِّ** وَالْإِبْكَارِ}	غافر	٥٥
٢٢٧	{وَيَوْمَ يُحْشَرُ أَعْدَاءُ اللَّهِ إِلَى النَّارِ فَهُمْ **يُوزَعُونَ**}	فصلت	١٩
٢٢٨	{إِنَّ الَّذِينَ **يُلْحِدُونَ** فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا}	فصلت	٤٠
٢٢٩	{أَوْ **يُزَوِّجُهُمْ** ذُكْرَانًا وَإِنَاثًا }	الشورى	٥٠
٢٣٠	{وَمَا كُنَّا لَهُ **مُقْرِنِينَ**}	الزخرف	١٣
٢٣١	{لِيَتَّخِذَ بَعْضُهُمْ بَعْضًا **سُخْرِيًّا**}	الزخرف	٣٢
٢٣٢	{وَإِنَّهُ **لَذِكْرٌ** لَكَ وَلِقَوْمِكَ}	الزخرف	٤٤
٢٣٣	{وَقَالُوا يَا أَيُّهُ **السَّاحِرُ**}	الزخرف	٤٩
٢٣٤	{فَلَمَّا **آسَفُونَا** انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ}	الزخرف	٥٥
٢٣٥	{إِذَا قَوْمُكَ مِنْهُ **يَصِدُّونَ**}	الزخرف	٥٧
٢٣٦	{ هَلْ **يَنْظُرُونَ** إِلَّا السَّاعَةَ}	الزخرف	٦٦
٢٣٧	{وَهُوَ الَّذِي فِي السَّمَاءِ إِلَهٌ وَفِي الْأَرْضِ إِلَهٌ}	الزخرف	٨٤
٢٣٨	{وَجَعَلْنَاهُ **مَثَلًا** لِبَنِي إِسْرَائِيلَ}	الزخرف	٥٩
٢٣٩	{أَنْ أَدُّوا إِلَيَّ **عِبَادَ اللَّهِ**}	الدخان	١٨
٢٤٠	{وَفَضَّلْنَاهُمْ عَلَى **الْعَالَمِينَ**}	الجاثية	١٦
٢٤١	{أَمْ لَهُمْ **شِرْكٌ** فِي السَّمَاوَاتِ}	الأحقاف	٤
٢٤٢	{وَمَا أَدْرِي مَا يُفْعَلُ بِي وَلَا بِكُمْ}	الأحقاف	٩
٢٤٣	{ وَيُصْلِحُ **بَالَهُمْ**}	مُحَمَّد	٥
٢٤٤	{وَالْهَدْيَ مَعْكُوفًا أَنْ يَبْلُغَ **مَحِلَّهُ**}	الفتح	٢٥
٢٤٥	{يَوْمَ تَشَقَّقُ الْأَرْضُ عَنْهُمْ **سِرَاعًا**}	ق	٤٤
٢٤٦	{وَإِنَّ **الدِّينَ** لَوَاقِعٌ}	الذاريات	٦

٢٤٧	{فَأَقْبَلَتِ امْرَأَتُهُ فِي **صَرَّةٍ**}	الذاريات	٢٩
٢٤٨	{وَالسَّمَاءَ بَنَيْنَاهَا **بِأَيْدٍ**}	الذاريات	٤٧
٢٤٩	{فَإِنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا **ذَنُوبًا** مِثْلَ **ذَنُوبِ** أَصْحَابِهِمْ}	الذاريات	٥٩
٢٥٠	{يَوْمَ **يُدَعُّونَ** إِلَى نَارِ جَهَنَّمَ **دَعًّا**}	الطور	١٣
٢٥١	{**يَتَنَازَعُونَ** فِيهَا كَأْسًا}	الطور	٢٣
٢٥٢	{إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِي أَهْلِنَا **مُشْفِقِينَ**}	الطور	٢٦
٢٥٣	{أَمْ تَأْمُرُهُمْ **أَحْلَامُهُمْ** بِهَذَا}	الطور	٣٢
٢٥٤	{وَأَنَّهُ هُوَ أَغْنَى **وَأَقْنَى**}	النجم	٤٨
٢٥٥	{وَأَنَّهُ هُوَ رَبُّ **الشِّعْرَى**}	النجم	٤٩
٢٥٦	{فَنَادَوْا صَاحِبَهُمْ **فَتَعَاطَى** فَعَقَرَ}	القمر	٢٩
٢٥٧	{خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ **صَلْصَالٍ** كَالْفَخَّارِ}	الرحمن	١٤
٢٥٨	{وَلَهُ الْجَوَارِ الْمُنْشَآتُ فِي الْبَحْرِ **كَالْأَعْلَامِ**}	الرحمن	٢٤
٢٥٩	{فَإِذَا انْشَقَّتِ السَّمَاءُ فَكَانَتْ **وَرْدَةً** كَالدِّهَانِ}	الرحمن	٣٧
٢٦٠	{لَا يُصَدَّعُونَ عَنْهَا وَلَا **يُنْزِفُونَ**}	الواقعة	١٩
٢٦١	{أَفَرَأَيْتُمْ مَا **تُمْنُونَ**}	الواقعة	٥٨
٢٦٢	{وَغَرَّكُمْ بِاللَّهِ **الْغَرُورُ**}	الحديد	١٤
٢٦٣	{ لِأَوَّلِ **الْحَشْرِ**}	الحشر	٢
٢٦٤	{الْمَلِكُ الْقُدُّوسُ السَّلَامُ الْمُؤْمِنُ **الْمُهَيْمِنُ**}	الحشر	٢٣
٢٦٥	{ **وَبَدَا** بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاءُ أَبَدًا}	الممتحنة	٤
٢٦٦	{وَآخَرِينَ مِنْهُمْ **لَمَّا يَلْحَقُوا** بِهِمْ}	الجمعة	٣
٢٦٧	{كَمَثَلِ الْحِمَارِ يَحْمِلُ **أَسْفَارًا**}	الجمعة	٥
٢٦٨	{**فَاسْعَوْا** إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ}	الجمعة	٩
٢٦٩	{لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنْ **بُيُوتِهِنَّ**}	الطلاق	١
٢٧٠	{إِلَّا أَنْ يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ **مُبَيِّنَةٍ**}	الطلاق	١
٢٧١	{فَمَنْ يَأْتِيكُمْ بِمَاءٍ **مَعِينٍ**}	الملك	٣٠

٢٧٢	{إِنَّا بَلَوْنَاهُمْ كَمَا بَلَوْنَا **أَصْحَابَ الْجَنَّةِ**}	القلم	١٧
٢٧٣	{قَالَ **أَوْسَطُهُمْ**}	القلم	٢٨
٢٧٤	{وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَعْلُومٌ* لِلسَّائِلِ **وَالْمَحْرُومِ**}	المعارج	٢٥
٢٧٥	{وَمَا نَحْنُ **بِمَسْبُوقِينَ**}	المعارج	٤١
٢٧٦	{وَأَنَّهُ تَعَالَى **جَدُّ** رَبِّنَا}	الجن	٣
٢٧٧	{وَأَنَّا **لَمَسْنَا** السَّمَاءَ}	الجن	٨
٢٧٨	{إِنَّ لَكَ فِي النَّهَارِ **سَبْحًا** طَوِيلًا}	المزمل	٧
٢٧٩	{فَإِذَا نُقِرَ فِي **النَّاقُورِ**}	المدثر	٨
٢٨٠	{**لَا أُقْسِمُ** بِيَوْمِ الْقِيَامَةِ}	القيامة	١
٢٨١	{بَلْ يُرِيدُ الْإِنْسَانُ **لِيَفْجُرَ** أَمَامَهُ}	القيامة	٥
٢٨٢	{فَإِذَا **بَرِقَ** الْبَصَرُ}	القيامة	٧
٢٨٣	{فَاسْجُدْ لَهُ **وَسَبِّحْهُ** لَيْلًا طَوِيلًا}	الإنسان	٢٦
٢٨٤	{كَأَنَّهُ جِمَالَتٌ **صُفْرٌ**}	المرسلات	٣٣
٢٨٥	{ ثُمَّ أَدْبَرَ **يَسْعَى**}	النازعات	٢٢
٢٨٦	{رَفَعَ **سَمْكَهَا** فَسَوَّاهَا}	النازعات	٢٨
٢٨٧	{مُطَاعٍ **ثَمَّ** أَمِينٍ}	التكوير	٢١
٢٨٨	{**وَمِزَاجُهُ** مِنْ تَسْنِيمٍ}	المطففين	٢٧
٢٨٩	{**وَأَذِنَتْ** لِرَبِّهَا وَحُقَّتْ}	الانشقاق	٢
٢٩٠	{وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا **يُوعُونَ**}	الانشقاق	٢٣
٢٩١	{وَثَمُودَ الَّذِينَ **جَابُوا** الصَّخْرَ بِالْوَادِ }	الفجر	٩
٢٩٢	{وَأَمَّا إِذَا مَا ابْتَلَاهُ **فَقَدَرَ** عَلَيْهِ رِزْقَهُ}	الفجر	١٦
٢٩٣	{فَدَمْدَمَ عَلَيْهِمْ رَبُّهُمْ بِذَنْبِهِمْ **فَسَوَّاهَا**}	الشمس	١٤
٢٩٤	{فَلَهُمْ أَجْرٌ غَيْرُ **مَمْنُونٍ**}	التين	٦
٢٩٥	{فِيهَا **كُتُبٌ** قَيِّمَةٌ}	البينة	٣
٢٩٦	{فِيهَا كُتُبٌ **قَيِّمَةٌ**}	البينة	٣

٢٩٧	{وَإِنَّهُ لِحُبِّ **الْخَيْرِ** لَشَدِيدٌ}	العاديات	٨
٢٩٨	{ **فَأُمُّهُ** هَاوِيَةٌ}	القارعة	٩
٢٩٩	{فَذَلِكَ الَّذِي **يَدُعُّ** الْيَتِيمَ}	الماعون	٢
٣٠٠	{وَيَمْنَعُونَ **الْمَاعُونَ**}	الماعون	٧
	ثَبَت المصادر	(ص)	
	ثَبَت المحتويات	(ص)	